بداية الوصول بشرح صحيح الأمهات والأصول

جمع

عبد الله عبد القادر التليدي
عفا الله تعالى عنه

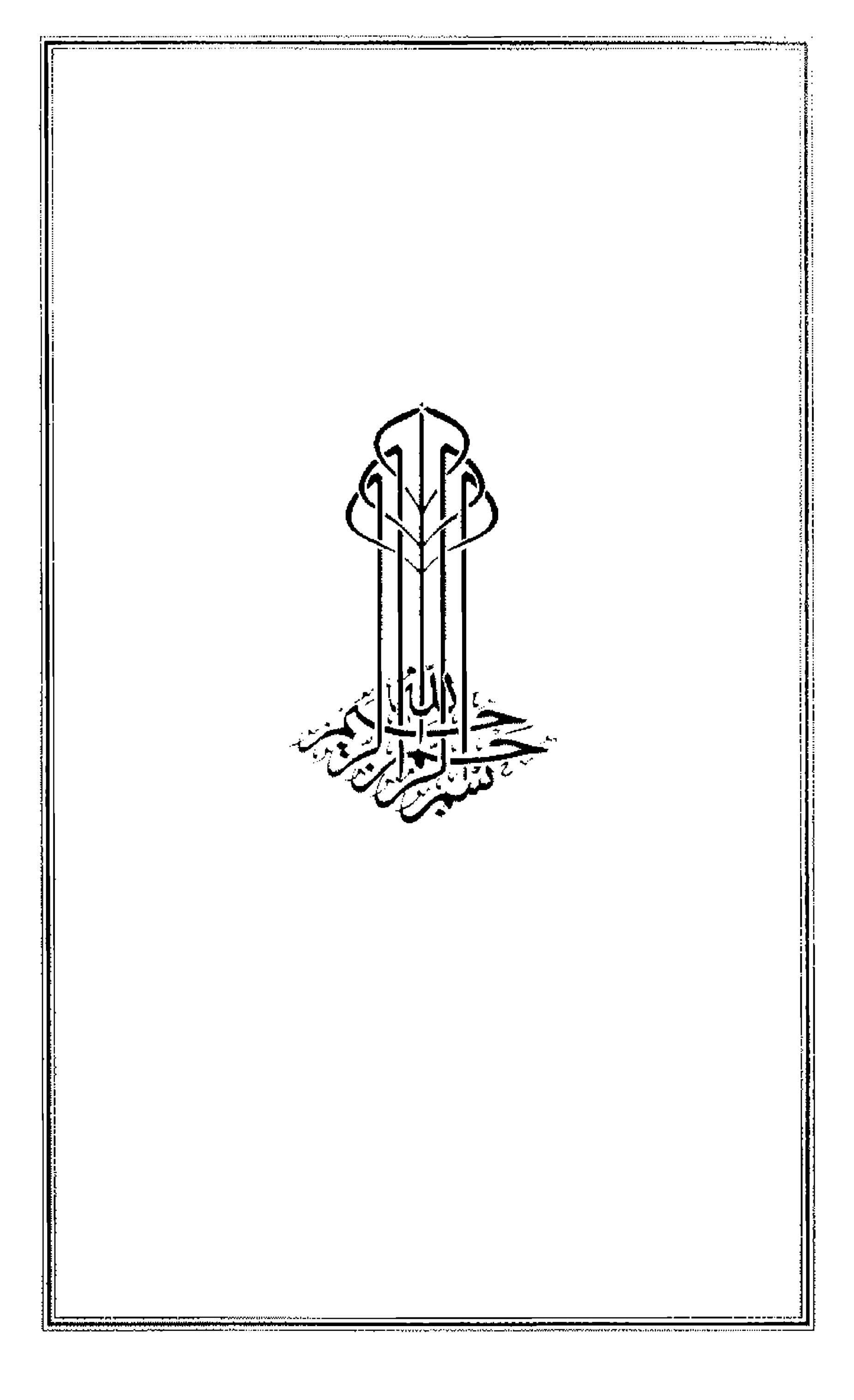
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

المجلد الثالث

قسم التفسير

سورة الفاتحة - سورة إبراهيم

دار ابن حزم


بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبعَةُ الأولىٰ

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

ISBN 9953-81-269-1



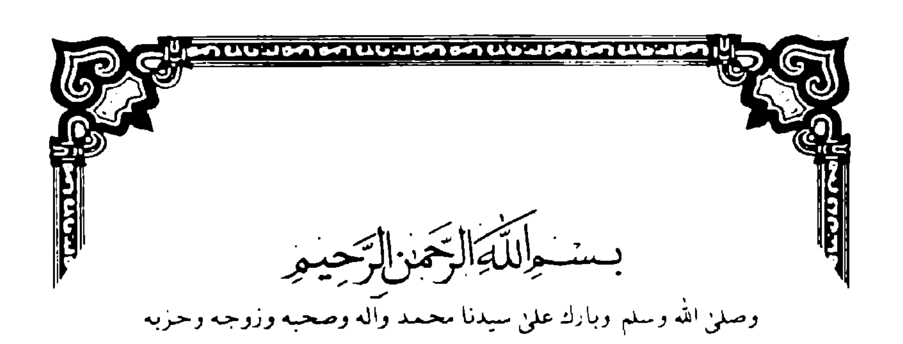
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه

اللَّهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، ولك الحمد حمداً لا إحصاء له ولا نهاية، وأشهد أنك أنت الله إلٰهنا الواحد الأحد، المتفرد في ذاتك وصفاتك وأفعالك، لا شريك لك في ذلك، تقدست عن الند والشبيه والنظير، لا صاحبة لك، ولا ولد، ولا والد. أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، وأشهد أن حبيبنا وعظيمنا وقدوتنا سيدنا محمد بن عبدالله المطلبي الهاشمي رسولك الصادق الأمين، أرسلته على فترة من الرسل رحمةً للعالمين، كافةً للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إليك بإذنك وسراجاً منيراً وخصصته بختم النبوءة والرسالة، وشرفته بأفضل كتاب أنزلته عليه، وعلمته ما لم يكن يعلم، وكان فضلك عليه عظيماً.

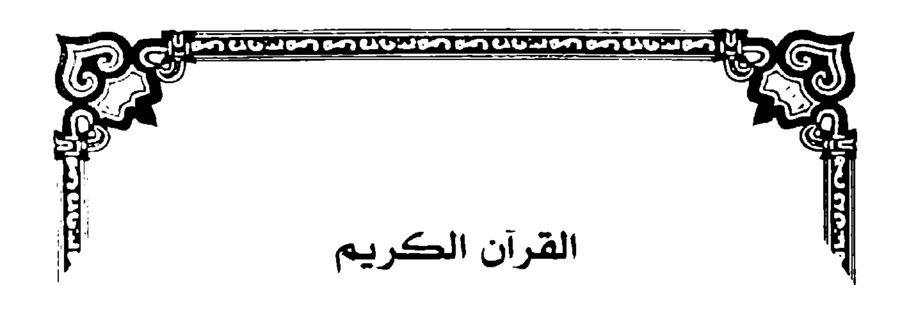
اللَّهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وذريته وأزواجه وأصحابه وحزبه أبد الآبدين، وكلما ذكرك وذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون..

أما بعد: فهذا هو قسم التفسير وما يتعلق به، من سلسلة كتابنا هذا، من كتابي «**بداية الوصول بلب صحيح الأمهات والأصول**» وهذا التفسير غير

التفسير المطبوع باسم «الجواهر واللآلىء المصنوعة» فإن في كل منهما ما ليس في الآخر.

وهذه فصول قدمتها بين يديه لما لها من الأهمية والفائدة وهي: «القرآن الكريم»، «نزوله ومتى كان ذلك وكيف وقع النزول»، «ما هي الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن»، «اختلاف الصحابة في القراءات أيام النبي»، «جمع القرآن أيام النبوة»، «جمع القرآن أيام الصديق»، «جمع القرآن أيام عثمان»، «قراء الصحابة»، «القراء السبعة والعشرة»، «القراءات الواردة المنصوص عليها».





القرآن الكريم

القرآن: هو كلام الله عز وجل المقدس الذي أنزله على رسوله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نزل به الروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام على قلبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلسان عربي مبين باللفظ والمعنى، وهو المكتوب في المصاحف، المقروء بالألسنة، المسموع من القارئين بالآذان، المحفوظ في صدور أهله، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه؛ وهو الذي جمعه الصحابة رضي الله تعالى عنهم وكتبوه في المصاحف مرتباً بأمر من ذي النورين سيدنا عثمان، رضي الله تعالى عنه، وبعثوا به إلى الآفاق. وانتشر بين المسلمين، وأجمعوا على أنه كلام الله وكتابه وهو ذكرنا، وفخرنا، وأعظم مقدساتنا، وإمامنا، ومصدر ديننا، وطريق سعادتنا، ودستورنا، ونظام حكمنا، وموئلنا عند اختلافنا، ومعقلنا عند نوازلنا، وحصننا عند نزول الفتن والأهواء بنا، وهو أساس الفضائل والأخلاق والشرائع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

❊ ❊ ❊

نزول القرآن الكريم، ومتى كان ذلك؟ وكيف وقع النزول؟

{١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أنزِل القرآنُ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئاً أوحاه، أوْ أن يُحْدِثَ منه في الأرض شيئاً أحدثه.

وفي رواية: وكان الله عز وجل يُنزِلُ على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعضه في أثر بعض: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

وفي رواية ثالثة: فُصِل القرآن من الذكر فوُضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل به على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وفي رواية رابعة: ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة قال: ﴿**ولا يأتونك بمثلٍ إلاَّ جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾. وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

رواه ابن أبي شيبة في المصنف (**١٤٤/٦**)، والنسائي في الكبرى (**٥١٩/٤٢١/٦**)، وابن جرير (**٢٥٩/٣٠**)، وابن أبي حاتم (**٣٤٥٢/١٠**) في تفسيريهما، والحاكم (**٥٣٠/٢٢٢/٢**) من طرق بأسانيد صحيحة، وصحح الحاكم جميعها ووافقه الذهبي.

{٢} ـ وعن عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم قالا: لبث النبيُّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بِمكةَ عشرَ سنين يَنزِلُ عليه القرآنُ، وبالمدينة عشرَ سنين.

رواه البخاري في فضائل القرآن (**٣٧٧/١٠**).

حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بجميع ألفاظه يدل على أن القرآن الكريم نزل جملةً واحدة من اللوح المحفوظ، ثم وضع في بيت العزة من السماء الدنيا، وأن هذا النزول بهذه الكيفية كان في ليلة القدر في رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وقال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾، وهي الليلة المبهمة المباركة التي قال فيها عز وجل: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، ثم كان بعد ذلك ينزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مُنجَّماً مُفرَّقاً حسب الأحداث والأسباب وذلك ليقرأه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أصحابه على مكث وليثبت الله تعالى به فؤاد نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع فوائد وحكم أخرى.

وما ذكرناه في هذا التعليق هو قول عامة العلماء من السلف والخلف، بل حكى القرطبي وغيره الإجماع عليه.

يبقى الأمر بعد هذا كيف كان نزول القرآن من اللوح المحفوظ، وكيف أخذه جبريل عليه السلام منه؟ وقد اختلف الناس في ذلك اختلافاً كثيراً.

والذي تدل عليه ظواهر القرآن والسنة النبوية هو أن القرآن كلام الله عز وجل تكلم به وهو صفة من صفاته القديمة، ثم لما خلق اللوح والقلم قال عز وجل للقلم: اكتب ما هو كائن إلى الأبد وكان ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان من جملة ما كتب في اللوح المحفوظ القرآن الكريم وجميع الكتب الإلٰهية كما قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

وأُمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ فالقرآن موجود فيه كما هو عندنا، وقال في سورة عبس: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾، وقال في سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، فالكتاب المكنون والصحف المكرمة كلاهما يطلق على اللوح المحفوظ...

ثم لما أراد سبحانه أن ينزل كتبه على أنبيائه وكان من جملتها القرآن نُسِخَ ذلك من اللوح ونزل به جبريل أو غيره من الملائكة، فوضع في بيت العزة وفي هذا النسخ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ..﴾ الأنبياء. والزبور: هي الكتب الإلٰهية المنزلة على رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وهذا النسخ من اللوح المحفوظ في الكتب هو مذهب أهل السنة كما نقله النووي عن القاضي عياض في شرح مسلم (١/٢٢١)، أما ما عدا ذلك مما لا دليل عليه فلا يجوز الخوض فيه بالتدقيق لأنه من عالم الغيب الذي لا علم لنا به، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

نزول القرآن إلى الأرض

أجمع العلماء على أن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن الكريم من بيت العزة على نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلغة العرب لفظاً ومعنًى، وأن ذلك كله من الله عز وجل يسمى كلامه تعالى لا دخل فيه لأحد.

قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، وقال جل علاه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

وكان أول ما نزل منه: **بسم الله الرحمن الرحيم**: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾، إلى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾، كما يأتي تفصيل ذلك في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى، ثم تتابع الوحي والنزول حتى تم في ظرف ثلاث وعشرين سنة على الصحيح المعتمد. وحديثا عائشة وابن عباس المذكوران مؤولان عند العلماء كما يعرف من فتح الباري.

ثم كان آخر ما نزل على الإطلاق قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

* * *

الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ورد متواتراً، فقد رواه جم غفير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. فقد جاء عن أُبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وابن عباس، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وهشام بن حكيم، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي بكرة، وسليمان بن صُرَد، وأبي ذر في آخرين، وأورده السيوطي ثم الكتاني وغيرهما في

الأحاديث المتواترة. وسنقتصر منها على أصحها وأجمعها باختصار، وهي:

{٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أقْرأنِي جِبريلُ عليه السلام على حرْفٍ، فرَاجَعْتُه، فلم أزَلْ أسْتَزِيدُه ويزيدُني حتى انْتَهى إلى سبعة أحْرُفٍ»**.

رواه البخاري في بدء الخلق (١١٩/٧)، وفي فضائل القرآن (٣٩٨/١٠، ٣٩٩)، ومسلم في صلاة المسافرين (١٠١/٦) وغيرهما.

وقوله: **«فلم أزل أستزيده ويزيدني»** معناه: لم أزل أطلب منه أن يسأل الله الزيادة في الحروف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل عليه السلام ربه سبحانه وتعالى فيزيده حتى انتهى إلى السبعة، أفاده النووي.

{٤} ـ وعن سيدنا عُمر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت هِشامَ بنَ حَكيم بن حزام يقرأُ سورة الفرقان على غير ما أقْرَؤُهَا وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أَقْرأَنِيها، فكِدْتُ أن أعْجَلَ عليه، ثم أمْهَلْتُ حتى انصرف ثم لَبَّبْته بِرِدائِه فَجِئتُ به رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: إني سمعتُ هذا يَقرأُ سورة الفرقان على غَير ما أقْرأتَنيها، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«اقرأ»**، فقرأ القراءةَ التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«هكذا أُنزِلَتْ»**، ثم قال لي: **«اقرأ»**، فقرأتُ، فقال: **«هكذا أُنزِلَتْ، إن هذا القرآن أُنزِل على سَبْعَةِ أحْرُفٍ، فاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ»**.

رواه أحمد (٢٤/١، ٤٠، ٤٢)، والبخاري (٣٩٩/١٠، ٤٠١)، ومسلم (٩٨/٦، ٩٩)، وأهل السنن الثلاثة.

وقوله: لبَّبْتُه بتشديد الباء الأولى المفتوحة وسكون الثانية، يعني: قبض عليه يجره بثوبه.

{٥} ـ وعن أُبَيِّ بنِ كَعْب رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ في المسجد فدخَلَ رجلٌ يُصلِّي فقرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرآ، فحسن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شَأْنَهُمَا، فسُقِطَ في نفْسي من التَّكْذِيبِ ولا إذ كنتُ في الجاهلية، فلمَّا رأى رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مَا قَدْ غشيني ضَرَبَ في صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقاً، وكأنَّما أنْظُرُ إلَى الله عز وجل فَرَقاً، فقال لي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا أُبَيُّ! أُرْسِلَ إلـيَّ أن اقْرأ القرآن على حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إليه أَنْ هوِّنْ على أمتي، فرد إلـيَّ الثانية، اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلـيَّ الثالثة، اقرأه على سبعة أحرف، ولَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكها مسألة تَسْأَلُنِيهَا، فقلت: اللَّهم اغْفِر لأُمَّتِي، اللَّهم اغفر لأمتي، وأخَّرتُ الثالثة ليوم يَرْغَبُ إلـيَّ الخلْقُ كلُّهم حتى إبراهيمُ عليه السلام**».

رواه أحمد (١٢٧/٥)، ومسلم (١٠١/٦، ١٠٢)، وابن جرير (١٦/١، ١٧، ١٨).

وفي رواية لمسلم (١٠٣/٦): أنَّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان عند أضَاةِ بَنِي غِفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمُرُك أن تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القرآن على حرف، فقال: «**أسألُ اللَّهَ معَافَاتِه ومغفرتَه، وإن أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذلك**»، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: «**أسأل الله معافاته ومغفرتَه، وإن أمتي لا تطيق ذلك**»، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك على ثلاثة أحرف، فقال: «**أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك**»، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على سبعة أحْرُفٍ فأيُّما حَرْف قرؤُوا عليه فقد أصابوا.

وفي رواية عند الترمذي (٢٧٤٩) بتهذيبي، وأحمد (١٢٢/٥)، وأبي داود (١٤١/٨)، وابن جرير (١٦/١) بسند صحيح قال: لقي رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جبريلَ عليه السلام فقال: «**يا جبريل! إني بُعِثْتُ إلى أمَّةٍ أُمِّيِّين، منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغلامُ، والجاريةُ،**

والرجل الذي لم يقرأ قطُّ»، قال: يا محمد! إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال الترمذي: حسن صحيح.

وقول أُبَيّ: سُقِطَ في نَفْسِي - بضم السين وكسر القاف، قال القاضي عياض في الإكمال (٣/١٩٤): أي: اعترته حيرة ودهشة، وقوله: ولا إذ كنت في الجاهلية، معناه: أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيباً لم يعتقده أيام جاهليته، ولكن هذه النزغة لم تستمر بل زالت في الحال حين ضرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بيده في صدره ففاض عرقاً.

وقوله: فرقاً بفتحتين أي: خوفاً.

وقوله: أضاة مثل حصاة: هو الغدير.

وقوله: «أميين»: جمع أمي وهو من لا يقرأ ولا يكتب كما كانت عادة العرب، والأمي منسوب إلى أصل ولادة أمه.

{٦} - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرؤها على خلاف ذلك، قال: فأخذتُ بيده، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له، فعرفتُ في وجهه الكراهيةَ وقال: **«اقرَأوا فكلاكما مُحسِنٌ، ولا تَختَلِفُوا فإن مَن كان قَبْلَكم اختلفوا فَهَلَكُوا»**.

رواه أحمد (١/٤١٢)، والبخاري في فضائل القرآن (١٠/٤٧٩).

{٧} - وعن أبي جُهَيْم الأنصاري رضي الله تعالى عنه، أن رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تماريا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فتماشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكلاهما ذكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه سمعه منه، فذكر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إنَّ هذا القرآنَ نَزَلَ على سبعة أحرف، فلا تُمَارُوا فِي القرآنِ، فإن مِرَاءَ فِيهِ كُفرٌ»**.

رواه أحمد (٤/١٦٩، ١٧٠)، وابن جرير (١/١٩). قال ابن كثير في

فضائل القرآن: وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه - يعني: الستة -. وقال نور الدين الهيثمي في المجمع (١٥١/٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ولنكتف بهذه النبذة الطيبة.

المراء: الجدال.. والشك.

ولنا في هذه الأحاديث مبحثان هامان: أحدهما في معنى الأحرف السبعة، وثانيهما في اختلاف الصحابة في القراءة.

* * *

الأحرف السبعة

اختلف العلماء اختلافاً كثيراً في المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، فحكى القرطبي في تفسيره (٤٢/١، ٤٣): أن ابن حبان ذكر لها خمسة وثلاثين قولاً ثم سرد بعضاً منها. وأورد السيوطي أكثرها في الإتقان (٢٠٠/١، ٢٠٢)، وقبله الزركشي في البرهان (٢١٣/١، ٢٢٦)، وأكثر ما أوردوه بعيد عن الصواب، وقد أجاد وأفاد الحافظ في الفتح (٣٩٩/١٠، ٤٠١) إلى (٤٠٨) حيث نقل ما قيل في ذلك وزيف باطلها، وصوب صحيحها، ونقل أقوال أهل العلم مع التحقيق بما لا يوجد عند غيره مجموعاً كعادته رحمه الله تعالى وأثابه وأشهر ما قالوا في ذلك وأقربه للصواب ثلاثة أقوال:

الأول: أنها اللغات واللَّهَجَاتُ، بأن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم من الإدغام، والإظهار، والإمالة، والتفخيم، والإشمام، والإتمام، والهمز، والتليين، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه، وهذا القول اختاره الإمام البغوي رحمه الله تعالى في شرح السنة (٥٠٧/٤)، فقال: وأظهر الأقاويل وأصحها وأشبهها بظاهر الحديث أن المراد من هذه الحروف اللغات الخ. وبهذا قال ابن جرير، والطحاوي، وابن الأنباري، وابن عطية وآخرون.

وقالوا: إنها مفرقة في القرآن، وليس معنى ذلك أن كل كلمة تقرأ بسبع حروف.

الثاني: أن المراد بها تأدية المعنى باللفظ المرادف، وإن كان من لغة واحدة، كقوله: هلم، تعالوا، أقبلوا، واسْعَوْا، وامْضوا، وانْظِر، وأخِّر، وامْهِلْ...

ذكره ابن عبدالبر، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالأحرف السبعة.

الثالث: وهو أظهرها وأقواها، وأجمعها أن المراد بها الوجوه التي يقع بها التغاير في الألفاظ، وهي لا تخرج عن سبعة أوجه. وهذه أنواعها مشفوعة بأمثلتها:

أولاً: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾، قرىء لأماناتهم بالجمع، وقرىء «لأمانتهم» بالإفراد، ولذلك كتبت في المصحف بحذف الألف لتقرأ بالحرفين.

ثانياً: اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر، كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، قرىء: باعِدْ بفتح الباء مع الحذف وكسر العين بصيغة الأمر، وقرىء: بَعَّد بفتح العين المشددة فعل ماض مع ضم ربنا قبله على الابتداء.

ثالثاً: اختلاف وجوه الإعراب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، قرىء بفتح الراء وضمها، فالفتح على أن لا ناهية والفعل مجزوم بعدها، وفتحة الراء فتحة إدغام المثلين، أما الضم فعلى أن لا نافية والفعل بعدها مرفوع.

رابعاً: الاختلاف بالنقص والزيادة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾، قرىء هكذا بزيادة خلق، وقرىء: «والذَّكرِ والأُنثى».

خامساً: الاختلاف بالتقديم والتأخير، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾، وقرىء: «وجاءتْ سكرةُ الحق بالموت».

سادساً: الاختلاف بالإبدال، كقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾، قرئت بالراء والزاي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾، بالحاء، وقرئت: وطلع بالعين.

سابعاً: اختلاف اللغات واللهجات وذلك كالفتح، والإمالة، والترقيق، والتفخيم، والإظهار، والإدغام، وغير ذلك وهي كثيرة في القرآن الكريم.

وهذا القول ـ كما يبدو ـ هو أقوى الأقوال، وهو الذي اختاره الإمام الفخر الرازي كما ذكره عنه ابن الجزري وغيره، قال في النشر (١/٢٤، ٢٦، ٢٧): إن الإجماع على أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن أكثر العلماء على أنها لغات، ثم اختلفوا في تعيينها ثم ذكر بعضها فقال: ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله تعالى عليَّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها، وضعيفها، ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج منها، ثم ذكر نحو ما أوردنا.. وقريب منه أيضاً ما ذكره الإمام ابن قتيبة من الأقدمين، وحكاه ابن عبدالبر عن بعض المتأخرين كما في البرهان للزركشي (١/٢١٤)، وانظر: الإكمال لعياض (٣/١٨٧، ١٨٩)، والنووي على مسلم (٦/٩٩، ١٠٠) ومناهل العرفان للزرقاني.

* * *

اختلاف الصحابة في قراءاتهم

وما ذكرناه في الأحاديث الآنفة الذكر من اختلاف الصحابة في قراءاتهم يدل على أن كل ذلك صواب حسن نزل من عند الله عز وجل، من قرأ بشيء منه كان على صواب قارئاً للقرآن، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لسيدنا عمر وهشام بن حكيم: «**هكذا نزلت**»، وقال لابن مسعود ومن اختلف معه: «**فكِلاكما محسن**»، وقال صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم في حديث أُبيّ: **«فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا»**، وقال أبيّ في شأن الرجلين اللذين قرآ على غير حرفه: فحسن شأنهما ـ يعني: النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ، وفي حديث عمرو بن العاص عند أحمد: **«فأي ذلك قرأتم فقد أصبتم»**.

فكل ذلك يدل على أن كل القراءات والوجوه نزلت من عند الله عز وجل، وأن كل من قرأ منها بحرف ووجه فقد قرأ القرآن الكريم ولا يجوز الاعتراض على من قرأ بغير حرفه من القراءات كما لا يجوز التشكك في قرآنيتها إذا اثبتت، ولا المراء والجدال في شأنها، فإن ذلك قد يؤدي إلى الكفر عياذاً بالله تعالى.

ويؤخذ من حديثي عُمَر وَأُبَـيٍّ رضي الله تعالى عنهما أن اختلاف الأحرف حصل تيسيراً على الأمة ورحمة ورفقاً بها لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«فاقرأوا ما تيسر منه»**، وقوله: **«أنْ هَوِّن على أمتي»**، وقوله: **«فإن أُمَّتِي لا تُطِيق ذلك»**، وقوله: **«بُعثت إلى أمة أميين منهم العجوز...»**، فللّه الحمد كثيراً على ما سهَّل ويسَّر.

* * *

جمع القرآن أيام النبوة

{٨} ـ عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: كُنّا عندَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نُؤَلِّف القرآن من الرقاع.

رواه أحمد (١٨٩/٥)، والترمذي آخر المناقب (٣٧١٥)، وابن حبان (١١٤)، والحاكم (٢٢٩/٢) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

قوله: نؤلف القرآن: أي: نجمعه.

وقوله: من الرقاع، بكسر الراء جمع رقعة بضم الراء. المراد بها هنا ما يكتب عليه من جلد أو ورق.

والحديث يدل على أن القرآن الكريم كان مجموعاً أيام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحسب ما كان ينزل منه حتى تم نزوله، غير أنه لم يكن مكتوباً مرتباً في موضع واحد على ما فعله الصديق ثم عثمان بعده رضي الله تعالى عنهما، بل كان مكتوباً في العُسُب، واللِّخاف، مفرقاً، ومجموعاً عند بعض الصحابة، ومحفوظاً في الصدور.

قال الحاكم في المستدرك (٢٢٩/٢): وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الخ.

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كلما نزلت عليه آية، أو سورة، حفظها وقرأها على أصحابه أو بعضهم، وأمر أحد كتابه بكتابتها، وكان يأمرهم أن يضعوا كل آية في سورتها، وكان يعرض ما ينزل عليه من القرآن على جبريل عليه السلام مرة في كل سنة حتى كانت سنة وفاته عرضه عليه مرتين كما يأتي.

* * *

جمع القرآن أيام الصديق رضي الله تعالى عنه

{٩} ـ عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: بعث إلـيَّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه لمَقْتَلِ أهل اليمامة وعنده عُمر رضي الله تعالى عنه، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استَحَرَّ يومَ اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فَتَتَبَّعْ القرآن واجْمَعْه. قال زيد: فوالله لو كَلَّفَني نقلَ

جَبَلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليّ بما كلفني من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يحث مراجعتي حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، ورأيت في ذلك الذي رأياه، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُبِ، والرِّقاع، واللِّخافِ، وصدور الرجال، قال: فوجدت آخر سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها مع خزيمة ـ أو أبي خزيمة ـ فألحقتها في سورتها، وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفَّاه الله تعالى ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في فضائل القرآن (١٠/٣٨٥، ٣٩٠) وفي مواضع، والترمذي في التفسير (٢٩٠٣)، والنسائي في الكبرى (٥/٥).

قوله: استحر بسكون السين وفتح التاء والحاء وتشديد الراء، أي: اشتد وكثر.

وقوله: اليمامة هي في ناحية نجد، وكانت بها الوقعة المشهورة بين الصحابة وبين جند مسيلمة الكذاب الذي كان ادعى النبوة وقوي أمره بعد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والتحق به كثير من القبائل العربية المرتدين فجهز الصديق رضي الله تعالى عنه إليه جيشاً من الصحابة فوقعت معارك طاحنة أَوْدَتْ في النهاية بقتل مسيلمة وانهزام جيشه، وقتل في هذه الوقعة نحو سبعمائة صحابي، وكان فيهم كثير من قراء القرآن.

وقوله: العُسُب بضم العين والسين، جمع عسيب: وهو جريد النخل.

وقوله: والرِّقاع بكسر الراء جمع رقعة: كل ما يكتب فيه من جلد وورق ونحو ذلك.

وقوله: واللِّخاف بكسر اللام جمع لَخفة بفتحها مع سكون الخاء: وهي حجارة بيض.

دل هذا الحديث على فوائد هامة:

أولها: فضل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه حيث ألهمه الله تعالى لجمع القرآن الذي هو دين المسلمين، وطريق سعادتهم، ورأى في ذلك مصلحة عظيمة لكل الأجيال.

ثانيها: في قول الصديق: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ دليل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يجمع القرآن في موضع واحد مرتبة سوره وآياته على ما هو عليه الآن، رغم أنه قد كان كتب كله وجمع بعضه وحفظ جميعه في الصدور.

ثالثها: جواز إحداث ما لم يكن أيام النبوة من أمور الديانة إذا ترتبت عليه مصلحة أو مصالح، ولم يخالف نصاً من كتاب أو سنة، فإن جمع القرآن على الطريقة المذكورة بدعة لكنها لما كانت فيها مصلحة عامة دينية أكيدة ترجع إلى حفظ القرآن الكريم فعلوها، وكانت من قسم ما سماه علماء الأصول «المصالح المرسلة»، وقد بنى العلماء على هذه القاعدة عدة أحكام، ولم يعدوا ذلك من البدع الضالة، كما يتبناه بعض الفرق المتشددة.

رابعها: قول زيد: فتتبعت القرآن أجمعه، الخ، فعله هذا يدل على أنه كان يجمعه مكتوباً ومحفوظاً، وكان لا يكتفي بأحدهما عن الآخر، بدليل قوله: فوجدت آخر سورة التوبة.. الخ، فإن الآية كانت موجودة عند زيد نفسه في حافظته، كما كانت محفوظة عند من تلقاها عن غير النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وإنما كان يجمع القرآن عمن سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مباشرة.

خامسها: قوله: فوجدتها مع خزيمة ـ أو أبي خزيمة ـ صحح الحفاظ أن هذه الآية كانت مع أبي خزيمة: أما الآية التي وجدت مع خزيمة هي قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ﴾ من سورة الأحزاب.

سادسها: في الحديث مناقب خالدة لزيد بن ثابت حيث اختاره الصديق لجمع القرآن وأثنى عليه بكونه شاباً عاقلاً أميناً غير متهم، وكان كاتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهذه مزايا هامة له رضي الله تعالى عنه.

سابعها: أن جمع الصديق القرآن في الصحف كان جمعاً غير مرتب السور وإنما جمعه بترتيب آياته في سورها علماً بأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرؤه مرتباً كبعض الصحابة، وفي ذلك أحاديث تقدم بعضها في قيام الليل وفي فضائل القرآن.

ثامنها: بقي القرآن في الصحف عند الصديق، ثم عند الفارق، ثم عند حفصة... وفي هذه المدة كان القرآن محفوظاً في الصدور ومنتشراً بين الصحابة ومن دخل في الإسلام لكنه كان غير مرتب الترتيب المعهود وكان يقرأ بقراءات مختلفة حتى المنسوخ منها حتى جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه.

***

جمع القرآن أيام عثمان رضي الله تعالى عنه

{١٠} ـ عن ابن شهاب، أن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه حدثه أن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قدم على عثمان رضي الله تعالى عنه وكان يُغازِي أهلَ الشام في فتح أرمِينِية وأذَرْبِيجَانَ مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرْسِلِي إلينا بالصُّحُف نَنْسَخُهَا في المصاحف ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحَرَّقَ.

وفي رواية: أن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت

أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرؤها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت، أو أبي خزيمة، فألحقتها في سورتها.

وفي رواية: قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت، والتابوه، فقال القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه، فَرُفِعَ اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش.

رواه البخاري (١٠/٣٩٠، ٣٩٥)، والترمذي (٢٩٠٤) بتهذيبي.

قوله: يُغَازي أهل الشام، معناه: كان يغزو مع أهل الشام فيمن اجتمع من أهل العراق في فتح أرمينية.. الخ. وإرْمِينية بكسر الهمزة والميم والنون. وقوله: أذربيجان بفتح الهمزة والذال المعجمة وسكون الراء، ويسكن الذال وتفتح الراء مع كسر الياء وهما من بلاد العجم غرب شمال آسيا وأرمينية تحت النفوذ الروسي وأذربيجان بعضه عند إيران والآخر عند الروس. وكان فتحهما أيام عثمان رضي الله تعالى عنه سنة خمس وعشرين من الهجرة وكان حذيفة رضي الله تعالى عنه في جملة من غزاهما وحضر فتحهما.

وفي هذا الحديث الشريف بيان سبب جمع عثمان للقرآن الكريم ويتضح ذلك في الآتي:

أولاً: إن السبب الرئيسي الحامل على جمع القرآن مرة ثانية هو اختلاف الناس في حروف القرآن حسب ما تلقوه وحفظوه، وكان في ذلك عدة وجوه وقراءات قد نسخت ورفعت، ولم يعلم بذلك كثير من الصحابة، وإنما كانت العبرة بمن سمع العرضتين الأخيرتين من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما يأتي.

ثانياً: كان أهل الشام يقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، وأهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، وآخرون يقرأون بقراءة أبي موسى وهكذا، فكان

كل يأتي بما لم يسمعه غيره، فجعل بعضهم يكفر بعضاً فلما سمع حذيفة ذلك رفع الأمر إلى عثمان، بينما هذا كان قد بلغه من قبلُ اختلاف المعلمين والغلمان، فتعاظم ذلك في نفسه، ووافق ما بلغه قول حذيفة.

فلما رأى ما حصل من الاختلاف جمع الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم وأخبرهم بما وقع واستشارهم بأن يجمع الناس على مصحف واحد، فوافقوه.. وقالوا له: نِعْم ما رأيتَ. رواه ابن أبي داود في المصاحف عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه بسند صحيح كما في الفتح.

وقال مصعب بن سعد رحمه الله تعالى: لما كثر اختلاف الناس في القرآن قالوا: قراءة ابن مسعود وقراءة أبيّ، وقراءة سالم مولى أبي حذيفة، قال: فجمع عثمان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت، ثم أبعث بها إلى الأمصار، قالوا: نِعْمَ ما رأيتَ، قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال: فأي الناس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت كاتب الوحي، قال: فليمل سعيد، وليكتب زيد بن ثابت، فكتب مصاحف فبعث بها إلى الأمصار، قال: فرأيت أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقولون: أحسن والله عثمان. رواه ابن أبي داود في المصاحف ص (**٢٣، ٢٤**)، قال ابن كثير في فضائل القرآن: إسناده صحيح.

وجاء نحوه عن الإمام علي وفيه: أيها الناس إياكم والغلوّ في عثمان، وقولكم حَرَّاقُ المصاحف والله ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جميعاً. قال الإمام علي عليه السلام: ولو وليتُ الذي ولي عثمان لصنعت مثل الذي صنع. رواه ابن أبي داود (**٢٢، ٢٣**)، وصححه الحافظ في الفتح.

أما ما جاء عن ابن مسعود من اعتراضه.. فقد رجع عن ذلك واتفق مع الصحابة.

ثالثاً: الصحابة الذين أسند إليهم جمع القرآن كان معهم جماعة آخرون

يساعدونهم وأمرهم عثمان أن لا يكتبوا شيئاً حتى يتحققوا قرآنيته مما هو محفوظ ومكتوب معاً، وأن يتحروا العرضتين الأخيرتين اللتين صدرتا من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجبريل عليه السلام في السنة التي توفي فيها.

{١١} ـ فعن مولاتنا فاطمة عليها السلام قالت: أَسَرَّ إليَّ النبيُّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أن جبريل عليه السلام كان يُعَارِضُنِي بالقرآن كلَّ سنةٍ، وأنه عارضني العامَ مرتين، ولا أراه إلا حَضَر أجَلِي**».

رواه البخاري (١٠/٤١٨، ٤١٩) وغيره، ويأتي مطولاً ومخرجاً في المناقب وغيره.

وقوله: يُعَارِضُنِي بالقرآن كل سنة.. الخ: كان العرض مناوبة مرة من جبريل عليه السلام ومرة من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رابعاً: العرضتان الأخيرتان شهدهما زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه.

وقد نقل البغوي في شرح السنة عن أبي عبدالرحمن السلمي رحمه الله تعالى قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة كانوا يقرؤون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على جبريل عليه السلام مرتين في العام الذي قبض فيه قال: ويقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على جبريل عليه السلام وهي التي بين فيها ما نسخ وما بقي قال: وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد لأنه كتبها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقرأها عليها وشهد العرضة الأخيرة وكان يقرىء الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة المصاحف.

وقد ذكر الحافظ في الفتح ما يدل على أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ممن شهد العرضة الأخيرة مع زيد بن ثابت أيضاً فانظر (١٠/٤١٩، ٤٢٠) منه.

خامساً: قول عثمان رضي الله تعالى عنه: إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. وفي رواية: إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن، هو دليل على أن القرآن كله نزل بلغة قريش، مع أن فيه عدة لغات من لغات العرب غير قريش، وأجيب عن ذلك: بأنه أولاً نزل بلغة قريش ثم جاء التخفيف من عند الله عز وجل بقراءته بأحرف ولغات أخرى وهي السبع المتقدمة.

سادساً: بما أن الله عز وجل سهَّل على الأمة ورخَّص لها أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف كان من المصلحة الأكيدة أن توضع كلها في المصحف الموحد ولذلك لما كتبوه باتفاق الصحابة وإشْرافِ الخليفة الثالث الراشد، سلكوا في ذلك طريقة هامة إلْهاماً من الله عز وجل إيَّاهُم، فكتبوا عدة مصاحف متفاوتة في إثبات، وحذف، وبدل، وغيرها، لأنهم قصدوا اشتمالها على الأحرف السبعة، وجعلوها خالية من النقط والشكل، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه، عند تجردها من النقط والشكل كقوله: «فتبينوا» من قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، فإنها تقرأ فتثبتوا أيضاً، وكذا كلمة نُنشِزُها من قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾، فإن تجردها من النقط والشكل يجعلها صالحة عندهم أن يقرؤوها ننشزها بالزاي، وكذا: «يخدعون الله» فإنها تقرأ بفتح الياء والدال، كما تقرأ بضم الياء وكسر الدال، ولذلك رسمت الخاء بحْذف الألف بلا شكل ولا نقط.

أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضاً فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾، بتشديد الصاد، وهي موجودة في مصحف حفص عن عاصم، وقرئت وأوصى وهي في مصحف ورش عن نافع وكذلك قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، قرئت بزيادة من كما هي قراءة أهل مكة بابن كثير، وقرئت تحتها مجردة وهي قراءة الجمهور.

وكانوا يتحاشون أن يكتبوا مثل هذا في مصحف واحد سواء كان في صلب المصحف أو في الحاشية. والذي حمل الصحابة على هذه الخطة في كتابة المصاحف أنهم تلقوا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بجميع وجوه قراءاته وبكافة حروفه التي نزل عليها. هذا ما ذهب إليه المحققون من أهل الاستقراء في القراءات وهو المعمول به في القراءات المشهورة.

نعم ذهب البعض إلى أن هذه الأحرف السبعة لا توجد جميعها في المصحف العثماني. وانظر الفتح (١٠/٤٠٥) لزيادة الاطلاع.

سابعاً: جمهور الأئمة والعلماء على أن ترتيب القرآن الموجود بالرسم العثماني بسوره وآياته هو أمر توقيفي من الشارع، وأنه هكذا موجود في اللوح المحفوظ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرؤه كذلك ويلقنه أصحابه.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في شرح السنة عند حديث أنس (٤/٥٢١): فيه البيان الواضح أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً. فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآي في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية. إن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا قال: فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا قال: وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة برحمة من الله عز وجل على عباده وتحقيقاً لوعده في حفظه كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾. وقد استوعب الموضوع بما لا مزيد عليه السيوطي في الإتقان.

ثامناً: الصحيح من قولي العلماء أن رسم المصحف وكتابته توقيفي من الشارع أيضاً، لا تجوز مخالفته وكتابته على غير ما هو فيه. هذا مذهب جمهور الأئمة والعلماء من السلف والخلف، فإن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن بهذا الرسم الموجود وأقرهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على كتابتهم ومضى عهده والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير، ثم جاء الصديق فكتبه بهذا الرسم في الصحف ثم حذا حذوه عثمان وأقر الصحابة ذلك وهكذا انتهى الأمر إلى التابعين فمن بعدهم ولم يتجرأ أحد أن يغير الرسم العثماني لأنهم علموا أن ذلك كان بتوقيف من الشارع ولذلك نقل غير واحد الإجماع على أنه لا يجوز العدول عن رسم القرآن الموجود وكتابته على غير ذلك.

وقد ذكر الإمام أحمد بن المبارك الفاسي عن شيخه العارف الدباغ ـ قدس الله سره ـ أن رسم القرآن سر من أسرار الله تعالى وهو معجزة كنظم القرآن وقال: كيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في مائة دون فئة، وزيادة الياء في بايبد، وبأييكم، وزيادة الألف في سعوا في الحج وعدمها من سعو بسبإ، وزيادتها في عتوا ونقصانها في عتو في الفرقان، وزيادتها في آمنوا وإسقاطها في باءو، وجاءو، وتَبَوَّءُو، وفَاءُو، بالبقرة، وزيادتها في يَعْفُوا الذِي، ونقصانها مِن يَعْفُو عَنْهُم في النساء، وكيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون حذف بعض، كحذف الألف من قُرْءَاناً بيوسف، والزخرف، وإثباتها في سائر المواضع، وإثبات الألف بعد واو سَمَوٰاتٍ في فصلت، وحذفها في غيرها، وإثبات الألف في المِيعَادِ مطلقاً، وحذفها في الأنفال، وإثبات الألف في سِرَاجاً حيثما وقع، وحذفه في الفرقان. قال: وكيف تتوصل العقول إلى فتح بعض التاءات، وربطها في بعض فكل ذلك لأسرار إلٰهية فهي بمنزلة الحروف المتقطعة في أوائل السور فإن لها أسراراً عظيمة.. قال: ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة الخ، ما قال فانظره في الإبريز.

ومن أمعن النظر في رسم القرآن وقارن بين كلماته في وضعها وكتابتها حصلت له حيرة ودهشة، وقد اهتم بهذا الجانب جماعة من علماء الرسم وأفردوا موضوعات منها بالتأليف كالحذف، والثابت وغريبهما وغير ذلك مما تجده في كتب القوم.

هذا وقد رخص جماعة من أهل العلم في تغيير رسم القرآن كالباقلاني والعز ابن عبدالسلام وغيرهما، وهو مذهب مرجوح مطروح.

تاسعاً: لما جمع سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه المصحف كتب منه عدة مصاحف ثم بعث بها إلى الآفاق، واختلفوا كم كان عددها فنقل الزركشي في البرهان (١/٢٤٠) عن الداني في المقنع: أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحداً: الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحداً عنده. قال: وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ، وزاد إلى مكة، وإلى اليمن، وإلى البحرين، قال: والأول أصح وعليه الأئمة.

وقال الحافظ في الفتح (١٠/٣٩٥): فالمشهور أنها خمسة...، وقال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتبت سبعة مصاحف: إلى مكة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً... وعنه نقله السيوطي في الإتقان (١/١٧١)، وزاد ابن الجزري في النشر (١/٧) ثامناً أمسكه عثمان لنفسه وأياً كان عددها فقد كان لكل أفق مصحف.

عاشراً: قوله: وأمر بما سواه... أن يحرق. إما حرق من لم تثبت قرآنيته، أو كان مما نسخ لفظه، أو ما كان يكتبه بعض الصحابة من تفسير ونحوه، ولم يبق إلا ما ثبتت قرآنيته في العرضتين الأخيرتين من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التي تلقاهما عنه زيد بن ثابت ومن كان معه..

***

{١٢} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سئل: من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد... أحد عمومتي.

وفي رواية: مات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

رواه البخاري في المناقب وفي التفسير **(١٠/٤٢٦، ٤٢٩)**، ومسلم **(١٦/١٩، ٢٠)**، والترمذي **(٣٥٦٥)** كلاهما في المناقب.

قوله: جمع القرآن: أي: حفظه عن ظهر قلب.

وحصر جمع القرآن في هؤلاء الأربعة أو الخمسة لا مفهوم له، بل جمعه وحفظه كثير من الصحابة كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة، فقد عدوا من حفظته الخلفاء الأربعة وابن مسعود، وعبدالله بن عمرو، وسالماً مولى أبي حذيفة، وأبا هريرة، وأبا موسى في آخرين، وقد قتل في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبعون قارئاً في غزوة بئر معونة كما قتل كثير من القراء في وقعة اليمامة وكانت قريبة من زمان موت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وقد أجاب العلماء رحمهم الله تعالى عن حديث أنس المذكور وحصره الجمع في المذكورين بأجوبة ثمانية أوردها الحافظ في الفتح نقلاً عن أبي بكر الباقلاني وغيره انظر: **(١٠/٤٢٦، ٤٢٧)**.

{١٣} ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«خذوا القرآن»**، وفي رواية: **«استقرؤوا القرآن من أربعةٍ: من: ابنِ مَسْعُود، وسَالِم مَوْلَى أبي حُذَيفة، وأُبَيّ بن كعب، ومعاذِ بنِ جَبَلٍ»**.

رواه البخاري (١٠/٤٢٢)، ومسلم (١٦/١٧، ١٨، ١٩).

قال العلماء: إنما خص صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هؤلاء بأخذ القرآن عنهم لأنهم كانوا أحفظ له وأضبط، وأتقن، أو لأنهم كانوا متفرغين لأخذه منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مشافهةً، وغيرهم كانوا يأخذونه عن بعضهم بعضاً.

{١٤} ـ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: والذي لا إلٰه غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله تعالى مني تبلغه الإبل لركبت إليه.

وفي رواية من طريق آخر: ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أني أعلمهم بكتاب الله تعالى ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه.

قال شقيق: فجلست في حلَقِ أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه ولا يعيبه.

رواه البخاري (١٠/٤٢٣، ٤٢٦)، ومسلم (١٦/١٦، ١٧).

وفي حديث ابن مسعود هذا بروايتيه بيان أنه كان أعلم الصحابة بالقرآن حفظاً ونزولاً، وزاد تأييداً لما قال إقرار الصحابة لمقالته هذه، غير أن ذلك لا ينفي أن يكون في الصحابة من هو أعلم منه وأحفظ، أو على الأقل مساوياً له، فإنه قال ذلك حسب ما كان يعتقده ويعلمه.

هذا والأحاديث الدالة على بيان حفظة القرآن من الصحابة كثيرة.

* * *

من اشتهر من الصحابة والتابعين لإقراء القرآن

لما بعث عثمان بالمصاحف إلى الآفاق أصبح أهل كل مصر يقرؤون بما في مصحفهم من الأحرف والوجوه، ثم اختص جماعة من الصحابة بإقراء القرآن حسبما تلقوه من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو من بعضهم بعضاً.

وكان من أشهر الصحابة الذين تجردوا لتبليغ القرآن وإقرائه وعليهم تدور أسانيد القراء المشاهير سبعةٌ: الإمام علي، وعثمان، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء رضي الله تعالى عنهم ثم أخذ عن هؤلاء جموع غفيرة من التابعين، وكان ممن اشتهر في ذلك العصر منهم بحفظ القرآن وإقرائه أعلام من كبار وخيار التابعين وهم الآتون:

فمن أهل المدينة المنورة:

سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبدالله، وعمر بن عبدالعزيز، وسليمان بن يسار، وأخوه عطاء بن يسار، وزيد بن أسلم، وابن شهاب الزهري، وعبدالرحمن بن هرمز، ومعاذ بن الحارث القاري.

ومن أهل مكة المكرمة:

عطاء بن أبي رباح، وطاوس، وعكرمة، وابن أبي مليكة، وعُبَيد بن عُمَير.

ومن أهل البصرة:

أبو العالية، والحسن البصري، وابن سيرين، وقتادة، وعامر بن عبدالقيس، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يَعْمَر.

ومن أهل الكوفة:

علقمة، والأسود، ومسروق، وعَبِيدةُ السلماني، وزِرّ بن حُبَيْش، وعمر بن شُرَحْبِيل، وعمر بن ميمون، وأبو عبدالرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والنخعي، وعامر الشعبي.

ومن أهل الشام:

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وخُلَيْد بن سعيد في آخرين من تلامذة أبي الدرداء.

* * *

القراء السبعة والعشرة

ثم ظهر في التابعين فمن بعدهم إلى أوائل القرن الثالث الهجري أئمة وحفاظ كبار تفرغوا للقراءات وضبطها والاعتناء بها، فاشتهروا بين الناس بالضبط، والحفظ والإتقان، والأمانة، والتقوى، والصلاح، فرحل الناس إليهم وأخذوا عنهم القراءات والوجوه التي جاء بها الوحي الإلٰهي وتلقوها عمن قبلهم من القراء. وكان من هؤلاء الحفاظ المشهورين في الآفاق القراءُ السبعةُ والعشرةُ المشهورون وهذه أسماؤهم مرتبين حسب وفياتهم مشفوعين بذكر مشاهير رواة كل طريق من طرقهم:

الأول: عبدالله بن عامر اليَحْصُبِي الشامي المتوفى (١١٨).

روى قراءته هشام بن عمار الدمشقي المتوفى (٢٤٥)، وابن ذكوان أبو عمرو عبدالله بن أحمد الدمشقي المتوفى (٢٤٢) روياها عن أصحابه عنه.

الثاني: عبدالله بن كثير المكي المتوفى (١٢٠).

من مشاهير رواة قراءته عن أصحابه عنه أحمد بن محمد البَزِّي المتوفى (٢٥٠)، ومحمد بن عبدالرحمن المخزومي قُنْبُل المتوفى (٢٩١).

الثالث: عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الكوفي المتوفى (١٢٢ - ١٢٧).

روى عنه من المشاهير مباشرة حفص أبو عمرو بن سليمان بن المغيرة الكوفي المتوفى (١٨٠)، وشعبة بن عياش الأسدي المتوفى (١٩٣).

الرابع: أبو عمرو بن العلاء البصري المتوفى (١٥٤).

روى عنه بواسطة اليزيدي حفص بن عمر الدوري المتوفى (٢٤٦)، وصالح بن زياد الرقي السوسي المتوفى (٢٦١).

الخامس: حمزة بن حبيب الزيات الكوفي المتوفى (١٥٦).

اشتهر من رواة قراءته خلاد بن خالد الشيباني المتوفى (٢٢٠)، وخلف أبو محمد الأسدي المتوفى (٢٢٩) كلاهما عن سليم عنه.

السادس: نافع بن أبي نُعيم أبو رُوَيْم الليثي المدني المتوفى (١٦٩).

روى عنه مباشرة ورش عثمان بن سعيد المصري المتوفى (١٩١)، وقالون عيسى بن مينا الزرقي المتوفى (٢٢٠).

السابع: علي بن حمزة الكسائي الكوفي المتوفى (١٨٩).

روى عنه أبو عمرو الدوري المتوفى (؟؟؟)، وأبو الحارث الليثي المتوفى (؟؟؟).

فهؤلاء هم القراء السبعة المشهورون بأصحاب القراءات السبع.

أما القراء العشرة فيزاد عليهم هؤلاء الثلاثة وهم:

الثامن: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني من أقران ابن عامر، وابن كثير، ومن التابعين وشيوخ نافع أبي رُوَيْم توفي (١٢٧، ١٣٠، ١٣٣).

من رواة قراءته عيسى بن وردان الحذاء المتوفى (١٦٠)، وسليمان بن مسلم بن جماز المدني المتوفى (١٧٠).

التاسع: يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري المتوفى (٢٠٥).

من رواته رُوَيْسُ محمد بن المتوكل البصري المتوفى (٢٣٨)، وروح بن عبدالمؤمن الهُذَلي البصري المتوفى (٢٣٤).

العاشر: خلف أبو محمد الأسدي البزاز البغدادي المتوفى (٢٢٩). وهو آخر القراء العشرة موتاً.

من رواة قراءته إسحاق بن إبراهيم المروزي المتوفى (٢٨٦)، وإدريس بن عبدالكريم الحداد البغدادي المتوفى (٢٩٢).

فهؤلاء العشرة هم المشهورون بأصحاب القراءات العشر، وكل هذه القراءات متواترة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما وراءها فشواذ، وإن صح سندها لأنها مختلة الشروط التي ذكرها أهل هذا الشأن. ولذا قال ابن السبكي في جمع الجوامع: «والسَّبْعُ مُتَوَاتِرَةٌ، ولا تَجوزُ القِراءَةُ

بالشاذ، والصَّحِيحُ أنّهُ ما وَرَاءَ العَشْرَةِ وِفاقاً لِلبغَوي والشَّيخ الإمَامِ»... والشيخ الإمام هو والده تقي الدين السبكي.

وما وراء العشرة هي قراءة الحسن البصري، وابن مُحَيْصن، ويحيى اليزيدي، والشَّنْبُوذِي وبها تتم القراءات الأربع عشرة. ولصحة القرآن شروط ثلاثة قال ابن الجزري في طيبة النشر في القراءات العشر:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ، وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي، وَصَحَّ إسْنَاداً هُوَ الْقُرآنُ، فَهٰذِهِ الثَّلاثَةُ الأركَانُ، وحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أُثْبِتَ شُذُوذُهُ، لَوْ أَنَّهُ في السَّبْعَةِ، يعني: أن تكون القراءة موافقة لوجه من الوجوه العربية، وأن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية، وأن يصح سندها فإن اختل شرط منها.. فهي شاذة ولو كانت في القراءات السبع.

ولما اشتهرت هذه القراءات ـ وخاصة السبع ـ في الأمصار الإسلامية أخذ الناس بها. فكان أهل المدينة على قراءة نافع، وأهل مكة على قراءة ابن كثير، وأهل الشام على قراءة ابن عامر، وأهل البصرة على قراءة أبي عَمْرو ويعقوب، وأهل الكوفة على قراءة حمزة وعاصم، ثم مع مر العصور لم يبق من القراءات المقروء بها عند الناس إلا قراءة نافع من طريق ورش وهي قراءة أكثر الأفارقة اليوم، وتقرأ على قلة من طريق قالون في بعض الأمصار، ثم قراءة عاصم من طريق حفص، وهي السائدة الآن في أكثر الأقطار، وأما ما عدا هذين القراءتين فلا تعرف إلا في كتب القراءات، أو عند من يتعاطاها، ومن قرأ ببعضها فهو نادر ولا شك أن قراءة نافع وعاصم أجود القراءات وكانتا أحب القراءات إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كما نقله عنه ابنه صالح.

علماً بأن كل هذه القراءات من عند الله تعالى وإنما نسبت لهؤلاء القراء لأنهم اعتنوا بها واختار كل واحد منهم وجوهاً وأحرفاً قرأ بها عملاً بقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«فأيما حرف قرأوا به فقد أصابوا»**، وقوله: **«فاقرأوا ما تيسَّر منه»**، وقوله للمختلفين: **«هكذا أُنزل»**... فكل من قرأ بحرف ووجه فهو قارىء للقرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

نماذج من القراءات الواردة المنصوص عليها

من الفاتحة:

{١٥} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبَا بَكْر وعُمَرَ وعثمانَ كانُوا يَقرؤون: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، بالألف.

رواه الترمذي (٢٧٣٥) متصلاً، وأورده مرسلاً، ورواه أبو داود (٤٠٠٠) مرسلاً أيضاً بسند صحيح.

وللحديث شاهد عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها.

رواه أحمد (٦/٣٠٢)، وأبو داود (٤٠٠١)، والترمذي (٢٧٣٤) بتهذيبي، والحاكم (٢/٢٣٣) وصححه، وكذا صححه الدارقطني، وابن الجزري في النشر.

قرئت ملك بألف وبدونها، فقرأها بالألف عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف؛ وقرأها بدونها نافع، وابن كثير، وحمزة، وباقيهم فالقراءتان متواترتان.

ومن البقرة:

{١٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ: **﴿وَاتَّخِذُوا من مقام إبراهيمَ مُصَلّى﴾** بكسر الخاء.

رواه أبو داود في الحروف (٣٩٦٩) بسند صحيح.

وفي حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم... ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: «**﴿وَاتَّخِذُوا مِن مقامِ إبراهِيمَ مُصَلّى﴾**» رواه مسلم وغيره وتقدم مطولاً في الحج.

قرأ نافع، وابن عامر بفتح الخاء، وقرأ حفص والباقون بكسرها.

{١٧} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قرأت على

أُبَـيّ بن كعب: ﴿**واتَّقُوا يَوماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عن نفسٍ شيئاً**﴾ بالتاء، ﴿**ولا تُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعةٌ**﴾. قال أُبَـيٌّ: أقرأني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿**لا تَجزِي**﴾ بالتاء، ﴿**ولا تُقبل منها شفاعةٌ**﴾ بالتاء، ﴿**ولا يُؤخَذُ منها عَدْلٌ**﴾ بالياء.

رواه الحاكم (٢٣٣/٢) وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

وبهذا قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وقرأ نافع والباقون: ولا يقبل، بالياء.

{١٨} ـ وعن أبي يونس مولى عائشة رضي الله تعالى عنها أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً فقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذِنّي: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فلما بلغتها آذنتُها فأمْلَتْ عليَّ: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»، قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه أحمد (٧٣/٦، ١٧٨)، ومسلم (١٢٩/٥، ١٣٠)، وأبو داود (٤١٠)، والترمذي (٢٧٩١) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٠٤/٦) ونحوه عن حفصة أيضاً رواه مالك وغيره.

{١٩} ـ وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية: «حافظوا على الصلوات وصلاة العصر»، فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله عز وجل فنزلت: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فقال رجل: هي إذن صلاة العصر، فقال: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله تعالى.

رواه مسلم في الصلاة (١٣١/٥).

الحديثان يدلان على أن الصلاة الوسطى المأمور بالمحافظة عليها مؤكداً هي صلاة العصر، وأن الآية كانت تقرأ: وصلاة العصر بدل: والصلاة الوسطى، ثم نسخت، وأثبت بدلها: والصلاة الوسطى وهي قراءة كل القراء.

ومن النسـاء:

{٣٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ: **﴿إنَّ الله يأمرُكم أن تُؤَدَّوا الأمَانَاتِ إلى أهلِها وإذا حكمتُم بين الناس أن تَحكُموا بالعدْل إن الله نعِمّاً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾**.

رواه الحاكم (٢٣٦) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

نعماً بفتح النون وكسر العين وتشديد الميم المفتوحة. قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وحفص وابن كثير وغيرهم بكسر النون، والباقي سواء.

{٣١} ـ وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرأ: «غَيْرَ أُولِي الضَّرر» بنصب الراء.

رواه أبو داود في الحروف (٣٩٧٥) بسند حسن.

وهذه القراءة متواترة قرأ بها نافع وأبو جعفر والكسائي وخلف، وقرأ حفص وحمزة وأبو عمرو والباقون بضم الراء.

ومن المائـدة:

{٣٢} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرأ: «والعَيْنُ بالعين» بالرفع في الأولى.

رواه أبو داود (٣٩٧٦، ٣٩٧٧)، والترمذي (٢٧٣٦) وحسنه، والحاكم (٢/٢٣٦) وصححه ووافقه الذهبي.

الآية بتمامها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

قرأ نافع وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب وغيرهم بنصب الجميع، وقرأ الكسائي بِضَمْ «والعينُ» فما بعدها.

ومن الأنعام:

{٣٣} ـ عن أُبَيّ رضي الله تعالى عنه قال: أقرأني رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «﴿وَلِيَقُولُوا درسْتَ﴾» يعني: بجزم السين ونصب التاء.

رواه الحاكم (٢/٢٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

وبهذا قرأ كل القراء إلا ابن عامر ويعقوب فقرآ دَرَسَتْ بفتح السين وسكون تاء التأنيث وهي أيضاً متواترة وفيها قراءة ثالثة: دَارَسْتُ بحمل الدال قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو.

ومن يونس:

{٢٤} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ: **﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾** بالتاء.

رواه أبو داود (٣٩٨٠) بسند حسن.

قرأ بهذه القراءة يعقوب، وقرأ الباقون من السبعة وغيرهم بالياء: فليفرحوا.

ومن هود:

{٢٥} ـ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرؤها: إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صالح.

رواه أبو داود (٣٩٨٣)، والترمذي (٢٧٣٨) وسنده حسن أو صحيح.

وشهر بن حوشب حسن الحديث وصحح حديثه جماعة من أهل الحديث.

وقوله: وكان يقرؤها: «إنه عَمِلَ غيرَ صالح» يعني: على أن عمل فعل ماض، وغير منصوب على أنه صفة لمفعول محذوف، أي: عَمِل عَمَلاً غيرَ صالح.

وبهذا قرأ الكسائي ويعقوب، وقرأ نافع وحفص والباقون بضم اللام من عَمَلٌ على أنه خبر إنَّ وغير بالضم صفة له.

ومن يوسف:

{٣٦} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قرأ: «هَيْتَ لَك»، وقال: إنَّمَا نَقْرَؤُهَا كما عُلِّمْنَا. وفي رواية: أنه قرأ: «هَيْتَ لك»، فقال شقيق: إنا نقرؤها: «هَيْتُ لك» فقال: إني أقرؤها كما علمت أحب إليّ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

رواه البخاري في التفسير (٤٣٤/٩) مختصراً باللفظ الأول، ورواه أبو داود (٤٠٠٤، ٤٠٠٥) بالباقي.

وفي قوله: «هيت لك» خمس قراءات، وقراءة ابن مسعود هذه هَيْتَ بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء قرأ بها حمزة وأبو عمرو وعاصم والكسائي، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان: هيت بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة، وقرأ ابن كثير: هَيْتُ بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء، وقرأ هشام: هئت بكسر الهاء وسكون الهمزة مع فتح التاء، وكل هذه القراءات متواترة.. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، أي: تَعَالَ وأقْبِلْ وهَلُمَّ.

ومن الرعد:

{٣٧} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾» مخففة.

رواه الحاكم (٢٤٢/٢) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

«ويثبت» بضم الياء وسكون الثاء وكسر الباء قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب، وقرأ نافع وحمزة والباقون بفتح الثاء وكسر الباء المشددة.

ومن الحجر:

{٣٨} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قرأ: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ رُبَّما يَوَدُّ الذِينَ كفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ مثقلة.

رواه الحاكم (٢٤٢/٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٤٣)، وابن جرير (٢/١٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وللحديث شواهد ستأتي في تفسير الآية.

قوله: مثقلة يعني: رُبَّما قرأها بفتح الباء المشددة وهي قراءة جمهور القراء، وقرأ نافع وعاصم وحفص وأبو جعفر بتخفيف الباء.

ومن الكهف:

{٢٩} ـ عن أُبَيّ رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ: **﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾** مخفف.

رواه الحاكم (٢٤٣/٢) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

وقوله: مخفف يعني: «لَتَخِذْتَ» بفتح التاء المخففة وكسر الخاء، وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وقرأ نافع وحمزة وعاصم والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء.

ومن مريم:

{٣٠} ـ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ: **﴿تَكَادُ السمٰوَاتُ يَنفَطِرْنَ﴾** بالياء والنون. **﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾** بالتاء، **﴿هدًّاً أن دَعَوْا لِلرحْمٰنِ وَلَداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾** مفتوحة بعد مفتوحة.

رواه الحاكم (٢٤٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

«ينفطرن» بالنون قرأ بها أبو عمرو وحمزة ويعقوب وابن عامر، وقرأ نافع وابن كثير وحفص وأبو جعفر والكسائي بالتاء مع فتح الطاء المشددة.

ومن النور:

{٣١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نزل الوحي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأ علينا: **﴿سُورَةٌ أنزَلْناها وفَرَضْناها﴾**. قال أبو داود: يعني: مخففة الراء حتى أتى على هذه الآيات.

رواه أبو داود في الحروف (٤٠٠٨) بسند صحيح.

قرأ بتخفيف الراء من «فرضناها» نافع وعاصم وحمزة والجمهور ومعناه: أي: فرضنا ما فيها أو ألزمناكم العمل بما فرض فيها. وقرأها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ومعناه: على هذا فصلنا ما فيها من الحلال والحرام، وفرضنا فيها فروضاً.

ومن الزخرف:

{٣٢} ـ عن يعلى بن أمية رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ: **﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾**. قال سفيان: وفي قراءة عبدالله: «ونادوا يا مَالِ».

رواه البخاري (١٨٩/١٠)، ومسلم في الجمعة (١٦٠/٦)، وأبو داود (٣٩٩٢)، والترمذي في الجمعة (٤٥٦) بتهذيبي.

وقوله: وفي قراءة عبدالله: «يا مال» يعني: مرخماً وهي قراءة الإمام علي رضي الله تعالى عنه وكان يقرأ بها الأعمش وهي قراءة شاذة، والقراءة المتواترة هي الأولى.

ومن الذاريات:

{٣٣} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **﴿إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾**.

رواه أبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٧٤٦)، والنسائي في الكبرى (٤٦٩/٦)، والحاكم (٢٤٩/٢)، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذه قراءة شاذة والتي تواترت عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقرأ بها القراء هي: **﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**.

ومن الطور:

{٣٤} ـ عن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم قرأ: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتهم ذُرِّيَّاتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِم ذُرِّيَّاتِهِم﴾ الآية.

رواه الحاكم (٢/٢٤٩) وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: ذرياتهم بالجمع فيهما وبه وبالإفراد قرئ في السبع وغيره على اختلاف القراء وبإفراد الأولى وجمع الثانية قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وحمزة.

ومن القمـر:

{٣٥} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «فهل من مُذَكِّرٍ» فردَّها عليَّ: **«مُدَّكِرٍ»**.

وفي رواية سمعته يقول: **«مُدَّكِرٍ»** دالاً.

رواه البخاري في التفسير (١/٢٤١، ٢٤٢) وغيره، ومسلم في الصلاة (٨٢٣)، وأبو داود (٣٩٩٤)، والترمذي (٢٧٤٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٦).

قراءة مُذَكِّرٍ بالذال المعجمة قراءة شاذة، والمتواترة المقروء بها هي «مُدَّكِرٍ» بضم الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة مع كسر الكاف، وقد كررها الله عز وجل في هذه السورة ست مرات.

ومعنى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: هل من معتبر ومتعظ بأحوال من سلف من الأمم الغابرة الهالكة.

ومن الواقعـة:

{٣٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرأ: ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾.

رواه أبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٧٤٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٠) وسنده صحيح.

قوله: «فرُوحٌ» يعني: بضم الراء قرأ بها رُوَيْس، وقرأ سائر القراء بفتح الراء وسكون الواو.

ومن المدثر:

{٣٧} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قرأ على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ بكسر الراء.

رواه الطبراني في الكبير (١٠٠٠٧)، والحاكم (٢٥١/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

{٣٨} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ: ﴿وَالرُّجْزَ فاهْجُر﴾.

رواه الحاكم أيضاً (٢٥١/٢) وصححه قال الذهبي: المصيصي خرج له النسائي وهو صويلح.

قوله: «والرجز فاهجر» قرئت بكسر الراء قرأ بها نافع وحمزة والجمهور، وقرئت بضمها وهي قراءة حفص وأبي جعفر ويعقوب.

ومن الانفطار:

{٣٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ: ﴿فسواك فَعَدَّلَكَ﴾ مثقل.

رواه الحاكم (٢٥٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

وعبدالرحمن بن حرملة من رجال مسلم فلا معنى للطعن فيه بلا حجة.

وقوله: «فعدلك»: قرأها بتشديد الدال نافع وأبو عمرو وأبو جعفر والجمهور، وقرأها بالتخفيف عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

ومن الغاشية: .

{٤٠} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿**فَذَكِّر إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ بالصاد.

رواه الحاكم (٢/٢٥٥) وصححه ووافقه الذهبي على شرط مسلم.

قراءة بِمُصَيْطِرٍ بالصاد هي قراءة نافع وحفص وباقي العشرة إلا حمزة فقرأها بإشمام الصاد زاياً، وقرأ هشام بالسين.

ومن الفجر:

{٤١} ـ عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبيه رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرأ: ﴿**كَلَّا بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا وَيُحِبُّونَ**﴾ كلها بالياء.

رواه الحاكم (٢/٢٥٥) وصححه ووافقه الذهبي.

هذه القراءة قرأ بها أبو عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون بالتاء في الجميع غير أن حمزة وحفصاً والكسائي قرأوا: ولا تَحاضُّونَ بإثبات الألف بعد الحاء مع فتح التاء.

{٤٢} ـ وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى عمن أقرأه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾.

رواه أبو داود (٣٩٩٦، ٣٩٩٧)، وابن جرير والحاكم (٢/٢٢٥) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال من يعذب، وفتح الثاء من يوثق بالبناء للمجهول، وقرأهما بالكسر بالبناء للفاعل نافع وحفص وحمزة وباقي القراء.

ومن البلد:

{٤٣} ـ عن علقمة رحمه الله تعالى قال: قدم أصحاب عبدالله بن مسعود على أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما فطلبهم فوجدهم فقال: أيكم يقرأ قراءة عبدالله؟ قالوا: كلنا، قال: فأيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة قال: كيف سمعته يقرأ: **﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾**؟ قال: **﴿والذكر والأنثى﴾**. قال أبو الدرداء: والله لا أتابعهم، ثم قال أبو الدرداء: أنت سمعته من فِي صاحِبك؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعت من فِي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهؤلاء يأبون علينا.

رواه البخاري (١٠/٣٣٥، ٣٣٦)، ومسلم في الصلاة (٦/١٠٩)، والترمذي (٢٧٤٥) وغيرهم.

قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء هذه قراءة شاذة منسوخة كباقي كثير من قراءات ابن مسعود، والقراءة المتواترة هي: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾.

ومن البينة:

{٤٤} ـ عن أُبَيّ بن كَعْب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن الله تعالى أمَرَني أن أقرأ عليك القرآن**»، **فقرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ الذِين كَفَرُوا﴾**، وقرأ فيها: إنَّ الدِّين عِند الله الحَنِيفِيَّةُ المُسْلِمَةُ، لا اليَهُودِيَّةُ، ولا النصرانِيَّةُ، ولا المجوسيَّةُ، ومَن يَعملْ خيراً فلَنْ يُكْفَرَه، وقرأ عليه: «لَوْ أن لابنِ آدمِ وادياً مِن مَالٍ لابْتَغَى إليه ثانياً، ولو أن له ثانياً لابْتَغَى إليه ثَالثاً، ولاَ يَمْلأُ جَوْف ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوبُ الله على من تابَ».

رواه الترمذي في المناقب (٣٦٦٢) بتهذيبي، والحاكم (٢/٥٣١)، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي وليس عند الحاكم: ولو أن لابن آدم.

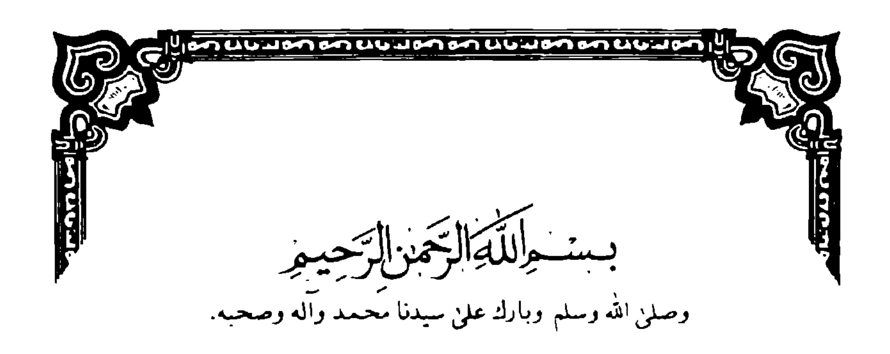
وهو في الصحيحين عن ابن عباس وأنس وصدره الأول: «إن الله

أمرني أن أقرأ عليك» الخ، رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي في الكبرى (٥٢٠/٦)، ويأتي في المناقب.

ما ذكر في الحديث هي من القراءات التي نسخ لفظها من القرآن وبقي حكمها وهي من القراءات الشاذة التي لا تجوز القراءة بها على أنها قرآن.

وإلى هنا انتهى ما أردنا ذكره من القراءات المنصوص عليها على سبيل الاختصار، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.





وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

قسم التفسير للقرآن الكريم

فاتحة الكتاب

هذه السورة تعتبر أعظم سورة في القرآن الكريم، وقد اشتملت بالإجمال على كل ما فصل في القرآن من المقاصد وهي سبع آيات بالبسملة ولها فضائل وخصائص.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

{٤٥} ـ عن عَدِي بن حاتم رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«اليهودُ مَغضُوبٌ عليهم، والنصارى ضُلاَّلٌ»**.

رواه أحمد (٢٥٧/٤) وفي مواضع، والترمذي (٢٩٥٣، ٢٩٥٤)، وابن جرير (٧٩/١)، وابن حبان (٦٢٤٦) بالإحسان بعضهم مطولاً ومختصراً، وهو حديث حسن أو صحيح لطرقه.

وفي الحديث الشريف بيان لما أبهم في الآية الكريمة من المغضوب عليهم والضالين وفي الأولين جاء قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ

عَلَيۡهِمۡ﴾، وإنما كانوا مغضوباً عليهم لأنهم عرفوا الحق وكتموه. أما النصارى فجاءهم الضلال من جهلهم وتقليدهم لرهبانهم وفيهم قال الله عز وجل: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ﴾ الآية، وهذا التقسيم متفق عليه بين المفسرين.

وفضائل السورة تقدَّمت في فضائل القرآن، وللتوسع ارجع إلى كتابي: «الجواهر واللآلىء المصنوعة».

***

سورة البقرة

هذه السورة من أشرف السور وأطولها إطلاقاً وقد احتوت على أكثر مقاصد الشريعة، وآياتها (٢٨٦) وهي أم السبع الطوال.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

{٤٦} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألتُ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أي الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: **«أن تَجعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وهو خَلَقك»**، قلت: إنَّ ذلك لَعَظِيمٌ، قلت: ثم أي؟ قال: **«وأن تقتُلَ وَلدَك تخاف أن يَطعمَ معك»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»**.

رواه أحمد (٣٨٠/١، ٤٣٤، ٤٦٢، ٤٦٤)، والبخاري في التقسيم (٣٣٠/٩)، وفي الأدب، وفي الديات، وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان (٨٠/٢)، وأبو داود (٢٣١٠)، والترمذي في تفسير سورة الفرقان (٣١٨٢)، والنسائي في تفسيره من الكبرى (٢٨٥/٦) وغيرهم.

قوله: **«نداً»**: الند بكسر النون النظير والشبيه.

وقوله: **«حليلة جارك»**: أي زوجه. فأعظم الذنوب اتخاذ شريك مع الله ثم يأتي بعده قتل النفس بغير حق وأفحش ذلك قتل الأولاد خوفاً من

إطعامهم كما كان سائداً في الجاهلية، ثم تأتي جريمة الزنا تلك الفاحشة العظيمة وأشنعها قبحاً، وأعظمها جرماً ما كان بزوجة الجار الذي له من الحقوق ما ليس لغيره.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ **[الآيتان: ٣٠، ٣١].**

{٤٧} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنَّ الله خلقَ آدمَ مِن قَبْضةٍ قَبَضَها مِن جَمِيعِ الأرضِ فجاءَ بَنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ فجاء منهم الأحمرُ والأبيضُ والأسودُ وبينَ ذلك، والسَّهلُ والحَزْنُ، والخبيثُ والطيِّبُ».**

رواه أحمد (٤٠٦/٤)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٣)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٥)، وابن جرير (٢١٤/١)، وابن حبان (٦١٦٠، ٦١٨١) بالإحسان، والحاكم (٢٦١/٢، ٢٦٢) وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه.

قوله: **«قبضة»**: هي ملء الكف بالنسبة لنا وهي من الله لا تكيف. **«والحزن»**: بفتح الحاء وسكون الزاي: هو الغليظ الصعب.

وفي الحديث إعلام بأصل الإنسان وما ركب فيه من الأخلاق، وما جبل عليه من الطبائع، وأنه تابع للأرض في جميع ما فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الخ، صريح في أنه عز وجل كلم ملائكته بما ذكر وأنهم أجابوه بما في الآية. وقد ضل أقوام من المعاصرين العقلانيين فردوا ذلك ولم تقبله عقولهم الضيقة فقالوا: إن ذلك مجرد تمثيل فقط تعالى الله وكلامه عما يقولون علواً كبيراً.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: إشارة إلى أنه لا بد للإنسانية من خليفة يخلف الله في الأرض في الحكم بالعدل والقيام بمهمات

الدين والدنيا، وباب الخلافة واسع له أحكام وشروط تأتي إن شاء الله تعالى.

{٤٨} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**يَجْتَمِعُ المؤمنون يومَ القيامة فيقولون: لو اسْتَشْفَعْنا إلى ربنا حتى يُرِيحَنا من مكانِنا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس خلقك الله بيَدِه وأسْجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماءَ كُلِّ شيء، فاشفعْ لنا إلى ربك حتى يُريحنا من مكاننا**» هذا الحديث بطوله يأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى.

رواه أحمد (١١٦/٣)، والبخاري في التفسير (٢٢٦/٩، ٢٢٧)، وفي الرقاق، وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان (٥٣/٣، ٥٨)، والنسائي في الكبرى (٢٨٤/٦)، وابن حبان (٦٤٦٥)، وابن خزيمة في التوحيد، والبغوي (٤٣٣٤) وغيرهم كما يأتي في الرقاق.

قوله: «**أنت أبو الناس**»، وفي رواية: «**أنت أبو البشر**»، وفيه رد على الداروينيين الذين يزعمون أن الإنسان أصله قرد ـ لعنهم الله وأخزاهم ـ.

وقوله: «**وعلمك أسماء كل شيء**»: معناه: أن الله عز وجل علَّمه جميع أسماء الذوات وغيرها مما سيوجد من أنواع الكائنات بجميع لغات بنيه، وكان ذلك من أعظم ما أكرمه الله عز وجل به، وأفاضه عليه من نعمه، وفضَّله بذلك حتى على الملائكة المقدسين عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [٣٤].

{٤٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذا قرأ ابنُ آدم السَّجدة فسجد، اعْتزَل الشيطانُ يَبكي يقول: يا وَيْلَه! أُمِر ابنُ آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرتُ بالسجود فعصيتُ فَلِي النارُ**».

رواه أحمد، ومسلم، وابن خزيمة (٥٣٩)، وابن ماجه (١٠٥٣) وقد تقدم في سجود التلاوة.

في الحديث فضل سجود التلاوة وأنه من موجبات الجنة. وكان هذا السجود من الملائكة سجوداً حقيقياً لآدم عليه السلام إكراماً له واحتراماً وسلاماً وطاعةً لله عز وجل، لأن ذلك امتثال لأمره، والله يأمر عباده بما يشاء. ورجح هذا القول الرازي وابن كثير وغيرهما وضعفوا ما عداه.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [٣٥].

{٥٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**احتجَّ آدمُ ومُوسى عليهما السلام، فقال له مُوسى: يا آدم! خلقَك اللَّهُ بيدِه ثم نَفخَ فِيكَ من رُوحِه ثم قال لك كُن فكنتَ، ثم أمر الملائكة فسجدُوا لك، ثم قال:** ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، **فنهاك عن شجرة واحدةٍ فعصيتَ ربَّك. فقال آدم: يا موسى! ألم تعلمْ أن الله قدّر هذا عليّ قبل أن يَخلُقَني؟**» قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لقد حَجَّ آدمُ مُوسَى، لقد حجَّ آدم موسى، لقد حجَّ آدم موسى...**».

رواه أحمد (٢٤٨/٢، ٢٦٤، ٣٩٨)، والبخاري (٣٠٨/١٤)، ومسلم (٢٠٠/١٦)، وأبو داود (٤٧٠١)، والترمذي (٢١٣٤) كلهم في القدر، ورواه البخاري في الأنبياء، وفي التفسير، وفي التوحيد، والنسائي في الكبرى (٢٨٤/٦، ٢٨٥)، وابن ماجه (٨٠)، وابن حبان (٦١٧، ٦١٨٠) وغيرهم بألفاظ وسيأتي مكرراً إن شاء الله تعالى.

قوله: فعصيت، كان ذلك نسياناً منه كما قال تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾، وقوله: «**وحج آدم موسى**»: أي غلبه بالحجة، لأنه

لامه وعاتبه على شيء صدر منه على جهة النسيان مع سابق قدر الله تعالى وقد غفر الله له ذلك وتاب عليه واجتباه ومن كان كذلك فلا يوجه إليه اللوم.

وفي الحديث دليل على أن الله عز وجل قدَّر كل شيء من خير وشر وطاعة ومعصية خلافاً للشيعة والمعتزلة. وفي الآية الكريمة دليل على أن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام هي الجنة المعهودة التي أعدها الله تعالى لأوليائه المؤمنين خلافاً للمعتزلة ومن نحا نحوهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ الآية [٣٦].

{٥١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«خَيرُ يوم طلعتْ عليه الشمسُ يومُ الجُمُعة، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنة، وفيه أُخرِجَ منها..»**.

رواه أحمد (٤٠١/٢، ٤١٨، ٤٨١، ٥١٢)، ومسلم (١٤١/٦)، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٨٨، ٤٩١)، والنسائي وغيرهم وتقدم في الجمعة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، أي: حملهما على الزلة، وقوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا..﴾ الخ، أي: فكان السبب في إخراجهما من الجنة، وما كانا فيه من العيش الرغد.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [٤٤].

{٥٢} ـ عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«يُجاءُ بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى في النار فتَنْدَلِقُ به أقتابُه فيدورُ بها في النار كما يدورُ الحِمارُ برحاه، فيُطِيفُ به أهلُ النار فيقولون: يا فلان! ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا**

بالمعروف، وتنهانا عن المُنكر؟ فيقول: كنت آمُركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المُنكر وآتِيهِ».

رواه أحمد (٥/٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩)، والبخاري في صفة النار من بدء الخلق (٦/١٤٤)، وفي الفتن (١٦/١٦١، ١٦٢، ١٦٣)، ومسلم في الزهد (١٧/١١٧، ١١٨) وغيرهم.

قوله: **«فتندلق»** أي: تخرج. وقوله: **«أقتابه»**: جمع قتب بكسر القاف وهي الأمعاء.

وفي الحديث كالآية الكريمة وعيد عظيم، وزجر بالغ لمن يأمر غيره بالبر والمعروف وينهاهم عن الفواحش والمناكير ثم ينسى نفسه فيخالفهم إلى ما يقول كما هو الشأن في كثير ممن ينتمي إلى العلم اليوم، وإذا كان هذا جزاءَ من يقول الخير ولا يعمل به فكيف الحال فيمن يعكس فيأمر بالمنكر وينهى عن المعروف كالكثير من شياطين العلماء الذين غرَّتهم الحياة وفتنوا باتباع أهوائِهم.

قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [٥٧].

{٥٣} ـ عن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«الْكَمْأَةُ مِن المَنِّ الذي أنزل اللَّهُ على بني إسرائيل، وماؤُها شِفاءٌ لِلعَينِ»**.

رواه أحمد (١/١٨٧، ١٨٨)، والبخاري في التفسير (٩/٢٣٠)، وفي الطب، وفي الأطعمة، ومسلم (١٤/٣، ٤)، والترمذي في الطب (٢٠٦٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٨٥)، وابن ماجه (٣٤٥٤) وغيرهم.

«الكمأة»: نبات يخرج وحده. وقوله: **«من المن»**: أي هو شبيه بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التيه ووجه شبهها به من حيث إنها تنبت بلا زرع ولا علاج كما كان يأتي المن الإسرائيليين من السماء بلا كلفة ولا مشقة.

قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ الآية [٥٩].

{٥٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**قيل لبني إسرائيل: ادخُلُوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ، فدخَلُوا يزحُفُون على أستَاهِهِم وبَدَّلُوا فقالوا: حِنطَة ـ حَبَّة في شَعَرةٍ ـ**».

رواه أحمد (٣١٨/٢)، والبخاري في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير (٢٣١/٩، ٣٧٣، ٣٧٤)، وفي الأنبياء، ومسلم آخر الكتاب (١٥٢/١٨)، والترمذي (٢٩٥٦)، وابن حبان (٦٢٥١)، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

قوله: «**حطة**»: أي طلبنا حطة، أي أن تحط عنا خطايانا. وقوله: «**يزحفون**» أي: يمشون على أدبارهم. قوله: «**حبة في شعرة**»، وفي رواية: «**حبة في شعيرة**».

لما فتح يوشع بن نون عليه السلام بيت المقدس أمر من قبل الله عز وجل أن يأمر بني إسرائيل الذين كانوا معه أن يدخلوا الحرم خاضعين متواضعين منحنين شكراً لله عز وجل على ما أولاهم من الظفر والنصر على عدوهم، وأن يسألوا الله عز وجل حط ذنوبهم فبدلوا ما أمروا به تمرداً على الله واستهزاءً بأمره فعاجلهم الله تعالى بالعذاب من عنده، وكان فيما بدلوا «حطة» قالوا بدلها بلغتهم: «عطي سمقاً» وهي بالعربية: حنطة حمراء قوية فيها شعيرة سوداء.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [٥٩].

{٥٥} ـ عن أسامة بن زيد وسعد وخزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنَّ هٰذا الطاعُون رِجْزٌ وبَقيةُ عَذَابٍ عُذِّب به قومٌ فإذا وقَعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تَخرُجُوا منها فراراً منه، وإذا وقَع بأرض ولستُم بها فلا تَدْخلُوها**».

رواه أحمد (١٨٢/١)، ومسلم في السلام (٢٥/١٤، ٢٠٧، ٢٠٨).

وفي رواية له عن أسامة: **«إن هذا الطاعونَ رِجْزٌ سُلِّط على من كان قَبْلَكم، أو على بني إسرائيل»**.

وفي رواية: **«هو عذابٌ أو رِجْزٌ أرسله الله على طائِفة من بني إسرائيل..»**.

الطاعون كل مرض عام كالوباء فيعم الكثير من الناس في جهة خاصة، والمراد به في الحديث الشريف هنا ضرب الجن لحديث: **«الطاعون وَخزُ أعدائِكم من الجن»** رواه أحمد (٣٩٥/٤، ٤١٣) من حديث أبي موسى بسند صحيح.

والمقصود: أن هذا الطاعون هو بقية عذاب عذب الله به بني إسرائيل لما تمردوا على الله تعالى وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فالحديث مبين للرجز المذكور في الآية.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ الآية [٧٠].

{٥٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: **«لَو أخَذُوا أدْنَى بَقَرةٍ لاكْتَفَوْا بها ولكنهم شَدَّدُوا فشَدَّدَ اللَّهُ عليهم»**.

رواه ابن جرير في التفسير (٣٤٧/١) بسند صحيح، ثم ذكر معلقاً عن ابن جريج مرفوعاً.

وما قاله ابن عباس متفق عليه بين المفسرين في قصة البقرة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية [٧٩].

{٥٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في أهل الكتاب.

رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٤١٢)، والنسائي في الكبرى (٢٨٦/٦) بسند صحيح.

يقصد ابن عباس أن الآية نزلت بسبب اليهود الذين غيَّروا التوراة ونسبوا ذلك لله تعالى فجمعوا بين سيئتين ثم أضافوا إلى ذلك أكل الحرام الذي كانوا يأخذونه من عوامهم في مقابلة ذلك الكذب. عليهم لعائِن الله المتابعة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [٨٠].

{٥٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتحت خيبر أُهْدِيَتْ لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اجْمَعُوا لي مَن كان من اليهود هٰهُنا**»، فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مَنْ أبوكم؟**»، قالوا: فلان، قال: «**كَذَبْتُم، بَلْ أبوكم فلان**» فذكر الحديث وفيه: فقال لهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مَن أهلُ النار؟**»، فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اخسَأُوا فيها والله لا نَخْلُفُكُم فيها أبداً**» الحديث وسيأتي بتمامه في المغازي إن شاء الله تعالى.

رواه أحمد (٤٥١/٢)، والبخاري في كتاب الجزية، وفي المغازي (٣٧/٩، ٣٨)، وفي الطب، وفي الهدية، والنسائي في الكبرى (٤١٣/٦)، والدارمي في المقدمة رقم (٧٠).

ما ذكر في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف هو من افتراءات اليهود وغرورهم حيث ادعوا أنهم لا تصيبهم النار إلا أياماً معدودة يعنون مقدار الأيام التي عبد فيها أجدادهم العجل وهي أربعون يوماً ثم يخرجون منها فيخلفهم فيها مسلمو هذه الأمة فكذبهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما زعموا.

قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الخ [٩٥].

{٥٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لو أن اليهودَ تَمَنَّوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعِدَهم من النار، ولو خرج الذين يُبَاهِلُون رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لرَجَعُوا لا يَجِدُون أهلاً ولا مالاً».**

رواه أحمد (٢٤٨/١، ٣٦٨)، وابن جرير (٤٣٤/١)، والإسماعيلي في صحيحه كما في الفتح، وأصله في صحيح البخاري وغيره وسيأتي في سورة آل عمران كاملاً، والحديث سنده صحيح.

اليهود كانوا يزعمون أن الجنة خاصة بهم دون غيرهم من سائر الأمم الأخرى فأكذبهم الله تعالى وقال لهم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في ذلك فتمنوا الموت واشتاقوا إليه ليوصلكم إلى الجنة، ثم أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يتمنونه أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من الآثام والجرائم، وجاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبر بوحي من الله تعالى أنهم لو كانوا تمنوا الموت لماتوا عن آخرهم ولشاهدوا منازلهم من جهنم عياناً.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية [٩٧].

{٦٠} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمع عبدالله بن سلاَّم رضي الله تعالى عنه بقُدُوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في أرض يَخْتَرِفُ فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إني سائِلك عن ثلاث لا يَعلمُهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهلِ الجنة؟ وما يَنزِعُ الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: **«أخبرني بهن جبريل عليه السلام آنفاً»**، قال: جبريل، قال: **«نعم»**، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ الحديث.

رواه أحمد (١٠٨/٣، ١٨٩، ٢٧١)، والبخاري في التفسير (٢٣٢/٩)،

والنسائي في الكبرى (٦/٢٨٦، ٢٨٧) وسيأتي في مواضع في المناقب وفي أشراط الساعة وغيرهما.

{٦١} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: يا أبا القاسم! إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، فذكر الحديث وفيه: إنما بقيتْ واحدةٌ وهي التي نُتَابِعُك إن أَخْبَرْتَنَا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخير فأخبرنا مَن صَاحِبُك؟ قال: «**جبريل عليه السلام**»، قالوا: جبريل!!! بل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية.

رواه أحمد (١/٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٨)، والترمذي في سورة الرعد (٣١١٧)، والنسائي في عشرة النساء من الكبرى (٥/٣٣٦)، وحسنه الترمذي وصححه وسيأتي في آل عمران.

وفي الحديثين بيان أن سبب نزول الآية هو تعنت اليهود وإغراقهم في الجحود والكفران وبغضهم لسيد الملائكة ورئيسهم، ومناصبتهم إياه العداوة، وذلك كفر بواح بإجماع المسلمين.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: أجمع أهل العلم بالتأويل على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم.. الخ.

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [١٠٦].

{٦٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: أقرؤنا أُبَيٌّ وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ وإنا لندع من قول أُبَيّ، وذاك أن أبياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾.

رواه البخاري في التفسير (٩/٢٣٣، ٢٣٤)، وفي فضائل القرآن (١٠/٤٢٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٨٩).

قوله: وإنا لندع، معناه: أنه كان يترك بعض ما كان يقرؤه أُبيّ من القراءات التي قد نسخت مع إصرار أُبيّ على عدم تركها لكونه سمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولكنه ربما قرأ ما نسخ ولم يبلغه ذلك.

وفي الآية الكريمة دليل على ثبوت النسخ في الوحي الإلٰهي وأنه عز وجل قد يرفع آية أو حكماً ويأتي بمثل ذلك أو بخير منه حسب حكمته ومصالح عباده، ولا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ في القرآن والسنة، وإنما أنكره اليهود ومن نحا نحوهم من الملحدين والزائغين.

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [١٠٩].

{٦٣} ـ عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتأوَّل من العفو ما أمره الله تعالى به حتى أذن الله فيهم بالقتال، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش.

رواه ابن أبي حاتم (١/٢٠٦) بسند صحيح، وله أصل في الصحيحين.

الأمر كما قال هذا الحبيب ولا خلاف في ذلك والسور المكية وبعض المدنية ملآنة بالآيات الآمرة بالعفو عن المشركين وكلها واردة قبل نزول قوله تعالى في سورة الحج المدنية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ الآية.

❁ قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١١٥].

{٦٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلي على راحلته مقبلاً من مكة إلى المدينة حيث توجهت به وفيه نزلت هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

رواه أحمد (٧/٢، ٣٨، ٧٥، ٢٠، ٤١)، ومسلم في الصلاة (٢٠٩/٥)، والترمذي (٢٩٥٨)، والنسائي في الكبرى (١٨٢/٦)، وابن جرير (٥٠٣/١) ثلاثتهم في التفسير وكذا رواه أبو يعلى (٥٦٤٧)، وابن خزيمة (١٢٦٧، ١٢٦٩)، والحاكم (٢٦٦/٢)، والبيهقي (٤/٢) وغيرهم.

{٦٥} ـ وعن عامر بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندرِ أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

رواه الطيالسي (١١٤٥)، والترمذي في الصلاة (٣٤٥)، وفي التفسير (٢٩٥٧)، وابن ماجه (١٠٢٠)، وابن جرير (٥٠٣/١، ٥٠٤)، والبيهقي (١١/٢)، وحسنه الترمذي. وللحديث طرق وشواهد يشد بعضها بعضاً كما قال ابن كثير وغيره، وانظر تهذيبي للجامع (٣٠٨).

ظاهر الحديثين أن الآية نزلت لسببين ولا مانع من ذلك كما في سور وآيات أُخَرَ وإن كان السبب الأول هو الأصح، علماً بأن كلا القولين قال بهما جمع من المفسرين وبناءً على ما في الحديثين يستفاد منهما أمران اثنان: **أولهما**: صحة صلاة النافلة على المركوب والاستقبال لأي جهة وبهذا قال عامة أهل العلم لصحة ذلك من فعل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. **ثانيهما**: صحة صلاة من أخطأ القبلة في صلاة الفريضة وتوجه باجتهاد منه لجهة من الجهات، ولا ينبغي أن يختلف في هذا أيضاً للعمل عليه عند الأكثر ولحديث عامر المذكور.

يبقى ما المراد بقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، قال ابن جرير رحمه الله تعالى (٥٠٤/١): ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، محتمل أينما تولوا في حال سيركم في أسفاركم، في صلاتكم التطوع، وفي حال مسايفتكم عدوكم في تطوعكم ومكتوبتكم فثَمَّ وجه الله كما قال ابن عمر والنخعي ومن قال ذلك مما ذكرنا آنفاً ومحتمل فأينما تولوا من أرض الله فتكونوا بها فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها..

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ الخ [١١٦].

{٦٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمَني ولم يكن له ذلك، فأما تَكْذِيبُه إيّاي فزعم أني لا أقدِرُ أن أُعِيدَه كما كان، وأما شَتْمُه إياي فقوله لي ولَدٌ فسبحاني أن اتخذ صاحبةً أو ولداً**».

رواه البخاري في التفسير (٢٣٤/٩).

وفي رواية: «**فأما تكذيبه إياي**»، فقوله: «**لن يُعِيدَني كما بدأني، وليس أول خلق بأهون علي من إعادتِه، وأما شتمُه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الله الأحدُ الصَّمد لم ألِدْ ولم أُولَدْ ولم يَكُن لِي كُفُؤاً أحدٌ**».

رواه البخاري في بدء الخلق رقم (٣١٩٣)، وأحمد (٣١٧/٢، ٣٩٣، ٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٤، ٤٠٩/٦) ثلاثتهم من حديث أبي هريرة.

قوله: «**وشتمني**»: سماه شتماً لأن فيه تنقيصاً لله عز وجل، فإن الولد يستلزم والدة وهي طبعاً تستلزم ناكحاً... وكل ذلك محال على الله تعالى فمن نسب ذلك إليه تعالى فقد شتمه. وقد اتفقوا أن هذه الآية نزلت فيمن زعم أن لله عز وجل ولداً من يهود خيبر، ونصارى نجران، ومن قال من

مشركي العرب: الملائكة بنات الله فردَّ الله تعالى عليهم. وهذا لا ينفي عموم الآية في كل المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [١٢٥].

{٦٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه عن عمر رضي الله تعالى عنه: قلت: يا رسول الله لو اتَّخذتَ مِن مقام إبراهيم مُصَلًّى فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.

رواه أحمد (١/٢٣، ٢٤، ٣٦)، والبخاري في الصلاة (٢/٥١)، وفي تفسير البقرة (٩/٢٣٥)، وفي الأحزاب (١٠/١٤٦)، وفي التحريم (١٠/٢٨٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٠) ويأتي مطولاً.

هذا من جملة موافقات سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه التي وافق فيها نزول القرآن. وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ﴾ الخ: المقام: هو الحجر المنزل من الجنة الذي كان يقف عليه خليل الرحمن على نبينا وعليه الصلاة والسلام عند بناء الكعبة وهو الموجود هنالك اليوم أمام الكعبة المشرفة لجهة الشروق وعنده خلفه أو حذاءه تشرع صلاة الطواف.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [١٢٧].

{٦٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ألم تَرَيْ أن قومَكِ بنوا الكعبة واقتصروا على قواعد إبراهيم**»، فقلت: يا رسول الله! ألا تَرُدُّها على قواعِدِ إبراهيم؟ قال: «**لولا حِدْثَانُ قومِك بالكفر**». فقال عبدالله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما أرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ترك استلام الركنين الذين يليان الحِجْر إلا أن البيت لم يُتَمَّمْ على قواعد إبراهيم.

رواه أحمد (١١٣/٦، ١٧٦، ١٧٧، ٢٤٧)، والبخاري في الحج، وفي التفسير (٢٣٦/٩، ٢٣٧)، وفي الأنبياء، ومسلم في الحج (٨٨/٩)، والنسائي في الكبرى (٣٥٤/٣، ٣٥٥)، وفي الحج من المجتبى وغيرهم.

القواعد: جمع قاعدة، والمراد بها أساس البيت. ومعنى الحديث: أن قريشاً لما هدموا الكعبة وجددوا بناءها لم يجعلوها كلها على أساس إبراهيم بل اقتصروا على قاعدتين منها وهما الركنان اليمانيان أما اللذان يليان الحِجْر فغيروهما وأخرجوا الحجر من البيت فأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عائشة أنه لولا أن قريشاً حديثو عهد بالكفر لهدمها وردها لأصلها على قواعد إبراهيم وقال: كما في رواية للبخاري في العلم: **«لولا قومُك عهدُهم بكفر لَنَقَضْتُ الكعبة فجعلتُ لها بابين: باباً يَدخلُ منه الناسُ، وباباً يَخرُجون منه»**.

{٦٩} ـ وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إني عِند الله لخاتم النبيين وإن آدمَ لَمُنجَدِلٌ في طِينَتِه، وسَأُخبِرُكم عن ذلك دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبشارةُ عيسى، ورُؤيا أمّي التي رَأت، وكذلك أمهاتُ النبيين يَرَيْنَ، وإن أمَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رَأَتْ حين وَضَعَتْه نوراً أضاءَتْ له قصور الشام»**.

رواه أحمد (١٢٧/٤)، وابن جرير (٥٥٦/١)، وابن حبان (٦٤٠٤) بالإحسان، والحاكم (٦٠٠/٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٠٩) وغيرهم من طرق بعضها حسنة صحيحة وله شاهد قوي عن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رواه ابن إسحاق في السيرة (١٧٥/١)، وابن جرير (٥٥٦/١)، والحاكم (٦٠٠/٢)، وصححه ووافقه الذهبي كالأول.

الحديث مطابق للآية الكريمة في كونه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دعوة إبراهيم... وقوله لمنجدل: أي لمطروح في جدالته وطينته لم ينفخ فيه الروح بعد.

قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ [١٣٦].

{٧٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان أهلُ الكتاب يقرؤُون التوراة بالعِبْرَانِية ويُفَسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتاب ولا تُكَذِّبُوهم و** ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ...﴾ الآية».

رواه البخاري في التفسير (٢٣٧/٩)، وفي الاعتصام، وفي التوحيد (٧٥٤٢)، والنسائي في الكبرى (٤٢٦/٦)، ويأتي في العنكبوت ونحوه عن أبي نملة الأنصاري رواه أحمد (١٣٦/٤).

حالتنا مع أهل الكتاب في الإسرائيليات أن لا نصدقهم ولا نكذبهم بإطلاق بل نقول كما أرشدنا إليه القرآن والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهذا فيما لا يكون مخالفاً للفطرة أو الدين المتفق عليه بين الأنبياء أو لِدِينِنَا وإلا كذبناهم في ذلك ورددنا عليهم ما حدثونا به.

وفي الآية إرشاد لنا بأن نؤمن بالله وما أنزل إلينا بواسطة رسولنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء مجملاً، وأن لا نفرق بينهم فنؤمن بالبعض ونكفر بالبعض الآخر كما فعلت اليهود، فإن ذلك كفر بالإجماع.

والأسباط: هم قبائل بني إسرائيل الذين تناسلوا من أولاد يعقوب عليه السلام وقد كان منهم أنبياء ورسل عليهم الصلاة والسلام.

{٧١} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أَكْثَرَ ما يُصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، والأخرى بـ ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. وفي رواية: كان يقرأ في الأولى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا إلى: وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ التي في البقرة، وفي الثانية التي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ إلى: مُسْلِمُونَ﴾.

رواه أحمد (٢٣١/١)، ومسلم في الصلاة (٥/٦، ٦).

وفي الحديث مشروعية قراءة ما ذكر في ركعتي الفجر وبه قال الجمهور وتقدم في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [١٤٣].

{٧٢} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يُدْعَى نُوحٌ يومَ القيامة فيقولُ: لَبَّيكَ وسَعْدَيكَ يا ربّ، فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا مِن نَذِيرٍ، فيقول: من يَشهدُ لك؟ فيقول: محمد وأمتُه فيشهدون أنه قد بلَّغ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾»، والوسَط: العدل، وفي رواية: «**فتُدْعَى أمَّةُ محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقال: هل بلَّغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبَرَنا نبيُّنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغوا فصدَّقْناه**».

رواه أحمد (٣/٣٢، ٥٨)، والبخاري في بدء الخلق، وفي التفسير (٩/٢٣٨، ٢٣٩)، وفي الاعتصام، والترمذي (٢٩٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٩٢)، وابن ماجه (٤٢٨٤)، وابن حبان (٧٢١٦) وغيرهم.

في الآية والحديث شرف الأمة المحمدية وفضلها على سائر الأمم حيث جعلها الله عز وجل خياراً عدولاً وأنها ستشهد يوم القيامة على الناس.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً...﴾ الخ: أي: كما هديناكم إلى الإسلام وإلى طريق الله القويم كذلك فضلناكم على غيركم وجعلناكم أمة خياراً عدولاً تستحقون الشهادة على غيركم من الأمم الماضية المكذبة لرسلها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٤٣].

{٧٣} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: كان الذي مات على

القبلة قبل أن تحول القبلة رجالٌ قالوا: لم نَدْرِ ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٢٣٨/٩)، والنسائي في الكبرى (٢٩١/٦) ونحوه عن ابن عباس، رواه أحمد (٢٩٥/١، ٣٠٤، ٣٤٧)، وأبو داود (٤٦٨٠)، والترمذي (٢٩٦٤)، والحاكم (٢٦٩/٢) وسنده صحيح على شرط مسلم.

قوله: ﴿لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي: صلاتكم، فأطلق الإيمان على الصلاة لأنها جزء منه على قول جماعة من السلف وغيرهم القائلين بأن العمل شرط للإيمان. والموضوع فيه كلام طويل.

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ. . .﴾ الخ [١٤٤].

{٧٤} - عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة صلّى نحوَ بيت المقدس ستةَ أو سبعةَ عشَرَ شهراً، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، فوُجِّه نحوَ الكعبة، وكان يُحِبُّ ذلك، فصلى رجلٌ معه العصرَ قال: ثم مَرَّ على قوم من الأنصار وهم ركوعٌ في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنه قد وُجِّه إلى الكعبة قال: فانحرفوا وهم ركوع.

رواه البخاري في الإيمان، وفي الصلاة، وفي خبر الواحد، وفي التفسير (٢٣٧/٩، ٢٣٨)، ومسلم (٩/٥، ١٠)، والترمذي (٣٤١)، والنسائي في الكبرى (٢٩٠/١)، وابن ماجه (١٠١٠) وغيرهم كلهم في الصلاة. ورواه أحمد (٢٨٣/٤، ٢٨٨، ٣٠٤)، والترمذي أيضاً في التفسير (٢٩٦٢)، وابن خزيمة (٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٧).

{٧٥} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه نحوه غير أن فيه: فمرّ رجل من بني سَلِمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حوّلت فمالوا كما هم نحو القبلة.

رواه مسلم في المساجد (٥/١٠، ١١)، وأبو داود (١٠٤٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٩٢) وغيرهم.

{٧٦} ـ وعن ابن عمر نحوه أيضاً وفيه: بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

رواه الشيخان.

في هذه الأحاديث بيان وقوع النسخ وتبديل الأحكام، وكانت القبلة من أول ما نسخ ولما حوّلت القبلة قالت اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، وكان الله عز وجل قد أخبر بما سيقوله هؤلاء وسماهم سفهاء حيث قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾. والسفهاء هنا هم ضعفاء العقول من اليهود وكان في هذه الآية معجزة باهرة حيث أخبر الله بمقولتهم قبل وقوعها فكانت كما أُخبر.

وانظر على هذه الآية البخاري رقم (٣٩٩) من كتاب الصلاة، وكبرى النسائي (٦/٢٩٠). واختلف العلماء في أول صلاة جاءَ فيها نسخ القبلة فقيل: الظهر في بني سلمة، وصحح هذا القول جماعة منهم ابن كثير، وقال آخرون: كانت صلاة العصر لظاهر حديث البراء غير أنه ليس بصريح، وفي الحديث فوائد فقهية وأصولية ليس هذا موضعها.

قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [١٥٢].

{٧٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقول الله تعالى: أنا عِند ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا مَعَه إذا ذَكرني، فإن ذَكَرَني في نَفْسِه ذكرتُه في نفسِي، وإن ذكرَني في**

ملأ ذكرْتُه في ملأ خيرٍ منهم، وإن تَقرَّبَ إلـيّ بِشِبْرٍ تقرَّبتُ إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إلـيّ ذراعاً تقرَّبتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هَرْوَلَةً».

رواه أحمد (٢٥١/٢، ٤١٣، ٥١٦، ٥٣٥)، والبخاري (١٥٥/١٦، ١٦٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢/١٧، ٣)، والترمذي في الدعوات (٣٦٠٣)، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٠)، وابن ماجه (٣٨٢٢) وغيرهم من طرق.

هذا من أحاديث الصفات والذراع والباع والهرولة ظاهرها غير مراد في جانب الله تعالى فلنؤمن بها ونكل حقيقتها إلى الله تعالى، والشاهد من الحديث كالآية أن الله عز وجل يذكر عبده إذا ذكره ولا ندري كيف يذكره وإن تقاربت في ذلك أقوال العلماء، فإن ذلك من عالم الغيب ويأتي لهذا مزيد.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [١٥٥ ـ ١٥٧].

{٧٨} ـ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«ما من عَبدٍ تُصِيبُه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجُرني في مُصيبتي، وفي رواية: اللهم عندك أحتَسِبُ مُصِيبَتِي فأجُرني فيها واخلِفْ لي خيراً منها إلا أجَرَه الله في مُصيبتِه وأخلف له خيراً منها»** فلما تُوُفّي أبو سَلَمَة قلت: مَن هو خير من أبي سلمة صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قالت: ثم عزم الله لي فقلتها، قالت: فتزوجتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه أحمد (٣٠٩/٦)، ومسلم (٢٢٠/٦، ٢٢١، ٢٢٢).

المصيبة: هي كل ما يصاب به الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله مما

يؤلمه ويسوءه حتى الشوكة يشاكها، والهم يحزنه، فإذا أصيب بشيء من ذلك فليفزع إلى ما أرشد إليه القرآن والسنة النبوية من الاسترجاع فإنه إن فعل ذلك لا بد أن يثيبه الله عز وجل على ذلك ويخلف له خيراً مما نزل به يضاف إلى ذلك ما سيغمره من صلوات الله تعالى ورحمته وهدايته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [١٥٨].

{٧٩} ـ عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وأنا يومئذ حديث السن ـ: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلا، لو كان كما تقول: كانت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يُهِلُّون لمَنَاة، وكانت مناة حَذْوَ قُدَيْدٍ وكانوا يَتحرَّجُون أن يَطَّوَّفُوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

رواه أحمد (١٤٤/٦، ١٦٢، ٢٦٧)، والبخاري في الحج، وفي التفسير (٢٤٢/٩)، ومسلم في الحج (٢٢/٩، ٢٣، ٢٤)، وأبو داود (١٩٠١)، والترمذي (٢٩٦٥)، والنسائي (٢٩٢/٦) كلاهما في التفسير، وابن ماجه (٢٩٨٦) وغيرهم.

{٨٠} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سئل: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ فقال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾. وفي رواية: كنا نرى ذلك من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الآية. وفي رواية: كانت الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الآية.

رواه البخاري في الحج، وفي التفسير (٢٤٢/٩)، ومسلم في الحج (٢٤/٩)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٦)، والنسائي في الكبرى، وابن خزيمة (٢٧٦٨) وغيرهم.

الصفا والمروة: جبلان عند المسجد الحرام وهما من شعائر الله، أي: أعلام دينه، ولذلك كان السعي بينهما من أهم فرائض الحج والعمرة بإجماع المسلمين.

وقوله: مناة: هو صنم كان لهذيل وخزاعة. وقوله: يتحرجون: أي: كانوا لا يسعون بينهما خروجاً من الحرج والإثم.

ويؤخذ من الحديثين تجنب شعائر الجاهليين والابتعاد عن أعمالهم ومراسمهم لأنها وحي من الشيطان فلنقارن بين أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين مسلمي عصرنا حيث أجمعوا ـ إلا من رحم الله ـ على اتباع الكفار في جميع عُجَرهم وبُجَرهم حتى الخارجة عن الإنسانية والملحقة بالحيوانات المتوحشة.

{٨١} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾»، ثم قال: **«أبدأ بما بدأ الله به»**.

رواه أحمد (٣٢٠/٣)، ومسلم في الحج (١٧٥/٨، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) وغيرهما في حديثه الطويل في حجة الوداع، وقد تقدم في الحج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [١٥٩].

{٨٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله تعالى ما حدثت حديثاً ثم يتلو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ إلى: ٱلرَّحِيمُ﴾، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان

يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يَلزمُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لِشِبَعِ بَطْنِه، ويَحضُر ما لا يحضرون، ويَحفَظ ما لا يحفظون.

رواه أحمد رقم (٧٢٧٣، ٧٢٧٤، ٧٦٩١)، والبخاري في العلم (٢٢٤/١)، وفي البيوع، وفي المزارعة، ومسلم في الفضائل (٥٢/١٦، ٥٣، ٥٤) وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [١٦٥].

{٨٣} - عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كلمة وقلت أخرى، قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مَن مات وهو يَدْعو مع الله نِداً دخل النار**»، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة.

رواه أحمد (٣٧٤/١، ٤٦٢، ٤٦٤)، والبخاري في الجنائز، وفي التفسير (٢٤٢/٩)، ومسلم في الإيمان (٩٢/٢، ٩٣)، والنسائي في الكبرى (٣٩٤/٦) وغيرهم.

ما في الحديث متفق عليه بين أهل السنة لا خلاف فيه بينهم خلافاً للخوارج والمعتزلة القائلين بخلود صاحب الكبيرة في النار وإن مات موحداً.

والند: هو الشريك والنظير وكان المشركون يتخذون الشركاء مع الله ويحترمونهم ويقدسونهم ويحبونهم كمحبة المؤمنين لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [١٧٢].

{٨٤} - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أيُها الناس إن اللَّه طَيِّبٌ لا يَقبلُ إلا**

طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمَرَ به المُرسلين. . فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يُطيلُ السَّفرَ أشعثَ أغبرَ يمُدُّ يده إلى السماء: يا رب! يا رب، ومَطْعَمُه حرامٌ، ومَشْرَبُه حرام، ومَلْبَسُه حرام، وغُذِّي بالحرام فأنّى يُسْتَجاب له».

رواه أحمد (٣٢٨/٢)، ومسلم في الزكاة (١٠٠/٧)، والترمذي في التفسير (٢٩٨٩)، والدارمي (٢٧٢٠)، والبيهقي (٣٤٦/٣)، والبغوي في شرح السنة (٢٠٢٨).

في الآية الكريمة امتنان من الله عز وجل على عباده بما أعطاهم من طيبات الرزق، وأرشدهم إلى الأكل منها وأن يشكروه على ما أولاهم.

أما الحديث فيدل على أنه تعالى طيب ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وأنه كذلك لا يقبل من عباده إلا ما كان حلالاً طيباً. . .

وفي الحديث أن كل من كان يعيش على الحرام أكلاً وشرباً ولباساً. . . فلا تستجاب دعوته وإن تقشف وتذلل وتضرع وأطال السفر في طاعة من الطاعات، فذلك لا يقبل منه لأنه أضاع الأصل الذي هو طيب العيش.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ الآية [١٧٨].

{٨٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان القصاص في بني إسرائيل ولم يكن فيهم الدية، فقال الله تبارك وتعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الآية.

فالعفو أن تقبل الدية في العمد، واتباع بالمعروف أن تتبع هذا بمعروف وتؤدي هذا بإحسان فخفف عن هذه الأمة. . ذلك تخفيف من

ربكم ورحمةً مما كتب على من كان قبلكم ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قتل بعد قبول الدية.

رواه البخاري في التفسير (٩/٢٤٣)، وفي الديات، والنسائي في الكبرى (٦/٢٩٥)، وفي المجتبى، وابن حبان (٧/٦٠١) بالإحسان، والبيهقي (٨/٥١، ٥٢) وغيرهم.

القصاص معناه: المساواة والمماثلة في القتل والجراح والدية.

وفي الآية الكريمة دليل على مشروعية العفو في القتل وأخذ الدية، وأن ذلك من تخفيف الله تعالى على هذه الأمة ورحمته بها، وقد كان عند اليهود قصاص بلا عفو، وعند النصارى عفو بلا دية، فجمع الله تعالى لهذه الأمة الأنواع الثلاثة.

{٨٦} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن الرُّبَيِّعَ عَمَّته كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جارية، فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الأرْشَ فأبوا، فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبَوْا إلا القِصاصَ، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقصاص. فقال أنسُ بن النضْر: يا رسول الله! أتُكْسَر ثَنِيَّةُ الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا أنس! كتاب الله القصاص**»، فرضِي القومُ فعفوا، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنّ مِن عباد الله من لو أقْسَمَ على الله لأبَرَّه**».

رواه أحمد (٣/١٢٨، ١٦٢، ٢٨٤)، والبخاري في التفسير (٩/٢٤٣)، وفي الجهاد، ومسلم في القسامة (١١/١٦٢)، وأبو داود (٤٥٩٥)، والنسائي في الكبرى (٤/٢٢٢ و ٦/٣٣٥، ٣٦٢).

الأرش: بفتح الهمزة: الدية. وفي الحديث وجوب القصاص في الأطراف وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، وفيه إثبات كرامات الأولياء فإن أنس بن النضر لما حلف أن لا تكسر ثنية الربيع أبرَّ الله قسمه ولم يحنثه إكراماً له. ولم يَرُدَّ أنسُ بن النضر حكمَ الله وإنما حلف ثقة بهم أن لا يحنثوه أو ثقة بفضل الله ولطفه أن لا يحنثه بل يلهمهم العفو كما حصل.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [١٨٠].

{٨٧} ـ عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب وهو يقول: «**إن الله قد أعطى كُلَّ ذِي حَقٍّ حقَّه فلا وصية لوارث**».

رواه أحمد (١٨٦/٤)، والترمذي في الوصايا (١٩٥٣) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (١٠٧/٤)، وابن ماجه (٢٧١٢)، والبيهقي (٢٥٦/١) وسنده صحيح وَشَهْرٌ تكلم فيه بلا حجة، كما قال النووي في شرح مسلم ثم إن له شواهد يصحح معها بلا شك. وقال الشافعي في الأم: إنه متواتر نقل كافة عن كافة.

الآية الكريمة منسوخة الحكم بهذا الحديث وبآية المواريث. نعم بقي حكمها للأقارب غير الورثة بالإجماع.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [١٨٣].

{٨٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان يومُ عاشوراء يوماً تصومُه قريش في الجاهلية، وكان رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يصومُه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فنزل صومُ رمضان هو الفرضية فمن شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء ترك.

رواه البخاري في التفسير (٢٤٥/٩)، ومسلم في الصيام، والنسائي في التفسير من الكبرى (٢٩٥/٦)، وعن ابن عمر نحوه رواه البخاري وغيره.

أجمع المسلمون على أن الواجب في الصيام هو رمضان، وأن عاشوراء نسخت فرضيته وبقي الاستحباب. وفيه مع الآية الكريمة أن الصيام كان واجباً على من قبلنا غير أنه كان عليهم شاقاً، أما هذه الأمة فهو عون لهم على التقوى وجنة لهم من المعاصي ومن النار.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [١٨٤، ١٨٥].

{**٨٩**} ـ عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، كان مَن أرادَ أن يُطْعِمَ ويَفْتَدِيَ حتى نَزلتْ الآية التي بعدها فنسختْها.

رواه البخاري في التفسير (٢٤٧/٩)، ومسلم (٢٠/٨)، والترمذي (٧٠١) بتهذيبي، وأبو داود (٢٣١٥)، والنسائي في المجتبى كلهم في الصيام، ورواه هذا في الكبرى أيضاً (٣٩٥/٦) وغيرهم.

ظاهر الحديث: أن الآية منسوخة وهو قول عامة العلماء وقد كان الصيام أولاً مفروضاً على التخيير فمن شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً عن كل يوم فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، تحتَّم الصيام وارتفع التخيير.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [١٨٦].

{**٩٠**} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شَرَفاً ولا نَعلو شَرَفاً ولا نَهْبِط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال: فدَنَا مِنّا فقال: «**يا أيها الناس! ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تَدْعُون أصَمَّ ولا غائباً، إنما تَدعون سميعاً بصيراً، إن الذين تَدعون أقربَ إلى أحدِكم من عُنُقِ راحلتِه**». وفي رواية: «**إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**».

رواه أحمد (٤٠٢/٤، ٤١٨)، والبخاري في القدر (٣٠٣/١٤)، وفي الجهاد، وفي الدعوات، ومسلم في التوبة (١٧، ٢٥، ٢٦، ٢٧)، وأبو داود وغيرهم.

قوله: شرفاً: أي: موضع مرتفع. وقوله: «**اربعوا**» بهمزة وصل مع

فتح الباء بمعنى: ارفقوا بأنفسكم لا تتعبوها برفع أصواتكم. وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، مع قوله عليه الصلاة والسلام: «**أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» الخ؛ الأولى عدم تأويله مع تنزيه الله تعالى عن الحلول والتشبيه لأن مقام الربوبية عظيم لا يدرك كنهه ولا تتصوره العقول. وفي الحديث دليل على أن من دعا الله ولو في نفسه سمعه تعالى وأجاب دعاءه وهذا من اليقينيات.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [١٨٧].

{٩١} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: كان أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطارُ فنام قبل أن يُفطِر لم يأكل ليلتَه ولا يومَه حتى يُمسي. وأن قَيسَ بن صِرْمَة الأنصاري كان صائماً فلما حضره الإفطارُ أتى امرأتَه فقال: هل عندكِ طعامٌ؟ فقالت: لا، ولكن أنطَلِقُ فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبتْه عينُه وجاءتْه امرأتُه، فلما رأته قالت: خَيبةً لك! فلما انتصف النهار غُشِيَ عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، ففرحوا بها فرحاً شديداً، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

رواه أحمد (٤/٢٩٥)، والبخاري (٥/٣١، ٣٢)، وأبو داود (٢٣١٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٩٧)، وفي المجتبى، والدارمي (١٧٠٠)، وابن خزيمة (١٩٠٤)، وابن حبان (٣٤٦٠) وغيره.

وفي رواية للبخاري رواها في التفسير (٩/٢٤٨): لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلَّه، وكان رجالٌ يَخونُون أنفُسهم

فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية، وجاء ما ذكر في سبب نزول الآية عن، جماعة من الصحابة.

الرفث هنا: المراد به الجماع. وقوله تعالى: ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: أي: تخونونها بمقارفة الجماع ليالي الصيام. وقوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟...﴾ الخ: أي: اطلبوا بمباشرة نِسائكم ونِكاحهن ما كتب الله لكم من الولد ولا يكن قصدكم مجرد قضاء الشهوة.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [١٨٧].

{٩٢} ـ عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزل: «من الفجر»، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربَط أحدُهم في رجله الخيطَ الأبيضَ والخيطَ الأسودَ ولا يزالُ يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتُهما، فأنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا إنما يعني بذلك: الليل والنهار.

رواه البخاري في الصوم، وفي التفسير (٩/٢٤٩)، ومسلم في الصيام (٧/٢٠١، ٢٠٢) وغيرهما.

{٩٣} ـ وعن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، قال له: يا رسول الله! إني أجْعَل تحتَ وِسَادَتي عِقَالَيْنِ: عِقالاً أبيضَ وعِقالاً أسودَ أعرفُ الليلَ من النهار. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ»**، وفي رواية: **«إنكَ لَعِريض القَفَا، إنَّما هو سوادُ الليل وبياضُ النهار»**.

رواه البخاري في التفسير (٩/٢٤٩)، ومسلم في الصيام (٧/٢٠٠)، وأبو داود (٢٣٤٩)، والترمذي (٢٩٧٠، ٢٩٧١)، والدارمي (١٧٠١) وغيرهم.

قوله: عقال: هو الحبل الذي يشد به البعير. قوله: «**وسادك لعريض**»: أي: نومك لعريض فهو من باب الكناية، وقيل في تفسيره غير ذلك.

وفي الحديثين مع الآية الكريمة بيان لنهاية الأكل والشرب في ليالي رمضان، وأن ذلك يبقى حتى يَبْدُوَ بياضُ النهار ظاهراً من سواد الليل، وهو الفجر الصادق الذي يمتد بياضه يميناً وشمالاً جهة الشروق.

وفي الحديثين بيان أن النصوص الشرعية تحمل على ظواهرها وحقائقها اللغوية حتى يأتي البيان الشرعي، وهذا بحمد الله مما لا ينبغي أن يختلف فيه.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [١٨٩].

{٩٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**جَعَلَ الله الأهِلَّة مواقيتَ لِلناس فصومُوا لِرؤيتِهِ، وأفطِرُوا لِرُؤيَتِه، فإن غمَّ عليكُم فعُدُّوا ثلاثين**».

رواه عبدالرزاق في المصنف (٧٣٠٦)، والحاكم (٤٢٣/١)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وله شاهد عن طلق بن علي رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٢٢/١).

كان سؤال الصحابة نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن سبب صغر الهلال وكبره، فأجابهم الله عز وجل عن حكمة تجدده كل دورة من دوراته في فلكه، وأن ذلك هو المقصود الأهم الذي ينبغي الاهتمام به والسؤال عنه لأنه جعل مواقيت لصيام الناس وإفطارهم وحجهم وعدة نسائِهم ومحل ديونهم... فلهذه الأحكام... خلقه الله كذلك لأن هذا الكون كله خلق لنا ولأجلنا وسخر لنا كل ما فيه بسمائِه وأرضه فللّه الحمد في الأولى والآخرة حمداً دائماً لا ينقطع، وجاء الحديث مصدقاً للآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١٨٩].

{٩٥} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حَجُّوا فجاؤوا لم يَدخُلوا مِن قِبَل أبواب البيوت، فجاء رجلٌ من الأنصار فدخل من قِبَلِ بابِهِ فكأنَّه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾، وفي رواية: كانوا إذا أحْرَمُوا في الجاهلية أتَوْا البيتَ من ظَهْرِه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟...﴾ الخ.

رواه البخاري في الحج، وفي التفسير (٩/٢٤٩)، ومسلم آخر الكتاب (١٨/١٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٩٧، ٢٩٨) وغيرهم.

البر: اسم جامع لكل أعمال وأقوال الخير وما كان يفعله الأنصار من إتيان البيوت من الظهور بدل الأبواب بعد قدومهم من الحج هو من وحي إبليس الذي كانوا يعتمدون عليه في حياتهم ويتبعون إرشاداته ومحدثاته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ الآية [١٩١].

{٩٦} ـ عن أبي شريح العدوي رضي الله تعالى عنه قال لعَمْرو بن سَعيد: ائذَن لِي أيُّها الأمِيرُ أُحَدِّثك قَوْلاً قام به رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الغَدَ مِن يوم الفتح فسمِعتْه أُذُنَايَ، ووعاهُ قلْبي، وأبصرتْه عينايَ حِينَ تكلم به: أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن مكة حَرَّمها الله ولم تُحرِّمها الناس، فلا يَحِلُّ لامْرِىءٍ يؤمن بالله واليومِ الآخر أن يَسْفِكَ بها دماً، ولا يَعْضِد بها شَجرة، فإنْ أحَدٌ تَرخَّص لقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقولوا له: إن الله أذن لرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعةً من نهار، وقد عادتْ حُرمتُها اليوم كحرمَتِها بالأمس، ولْيُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ...**».

رواه البخاري (٤/٤١٣، ٤١٦)، ومسلم (٩/١٢٧، ١٢٨) كلاهما في الحج، ورواه البخاري في غير موضع أيضاً. ونحوه عن جماعة من الصحابة في الصحيح وغيره.

في الحديث دليل على تحريم القتال في حرم الله المكي، وإنما أبيح ذلك لنبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ساعة من نهار يوم فتح مكة، غير أن القرآن صرح بجواز قتال من قاتل فيه دفاعاً لا ابتداء، وهكذا فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم الفتح فلم يقاتل أحداً إلا من قاتل كما هو معروف.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [١٩٣].

{٩٧} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أتاه رجلان في فِتْنَةِ ابنِ الزُّبَيْر فقالا: إن الناسَ قد ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحبُ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فما يَمنعُك أن تَخْرُجَ؟ فقال: يمنعني أن الله حَرَّم دمَ أخِي، قالا: ألم يَقل الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدِّينُ لله وأنتم تُرِيدُون أن تُقاتلوا حتى تكونَ فِتنةٌ ويكون الدين لغير الله.

وفي رواية: قال: ثَكِلَتْكَ أمُك! أتَدْرِي ما الفِتْنَةُ؟ إنما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يُقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنةً وليس يُقاتلهم على المُلك.

وفي رواية: أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبدالرحمن ما حملك على أن تَحُجَّ عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغَبَ الله عز وجل فيه، قال: يا ابن أخي! بُني الإسلامُ على خمس: إيمان بالله ورسوله، والصلوات الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت، قال: يا أبا عبدالرحمن! ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

﴿ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾، قال: فعلنا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله تعالى عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخَتَنُه وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون، وفي رواية: هذه بنته حيث ترون.

رواه البخاري بالرواية الأولى والأخيرة في التفسير (٢٤٩/٩، ٢٥٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١)، ورواه النسائي في الكبرى (٢٩٨/٦) بالرواية الثانية.

قوله: فتنة ابن الزبير: يعني: حربه مع بني أمية حيث كان استقل بالخلافة على الحرمين وما معهما فكانت بينه وبينهم حروب ومعارك أودت بانهزامه وقتله وصلبه بالحرم المكي الشريف على يد الحجاج الثقفي، وكان ابن عمر ممن لم يتدخل في تلك الفتنة فجاءه بعض من كان مغرماً بالفتن والطعن في الصحابة يلومه على تأخره ويأمره بالمشاركة في قتال الأمويين فأجابه بما ذكر في الباب وعرفهم بأنهم يسعون في الفتنة والقتال على الملك والرياسة لا كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه في القديم. والآية الكريمة تدل على وجوب قتال الكفار وخاصة الوثنيين واللادينيين حتى لا تبقى فتنة الكفر ويصبح الدين كله خالصاً لله عز وجل لا يشاركه فيه أحد، والآية محكمة معمول بها إلى يوم القيامة ويستثنى الكتابيون فلا يجبرون على الإسلام إذا أدوا الجزية.

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ [١٩٤].

{٩٨} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزَى أو يَغزُوا فإذا حضره أقام حتى ينسلخ.

رواه أحمد (٣٣٤/٣، ٣٤٥) بسند صحيح.

كانت الأشهر الحرم محترمة عند العرب حتى في الجاهلية، فلا يقاتلون فيها، فجاء الإسلام فأباح القتال فيها لمن قوتل، ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الخ: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه، فكما هتكوا حرمة الشهر واستحلوا دماءكم فيه فافعلوا بهم مثله وهذا هو الموافق لحديث الباب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ الآية [١٩٥].

{٩٩} ـ عن حذيفة رضي الله تعالى عنه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ الخ، قال: نزلت في النفقة.

رواه البخاري في التفسير (٢٥١/٩).

{١٠٠} ـ وعن أسلم بن عمران رحمه الله تعالى قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يُلْقِي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس! إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصْلَحْنا ما ضاع منها فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وترك الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

رواه أبو داود في الجهاد (٢٥١٢)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (٢٩٨/٦، ٢٩٩)، وابن حبان (٤٧١١)، والحاكم

(٢٧٥/٢)، والبيهقي (٩/٤٥، ٩٩) وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: في الروم، المراد بهم هنا الأتراك. وقوله: شاخصاً: أي: لم يزل متنقلاً من بلد إلى بلد يقاتل في سبيل الله حتى قتل في اسطنبول وبه قبره رضي الله تعالى عنه. والآية وإن كان سبب نزولها هو ترك النفقة والجهاد فهي عامة أمَّا ما فعَلَهُ ذلك المسلمُ من حَمْلِه على صَفْ الروم فهو محمودٌ وهو من الأدلة الدالة على جواز العمليات الاستشهادية ولذلك شروط ذكرها العلماء.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [١٩٦].

{١٠١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دخل على ضُبَاعَة بنتِ الزبير بن عبدالمطلب فقالت: يا رسول الله! إني أريد الحج وأنا شاكيةٌ، فقال: **«حُجّي واشترطي أن مَحِلِّي حيث حَبَسْتَني»**.

رواه البخاري في النكاح (١١/٣٥)، ومسلم في الحج (٨/١٣١، ١٣٣) وغيرهما ونحوه عن ابن عباس رواه مسلم وغيره وتقدم في الحج.

وتقدم حديثه أيضاً: أحصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فحلق وجامع نساءه ونحر هديه حتى اعتمر قابلاً، رواه البخاري.

عامة المفسرين على أن الآية نزلت في الحديبية حيث منَع كفارُ قريش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من دخول مكة فنحر هديه وحلق رأسه وأمر أصحابه بذلك، وكان الصلح بينه وبين المشركين كما يأتي في موضعه، واتفق العلماء على أن كل من أحصر ومُنِع من الحج أو العمرة فعليه أن يحِلَّ ويُهْدي ويحلق رأسه وألْحَقَ جماعةٌ من العلماء كلَّ مانع من إتمام المناسك من مرض وسيل وحيوان.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [١٩٦].

فيه حديث كعب بن عجرة في سبب نزول الآية تقدم في الحج وهو عند البخاري ومسلم.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ الآية.

{١٠٢} ـ عن عِمران بن حُصَين رضي الله تعالى عنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ففعلناها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يَنزل قرآنٌ يُحَرِّمُها ولم ينه عنها حتى مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال رجل برأيه ما شاء.

رواه البخاري في التفسير (٩/٢٥٢) وغيره، ومسلم في الحج، والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٠) وغيرهم.

المراد بالمتعة هنا متعة الحج وهي تقديم العمرة والتحلل منها ثم يحج من العام، وقد أخبر الله تعالى في هذه الآية عنها وشرعها لعباده وأمر بها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كلَّ من لم يكن معه هديٌ من أصحابه وتمنَّى هو فعلها وأحاديث مشروعيتها متواترة ومن أحرم بالتمتع وجب عليه ما تيسر من الهدي فمن لم يتمكن منه فعليه صيام ثلاثة أيام قبل عرفة وسبعة أيام إذا رجع لبلاده.

قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ الآية [١٩٧].

{١٠٣} ـ عن أبي العالية رحمه الله تعالى قال: كنت أمشي مع ابن عباس وهو محرم وهو يرتجز بالإبل ويقول: «وهنَّ يَمْشِين بنا هَميساً»، فقلت: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما روجع به النساء.

رواه ابن جرير (٢/٢٦٣)، والحاكم (٢/٢٧٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

وحديث: «**من حج هذا البيت فلم يرفث..**» الخ، تقدم في الحج.

الرفث: بفتحتين في الآية، والرفث هنا هو الجماع ومقدماته من كلام وغمز ولمس وتقبيل ومعانقة وكل ذلك محرم حالة الإحرام بالإجماع، والآية جاء فيها بلفظ النفي ومعناه النهي.

قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [١٩٧].

{١٠٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ...﴾ الخ، قال: كان ناس يحجون بغير زاد فنزلت: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ الآية. وفي رواية: كان أهل البيت يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قَدِمُوا المدينة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ الآية.

رواه البخاري في الحج (٤/١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٠)، وابن جرير (٢/٢٧٩) وغيرهم.

المحققون من العلماء على أن التوكل لا يكون مع السؤال، وأن التزود لا ينافي التوكل المطلق كسائر الأسباب، وهذا بالنسبة للزاد المادي، أما الزاد الروحي وهو تقوى الله تعالى لا بد منه لأنه سبب لدخول الجنة، فالتوكل والاعتماد على الله في دخولها بلا عمل هو أمنية بل جهالة وسفاهة.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ﴾ [١٩٨].

{١٠٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت عُكاظ ومجَنة وذو المَجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يَتَّجِروا في المواسم،

فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟﴾ الخ في مواسم الحج.

رواه البخاري في الحج (٣٤٢/٤، ٣٤٤)، وفي التفسير (٢٥٢/٩)، وابن جرير (٢٨٣/٢)، والحاكم (٢٢٧/٢) بنحوه.

كان أهل الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق أيام موسم الحج ويشربون الخمر ويفخرون ويتفاخرون وقد يقضون فيها شهوراً قبل الموسم، فلما جاء الإسلام وعرفوا ما كانوا يفعلون بهذه الأسواق من الوقوع في الآثام وخافوا من الإثم إن اتجروا فيها رفع الله عنهم الحرج وأباح لهم طلب الربح والفضل بالتجارة ما داموا يؤدون مناسك الحج كاملة على وجهها الأتم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [١٩٨].

تقدم حديث عبدالرحمن الديلي: «الحج عرفة»، وحديث عروة بن مُضَرِّس: «مَن شَهِدَ صَلاتَنَا هذه فَوَقَفَ مَعَنا» الخ في الحج، وكذا حديث جابر الطويل وفيه: «وقفتُ هٰهنا وعرفةُ كلُّها موقِفٌ، ووقفتُ هٰهنا وجَمْعٌ كلها موقف»، وقد تقدم أيضاً في الحج.

الإفاضة: الدفع، والمشعر الحرام: هو المزدلفة، وتقدمت أحكام ذلك في الحج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [١٩٩].

{١٠٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت قريش ومن دانَ دينَها يقفون بالمزدلفة وكانوا يُسَمَّوْن الحُمْسَ وكان سائرُ العرب يقِفُون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يُفيضُ منها فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

رواه البخاري في التفسير (٢٥٣/٩)، ومسلم (١٩٧/٨)، وأبو داود

(١٩١٠)، والترمذي (٧٨٤) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٠٠/٦)، وفي المجتبى وغيرهم.

قوله: الحمس بضم الحاء وسكون الميم: سموا بذلك لتشددهم في دينهم كما كانوا يزعمون. وقوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ..﴾ الخ معناه: ثم ادفعوا من عرفات مع الناس إلى المزدلفة.

والآية والحديث يدلان على وجوب الوقوف بعرفة ثم الدفع منها إلى المزدلفة وذلك مخالفة لمشركي مكة الذين كانوا يقفون بالمزدلفة ولا يخرجون إلى عرفة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [٢٠١].

{١٠٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اللَّهم آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار**».

رواه أحمد (١٠١/٣، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٧٧)، والبخاري في التفسير (٢٥٤/٩)، وفي الدعوات، ومسلم في الذكر والدعاء (١٦/١٧) وغيرهم.

الحسنة في الدنيا: الإيمان، والعمل الصالح، والمال الحلال، والزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الحسن.. وحسنة الآخرة: المغفرة، ودخول الجنة، ورضوان الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [٢٠٣].

تقدم حديث نُبَيْشَةَ؛ «أيامُ التشريق أيامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ الله» في الحج وهو في صحيح مسلم وغيره، وكذا حديث عبدالرحمن الديلمي تقدم في الحج.

والأيام المعدودات المأمور بذكر الله تعالى فيها هي أيام منى.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [٢٠٤].

{١٠٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أبْغَضُ الرِّجَالِ إلى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**».

رواه أحمد (٥٥/٦، ٦٣، ٢٠٥)، والبخاري في التفسير (٢٥٤/٩)، وفي المظالم وفي الأحكام، ومسلم في العلم (٢١٩/١٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٦)، والنسائي في الكبرى (٣٠١/٦)، وفي المجتبى، وابن حبان (٥٦٩٧) وغيرهم.

الألد بفتح اللام الثانية والخصم بفتح الخاء وكسر الصاد: هو الكثير الخصام، والألد: الشديد الخصومة، فهذا الصنف من الناس أبغضهم إلى الله عز وجل وهو يتجلى في المحامين المبطلين وبعض المغرمين بالخصام والجدال في المسائل الخلافية بين العلماء.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٢١٣].

{١٠٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**نحنُ الآخِرُون الأَوَّلُون يومَ القيامةِ، نَحنُ أوَّلُ الناسِ دُخولاً الجنةَ، بَيْدَ أنَّهُم أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلِنَا وأوتِينا مِن بعدِهِم فهدَانا اللَّهُ لما اختلفوا فيه مِن الحقِّ بإذنِه فهذا اليومُ الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ، فغداً لليهود، وبعدَ غدٍ للنصارى**».

رواه عبدالرزاق في التفسير (٨٢/١، ٨٣)، وأحمد (٢٧٤/٢)، والبخاري (٤/٣، ٦)، ومسلم (١٤٢/٦، ١٤٤)، وابن جرير (٢٣٨/٢،

٢٣٩)، وابن أبي حاتم (٣٧٧/٢) وهو بذكر الآية عند عبدالرزاق، وابن أبي حاتم، وابن جرير وسندهم صحيح.

{١١١٠} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «**اللَّهم ربَّ جبريلَ ومِيكائِيلَ وإسرافيلَ فاطِرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ أنتَ تَحْكُمُ بين عبادِكَ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُون، اهْدِنِي لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنِك إنك تَهْدِي من تَشاء إلى صراطٍ مستقيم**».

رواه أحمد (١٥٦/٦)، ومسلم في صلاة الليل (٥٦/٦، ٥٧).

في الحديث الأول فضل هذه الأمة على غيرها، وسيأتي ذلك في الفضائل بحول الله. أما الحديث الثاني ففيه مشروعية الدعاء بما فيه عند قيام الليل وهو من دعاء الاستفتاح، وفيه اقتباس من الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [٢١٩].

{١١١١} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: اللَّهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ...﴾ الخ.

فدُعِيَ عمر فقرئَت عليه فقال: اللَّهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ الآية، فكان منادي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا أقامَ الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكرانُ، فدُعِي عمرُ فقرئت عليه فقال: اللَّهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في المائدة، فدُعِي فقرِئت عليه فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، قال عمر: انتهينا، انتهينا.

رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي في تفسير المائدة (٣٠٤٩)، والنسائي في الأشربة، والحاكم (٢٧٨/٢ و ١٤٣/٤)، والبيهقي (٢٨٥/٨) وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ونقل ابن كثير في التفسير ثم الحافظ في

الفتح أن علي بن المديني والترمذي صححا هذا الحديث ولمعناه شاهدان في الجملة عن أبي هريرة عند أحمد، وعن ابن عمر عند الطيالسي.

كان لتحريم الخمر ثلاثة أدوار كما بيَّنه الحديث، وذلك نظراً لما كان عليه المجتمع الجاهلي من تأثرهم بشربها، فاقتضت الحكمة الإلٰهية تحريمها تدريجياً وحتى يقفوا على مضارها عقلياً واجتماعياً، ويشاهدوا ما يؤول إليه أمرها، وأمر شاربها كما سيأتي بيان ذلك في المائدة إن شاء الله تعالى.

وفي الآية الكريمة دليل على أن جانب المفسدة مقدم على جانب المصلحة وهي قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي، وأصل من أصول الدين، لأن الشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، أو بعبارة جلب النافع ودفع الضار فأيهما كان أرجح قدم، ومنافع الخمر والميسر لا تقاوم مفاسدهما، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ [٢١٩].

{١١٢} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لرجل: **«ابْدَأْ بنفسِك فتصدَّقْ عليها، فإن فضَلَ شيءٌ فلأهلِك، فإن فضَل شيءٌ عن أهلِك فلِذِي قرابَتِك، فإن فضَل عن ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا..»**.

رواه مسلم في الزكاة (٨٣/٧)، وأبو داود (٣٩٥٧)، والنسائي في البيوع (٣٠٤/٧)، وكذا أحمد (٣٩٩/٣)، والطيالسي (١٧٤٨)، وابن حبان (٣٣٣٩)، والبيهقي (٣٠٩/١٠) وغيرهم.

{١١٣} ـ وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يا ابْنَ آدَمَ! إنك إن تَبْذُل الفضلَ خيرٌ لك، وإن تُمْسِكْه شَرٌّ لك، ولا تُلامُ على كَفَافٍ وابدأْ بمن تَعُول، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفْلَى»**.

رواه مسلم في الزكاة (١٢٦/٧، ١٢٧).

في الحديثين بيان لما ينبغي أن ينفقه الإنسان مما سأل عنه الصحابة وهو الفضل والعفو الذي يبقى عند الشخص من النفقات الواجبة عليه. وفي حديث أبي أمامة بيان أن إمساك المال لغير حاجة هو شر للإنسان وأنه لا لوم عليه ولا عتاب فيما يحتاجه من الرزق الضروري وهو المسمى بالكفاف أي: الكافي بلا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [٢٢٠].

{١١٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾، انطلق من كان عنده يتيمٌ فَعزَل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه فجَعَل يفضل له الشيء من طعامه فيُحْبَسُ له حتى يأكلَه أو يَفسُدَ فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية، فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم.

رواه أبو داود في الوصايا (٢٨٦٣)، والنسائي في الكبرى (٦٤٩٦، ٦٤٩٧)، وابن جرير (٢/٣٦٩، ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (٢/٣٩٥)، والحاكم (٢/٢٧٨، ٢٧٩)، وصححه ووافقه الذهبي، ولا يضر هنا عطاء بن السائب لاتفاق المفسرين على ما في الحديث، ورووا ذلك عن مفسري الصحابة والتابعين.

قوله تعالى: ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾، العنت: بفتحتين هو المشقة أي: لو أراد الله لأدخل عليكم الحرج وشدد عليكم في أمور اليتامى ولكنه يسَّر عليكم في مخالطتهم بأموالكم على وجه المصلحة.

وفي الآية دليل على أن القيام بشؤون أموال اليتامى يجب أن يكون

على وجه المصلحة، ذلك أن الإساءة إلى اليتامى بأي طريق كانت تعتبر من كبار الذنوب، ولذلك رغب الإسلام في الإحسان إليهم ومراعاة جانبهم وجعل كافل اليتيم مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [٢٢٢].

{١١٥} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ الآية.

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اصْنَعُوا كُلَّ شيءٍ إلاَّ النكاح**»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أُسَيْد بن حُضَيْر وعَبّادُ بن بِشْرٍ رضي الله تعالى عنهما فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن، فتغير وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هَدِيَّةٌ من لَبَنٍ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما.

رواه أحمد (٣/١٢٢، ٢٤٦، ٢٤٧)، ومسلم (٣/٢١١)، وأبو داود (٢٥٨، ٢١٦٥)، والترمذي (٢٩٧٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٠١)، وفي المجتبى (١/١٥٣)، وابن ماجه (٦٤٤)، والدارمي (١٠٥٨) وغيرهم.

لم يؤاكلوها: أي: لم يأكلوا معها على مائدة واحدة. ولم يجامعوهن في البيوت: أي: لم يساكنوهن ما دمن متلبسات بالحيض.

والحديث يدل على وجوب مخالفة اليهود في شؤونهم التي يختصون بها. وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن مخالفة الكفار من أهم مقاصد البعثة النبوية. وفيه جواز التمتع بالزوجة ولو كانت حائضاً، وإنما الممنوع

مواقعتها في محل الأذى أيام الحيضة، ولا خلاف بين المسلمين في تحريم إتيان الحائض أيام دورتها الشهرية.

قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [٢٢٣].

{١١٦} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كانت اليهود تقول: مَن أتى امرأتَهُ في قُبُلِها من دُبُرِها كان الولدُ أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

رواه البخاري في التفسير (٩/٢٥٧)، ومسلم في النكاح (١٠/٦، ٧)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٨)، وأبو داود (٢١٦٣)، وابن ماجه (١٩٢٥)، والنسائي، وأبو يعلى وغيرهم.

زاد مسلم: إن شاء مُجَبِّيَةً وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد.

{١١٧} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عمر رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هلكتُ، قال: **«وما أهلكَكَ؟»**، قال: حوّلتُ رحلي، قال: فلم يرد عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شيئاً، فأنزل الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ الخ، فقال الرسول: **«أقبل وأدبر واتّقِ الدُّبُرَ والحَيْضَةَ»**.

رواه أحمد (١/٢٩٧)، والترمذي (٢٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٢)، وابن حبان (٤١٩٠)، وأبو يعلى (٢٧٣٦)، والبيهقي (٧/١٩٨) بسند صحيح.

{١١٨} ـ وعن ابن عباس أيضاً قال: إن ابن عمر والله يغفر له أوهم إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون أن لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف،

وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات؛ فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى شَرِيَ أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، أي: مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات يعني بذلك: موضع الولد.

رواه أبو داود في النكاح (٢١٦٤)، والحاكم (٢/٢٧٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: جاء الولد أحول: يعني: تكون عيناه مائلتين إحداهما لأنفه والأخرى لصدغه. وقوله: مُجَبِّيَة بضم الميم وفتح الجيم وكسر الباء المشددة أي: تكون على وجهها باركة على ركبتيها. وقوله: في صمام واحد: يعني به: الفرج. وقوله: حولت رحلي: يريد أنه واقع زوجته من جهة ظهرها في قبلها وكنى عن ذلك بالرحل لأن المجامع يعلو ويركب المرأة مما يلي وجهها فحيث ركبها من جهة ظهرها فقد حول رحله وهذا الأدب في التعبير من سيدنا عمر جميل.

وقوله: على حرف: أي: كانوا يجامعونهن منحرفات على جوانبهن.

وقوله: يشرحون: يعني: يطؤونهن مستلقيات على القفا.

وقوله: شَرِيَ بفتح الشين وكسر الراء: أي: ارتفع وتفاقم شأنهما وما فعلاه.

وهذه الأحاديث كلها تدل على أن الآية نزلت بهذه الأسباب ولا مانع من التعدد كما أنها تحوم حول إتيان المرأة في قبلها، وأن الإنسان له أن يأتيها من أي جهة شاء إذا كان في فرجها، لأنه محل الحرث والزرع، وقد

جاءت أحاديث كثيرة صحيحة تقتضي تحريم إتيان المرأة في دبرها، وقد ذكرت خلاصة ما قيل في ذلك في «الجواهر واللآلىء المصنوعة» فارجع إليه فإنه مفيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [٢٢٤].

{١١٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صوتَ خصُوم بالباب عالية أصواتُهما وإذا أحدُهما يَسْتَوْضِع الآخر ويَسْتَرْفِقُه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليهما فقال: «**أيْنَ المُتَأَلِّي على الله لا يَفعلُ المَعروفَ**»، قال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب.

رواه البخاري في أوائل الصلح (٢٣٦/٦)، ومسلم في المساقاة (٢١٩/١، ٢٢٠) وغيرهما.

قوله: يستوضع: أي: يطلب منه أن يضع عنه بعض ما عليه من الدين ويطلب منه أن يرفق به.

وقوله: المتألي بضم الميم وفتح التاء والهمزة ثم لام مكسورة مشددة: هو الحالف.

والحديث موافق للآية الكريمة في المنع من الحلف بالله على ترك البر والخير وأن يجعل الإنسان يمينه بالله مانعة له من المعروف، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي﴾ الخ، فالاستمرار على اليمين آثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما جاء في حديث بذلك يأتي في الأيمان والنذور.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [٢٢٥].

{١٢٠} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نزل في قول الرجل: لا والله بلى والله.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٤٤، ٣٤٥)، ورواه أبو داود (٣٢٥٤) مرفوعاً، والنسائي في الكبرى (٦/٢٢٦) موقوفاً. وهو من قبيل المرفوع.

لغو اليمين: هو الذي لا يعتد به ولا فيه كفارة ولا إثم، لأنه يكون عن غير قصد ولا عقد بالقلب، ولذلك عقب الله ذلك بقوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي: عقدتم بقلوبكم كما في آية المائدة: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾.

ومن هذا القبيل ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**من حَلف فقال في حَلِفِه: باللاَّتِ والعُزَّى فليقل: لا إله إلا الله**»؛ لأن القوم كانوا حديثي عهد بالجاهلية قد أسلموا وأَلْسِنَتُهم قد أَلِفَتْ ما كانت عليه بالحلف باللات من غير قصد، فأُمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه؛ قاله ابن كثير.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ الآية [٢٢٦].

{١٣١} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: آلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من نسائه وكانت انفكّت رِجْلُه فأقام في مَشْرُبَةٍ له تسعاً وعشرين، فقيل: يا رسول الله! إنك آليت شهراً، قال: «**إن الشهر تسعٌ وعِشرون**».

رواه البخاري في النكاح (١١/٢١٢) وغيره، ونحوه عنده (٢١٣) عن أم سلمة ويأتي مطولاً في التحريم عن عمر رضي الله تعالى عنه إن شاء الله تعالى.

يؤلون: الإيلاء في اللغة: هو الحلف، وفي عرف الشرع: الحلف عن الامتناع من وطء الزوجة. وفي حديث أنس وأم سلمة... ما يدل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم آلى من نسائه شهراً لأسباب اقتضت ذلك له كما هو مبين في أحاديث أخرى، والآية الكريمة صرحت بأن من

آلى من نسائه له أن يتربص أربعة أشهر فإذا مضت كان بين أمرين إما أن يرجع إلى معاشرة زوجته، وإما أن يطلق، هذا هو ظاهر الآية الكريمة وللفقهاء مذاهب في ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [٢٢٨].

{١٣٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ الآية، وذلك أن الرجل كان إذا طلّق امرأته فهُو أحقّ برَجْعَتِها وإن طلَّقَها ثلاثاً فنُسِخَ ذلك فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

رواه أبو داود (٢١٩٥)، والنسائي (٦/٢١٢) بنحوه كلاهما في الطلاق وسنده حسن.

{١٣٣} ـ وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك وإن طلقها ألف مرة فعمد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال: لا والله لا آويك إليَّ ولا تَحِلّينَ أبداً، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ﴾ الخ، فاستقل الناس الطلاق جديداً من ذلك من كان طلق أو لم يطلق.

رواه مالك في الموطأ رقم (١٢٨٢)، وابن جرير (٢/٤٥٦)، وابن أبي حاتم (٢/٤١٨) وغيرهم هكذا مرسلاً وسنده صحيح، ورواه الترمذي في الطلاق (١٠٧٤) بتهذيبي موصولاً ومرسلاً وكلاهما صحيح، ورواه الحاكم (٢/٢٧٩، ٢٨٠) موصولاً، وصححه ووافقه الذهبي.

قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي: ينتظرن.

وقوله: ﴿قُرُوٓءٍ﴾: جمع قرء بضم القاف وهو من المشترك اللفظي جاء في اللغة بمعنى الطهر والحيض معاً وبالمعنى الأول قال الجمهور، وبالثاني قال أبو حنيفة.

وقوله: شارفتْ: أي: قاربت.

وقوله: لا آويك: أي: لا أسكنك في منزلي كزوجة لي.

وقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ معناه: أن الطلاق الذي تصح معه وبعده المراجعة هو الطلاق الأول والثاني فبعد ذلك إما أن يمسكها ويعاشرها بالمعروف، وإما أن يسرحها ويطلقها بإحسان بلا إضرار، وبعد هذه الطلقة الثالثة تحرم عليه حتى تتزوج زوجاً آخر فكانت الآية الكريمة إبطالاً لما كان عليه أهل الجاهلية من ظلم المرأة والإضرار بها ثم إعطاءها حقها وحل مشكلتها وبيان ما يجب أن تعامل به من طرف زوجها.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [٢٢٨].

{١٢٤} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: **«فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذْتُمُوهُنَّ بأمانةِ الله واستحلَلْتُم فُروجَهُنَّ بكلِمَةِ الله ولكُم عليهِن أن لا يُوطِئْن فُرُشَكُم أحداً تكرهونَه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضَرباً غيرَ مُبَرِّح، ولهُنَّ رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف»**.

رواه مسلم في صفة حجة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (١٨٣/٨) مطولاً، وتقدم في الحج ونحوه عن أبي الأحوص رواه الترمذي وغيره. ويأتي لهذا مزيد في النكاح.

{١٢٥} ـ وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله! ما حق زوجة أحدنا؟ قال: **«أن تُطْعِمَها إذا طَعِمْتَ، وتَكْسُوهَا إذا اكْتَسَيْتَ، ولا تَضْرِب الوَجْهَ ولا تُقَبِّح، ولا تهجُر إلا في البيت»**.

رواه أحمد (٤٤٧/٤)، و (٣/٥)، وأبو داود (٢١٣)، وابن ماجه (١٨٥٠) كلاهما في النكاح بسند صحيح.

قوله: **«بأمانة الله»** وكلمة الله هي قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ الآية، أو كلمة التوحيد، أو قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الخ، أو الإيجاب والقبول..

وقوله: «مبرح» بضم الميم وفتح الباء وكسر الراء المشددة: هو الضرب الشديد الشاق.

وقوله: «ولا تقبح»: أي: لا تقل لها قبحك الله...

وفي الحديثين بيان بعض حقوق كل من الزوجين على الآخر وبيانها مستوفىً في كتب السنة والفقه الإسلامي. ويأتي ذلك في كتاب النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [٢٢٩].

{١٣٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن امرأة ثابت بن قيس بن شَمَّاس أتت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله! ما أَعْتِبُ على ثابت بن قيس في دينٍ ولا خُلُقٍ، ولكني أكره الكفر في الإسلام لا أُطِيقُه بُغْضاً، فقال لها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أَتَرُدِّينَ إليهِ حديقَتَه؟»**، قالت: نعم، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«اقبَل الحديقةَ وطلِّقها تطليقة»**.

رواه البخاري (٣١٦/١١، ٣٢٠)، والنسائي (٣٢٤٠)، ورواه أيضاً (٣٢٣٩) عن حبيبة بنت سهل بسند صحيح، ورواه أحمد (٣/٤) عن سهل بن أبي حثمة.

قوله: ما أعتب، في رواية: ما أعيب عليه.

وقولها: لا أطيقه بغضاً، في رواية عند ابن ماجه: والله لولا مخافة الله إذا دخل عليّ بصقت في وجهه.

وقولها: ولكني أكره الكفر في الإسلام: أي: أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضي الكفر.

امرأة ثابت بن قيس هي جميلة بنت أُبيّ أختُ عبدالله بن أُبيّ رأس المنافقين وكانت ذات حسن وجمال وكان ثابت بن قيس فيه دمامة شديد

السوادُ، قصير القامة، قبيح الوجه مع صلاحه وفضله وبشارته بالجنة، فأبغضته أشد البغض، فشكت حالها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأشار عليها بالخلع وفداء نفسها بردها عليه ما أصدقها في مقابلة طلاقها.

وفي هذا الحديث مشروعية خلع المرأة نفسها من زوجها إذا تعذرت العشرة الزوجية مع قيام حدود الله وكان الشقاق حاصلاً من قبل المرأة كما في هذه القصة وهي مبينة للآية الكريمة. أما في غير ذلك فلا يحل له أخذ شيء منها كما يدل عليه أول الآية، وكما في آية النساء: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [٢٣٠].

{١٢٧} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ قال: **«لا، حتى يذوق عُسَيلَتَها»**.

رواه البخاري (٢٨٣/١١)، ومسلم (٤/١١) كلاهما في الطلاق.

«حتى يذوق عسيلتها»: هو كناية عن حلاوة الجماع الذي يحصل بتغييب الحشفة في الفرج.

والحديث يدل على أن المطلقة ثلاثاً لا تحل للأول حتى تنكح زوجاً آخر عملياً مع إيلاج، وقد أجمع الأئمة على ذلك إلا قولاً لسعيد بن المسيب وسيأتي مزيد لهذا في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [٢٣٢].

{١٢٨} ـ عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: كانت لي أخت

تُخطَب فأمنعها، فخطبها ابن عم لي فزوّجتها إياه فاصْطَحَبا ما شاء الله أن يصطحبا ثم طلقها طلاقاً له عليها رجعة فتركها حتى انقضت عدتها وخطبها الخطاب، جاء فخطبها فقلت: يا لكع! خُطِبتْ أختي فمنعتُها الناس وآثرتُك بها طلقتها، فلما انقضت عدتها جئت تخطبها لا والله الذي لا إله إلا هو لا أزوّجُكها، ففي نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الآية، فقلت: سمعاً وطاعة، كفرت عن يميني وأنكحتُها.

رواه البخاري في التفسير (٢٥٨/٩، ٢٥٩)، وفي النكاح (٩١/١١، ٩٢، ٤٠٨)، وأبو داود في الطلاق (٢٠٧٨)، والترمذي في التفسير (٢٩٨١)، وعند الترمذي: فهويها وهويته.

الآية مع سببها نص في أن المرأة لا ولاية لها في النكاح لا لنفسها ولا لغيرها كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وقال به كل الأئمة إلا من شذ عن ذلك.

❁ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [٢٣٤].

{١٣٩} ـ عن ابن الزبير قلت لعثمان رضي الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ الآية، قال: قد نسختها الآية الآخرى. فلِمَ تَكْتُبُها أو تَدَعُها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

رواه البخاري (٢٥٩/٩)، والإسماعيلي كما في الفتح.

ما حصل بين ابن الزبير وعثمان رضي الله تعالى عنهم هو المتفق عليه بين العلماء بل كل الأئمة، فآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾، إلخ، هي منسوخة حكماً بآية الباب رغم أن الناسخة مقدمة في المصحف الكريم والمنسوخة مؤخرة لأنها كذلك كتبت في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولذلك أبقاهما سيدنا عثمان على حالتيهما عند كتابته المصحف. وذلك يدل على أن ترتيب

المصحف بسوره وآياته توقيفي لا دخل لأحد في اختيار ترتيبه، وقد نقل غير واحد الإجماع على هذا، وقالوا: إن ترتيب القرآن الموجود بين أظهرنا نزل كذلك من اللوح المحفوظ، ولهذا قال سيدنا عثمان لابن الزبير: يا ابن أخي لا أغيّر شيئاً منه من مكانه فرضي الله تعالى عنه.

فالأمة الإسلامية بأجمعها مدينة لعمله في القرآن كأخويه السابقين أبي بكر وعمر وجميع من شارك في جمعه وكتابته فرضي الله تعالى عنهم جميعاً وجزاهم عن خدمة القرآن وعنا خير الجزاء.

{١٣٠} ـ وعن أم عطية رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤمِن باللَّهِ واليومِ الآخَر أن تُحِدَّ فوقَ ثلاثٍ إلا على زوج أربعةَ أشهُرٍ وعشراً فإنها لا تَكْتَحِلُ ولا تلبسُ ثوباً مَصْبُوغاً إلا ثوبَ عَصْبٍ ولا تَمَسُّ طِيباً إلا إذا طَهُرَتْ من مَحِيضِها نُبْذَةً من قُسْطِ أظْفارٍ»**.

رواه أحمد (٦/١٨٤، ١٨٥)، والبخاري (١١/٤١٧)، ومسلم (١٠/١١٨)، وأهل السنن إلا الترمذي، وتأتي في النكاح أحاديث من هذا القبيل إن شاء الله تعالى.

قوله: **«أن تحد»** بضم التاء وكسر الحاء: الإحداد: هو حزن المرأة على زوجها وتركها ما فيه زينة ما دامت في عدتها عدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام وهذا في غير الحامل. أما الحامل فعدتها وضع حملها أياً كان وقته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية [٢٣٥].

{١٣١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال في قوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾، هو أن يقول: إنّي أُريدُ التزوج وإن النساء لمن حاجتي، ولودِدْتُ أن تُيَسَّرَ لي امرأةٌ صالحةٌ.

رواه البخاري في النكاح (١١/٨٣)، وابن جرير (٢/٥١٧، ٥١٨) وغيرهما.

قوله: ﴿عَرَّضۡتُم﴾: التعريض هو أن يذكر المتكلم شيئاً يدل به على شيء آخر لم يذكره، وهذا التفسير الذي ذكره ابن عباس متفق عليه بين السلف، وأجمع العلماء على تحريم خطبة المرأة في عدتها صراحة سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها.

قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ الآية [٢٣٦].

{١٣٢} ـ عن سهل بن سعد وأبي أُسَيْد رضي الله تعالى عنهما قالا: تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أُمَيْمَة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أُسَيْد أن يُجَهِّزها ويكسوها ثوبين أزرقين. وفي رواية: قال لها: هَبِي نَفْسَكِ لي، فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسُّوقَة، فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: **«قد عذت بمعاذ»**، فقال: **«يا أبا أسيد! اكسها رازقيين وألحقها بأهلها»**. ونحوه عن عائشة ويأتي في النكاح.

رواه البخاري في الطلاق (٢٧٥/١١).

الآية الكريمة تدل على جواز طلاق المرأة قبل مسيسها وقبل فرضية صداقها وأن على الزوج أن يمتعها ثياباً أو حلياً أو مالاً.

والحديث يدل أيضاً على الطلاق قبل الدخول وعلى تمتيع المطلقة وقتئذ، والرازقيين: براء ثم زاي وهي ثياب من كتان بيض طوال.

قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [٢٣٨].

{١٣٣} ـ عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم الأحزاب: **«شَغَلُونا عن الصلاةِ الوُسْطى صَلاةِ العصر مَلأ اللَّهُ بُيوتَهم وقُبُورَهُم نَاراً»** ثم صلاها بين العشاءين: بين المغرب والعشاء.

رواه أحمد (١/٨١، ١١٣، ١٤٦، ١٥١)، والبخاري في التفسير (٩/٢٦١)، ومسلم في الصلاة (٥/١٢٨)، وأهل السنن وغيرهم.

الحديث نص في أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، فالكلام والخلاف فيها بعد هذا ضائع.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [٢٣٨].

{١٣٤} ـ عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كُنَّا نتكلمُ في الصلاة يُكَلِّمُ أحدُنا أخاه في حَاجَتِه حتى نزلت هذه الآية: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ... وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأُمِرْنَا بالسُّكُوتِ ونُهِينَا عَنِ الكلامِ.

رواه أحمد (٤/٣١٨)، والبخاري (٩/٢٦٥)، ومسلم (٥/٢٦)، وأهل السنن وغيرهم.

الحديث يدل على أن الآية نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، وأن معنى القنوت هنا السكوت، أي: قوموا لله ساكتين وهذا أحد معانيه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ [٢٣٩].

{١٣٥} ـ عن نافع رحمه الله تعالى: أن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان إذا سُئِل عن صلاة الخوف قال: يَتَقدَّمُ الإمامُ وطائِفَةٌ من الناس، فيُصلي بهم الإمام ركعة، وتكونُ طائِفةٌ منهم بينهم وبين العدُوِّ لم يُصلوا، فإذا صلوا الذين معه ركعةً، استأخروا مكانَ الذين لم يُصلوا ولا يُسلِّمون، ويَتقدمُ الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعةً ثم ينصرف الإمام وقد صلَّى ركعتين، فيقومُ كلُّ واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسِهم ركعة بعد أن يَنصَرِف الإمامُ، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين، فإن كان خوفٌ هو أشد من ذلك صلوا رِجالاً قياماً على أقدامِهم أو رُكْباناً، مُسْتَقْبِلِي القبلة أو غير مُستقبليها.

قال مالك: قال نافع: لا أرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري بهذا السياق في التفسير (٢٦٧/٩)، ومسلم في صلاة الخوف (١٢٤/٦، ١٢٥)، زاد مسلم في رواية: «فإذا كان خوفٌ أكثر من ذلك فصلِّ راكباً أو قائماً تومىء إيماءً».

صلاة الخوف وردت على هيئات وصفات، وأصولها ست وما ذكر هنا واحدة منها وقد صلاها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في عدة غزوات.

والآية الكريمة دلت على الرخصة في صلاتها قياماً وقعوداً، رجالاً وركباناً، وهذا من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده عند اشتداد الخوف ويأتي مزيد للموضوع في سورة النساء إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [٢٤٩].

{١٣٦} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كُنَّا أصحابَ محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نَتحدَّثُ أن أصحابَ بَدْرٍ على عِدَّةِ أصحابِ طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزْ معه إلا مؤمنٌ بِضعةَ عشر وثلاثمائة.

رواه البخاري في المغازي (٢٩٣/٨، ٢٩٤)، وابن جرير (٦٢١/٢) وغيرهما.

الآية الكريمة جيء بها لبيان قصة طالوت في قتاله لجالوت، وكان الله تعالى اختبر جيش الإسرائيليين بنهر من الماء وقد عطشوا فمن

شرب منه كان بريئاً منه، ومن لم يشرب كان ولياً له مخلصاً لله تعالى فجاوز النهر هو وثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ممن لم يشرب إلا غرفة بيده، فلما رأوا جيش جالوت الجرار قالوا: لا طاقة لنا اليوم بهم، فطمأنهم أهل اليقين من علمائهم وصلحائهم الربانيين بأن النصر ليس بكثرة القوة والعدد، فكثيراً ما غلبت الجماعة القليلة الجيوش الكثيرة العرمرمة بإرادة الله تعالى وإذنه وعونه، فالنصر من عند الله ينصر من يشاء.

ولذلك لما اصطف الجيشان وتقاتلوا قتل نبي الله داود عليه السلام الرئيس الطاغية جالوت فانهزم جيشه وانتصر المسلمون، والقصة مبسوطة في القرآن الكريم وهكذا وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه مع كفار قريش ببدر فأيده الله عليهم مع وفرة عددهم وكثرة قوتهم وقلة الصحابة وكانوا كعدد جيش طالوت الذين قاتلوا معه، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [٢٥٥].

{١٣٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: وكَّلَنِي رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحِفْظِ زكاةِ رمضان فأتاني آتٍ فجعل يَحْثو من الطعام فأخذتُه وقلت: لأرفعنَّك إلى رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: إني مُحتاجٌ وعليَّ عِيَالٌ ولِي حَاجةٌ شديدةٌ فخلَّيت عنه فأصبحتُ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا أبا هريرة! ما فعل أسيرُك البارحة؟**»، قال: قلت: يا رسول الله! شَكى حاجَةً شديدةً وعيالاً فرحِمْتُه فخلَّيتُ سبيلَه، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنه سيعود**»

فرَصَدته، فجاء يَحثُو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعَنَّك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فوقع منه ذلك ثلاث ليال فقال له: وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعودُ ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الخ، حتى تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلّيتُ سبيله فأصبحتُ فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما فعل أسيرك؟**»، قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: ما هي؟ قال: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الخ، وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما إنه قد صَدقك وهو كَذُوبٌ، تعلمُ مَن تخاطبُ مُنذُ ثلاث ليالٍ أبا هريرة؟**» قال: لا، قال: «**ذاك شيطان**».

رواه البخاري في الوكالة (٢٣١١)، وفي بدء الخلق، وفي فضائل القرآن معلَّقاً مجزوماً به، ورواه النسائي في الكبرى (٢٣٨/٦) متصلاً، ونحوه عن أبي أيوب وغيره.

في هذا الحديث أن قراءة هذه الآية الكريمة هي حرز من الشيطان، وأن لها ملائكة خاصين مكلفين من قبل الله عز وجل بحفظ قارئها وههنا أسرار لله عز وجل لا يطلع عليها إلا من شاء من عباده، وفي الحديث دليل على جواز رؤية الجن، وفي ذلك أحاديث ولا تعارض بينها وبين قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فإن ذلك محمول على رؤيتهم في خلقتهم الأصلية والقرآن لا يخالف الواقع أبداً.

{١٣٨} ـ وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأربع كلمات فقال: «**إن اللّه لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينام يَخفِضُ القِسْط ويرفَعُه، يُرفعُ إليه عملُ النهار قبل عمل**

الليل، وعملُ الليل قبل عمل النهارِ، حِجَابُه النورُ أو النار ولو كَشَفَه لأحرَقَتْ سُبُحَاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِهِ».

رواه أحمد (٣٩٥/٤، ٤٠١، ٤٠٥)، ومسلم في الإيمان (١٧٩)، وابن ماجه (١٩٥، ١٩٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦٦) بالإحسان، وأبو يعلى (٧٢٢٦)، والبغوي في شرح السنة (٩١) وغيرهم.

قوله: «**لا ينام**»: النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط معه الإحساس. والله تعالى منزَّه عن ذلك ومستحيل في حقه جلَّ وعلا.

وقوله: «**يخفض القسط**»: القسط بكسر القاف: الميزان، لأن به يقع العدل، ومعناه: أن الله يرفع الميزان ويخفضه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة، وقيل: المراد بالقسط قسط كل مخلوق من رزقه يخفضه فيقتره ويرفعه فيوسعه.

وقوله: «**سبحات**» بضم السين والباء جمع سبحة: أي: نور وجهه وبهاؤه؛ والمراد بالحجاب هنا المانع من رؤيته تعالى.

وقوله: «**بما انتهى إليه بصره من خلقه**»: أي: جميع المخلوقات؛ لأن بصره تعالى محيط بجميع الكائنات.

والحديث من أحاديث الصفات يجب الإيمان به مع تنزيه الله تعالى عما يوهم التشبيه فيُمَرُّ كما جاء من غير تكييف ولا تشبية ولا تعطيل، ومذاهب الناس في مثل هذا مختلفة فلا ينبغي الاشتغال بها.

والمقصود من إيراد الحديث هو قوله: إن الله لا ينام فهو موافق لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة عشر جمل، كل جملة منها مستقلة بنفسها وبمعنى خاص وليس لها مثيل في القرآن إلا آية واحدة وهي قوله تعالى من سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ... إلى قوله: وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [١٥] وهذا من إعجاز القرآن وأسراره.

قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [٢٥٥].

{١٣٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكون لها ولد تجعل على نفسها لئن كان لها ولد لتُهوِّدنَّه، فلما أسلمتْ الأنصار قالوا: كيف نَصنعُ بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية. وفي رواية: لما أجْلِيَتْ بنُو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار قالوا: لا ندعُ أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾.

رواه أبو داود (٢٦٨٢) في الجهاد، والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٤)، وابن حبان (١٧٢٥) بالموارد، والبيهقي في الكبرى (٩/١٨٦) بسند صحيح.

جمهور المفسرين على أن الآية الكريمة منسوخة، وأنها كانت قبل الأمر بقتال الكفار كافة بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾، وقوله جل علاه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾، مع قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي تواتر عنه: «**أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» الحديث، وقد ثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قاتلَ العرب على الإسلام، وهكذا كان شأن الخلفاء بعده.

وقال قوم: إنها خاصة بأهل الكتاب، وأنهم إذا قبلوا أداء الجزية لا يكرهون على الدخول في الإسلام، ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾؛ فأمر بقتالهم وجعل غايته إعطاءهم الجزية وهو واضح بحمد الله تعالى، وسيأتي هذا في الجهاد ومفصلاً، وقد انحرف أقوام في معنى آية الباب تبعاً للمستشرقين الكذابين. وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: أي: قد بان ووضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

■ **قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [٢٥٦].**

{١٤٠} ـ عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقصَصْتُها عليه: رأيتُنِي في رَوْضَةٍ ذكر سَعَتَها وعُشْبَها وخُضْرَتَها، ووسطُ الروضة عمودٌ من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروةٌ فقيل لي: ارْقَه، فقلت: لا أستطيع، فجاءني منصف؛ قال ابن عون: والمنصف: الخادم، فقال: بثيابي من خلفي وصف أنه رفعه من خلفه بيده، فرَقِيتُ حتى كنت في أعلى العَمُود فأخذت بالعُرْوَةِ، فقيل لي: اسْتَمْسِك فلقد استيقظتُ وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: «**تلك الروضةُ الإسلامُ، وذلك العَمُود عَمُود الإسلام، وتلك العروة عروة الوُثْقَى، وأنت على الإسلام حتى تموتَ**». وفي رواية: «**يموت عبدالله وهو آخذ بالعروة الوثقى**». وفي رواية: «**ولن تزال مُتَمَسّكاً بها حتى تَمُوتَ**».

رواه البخاري (٨/١٣٠، ١٣١)، ومسلم (١٦، ٤٢، ٤٣، ٤٤) كلاهما في المناقب.

العروة: كل ما يستمسك به وهي من الكوز مقبضه، والوثقى: مؤنث أوثق وهو الأقوى. ومعناه: أن من كفر بغير الله من الطواغيت والأنداد وآمن بالله عز وجل فقد تمسك واعتصم بأقوى سبب وهو دين الإسلام. ورؤيا عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه تُفَسِّرُ العروة الوثقى، وأنها دين الإسلام الذي تمسك به ومات عليه. وفي الحديث فضل ابن سلام وأنه من أهل الجنة وحق له ذلك.

■ **قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ الآية [٢٦٠].**

{١٤١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**نَحنُ أحقُّ بالشَّكِّ مِن إبراهيم إذ قال:** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية».

رواه أحمد (٣٢٦/٢)، والبخاري في التفسير (٢٦٩/٩)، وفي بدء الخلق (٢٢٢/٧)، ومسلم في الإيمان، وفي الفضائل (١٢٣/١٥) وغيرهم.

ظاهر الحديث أن الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام شك في كيفية إحياء الموتى، والآية بخلاف ذلك وقد وجّه العلماء الحديث بأن إبراهيم لم يشك، ولو شك لكنا أولى بذلك منه، ولكنه لم يطرأ عليه شك، وكيف يعتري الأنبياء الشك في صفة من صفات الله عز وجل وهم سادات الموحدين عليهم الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [٢٦١].

{١٤٢} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله! هذه في سبيل الله، فقال: «**لك بها يومَ القيامة سبعُمائة نَاقة**».

رواه أحمد (١٢١/٤)، و (٢٧٤/٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (٣٣/٣)، وفي المجتبى، وابن حبان (٥٠٦/١٠) وغيرهم.

{١٤٣} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كُلُّ عَملِ بني آدم يُضاعَفُ الحسنةُ بعشر أمثالِها إلى سبْعِمائةِ ضِعْف إلى ما شاء اللَّهُ..**» الخ.

رواه مسلم وغيره مطولاً في فضل الصوم وتقدم في الصيام.

في الآية الكريمة والحديثين الشريفين فضل الصدقة والإنفاق وخاصة في سبيل الله، وأن ذلك سيضاعف لصاحبه يوم القيامة إلى سبعمائة ضعف

وقد ضرب الله عز وجل لذلك مثلاً بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ الآية [٢٦٤].

{١٤٤} ـ عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللَّهُ يومَ القِيامةِ ولا يَنظُرُ إليهم ولا يُزَكِّيهم ولهم عذابٌ أليم: المنَّانُ بما أعطى، والمُسْبِلُ إِزَارَهُ، والمُنفِقُ سِلْعَتَه بالحلِف الكَاذِب»**.

وفي رواية: **«المنان الذي لا يُعْطي شيئاً إلا مَنَّهُ..»**.

رواه مسلم في الإيمان (١١٤/٢)، وأحمد (١٥٨/٥)، وأبو داود (٤٠٨٧) في اللباس، والترمذي في البيوع (١٢١١)، وباقي الجماعة غير البخاري.

في الحديث عظم هذه المعاصي وأن أصحابها هالكون مغضوب عليهم إن لم يتوبوا. والمنان: هو الذي لا يعطي أحداً شيئاً من مال أو غيره إلا امتنَّ عليه وتطاول بذلك وفيه من إذاية المؤمن ما لا يخفى، ولذلك جعله الله تعالى في هذه الآية من مبطلات الصدقة. وقال في آية قبلها: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [٢٦٧].

{١٤٥} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر

كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقِنْوِ والقِنْوَيْن فيُعَلِّقُه في المسجد وكان أهل الصُفَّةِ ليس لهم طعام، فكان أحدُهم إذا جاء أتى القِنْو فضَرَبه بعصاه فيَسقُط البُسْرُ والتَّمرُ فيأكل، وكان ناس ممن لا يَرغبُ في الخَيْرِ يأتِي الرجل بالقِنو فيه الشِّيصُ والحَشَفُ وبالقنو قد انكَسَر فيُعلِّقُه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ﴾ الخ، قال: لو أن أحدكم أهْدِيَ إليه مثلُ ما أعطى لم يأخذه إلا على إغْمَاضٍ أو حَيَاءٍ قال: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده.

رواه الترمذي (٢٩٨٧)، وابن ماجه (١٨٢٢)، وابن جرير (٨٢/٣)، وابن أبي حاتم (٥٢٨/٢)، والحاكم (٢٨٥/٢) بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

القنو: بكسر القاف هو العذق يكون فيه الرطب والتمر وهو كالعنقود للعنب. والشيص بالكسر: التمر الغير قوي الذي لا نوى له، والحَشَف بفتحتين: هو أردأ التمر وأقبحه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾، أي: لا تقصدوا التصدق بالخبيث الرديء، وفي الآية الكريمة إرشاد العباد إلى الإنفاق من الكسب الطيب الجيد الذي يحبه المرء ويرضاه لا من الخبيث الرديء الذي يكرهه ولا يقبله إذا أعطيه إلا إذا تساهل وأغمض بصره.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [٢٦٩].

{١٤٦} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَين: رجُلٌ أتاهُ اللَّهُ مالاً فسلَّطَهُ على هَلَكَتِه في الحق، ورجلٌ أتاهُ الله الحِكمةَ فهو يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها**».

رواه أحمد (٣٨٢/١، ٤٣٢)، والبخاري في العلم (١٨٦/١) وغيره،

ومسلم في الصلاة رقم (٨١٦). وفي رواية لابن عمر: **«رجلٌ أتاه الله القرآن فهو يَقُوم به آناءَ الليل وآناءَ النهار»** رواه أحمد (٩/٢، ٣٦)، والبخاري، ومسلم وغيرهم. وفي رواية لأبي هريرة: **«رجلٌ علَّمه اللَّهُ القرآنَ فهو يَتْلُوه آناءَ الليل وآناءَ النهار»** رواه أحمد (٤٧٩/٢)، والبخاري.

الحكمة تطلق على معان؛ والمراد بها هنا معرفة القرآن والسنة النبوية والعمل بهما. والحديث نص في أنها القرآن، ولا شك أن السنة تابعة له لأنها المبينة له بنص القرآن. والحسد في الحديث المراد به الغبطة وهو تمنى ما يراه المسلم من خير عند غيره من غير أن يتمنى زواله عنه وهو محمود وهو من التنافس في الخير، والآية الكريمة تنص على أن من أتاه الله الحكمة فقد أتاه الخير الكثير جعلنا الله تعالى منهم.

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [٢٧١].

{١٤٧} ـ عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«الجاهرُ بالقرآن كالجاهر بالصَّدقةِ، والمُسِرُّ بالقرآنِ كالمُسِرّ بالصدقة»**.

رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي بسند صحيح، وقد تقدم في فضائل القرآن.

وفيه مع الآية الكريمة أن الإسرار بالصدقة كالتلاوة خير وأفضل من الإجهار؛ لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص والقبول وأبعد من الرياء، علماً بأن إظهار ذلك مع الإخلاص هو عمل مبرور محمود من أسباب تكفير الذنوب، وقد جاء في حديث السبعة المظللين... **«ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفقُ يمينُه»** وهو في الصحيحين عن أبي هريرة ويأتي كاملاً في موضعه.

﴿ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [٢٧٢].

{١٤٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كَانوا يَكْرهون أن يَرْضَخُوا لأنْسِبَائِهم من المشركين فسألوا فرُخِّصَ لهم فنزلت هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، إلى: ﴿لَا تُظْلَمُونَ﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٣٠٥/٦)، وابن جرير (٩٤/٣، ٩٥)، وابن أبي حاتم (٥٣٧/٢، ٥٣٩)، والحاكم (٢٨٥/٢ و ١٥٦/٤، ١٥٧)، والبيهقي في الكبرى (١٩١/٤) بسند صحيح، وصححه الحاكم والذهبي.

قوله: يرضخون: الرضخ: هو العطاء القليل من الغنيمة والفيء.

وقوله: لأنسبائهم: أي: قراباتهم؛ والمراد بإعطاء المشركين هنا من الصدقة والفيء تأليفاً لهم ليدخلوا في الإسلام وقد جعل الله عز وجل لهم في الزكاة حصة خاصة بهم حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ... وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾.

﴿ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [٢٧٣].

{١٤٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لَيسَ المسكينُ الذي تَرَدُّه التمرةُ والتَّمرَتانِ، واللُّقمةُ واللقمتانِ، إنما المسكينُ الذي يَتَعَفَّفُ اقرأوا إن شِئتم** يعني: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾».

رواه أحمد (٣٩٥/٢، ٤٦٩) من طرق، والبخاري في الزكاة في التفسير (٢٦٩/٩)، ومسلم في الزكاة (١٣٩/٧)، والنسائي في الكبرى (٣٠٦/٦)، وفي المجتبى، وأبو داود (١٦٣١، ١٦٣٢)، وابن خزيمة (٢٣٦٣)، وابن حبان (٣٢٩٨، ٣٣٥٢) بالإحسان.

قوله: ﴿إِلْحَافًا﴾: أي: إلحاحاً.

وفي الحديث بيان الفقير الوارد في القرآن الذي ينبغي أن يتصدق عليه وهو المسكين الذي يتعفف ولا يعرفه الناس، وليس ذلك الذي يتعرض للتسول مع الإلحاح وإذاية الناس حتى يمقتوه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [٢٧٥].

{١٥٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: آخر ما نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم آية الربا.

رواه البخاري في التفسير (٢٧١/٩).

{١٥١} ـ وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: من آخر ما نزل آية الربا، وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قُبِض قبل أن يُفَسِّرها لنا فدَعُوا الربا والرِّيبَةَ.

رواه أحمد (٣٦/١)، وابن ماجه (٢٢٧٦) بسند صحيح، وله شاهد عن أبي سعيد عند ابن ماجه.

{١٥٢} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا فقرأها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على المنبر ثم حرم التجارة في الخمر.

رواه البخاري في التفسير (٢٧٠/٩، ٢٧١)، وفي البيوع، وفي المساقاة (٥/١١)، وأبو داود (٣٤٩٠، ٣٤٩١)، والنسائي في الكبرى (٣٠٦/٦)، وفي المجتبى.

{١٥٣} ـ وعن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: «لعن النبيُّ

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم آكِلُ الرِّبا ومُوكِلَه وشاهِدَيه وكاتِبَه».

رواه أحمد (٣٩٣/١، ٣٩٤، ٤٠٢)، ومسلم في المساقاة (٢٦/١١)، وأبو داود (٣٣٣٣)، والترمذي (١٢٠٦)، والنسائي في الكبرى (٣٠٦/٦)، وفي المجتبى، وابن ماجه (٢٢٧٧) وغيرهم. وعن جابر مثله رواه أحمد ومسلم (٢٦/١١)، وزاد فيه بعضهم **«هم سواء»**.

قوله: يتخبط: التخبط هو الضرب الشديد في الأرض والسقوط كما يشاهد في الذي يصرع بالجن.

وقوله: من المسّ: أي: الجن.

وقوله: الربا: هو في الأصل الزيادة مطلقاً ثم استعمل عند العرب في الزيادة على رأس المال، فجاء الإسلام وأبطل ذلك وحرمه، وهو في الإسلام على ثلاثة أنواع: ربا النسيئة وهي الفائدة التي يأخذها رب الدين في مقابلة دينه وهذا النوع هو الذي كان سائداً في الجاهلية، وهو المعمول به اليوم عالمياً في سائر البنوك الربوية الدولية وهو عندهم من قبيل التجارة، ثم ربا الفضل وهو يكون عند التبادل في الأصناف الستة التي جاء بها النص النبوي، وهي القمح والشعير والتمر والزبيب والملح والذهب والفضة، فالتفاضل في الجنس الواحد منها ربا، ثم ربا التأخير ويكون في تبادل هذه الأصناف مع الاختلاف والتأخير لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»**.

والأحاديث المذكورة تدل على أمرين اثنين:

أولاً: أن آية الربا من آخر ما نزل كما هو صريح قول ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهم غير أن هذا يعارض ما سيأتي آخر سورة النساء عن البراء.

أما قول سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا، يقصد بذلك تفصيل جزئيات الربا

التي تفوق الحصر كما بينت ذلك في الجواهر واللآلىء المصنوعة.

ثانياً: فيها كالآية الكريمة الوعيد الشديد للمرابين وأنهم ملعونون الآخذ منهم والمعطي والكاتب والشاهد والآكل والمؤكل كلهم سواء في ذلك، وأن المرابين يحشرون يوم القيامة يتخبطون ويصرعون كالمجانين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هو ظاهر في أن المرابين مخلدون في النار، وهذا محمول على من استحله وأباحه كالمتعاملين به اليوم. هذا وظهور الربا مع الزنا من أسباب هلاك الأمم كما جاء في حديث: «**ما ظهر الربا والزنا في قوم إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله**» رواه أحمد وغيره.

قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [٢٧٦].

{١٥٤} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنَّ الرِّبا وإن كَثُر فإن عاقبتَه تَصيرُ إلى قُلٍّ**»، وفي رواية: «**ما أحدٌ أكثرَ مِن الرِّبا إلا كان عاقبةُ أمره إلى قُلٍّ**».

رواه أحمد (٣٩٥/١، ٤٢٤)، وابن ماجه (٢٢٧٩)، والحاكم (٣٧/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح.

{١٥٥} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مَن تَصدَّق بعدلِ تمْرَةٍ من كَسْبٍ طيِّبٍ ولا يَقبلُ الله إلا الطَّيِّبَ، فإن اللَّهَ يتقبلُها بيمينه ثم يُرَبِّيها لصاحِبِها كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّه حتى تكون مثلَ الجبل**».

رواه أحمد (٣٣١/٢)، والبخاري (٢٠/٤، ٢١)، ومسلم (٩٨/٧، ٩٩) كلاهما في الزكاة.

الحديث الأول مفسر لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾، والمحق: نقص الشيء حالاً بعد حال، والربا مآله النقصان والإفلاس لصاحبه.

أما الحديث الثاني فجاء مفسراً لقوله تعالى: ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، أي: ينميها ويكثرها فلذلك جاء في الحديث بأن الله يأخذ الصدقة فيربيها لصاحبها كما يربي أحدنا الفصيل الصغير من الإبل حتى تصبح في العظمة مثل الجبل، والله ذو فضل عظيم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [٢٧٨، ٢٧٩].

{١٥٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟﴾ الخ، قال: فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يَسْتَتِيبَه فإن نزع وإلا ضرب عنقه.

{١٥٧} ـ وعنه قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خُذ سِلاحَك لِلْحَرب قال: فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله.

رواهما ابن جرير (**١٠٨/٣**)، وابن أبي حاتم (**٥٥٠/٢**) وكلاهما سنده صحيح إلا ما قيل في عبدالله بن صالح وهو حسن الحديث.

{١٥٨} ـ وعن عمرو بن الأحوص رضي الله تعالى عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذَكَّر ووعظ ثم قال: «**أي يوم أحرمُ**» فذكر الحديث وفيه: «**ألاَ وإن كلَّ رِبَا في الجاهلية فإنه موضوعٌ كُلُّه**» الحديث يأتي في التوبة وغيرها.

رواه أبو داود (**٣٣٢٧**)، والترمذي في تفسير التوبة (**٣٠٨٧، ١١٦٣، ٢١٥٩**)، والنسائي في الحج من الكبرى (**٤١٠٠**)، وابن ماجه في المناسك

(٢٦٦٩) بسند صحيح وحسنه الترمذي وصححه، ورواه ابن أبي حاتم (٥٥١/٢) وغيره وفيه: وأول ربا موضوع ربا العباس بن عبدالمطلب موضوع كله.

ذكر المفسرون أن قوماً من بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه اختصموا في ذلك فأخبروا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما حصل لهم فنزلت الآية فكتب بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا، وفي الآية الكريمة تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار، ولذا ذهب ابن عباس إلى قتل المرابي إن لم يتب لأنه محارب لله عز وجل لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: فإن لم تتوبوا وتتركوا التعامل بالربا أو ما بقي لكم منه فأذنوا واعلموا وتيقنوا بحرب من الله ورسوله، وكفاهم بذلك خسارة.

وحديث عمرو بن الأحوص يدل على وجوب وضع الربا مطلقاً ولا يأخذ المرابي إلا رأس ماله كما في الآية الكريمة أيضاً: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [٢٨٠].

{١٥٩} ـ عن أبي اليَسَر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«مَن أنظَرَ مُعسِراً أو وَضَع عنه أظلّه اللّهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه»**.

رواه أحمد (٤٢٧/٣)، ومسلم آخر الزهد (٣٠٠٦)، ومثله عن أبي هريرة عند أحمد والترمذي.

{١٦٠} ـ وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«مَن أنظر مُعسِراً فله بكُلِّ يوم مثله**

صدقةً قبل أن يُحلَّ الدينُ، فإن أَحَلَّ الدينُ فأنظره فله بكل يوم مثله صدقةً».

رواه أحمد (٣٥١/٥، ٣٦٠)، وابن ماجه (٢٤١٨)، والحاكم (٢٩/٢)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

في الآية الكريمة مع الحديثين فضل إنظار المعسر مع الإرشاد إلى الوضع عنه والصدقة عليه بما عليه كما في الحديث الثاني فضل إنظار المعسر بزيادة الأجر بعد حلول أجل الدين وهذا الخلق الكريم جاء على خلاف ما كان عند الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [٢٨١].

{١٦١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى (٣٠٦/٩)، وابن جرير (١١٤/٣، ١١٥)، والبيهقي في الدلائل (١٣٧/٧) بسند صحيح.

هذا الأثر لا يعارض ما تقدم في آية الربا، فإن هذه الآية خاتمة سابقتها، وهذه الآية آخر ما نزل إطلاقاً حتى قال سعيد بن جبير وغيره: عاش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعدها تسع ليال ثم مات، رواه ابن جرير (١١٥/٣) عن ابن جريج وابن أبي حاتم (٥٥٤/٢) وغيره عن ابن جبير.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [٢٨٢].

{١٦٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة وهم يُسْلِفُون في الثمار السنةَ والسنتين، فقال: «**من أسلف في تمر فلْيُسْلِف في كَيلٍ معلومٍ، ووزن معلوم، إلى أجلٍ معلوم**».

رواه البخاري (٥/٣٣٥)، ومسلم (١١/٤١، ٤٢) كلاهما في البيوع، باب السَّلَم.

{١٦٣} ـ وعنه قال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله أحله وأذن فيه ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

رواه ابن أبي حاتم (٢/٥٥٤)، والحاكم (٢/٢٨٦)، وصححه على شرط الشيخين واعترضه الذهبي بأن إبراهيم بن بشار ذو زوائد عن ابن عيينة. قلت: ووثقه ابن حبان وكان خادم إبراهيم بن أدهم الزاهد وهو ممن يستشهد به.

{١٦٤} ـ وعنه أيضاً أنه قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنّ أوّلَ من جَحَدَ آدم عليه السلام أن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرجَ منه ما هو ذَارٍ إلى يوم القيامة، فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلاً يَزْهُو فقال: أي رب! من هذا؟ قال: هو ابنُك داود، قال: أي رب! كم عُمرُه؟ قال: ستون عاماً، قال: رب! زد في عمره، قال: لا، إلا أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف سنة، فزاده أربعين عاماً، فكتب عليه بذلك كتاباً، وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم وأتته الملائكة قال: إنه قد بقي من عمره أربعون عاماً، فقيل له: إنك قد وهبتها لابنك داود، قال: ما فعلتُ، فأبرزَ الله الكتابَ وأشهد عليه الملائكةَ فأتمَّها الله لداود مائة وأتمها لآدم ألف سنة»**.

رواه أحمد (١/٢٥١، ٢٥٢، ٣٧١)، والطيالسي (١٩٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٩٠)، وابن أبي حاتم (٢/٥٥٥)، وابن سعد في الطبقات (١/٩٨)، والبيهقي (١٠/١٤٦) ورجاله ثقات، وابن جدعان مختلف فيه لكن الحديث صحيح، فإن له شاهداً عن أبي هريرة رواه ابن أبي عاصم (١/٩٠)، والحاكم (١/١٤) من طرق وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الحديث الأول كالآية الكريمة يدل على ضرب الأجل في الدين ولا

خلاف في ذلك بين العلماء، بينما الحديث الثاني يوافق قوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ وأن ذلك أقسط عند الله وأقوم وأقرب أن لا يشك في قدر الدين والأجل، ولا سيما إذا طال الزمان كما وقع لأبينا آدم عليه السلام، فإنه أنكر ما وهبه لابنه داود عليه السلام لطول المدة ولكنه كان قد كتب عليه بذلك وشهدت عليه الملائكة فلم يجد بداً من الاعتراف.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [٢٨٢].

{١٦٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: «**يا مَعْشَرَ النساء! تَصدَّقن وأَكْثِرْنَ الاستغفار، فإني رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النار**»، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثِرنَ اللّعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودين أغلبَ لذي لُبٍّ منكن**»، قالت: يا رسول الله! ما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين**».

رواه أحمد (٦٦/٢، ٣٢٣)، ومسلم في الإيمان (٦١/١)، والترمذي فيه أيضاً (٢٦١٣) وهو في الصحيحين عن أبي سعيد، وفي مسلم عن ابن عمر.. وسيأتي بعضها في الرقاق.

الشاهد من الحديث هو أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل وذلك موافق للآية الكريمة، وفي الحديث فوائد ليس هذا محل إيرادها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ [٢٨٢].

{١٦٦} ـ عن زيد بن خالد الجُهَنِي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ألا أخبِرُكم بخيرِ الشُّهَدَاءِ؟ الذي يأتِي بشهادتِه قبلَ أن يُسألها**».

رواه أحمد (٤/١١٥، ١١٧، و٥/١٩٢، ١٩٣)، ومسلم (٢/١٧)، وأبو داود (٣٥٩١)، والترمذي (٢٢٩٥) في أول الشهادات، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٦٤) وغيرهم.

في الحديث فضل الإدلاء بالشهادة لمن كانت عنده إذا تُوقِّفَ عليها، كما أن الآية الكريمة تنهى من كانت لديه عن الامتناع من أدائها إذا ما دعي إليها.

خلاصة آية المدانية:

آية المدانية هي أكبر آية في القرآن إطلاقاً، وقد اشتملت على عدة أحكام نجملها في الآتي:

أولاً: مشروعية المداينة إلى أجل.

ثانياً: كتابة ذلك ليكون أوثق وأقوم.

ثالثاً: بيان ما يجب على الكاتب والمدين في ذلك.

رابعاً: بيان الشهود المعتبرين شرعاً.

خامساً: عدم الامتناع من أداء الشهادة إذا احتيج إليها.

سادساً: عدم السآمة من كتابة ما يحتاج إلى كتابته سواء كان كبيراً أو صغيراً.

سابعاً: الإشهاد عند البيع والشراء.

ثامناً: لا يَضُرُّ صاحبُ الحق الكُتَّابَ والشهودَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [٢٨٣].

{١٦٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توفي ودِرعُه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وَسْقاً مِن شعير، رَهَنَها قُوتاً لأهله.

رواه البخاري في البيوع (٥/٢٠٦)، وفي الرهن (٦/٦٥، ٦٦)، والترمذي (١٢١٥)، والنسائي وابن ماجه (٣٤٣٧)، وكذا أحمد (٣/١٣٣، ٢٠٨، ٢٣٢، ٢٣٨)، وفي الباب عن ابن عباس عند أحمد وأهل السنن غير أبي داود بسند صحيح، وعن عائشة في البخاري في الرهن (٦/٦٧، ٧٠)، وفي الجهاد (٦/٤٤٠)، ومسلم في الرهن (١١/٣٩، ٤٠) أيضاً، والنسائي وغيرهم.

الرهن في الأصل: الاحتباس، وفي الشرع الإسلامي جعل مال وثيقة على دين وهو مشروع بالإجماع. والسفر في الآية خرج مخرج الغالب، فإن السنة الصحيحة جاءت بمشروعيته في الحضر أيضاً كما في أحاديث الباب، وخالف ابن حزم فخصه بالسفر والسنة ترد عليه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [٢٨٣].

{١٦٨} ـ عن سمرة، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«على اليدِ ما أخذتْ حتى تُؤَدِّيَه»**.

رواه أحمد (٥/٨، ١٣)، وأبو داود (٢٥٦١)، والترمذي (١٢٦٦)، وابن ماجه (٢٤٠٠)، والدارمي (٢٥٩٩)، والحاكم (٢/٤٧) وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه.

في الحديث وجوب أداء ما أخذه الإنسان من أمانة وغيرها سواء كان ديناً، أو عارية، أو ما إلى ذلك؛ ومعناه موافق للآية ويأتي حديث: **«أد الأمانة لمن ائتمنك»** في سورة النساء إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ إلى: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [٢٨٤ ـ ٢٨٦].

{١٦٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت على

رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم بَرَكُوا على الرُّكَب فقالوا: أيْ رسول الله! كُلِّفْنَا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أتريدون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا»**، قولوا: **«سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»**، قالوا: سمعنا وأطعنا الخ، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم فأنزل الله في أثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾ إلى: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، الحديث وفيه عقب كل دعاء منها: نعم، نعم، نعم.

رواه أحمد (٢/٤١٢)، ومسلم في الإيمان (٢/١٤٥، ١٤٦)، وابن جرير (٣/١٤٣)، وابن أبي حاتم (٢/٥٧٣) ونحوه عن ابن عباس وفيه عقب كل دعاء قد فعلت... رواه أحمد (١/٢٣٣)، ومسلم (٢/١٤٦)، والترمذي، والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٧)، وابن جرير (٣/٣، ١٤٣) وغيرهم.

{١٧٠} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنَّ الله تعالى تَجَاوَزَ لي عن أُمَّتي ما حدَّثَتْ به أنفُسَهَا ما لم تكلَّم أو تعمَلْ»**.

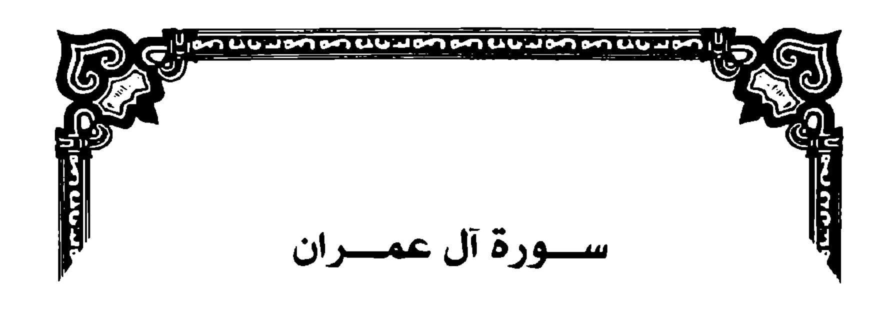
رواه أحمد (٢/٣٩٣، ٤٢٥، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩١)، والبخاري في العتق (٢٥٢٨)، وفي الطلاق (٥٢٦٩)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٦٤)، ومسلم في الإيمان (٢/١٤٦، ١٤٧)، وأهل السنن أربعتهم في الطلاق.

في حديثي أبي هريرة الأول، وابن عباس بيان أن قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية منسوخة بالآيتين بعدها أو مخصوصة كما قيل، وفيهما بشارة عظيمة للأمة حيث رفع عنها الحرج وتكليف ما لا يطاق إضافة

إلى ما أجاب الله عز وجل قارئي الآيتين بقوله: قد فعلت، ونعم.. نعم..

أما حديث أبي هريرة الآخير ففيه بيان ما تفضل الله به على عباده بعدم مؤاخذتهم على ما يُحَدِّثُون به أنفسَهم من الوساوس والخواطر القلبية ككفر مثلاً، وقتل، وزنا، وطلاق ونحو ذلك مما لم يقع فيه عزم، أو عمل، أو كلام؛ وهذا من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ولطفه بهم، فله الحمد على ذلك كثيراً طيباً.





ســورة آل عمــران

هذه السورة الكريمة هي ثانية الزهراوين وثانية السور الطوال آياتها (٢٠٠).

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [٢].

{١٧١} ـ عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**اسْمُ اللَّهِ الأعظَم في هاتين الآيتين**: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ البقرة: ١٦٣، وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾...

رواه أبو داود (١٤٩١)، والترمذي في الدعوات (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥)، وابن أبي حاتم (٥٨٣/٢)، وحسنه الترمذي وصححه وله شاهد عن أبي أمامة رواه ابن ماجه (٣٨٥٦)، والحاكم (٥٠٥/١) بسند حسن.

الحديث يدل على أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين، وهذا لا يعني أنه لا يكون في غيرهما، وذلك لمجيء أحاديث أخرى تدل على أنه جاء في أسماء أخرى مثل: «**لا إله إلا أنت الأحد الصمد**»، كما جاء في السنن من حديث بريدة: «**ولا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام**»، كما في حديث أنس عند أحمد، وابن ماجه، والحاكم من طرق صحيحة، وانظر ما سبق في الأدعية.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [٧].

{١٧٣} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الخ، فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذا رأيتِ الذين يبتغون ما تشابه مِنه فأولئك الذين سَمَّاهُم اللَّهُ فاحذَرُوهم**».

رواه أحمد (٦/٢٥٦)، والبخاري في التفسير (٩/٢٧٧، ٢٧٨)، ومسلم في العلم (١٦/٢٨)، وأبو داود في السنة (٤٥٩٨)، والترمذي في التفسير (٢٩٩٣، ٢٩٩٤) وغيرهم.

في الآية الكريمة ذم الزائغين والمائلين عن الحق، والمحكم من الكتاب الكريم المتبعين ما استأثر الله تعالى بعلمه أو ما هو غير واضح الدلالة فيؤولونه بتآويل باطلة منحرفة طلباً للفتنة كما هو شأن أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والنواصب والشيعة الروافض الذين يتركون المحكم الواضح ويردونه ويتعلقون بالمتشابه وما هو باطل وهكذا أعمى الله بصائرهم.

وفي الحديث الشريف إرشاد لنا إلى وجوب الحذر من هؤلاء وعدم الاستماع إليهم أو قراءة كتبهم.

واختلف العلماء والمفسرون في المراد بالمحكم والمتشابه على أقوال كثيرة؛ فقال المتقدمون: المحكم ما عرف المراد منه إما بظهوره أو بتأويله بدليل. والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه واختار هذا القول أبو منصور البغدادي. وقال ابن السمعاني: إنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل

السنة، واختار المتأخرون أن المحكم ما وضح معناه والمتشابه ضده.. ومعنى القولين متقارب. وموقف أهل الرسوخ في العلم أنهم يؤمنون بالجميع وأن الكل من عند الله.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٣﴾ [١٢، ١٣].

{**١٧٣**} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع فقال: «**يا معشر يهود! أسلموا قبل أن يُصيبَكم مثلُ ما أصاب قريشاً**»، **قالوا**: يا محمد! لا يَغُرَّنك مِن نفسك أن قتلتَ نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفتَ أنا نحنُ الناس، وأنك لم تَلْقَ مثلَنا، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ الآية.

رواه أبو داود في الخراج (٣٠٠١)، وابن جرير (١٩٢/٣) ورجاله ثقات غير محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان، لكن رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٦٠٤/٢) وغيرهما من طريق آخر مرسلاً فيتأيد، ولذلك لم يذكر ابن جرير ولا ابن كثير في سبب نزول الآية غير ذلك.

في الآية الكريمة معجزة ظاهرة للقرآن الكريم حيث أخبر عن اليهود أنهم سيهزمون ثم يحشرون إلى أمهم جهنم، فوقع ذلك لهم كما أخبر ولم يعتبروا بما حصل لإخوانهم في الكفر ببدر رغم أن الله تعالى قال لهم: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ـ أي: عبرة ـ ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ وبذلك ختم الآيتين بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، ولكنه أنى لليهود أن تكون لهم الأبصار حتى يعتبروا.

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الخ [١٤].

{١٧٤} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«حُبِّبَ إليَّ مِن دنياكُم النساءُ والطيبُ وجُعِلتْ قرةُ عيني في الصَّلاةِ»**.

رواه أحمد (١٢٨/٣، ٢٨٥، ١٩٩)، والنسائي في الكبرى (٢٨٠/٥)، وأبو يعلى (٣٤٦٩٩)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (٢٢٩، ٣٣٠)، والحاكم (١٦٠/٢) بسند صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

محبة الرجال للنساء هي شيء طبيعي فطر عليه الإنسان غير أن محبة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لهن تختلف عن محبة غيره. وقد نتج عن هذه المحبة فتنة عظيمة للرجال ليس بعدها فتنة، ولذا جاء عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»** رواه البخاري (٤١/١١)، ومسلم (٥٤/١٧) وغيرهما.

{١٧٥} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض»**.

رواه أحمد (٣٦٣/٢)، وابن ماجه (٣٦٦٠). قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

هذا أصح ما ورد في مقدار القنطار رغم أنه جاءت فيه آثار مختلفة. قال ابن جرير: الصواب أن يقال هو المال الكثير.. وهذا الذي ذكره النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم **«كل أوقية خير..»** الخ إشارة منه إلى ما في الجنة كما يظهر والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [٣٦].

{١٧٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«مَا مِن مَولودٍ يُولَدُ إلا والشيطانُ يَمَسُّه حِين يُولد فيستهِلُ صارخاً من مَسِّ الشيطانِ إيَّاه إلا مريمَ وابنَها»**.

رواه أحمد (٢/٢٧٤)، والبخاري في أحاديث الأنبياء (٧/٢٨٠)، وفي التفسير (٩/٢٧٩)، ومسلم في الفضائل (١٥/٢٢٠)، وكذا الحميدي (١٠٤٢)، وابن جرير (٣/٢٣٨، ٢٣٩) وغيرهم.

وفي الحديث استجابة الله دعوة أم مريم في حفظ ابنتها وابنها من الشيطان، وفيه خصيصة لمريم وعيسى من مس الشيطان عند ولادتهما، وذكر القاضي عياض أن هذا عام في كل الأنبياء، غير أنه لم يأتِ دليل في ذلك عن الشارع. أما ما طعن به الزمخشري وغيره في هذا الحديث فهو مما لا يلتفت إليه، وانظر رد الحافظ عليه في التفسير من فتح الباري.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [٤٢].

{١٧٧} ـ عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«خَيرُ نسائِها مريمُ بنتُ عِمرانَ، وخيرُ نسائِها خَدِيجةُ بنتُ خُوَيلِد»**.

رواه أحمد (١/٨٤، ١١٦، ١٣٢)، والبخاري في بدء الخلق، وفي الفضائل (٨/١٣٤)، ومسلم فيه أيضاً (١٥/١٩٨)، وأبو يعلى (٥٢٢، ٦١٢)، والحاكم (٣/١٨٤). وفي رواية لمسلم: وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

الاتفاق على أن مريم أفضل أهل زمانها وعَالمِهَا، واختلفوا في أفضل

نساء هذه الأمة؛ فقال بعضهم: خديجةُ وهو ظاهر هذا الحديث، وقال آخرون: عائشة، والصحيح المختار أن أشرف نساء هذه الأمة وأفضلهن مولاتنا فاطمة، ثم خديجة، ثم عائشة رضي الله تعالى عنهن جميعاً.

واستدل بهذه الآية وغيرها من قال بنبوة مريم، والخلاف فيها وفي غيرها من النساء مشهور، والجمهور على أنه ليس في النساء نبية، وخالفهم أبو الحسن الأشعري وابن حزم وجماعة وقولهم قوي من جهة الدليل.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦].

{١٧٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثةٌ: عيسى ابن مريم، وصاحبُ جُرَيج**»، ثم ذكر الحديث وفيه: «**الصبي الذي ترك الثدي وقال: اللهم لا تجعلني مثله** ـ يعني: رجلاً جباراً ـ **وقال: اللهم اجعلني مثلها** ـ يعني: أمه كانت مظلومة ـ».

رواه البخاري أواخر الصلاة وفي المظالم وفي أحاديث الأنبياء (٢٨٧/٧، ٢٩٢)، ومسلم في البر (١٠٥/١٦، ١٠٨) روياه مطولاً ويأتي في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان معجزة لروح الله سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام حيث أجرى الله الكلام على لسانه وهو لا يزال طفلاً في المهد، والحديث حصر المتكلمين في المهد في هؤلاء الثلاثة، والواقع أنهم أكثر كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، فمنهم: طفل المرأة في قصة الأخدود وهو في مسلم، ومنهم رضيع ماشطة بنت فرعون، ومنهم شاهد يوسف جاء بهما حديث ابن عباس عند أحمد وغيره وهو حديث صحيح، نعم لم يصح في غير هؤلاء.

❁ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [٥٢].

{١٧٩} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِياً، وحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**...».

رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٦)، والمغازي (٤١١٣)، والمناقب (٣٧١٩)، ومسلم في الفضائل (١٥/١٨٨)، والترمذي (٣٧٤٥)، والنسائي في الكبرى (٥/٢٦٤، ٢٦٥)، وابن حبان (٦٩٨٥)، وكذا أحمد (٣/٣٠٧، ٣٣٨)، وفي مواضع، وابن ماجه (١٢٢) وغيرهم.

الحواري هو الناصر، وفي الحديث فضل الزبير وحق له ذلك فإنه من كبار العشرة وأحد السابقين والمهاجرين الأولين وصاحب المشاهد وابن عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قتل شهيداً يوم الجمل سنة ست وثلاثين.

والحديث يدل على أن لكل نبي حوارياً وليس ذلك خاصاً بابن مريم عليهما السلام.

❁ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [٦١].

{١٨٠} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا﴾ الخ، دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحُسَيناً عليهم الصلاة فقال: «**اللّهم هَؤُلاءِ أَهْلِي**».

رواه أحمد (١/١٨٥)، ومسلم (١٥/١٧٥، ١٧٦)، والترمذي (٣٧٢٤) كلاهما في المناقب، والنسائي في الكبرى (٨١٤٩)، وكذا الترمذي في التفسير (٢٩٩٩)، وابن حبان (٦٩٢٦).

كان هذا الدعاء عندما أراد مباهلة النصارى الذين جادلوه في شأن عيسى عليه السلام، وقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ الخ، يعني: رسول الله، والإمام علياً، وأبناءنا الحسنين ونساءنا أمهما مولاتنا فاطمة عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

وفي الآية مع الحديث فضل ظاهر وخصيصة لهؤلاء السادات الكرام وستأتي مناقبهم.

{١٨١} ـ وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يريدان أن يُلاعِنا قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعَنَّاه لا نُفْلِحُ نحن ولا عقبُنا من بعدِنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً.

رواه البخاري (٩٤/٨، ٩٥)، ومسلم (١٩٢/١٥)، والترمذي (٣٧٩٦) كلهم في المناقب.

في الحديث إقرار صاحبي نجران بصدق نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنهما خشيا على أنفسهما الهلاك إذا باهلاه، ولذلك عدلا عنها إلى الصلح وأداء الجزية.

{١٨٢} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو جهل ـ قبحه الله وأخزاه ـ: إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة... وفيه: ولو خَرَج الذين يُبَاهِلُون رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لَرَجَعُوا لاَ يَجِدُون مالاً ولا أهلاً.

رواه أحمد وغيره وسيأتي في سورة العلق وتقدم في سورة البقرة.

المباهلة: التلاعن، بأن يتلاعن المتجادلان فيلعنا المبطل الكاذب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [٦٤].

{١٨٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حدثني أبو سفيان من فيه إلى فِيَّ قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى هِرَقْل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصْرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل قال: فقال هرقل: هل هٰهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه فقال: أيُّكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا ترجمانه فقال: قل لهم: إني سائِل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: وأيم الله لولا أن يؤثروا عليَّ الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه مَلِكٌ؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطةً له، قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا، ثم قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول

آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا، فقلت: لو كان في آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم، فقلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، وسألتك تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له، فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشتُه القلوبَ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم سجالاً ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله، وسألتك بماذا يأمركم فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وهذه صفة النبي قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم وإن يك كما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين ولو أرجو أن أَخْلُص إليه لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّه ولو كنت عنده لغسلت قدميه. قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرىء فإذا فيه: **بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحمد رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى هِرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتَّبع الهُدى، أمَّا بعد: فإني أدعُوك بدعاية الإسلام أَسْلِم تَسْلَمْ يُؤتِك اللّهُ أجرَك مرتين فإن تَوَلَّيتَ فإن عليك إثم الأريسِيِّين،** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ إلى قوله: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط،

وأُمِرنا فأُخرِجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أُمِر أَمْر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً بأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه سيظهر حتى أدخلَ اللَّهُ عليَّ الإسلام.

رواه أحمد (٢٦٣/١)، والبخاري في بدء الخلق (٣٥/٧، ٤٨)، وفي الجهاد، وفي التفسير (٢٨١/٩، ٢٩٠)، ومسلم في الجهاد (١٠٣/١٢، ١١١) وغيرهم.

هذا حديث عظيم فيه فوائد هامة، وفيه مشروعية إرسال الرسائل إلى عظماء الكفار لدعوتهم إلى الله ودين الحق، وفيه العمل بخبر الواحد العدل في كل ميادين أمور الديانة، ولذلك أدلة كثيرة، وفيه بيان ما كان يدعو إليه النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من خصال الخير ومكارم الأخلاق مع توحيد الله عز وجل وأداء فرائضه... وغير ذلك مما يحبه ويرضاه كل ذي عقل سليم. وفيه بيان علامات الرسل.. وفيه غير ذلك. وقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ الخ، الكلمة هنا هي: **لا إله إلا الله** باتفاق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [٦٨].

{١٨٤} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن لكل نبي وُلاةً من النبيين، وإن وليي أبي وخَليلُ رَبِّي ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية»**.

رواه أحمد (٤٠١/١)، والترمذي (٢٩٩٥)، وابن جرير (٣٠٢/٣)، وابن أبي حاتم (٧٣١/٢)، والطحاوي في المشكل، والحاكم (٢٩٢/٢، ٥٥٣) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي وما قيل من انقطاعه مدفوع بمجيئه متصلاً من طريق ثقتين.

قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى﴾ الخ، أي: أحقهم بإتباعه وولايته.. هو النبي وأتباعه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [٧٧].

{١٨٥} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من حلف على يمينِ صَبْرٍ لِيقْتَطِع بها مالَ امرىءٍ مسلم لقِيَ الله وهو عليه غَضبانُ، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ الآية، قال: فدخل الأشعثُ بن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ قلنا كذا وكذا، قال: في أنزلت كانت لي بئر في أرض ابنِ عَمٍّ لي، قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«بينتك أو يمينُه»**، فقلت: إذاً يحلف يا رسول الله، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من حلف على يمين صبر»** الخ.

رواه البخاري في المساقاة، وفي الخصومات، وفي الشهادات، وفي التفسير (٢٨٠/٩)، ومسلم في الإيمان (١٥٨/٢، ١٥٩)، وأبو داود في الأيمان والنذور (٣٢٤٣)، والترمذي (٢٩٩٦)، والنسائي في الكبرى (٣٠٩/٦)، وابن ماجه (٢٣٢٢) وغيرهم.

يمين صبر: هي اليمين التي يحبس عليها حالفها.

وقوله: فاجر أي: كاذب.

وفي الآية والحديث وعيد شديد للحالف الفاجر الذي يحاول أخذ مال أخيه المسلم بيمينه الكاذبة وأنه لا خلاق له ولا خير في الآخرة وأنه سيلقى الله وهو عليه غضبان وهذا كله إذا لم يتب، وفي الحديث بيان القاعدة العامة في القضاء والشهادات وهي البينة على المدَّعِي واليمين على من أنكر وسيأتي في القضاء.

{١٨٦} ـ وعن ابن مسعود أيضاً قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ الخ، ثم لم ينسخها شيء، فمن اقتطع مال امرىء مسلم بيمينه فهو من أهل هذه الآية.

رواه النسائي في التفسير من الكبرى (٣٠٩/٦) بسند صحيح.

وفي الباب عن عدي بن عميرة الكندي في قصة أمرىء القيس مع الحضرمي وسيأتي في الأقضية إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٨٥].

{١٨٧} ـ عن الحسن ـ هو البصري ـ رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«تجيءُ الأعمالُ يومَ القيامة فتجيءُ الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجيء الصدقةُ فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنكِ على خير، ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أُعطِي، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾».**

رواه أحمد (٣٦٢/٢)، وأبو يعلى (٦٢٣١)، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عباد بن راشد وثقه عبدالله بن أحمد وأبو حاتم وضعفه آخرون وانظر المجمع (٣٤٢/١٠).

وفي هذا الحديث تصريح الحسن بسماعه من أبي هريرة، وجاء ذلك في غير ما حديث وإن خالف في ذلك كثير من الحفاظ، فالله أعلم.

الآية نص في أن الله عز وجل لا يقبل ديناً غير دين الإسلام وهو إجماع مقطوع به فمن قال خلافه وساوىٰ بين الأديان كان كافراً.

والحديث يدل على أن الأعمال الصالحة ستشفع لصاحبها يوم القيامة، وأن الإسلام هو أعظمها خيراً وبركةً فبه يأخذ الله عز وجل وبه يعطي. أماتنا الله تعالى عليه وعلى الدين الحق، آمين.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٨٦ ـ ٨٩].

{١٨٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدَّ ولحق بالشرك ثم ندم، فأرسل إلى قومه سلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: إن فلاناً ندم وإنه قد أمرنا أن نسألك هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا﴾ الخ، فأرسل إليه فأسلم.

رواه أحمد (٢٤٧/١)، والنسائي في تحريم الدم من المجتبى، وفي التفسير من الكبرى (٣١١/٦)، وابن جرير (٣٤٠/٣)، وابن حبان (١٧٢٨) بالموارد، والحاكم (١٤٢/٢ و ٣٦٦/٤)، والبيهقي (١٩٧/٨) وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في المصدرين.

والآية مع الحديث يدلان على قبول توبة المرتد إذا صح ندمه وأنه يغفر له كفره وما صدر منه لقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ الخ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [٩١].

{١٨٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**يُقال للرجل من أهل النار يومَ القيامة: أرأيتَ لو كان ما على الأرض مِن شيءٍ؟ أكنتَ مُفتدِياً به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول الله تعالى: قد أردتُ منك أهون من ذلك أخذتُ عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تُشرِكَ بي شيئاً فأبيتَ إلا أن تُشرِكَ**».

رواه أحمد (١٢٧/٣، ٢٩١)، والبخاري في الرقاق (١٩٣، ١٩٥،

٢١٦)، ومسلم في المنافقين (١٤٧/٧، ١٤٨)، ورواه ابن جرير (٣٤٦/٣)، وقال في آخره: فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الخ.

وهذا خزي بالغ متناه عياذاً بالله من الكفر وأسبابه وطرقه وأهله.

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [٩٢].

{١٩٠} - عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أبا طَلْحَة كان أكثَرَ أنصاري مالاً بالمدينة بالنخل وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحاءُ وكانت مستقبلةَ المسجد، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يَدخلُها فيأكل من ثَمَرها ويشرَبُ من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ الخ، وإن أحبَّ أموالي إلي بيرحاءُ وأنها صدقة لله أرجو بِرَّها وذُخْرَها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«بَخٍ! ذلك مال رَابِحٌ وقد سمعتُ ما قلتَ وإني أرى أن تجعله في الأقربين»**، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة بين أقربائه وبني عمه.

رواه أحمد (٤١/٣، ٢٥٦)، والبخاري في الزكاة، وفي الوكالة، وفي الوقف، وفي التفسير (٢٩٠/٩، ٢٩١)، ومسلم في الزكاة (٨٤/٧، ٨٥)، وأبو داود (١٦٨٩)، والترمذي (٢٩٩٧)، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى (٣١١/٦، ٣١٢)، وابن خزيمة (٢٤٥٨) وغيرهم.

وفي رواية لمسلم (٨٥/٧)، وأبي داود (١٦٨٩)، والنسائي (٣١٢/٦) قال أبو طلحة: أرى ربنا يسألنا أموالنا فأُشْهِدَك يا رسول الله إني قد جعلت أرض بيرحاء لله، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«اجْعَلْها في قَرابَتِك»**، قال: فجعلها في حسان بن ثابت وأُبيّ بن كعب.

بيرحاء بكسر الباء بعدها ياء ثم راء مضمومة وحاء ممدودة، ويقال

بفتح الباء: وهو اسم بستان كان لأبي طلحة لجهة الشام وهو الآن داخل المسجد.

وقوله: «بخ» بإسكان الخاء وتنوينها مع الكسر وفيها لغات، ومعناه: تعظيم الأمر وتفخيمه.

وفي الآية الكريمة إرشاد المسلمين إلى التصدق بأحب الأموال إليهم وأن ذلك من كمال البر.

وفي الحديث فضل أبي طلحة وسخائه ومسارعته إلى التقرب إلى الله تعالى بأحب ما كان يملكه، وفيه مشروعية الوقف والحبس وأفضله أن يكون على الأقارب.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [٩٣].

{١٩١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حضرت عصابةٌ من اليهود نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: «**سلوني عما شئتم**» فذكر الحديث، وفيه أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه، قال: «**أنشُدُكم بالذي أنْزَل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرِضَ مَرَضاً شديداً وطال سُقْمُه فنذر لله نذراً لئن شَفاهُ الله من سقمِه ليُحرِمَنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها..**».

رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وقد تقدم بعضه في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الخ، ويأتي بعضه في سورة الرعد.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بيان أن إسرائيل ـ وهو يعقوب ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام، حرَّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها نذراً منه إن شفاهُ الله، وهذا النذر في شرعنا لا يجوز فلا يحل لمسلم أن ينذر تحريم شيء مباح على نفسه بل النذر على أي معصية غير جائز ويجب على صاحبه الحنث ولا يجوز له الوفاء به.

■ قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [٩٣].

{١٩٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بِرجلٍ منهم وامرأةٍ قد زَنَيا فقال لهم: **«كَيفَ تفعلون بمَن زَنَى مِنكُم؟»**، قالوا: نُحَمِّمُهُمَا ونضرِبُهما، فقال: **«لا تجدون في التوراة الرجم»**، فقالوا: لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مِدْرَاسُها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يَحْنَأ عليها يَقِيها الحجارة.

رواه أحمد (٢/٥)، والبخاري في التفسير (٢٩٢/٩)، وفي المحاربين، وفي التوحيد، ومسلم في الحدود (٢٠٨/١١، ٢٠٩)، وأبو داود (٤٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (٣١٢/٦).

قوله: نحممهما بضم النون وفتح الحاء وكسر الميم الأولى المشددة: أي: نسود وجوههما بالحمم بضم الحاء وفتح الميم، أي: الفحم.

وفي الحديث مشروعية رجم الزناة والزواني إذا ثبت الإحصان، وأن هذا الحكم كان موجوداً في التوراة. وفيه إقامة الحد على أهل الكتاب من حكام المسلمين، ولا خلاف في ذلك.

■ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [٩٦].

{١٩٣} ـ عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه سأله عن أول مسجد وضع للناس قال: **«المسجد**

الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: **«المسجد الأقصى»**، قلت: كم كان بينهما؟ قال: **«أربعون عاماً»**، ثم قال: **«حيثما أدركتك الصلاة فصلِّ والأرض لك مسجد»**.

رواه أحمد (٥/١٥٠، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٦)، والحميدي (١٣٤)، والبخاري في أحاديث الأنبياء (٧/٢٧٣)، ومسلم في المساجد (٥/٢، ٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٣١٢، ٣١٣)، وفي المجتبى، وابن ماجه (٧٥٣) وغيرهم.

في الآية والحديث دليل على أن الكعبة المشرفة هي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله عز وجل كما يدل القرآن على أن أول من بناه خليل الرحمٰن عليه الصلاة والسلام، أما المسجد الأقصى فالجمهور على أن أول من بناه يعقوب، وقيل: إبراهيم، وكان بين المسجدين أربعون سنة، أما ما جاء من بناء سليمان للمسجد الأقصى فمعناه تجديده.

▩ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [٩٧].

{١٩٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«أيها الناس! قد فُرِضَ عليكُم الحجُّ فحجُّوا»**، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لو قلتُ نعم لوجبت ولما استطعتم»**، ثم قال: **«ذروني ما تركْتُكُم فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافِهم على أنبيائهم وإذا أَمَرْتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعُوه»**.

رواه أحمد (٢/٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣)، والبخاري في الاعتصام (١٧، ١٩، ٢١)، ومسلم في الحج (٩/١٠٠، ١٠١)، واللفظ لأحمد، ومسلم، ورواه أيضاً الترمذي في العلم، والنسائي في الحج.

في الآية مع الحديث وجوب الحج، وأن ذلك مرة في العمر لمن

استطاع إليه سبيلاً ولا خلاف في ذلك وباقي الفقرات من الحديث يأتي الكلام عليها في موضع آخر.

{١٩٥} - وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! ما يوجب الحج؟ قال: **«الزادُ والرَّاحِلَةُ»**.

رواه الترمذي في الحج (٨١٣)، وفي التفسير (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والدارقطني (٢/٢١٧)، والبيهقي (٥/٥٨)، وحسنه الترمذي: لشواهده التي تجدها في نصب الراية (٣/٧، ١٠)، وهداية الرشد (٥/٢٧١، ٢٧٢)، والتلخيص الحبير (٢/٢١٧)، وصحح الحاكم (١/٤٤٢) بعض طرقه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي وقد حسنه جماعة.

والحديث مبين للاستطاعة الواردة في الآية الكريمة، قال الترمذي في الجامع: والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل إذا ملك زاداً وراحلةً وجب عليه الحج... ويزاد على ذلك صحة الجسم وأمن الطريق...

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [١٠٣].

{١٩٦} - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن الله يَرْضَى لكُم ثلاثاً ويَسْخَط لكم ثلاثاً، يَرضى لكم أن تَعْبُدُوه ولا تُشرِكوا بهِ شيئاً، وأن تَعْتَصِمُوا بحِبْلِ الله جميعاً ولا تَفرَّقوا، وأن تناصحُوا مَن ولاَّه الله أمرَكم، ويسخطُ لكم ثلاثاً، قِيل وقَال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال»**.

رواه أحمد (٢/٣٦٧، ٣٢٧، ٣٦٠)، ومسلم في الأقضية (١٢/١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٤٢)، وابن حبان (٣٣٨٨) بالإحسان، والبغوي في شرح السنة (١/٢٠٢).

حبل الله عبر به عن القرآن الكريم، والاعتصام به التمسك بالعمل بما

فيه من الشرائع، وإنما نهى عن التفرق لأن ذلك يمزق شمل الأمة ويضعفها. وللحديث فوائد ليس هذا محل إيرادها.

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [١٠٤].

{١٩٧} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«مَن رأى مِنكُم مُنكراً فلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فإن لم يسْتَطِعْ فبلسَانِه، فإن لم يَستطِعْ فبِقَلْبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»**.

رواه أحمد (٣/٢٠، ٤٩، ٥٤)، ومسلم في الإيمان (٢/٢١، ٢٢، ٢٥)، وأبو داود (٤٣٤٠)، والترمذي في الفتن (٢١٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٣٢)، وابن ماجه (١٢٧٥، ٤٠١٣).

{١٩٨} ـ وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«والَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنْهَوُنَّ عن المُنكر أو ليُوشِكَنَّ الله أن يَبْعَثُ عليكُم عذاباً مِنه فتدْعُونَه فلا يستجِيب لكُم»**.

رواه أحمد (٥/٣٨٨، ٣٨٩)، والترمذي في الفتن (٢١٦٩)، وحسنه لشاهد عن عائشة، رواه ابن ماجه (٤٠٤٣) في الفتن، ويأتي حديث الصديق في سورة المائدة.

في الحديثين وجوب تغيير المنكر حسب الاستطاعة باليد، أو باللسان، وأدناه كراهة القلب، وعدم الرضا به وهو أضعف الإيمان وهو من فروض الكفاية، وقد أضاعه المسلمون وخاصةً ذوي السلطة منهم، فعمَّ الفساد وانتشرت المناكير في الحواضر والبوادي وشملت الفواحش كل الطبقات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ [١٠٥].

{١٩٩} ـ عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم: «إن أهل الكتاب افْتَرَقُوا في دينِهم على ثِنتين وسبعين مِلَّةَ، وأن هذه الأمَّةَ ستَفْتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعين مِلَّة ـ يعني: الأهواء ـ، كلها في النارِ إلا واحدةً وهي الجماعة، وأنه سيخرُجُ في أمَّتي أقوامٌ تَتَجارَى بهم تلك الأهواء كما يَتَجارَى الكَلَبُ بصاحِبِه، لا يَبْقَى منه عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ».

رواه أحمد (١٠٢/٤)، والطيالسي (٢٧٥٤)، وأبو داود في السنة (٤٥٩٧)، والدارمي (٢٥٢١)، والحاكم (١١٨/١) وغيرهم وهو حديث صحيح، وله شواهد ذكرتها أول الكتاب (١٠٣).

قوله: تتجارى: أي: يتواقعون في الأهواء ويتداعون فيها تشبيهاً بجري الفرس.

وفي الحديث تنبؤ بما وقع في هذه الأمة من التفرق في الدين، وأن الفرق ستبلغ ثلاثاً وسبعين فرقة كلها خاسرة هالكة إلا الجماعة التي على قدَم الرسول ونهجه ونهج أصحابه من الخلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار وهي قليلة بالنسبة لغيرها من أهل الضلال، وانظر ما سبق في الاعتصام.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [١٠٦].

{٢٠٠} ـ عن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رُؤُوساً مَنْصُوبةً على درج دِمشق فقال أبو أمامة: كِلابُ النار شَرُّ قتلى تحتَ أديم السماءِ، خيرُ قَتْلى من قتلوه، ثم قرأ: «﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾»، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة، أو مرتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، حتى عدَّ سبعاً ما حدثتكموه.

رواه الحميدي (٩٠٨)، وأحمد (٢٥٠/٥، ٢٥٣، ٢٥٦)، والترمذي في التفسير (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٠٧٦)، والطبراني في الأوسط (٧٦٥٦) وسنده حسن.

أصحاب هذه الرؤوس كانوا خوارج، والحديث نص بأنهم سيمسخون

في النار كلاباً، وأنهم عند الله شر القتلى كما أن من قتلوه كان خير القتلى - يعني: شهيداً -، وذلك إشارة إلى أن هؤلاء الخوارج من شر خلق الله لما لهم من عقائد منحرفة وتصرفات شائنة مخالفة للقرآن والسنة والإجماع، وكان أولئك من الخوارج الذين كفروا أكابر الصحابة وخيارهم كالإمام علي، وطلحة، والزبير، وعثمان.. رضي الله تعالى عنهم، وإذا كان هذا الوعيد جاء في هؤلاء فكيف بالشيعة الروافض الذين فاقوا هؤلاء بمراحل في تضليل كل الأمة سلفها وخلفها، حكامها ومحكوميها.

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية [١١٠].

{٣٠٩} - عن بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه أنه سَمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «**إنكم تُتِمُّونَ سبعين أمةً، أنتم خَيرُها وأكرمُها على الله**».

رواه أحمد (٥/٣، ٥)، والترمذي في التفسير (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والدارمي (٢٧٥٣)، والحاكم (٢/٢٩٤)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم وهو كما قال الترمذي.

الخطاب في الآية الكريمة للصحابة ومن على شاكلتهم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة. رواه أحمد (١/١٧٣، ٣١٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٣١٣)، والحاكم (٢/٢٩٤)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وهذا لا ينافي العموم. وفي الآية فضل هذه الأمة التي هذه صفتها وهي كونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

والحديث يدل على أن هذه الأمة هي خاتمة الأمم، وأنها خير الأمم وأكرمها على الله، ولا شك أن هذه الفضيلة أسعد الناس بها الملتزمون بشرع الله أما غيرهم فهم على خطر...

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [١١٣ ـ ١١٥].

{٢٠٢} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أخَّر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينظرون الصلاة فقال: «**أمَا إنَّه ليس من أهل هذه الأديان أحدٌ يَذكُرُ الله هذه الساعةَ غيرُكم**»، قال: **وأنزلت هذه الآية**: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، إلى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

رواه أحمد (٣٩٦/١)، والنسائي في الكبرى (٣١٣/٦)، وابن جرير (٥٣/٤)، وابن حبان (٢٧٤) بالموارد، وزاد في الدر المنثور (٣٩٧/١)، البزار، وأبا يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٧٣٨/٣)، والطبراني وسنده حسن.

{٢٠٣} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أسلم عبدالله بن سَلاَم وثَعلبةُ بن سَعْيَة وأَسَدُ بن عُبَيْد، ومن أسلم من يهود فآمنوا وصَدَّقوا ورغِبُوا في الإسلام قالت أحبار يهود أهل الكفر: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

رواه ابن إسحاق، وابن جرير (٥٢/٤، ٥٣)، وابن أبي حاتم (٧٣٧/٣) وغيرهم، قال النور في المجمع (٣٢٧/٦) ورجاله ثقات.

ظاهر الحديث أن الآية نزلت بالسببين ولا مانع من ذلك غير أن سياق الآية يشهد للثاني، وانظر الجواهر واللآلىء فقد شرحت هناك الموضوع.

❁ قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الآية [١٢٢].

{٢٠٤} ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الخ، قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سلِمة، وما يَسُرُّني أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

رواه البخاري في التفسير (٢٩٣/٩)، وفي المغازي (٣٦٠/٨)، ومسلم في الفضائل (٦٦/١٦، ٦٧).

في الآية فضل هذين الحيَّيْن حيث أخبر الله تعالى بأنه وليهما، والآية وإن كان في أولها نوع من الغض غير أن في آخرها شرفاً عظيماً لهم.

❁ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [١٢٨].

{٢٠٥} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم أُحُدٍ: «**اللَّهم العنْ أبا سُفيان، اللَّهم العنْ الحارِثَ بنِ هِشام، اللَّهم العَنْ سُهَيْل بن عَمْرو، اللَّهم العَنْ صَفوانَ بن أُمَيَّة**؛ فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الخ»، فتِيبَ عليهم كلهم. وفي رواية: «**فهداهم اللّهُ للإسلام**».

رواه أحمد رقم (٥٦٧٤، ٥٨١٢، ٥٩٩٧)، والبخاري في المغازي، وفي التفسير (٣٩٣/٩)، والترمذي في التفسير (٣٠٠٤، ٣٠٠٥)، والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦)، وابن جرير (٨٨/٤)، وابن أبي حاتم (٧٥٦/٣، ٧٥٧)، وابن خزيمة (٦٢٢) وغيرهم.

{٢٠٦} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كُسِرَتْ رباعِيَتُه يومَ أُحُدٍ وشُجَّ وجْهه شجَّةً في جَبْهَتِه حتى سالَ

الدمُ على وجْهِه فقال: «**كيف يُفْلِحُ قوم فَعلوا هذا بِنَبِيِّهِم وهو يدعوهم إلى الله**»، **فنزلت**: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

رواه أحمد (٣/٢٥٣)، ٢٨٨)، ومسلم في السير (١٤٩/١٣)، والترمذي (٣٠٠٢، ٣٠٠٣)، والنسائي (٣١٤/٦)، وابن جرير (٨٦/٣، ٨٧)، وابن أبي حاتم (٧٥٦/٣)، وعلقه البخاري في المغازي وغيرهم.

{٢٠٧} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يَدْعُوَ على أحدٍ أو يَدْعُوَ لأحدٍ قَنَتَ بعد الركوع: «**اللَّهم أَنْجِ الوليد بن الوليد، وسلمةَ بن هشام، وعَيَّاشَ بن أبي رَبِيعة، والمُسْتَضْعَفِينَ من المؤمنين؛ اللَّهم اشْدُدْ وَطْأَتَك على مُضَرَ، واجعلها عليهم سِنِين كسِنِي يوسف**» يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاة الفجر: «**اللَّهم العَن فلاناً وفلاناً لأحياء من أحياء العرب**» يجهر بذلك حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

رواه البخاري في التفسير (٢٩٣/٩)، ومسلم، وابن جرير (٨٩/٤)، وابن أبي حاتم (٧٥٧/٣) وغيرهم.

في هذه الأحاديث دليل على أن الآية نزلت بسبب ما ذكر فيها، ومن المعروف في علوم القرآن وأسباب النزول أن الآية قد يكون لها سبب واحد، أو سببان، أو أسباب، وهذا منها وفي حديثي ابن عمر وأبي هريرة مشروعية الدعاء على الكفار باللعنة والدعاء مع المؤمنين ولو كان داخل الصلاة وهو المعبر عنه بالقنوت، وهو مشروع للنوازل. . وقد تقدم حكمه في الصلاة.

❁ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [١٣٣].

{٢٠٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ قال: «**أرأيت الليل إذا جاء لبس كل**

شيء، فأين النهار؟»، قال: حيث شاء الله، قال: **«وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل»**.

رواه البزار (٢١٩٦)، وابن حبان (١٠٤)، بالموارد، والحاكم (٣٦/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وقال النور في المجمع رقم (١٠٩٠٢): ورجاله رجال الصحيح.

هذا جواب من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مفحم مقنع، علماً بأن الكل من عالم الغيب لا ينبغي لنا الخوض فيه، فحسبنا الإيمان بما جاء في ذلك.

{٢٠٩} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال يوم بدر: **«قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»**، فقال عُمَيْر بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: **«نعم»**، قال: بخ بخ، لا والله يا رسول الله! لا بد وأن أكون من أهلها، قال: **«فإنك من أهلَها»**، فأخرج تميرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

رواه أحمد (١٣٦/٣)، ومسلم في الإمارة (٤٥/١٣)، والحاكم (٤٢٦/٣).

بخٍ بخٍ بسكون الخاء وكسرها مع التنوين، ومعناها: تفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

والحديث يدل على فضل الشهادة والترغيب فيها وفيه كالآية أن الجنة كعرض السموات والأرض لو بسطت جميعها ثم ألصق بعضها إلى بعض فهي عرضها وكيف بطولها؟.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [١٣٤].

{٢١٠} ـ عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم قال: **«مَن كَظَم غَيظاً وهو يَقدِرُ على أن يُنفِّذَه دعاهُ الله على رُؤُوس الخلائق حتى يُخَيِّرَه في أيِّ الحورِ شاءَ»**.

رواه أحمد (٤٣٨/٣، ٤٤٠)، وأبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١، ٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وأبو يعلى (١٤٩٧)، والطبراني في معاجمه الثلاثة، وحسنه الترمذي وهو صحيح لطريقين له عند أحمد ولشواهد له أيضاً.

الغيظ: هو شدة الغضب، وكظمه رده في الجوف وعدم إظهاره والعمل بمقتضاه، وفيه فضل عظيم للكاظمين الغيظ. والآية مصرحة بأنه من صفات المتقين جعلنا الله تعالى منهم بمنّه وكرمه آمين.

وهذا هو الصُّرَعَة الوارد في حديث الصحيحين: **«ليس الشديد بالصُّرَعَة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [١٣٥، ١٣٦].

{٣١١} ـ عن علي رضي الله تعالى عنه قال: إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حديثاً يَنفَعُنِي الله منه بما شاء أن يَنفَعَنِي فإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صَدَّقْته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«ما مِن رجلٍ يُذنِبُ ذنباً ثم يقوم فيتَطهَّر فيُحْسِنُ الطُّهور ثم يصلِّي ركعتين فيَستغفر الله تعالى إلا غفر الله له ثم تلا:** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الآية».

رواه أحمد (٨/١، ٩، ١٠)، والحميدي (٤٩)، وأبو داود (١٥٢١)،

والترمذي (٤٠٦، ٣٠٠٦)، والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦)، وابن ماجه (١٣٩٥) بسند صحيح.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بشارة أي بشارة للمذنبين التوابين المستغفرين الغير مصرِّين على ما يأتون من فاحشة وذنب.

وتقدم في الأذكار في حديث أبي هريرة: «**قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**» كلام في الموضوع.

وقوله تعالى: ﴿فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، الفاحشة: كل ما فحش وعظم من الذنوب، وظلم النفس يشمل الصغائر وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝١٤٣﴾ [١٤٣].

{٣١٢} ـ عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا تَتَمَنَّوْا لِقاءَ العدُوْ وسَلُوا الله العافِيَةَ، فإذا لَقِيتُموهم فاصْبِرُوا، واعلموا أنَّ الجنةَ تحت ظِلالِ السُيُوف**».

رواه البخاري في الجهاد (٣٨٥/٧)، وفي التمني (٣٥٢/١٦)، ومسلم في الجهاد (٤٦/١٢) أيضاً، والبخاري كذلك معلقاً عن أبي هريرة.

المراد بتمني الموت في الآية أي: تمنِّيهم لقاء العدو ليحظوا بالشهادة ولكنهم لما شاهدوا ما حصل من قَتْلِ مَن قُتِل انهزموا، وفي الآية عتاب للمنهزمين يوم أُحُد. وجاء الحديث ينهى عن تمنِّي لقاء العدو لأنه ابتلاء ولا يطيق الصبر عليه إلا الأكابر والأفضل سؤال الله العافية لأن فيها السلامة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [١٥٢].

{٣١٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أُحُد. فقال ابن عتبة: فأنكرنا ذلك، فقال

ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، إن الله عز وجل يقول في يوم أُحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾. يقول ابن عباس: والحس: القتل. حتى إذا فشلتم إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، عني بهذا الرماة، وذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أقامهم في موضع ثم قال: «**احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**»، فلما غنم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً فدخلوا العسكر ينتهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيهم كذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه أول انتصار.

رواه مطولاً أحمد (١/٢٨٧، ٢٨٨)، والحاكم (٢/٢٩٦، ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة تتحدث عن غزوة أُحُد وكانت من أخطر الغزوات على المسلمين، فأخبر تعالى بأنه صدقهم ما وعدهم به من النصر حيث قتلوا الكفار قتلاً ذريعاً وهزموهم، ولكنهم سرعان ما انقلبت عليهم الدائرة لفشلهم وتنازع رماة الجبل ومخالفتهم أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بثباتهم على الجبل فحصل ما حصل بعدما أراهم ما يحبون، ولكن الله بفضله وإنعامه عفا عنهم وسامحهم لأنها هفوة صدرت منهم في جنب حسنات كثيرة لهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ الآية [١٥٣].

{٢١٤} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: جعل رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الرماة يوم أُحُد ـ وكانوا خمسين رجلاً ـ عبدالله بن جبير قال: ووضعهم مكاناً وقال لهم: **«إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، فإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»**، قال: وسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن معهم، قال: فهزمهم قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن على الجبل بدت خلاخلهن وأَسْوُقُهُنَّ رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، قد ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ قال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم! فقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين فذاك حين يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ فنهاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله! إن الذي عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم سترون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تَسُؤْني، ثم أخذ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ألا تُجيبوه؟»**، فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: **«قولوا: الله أعلى وأجَلّ»**، قال: إنا لنا عُزَّى ولا عزى لكم، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ألا تجيبوه؟»**، قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: **«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»**.

رواه أحمد (٢٩٣/٤، ٢٩٤)، والبخاري في الجهاد (٥٠٣/٦)، وفي المغازي (٣٦٧/٨)، وفي التفسير (٣٩٥/٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٢)، والنسائي في الكبرى (٣١٥/٦) وغيرهم.

الحديث الشريف جاء شارحاً لبعض مواقف غزوة أُحُد وما حصل فيها للصحابة بعد انتصارهم بادىء بدء، وأن ما وقع لهم من المحنة إنما كان جراء مخالفتهم للرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ففي ذلك عبرة ودرس لهم ولكل من جاء بعدهم من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [١٥٤].

{٣١٥} ـ عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أُحُد حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه ويسقط وآخذه.

رواه أحمد (٢٩/٤)، والبخاري في المغازي (٣٦١/٨)، وفي التفسير (٢٩٦/٩)، والترمذي (٣٠٠٨)، والنسائي في الكبرى (٣١٦/٦) وغيرهم.

هذا من لطف الله تعالى بالصحابة ورفقه بهم حيث أخذهم النعاس والأمان بعد الغم والجراحات.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [١٦١].

{٣١٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً فذكر الغلول فعظمه وعظم أمرهُ، ثم قال: **«لا أُلْفيَنَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغَاء، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملِك لك من الله شيئاً، قد بلَّغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حَمْحَمَةٌ فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلَّغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلَّغتك»**.

رواه أحمد (٢/٤٢٦)، والبخاري في الجهاد (٦/٥٢٦)، ومسلم في الأمارة (١٢/٢١٦، ٢١٧)، وابن حبان (٤٨٤٧، ٤٨٤٨) وغيرهم.

{٣١٧} ـ وعن عدي بن عَمِيرة الكندي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**من استعملنا منكم على عَمَل فكتَمنا مِخيطاً فما فوقَه كان غُلُولاً يأتي به يومَ القيامة**».

رواه أحمد (٤/١٩٢)، ومسلم (١٢/٢٢٢) وغيرهما.

الرغاء: صوت البعير. والحمحمة: صوت الخيل. والصامت: الذهب والفضة.

وفي الآية الكريمة كالحديثين تحريم الغلول وهو يطلق على السرقة من المغنم قبل القسمة، وأطلق هنا في الحديث الثاني على ما يأخذه جابي الصدقة من الهدايا وغيرها، والغلول من كبائر الذنوب وقد جاء فيه وعيد شديد غير ما ذكرنا فمن غلَّ شيئاً جاء به يوم القيامة حاملاً له على عاتقه فَضْحاً له وتشهيراً به عياذاً بالله من موجبات سخطه وغضبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [١٦٩، ١٧٠].

{٣١٨} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: أما إنَّا سألْنا رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ يعني: عن هذه الآية ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ الخ، فقال: «**أرواحُهم في جَوْف طَيْرٍ خُضْرٍ لهَا قَناديِلُ مُعَلَّقَةٌ بالعرشِ تَسْرَحُ من الجنة حيث شاءَتْ ثم تأوِي إلى تلك القناديل فاطَّلَع عليهم ربُّهم اطِّلاعَةً فقال: هَلْ تَشْتَهُونَ شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نَشتهي ونحن نَسْرحُ من الجنةِ حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنَّهم لن يُتْرَكُوا من أن يُسْألوا قالوا: يا رب! نريد أن تَرُدَّ أرواحَنا في أجْسادِنا حتى نُقْتَل في سبيلك مرةً أخرى، فلما رأى ليس لهم حاجةٌ تُرِكُوا**».

رواه مسلم في الإمارة (١٣/٣٠، ٣١).

فيه فضل الشهادة في سبيل الله وأن الشهداء يسرحون في الجنة الآن حيث شاؤوا، وقد صرحت الآية الكريمة كآية البقرة بأنهم أحياء عند ربهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [١٧٢ - ١٧٤].

{٢١٩} - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما انصرف المشركون عن أُحُد وبلغوا الرَّوْحَاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعِبَ أَرْدَفْتُم، وبِئْسَ ما صَنَعْتم، ارْجِعوا. فبلغ ذلك النبيّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فَنَدَب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأَسَد وبِئْرَ أبي عُتَيْبَةَ فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبيّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: مَوْعِدُكَ موسِمُ بَدْرٍ حيث قَتَلْتُم أصحابَنا، فأما الجَبانُ فرجع، وأما الشُّجَاعُ فأخذ أُهْبَةَ القتال والتجارة فلم يجدوا بَعْدُ أحداً وتَسَوَّقُوا فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى (٣١٧/٦)، وابن جرير (١٨٠/٤)، وابن أبي حاتم (٨١٦/٣)، والطبراني في الكبير (١١٦٣٢) بسند صحيح، وقال النور في المجمع (١٢١/٦): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة.

{٢٢٠} - وعنه قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

رواه البخاري في التفسير (٩/٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٣١٦)، وابن جرير (٤/١٨٢)، وابن أبي حاتم (٣/٨١٨).

لا زالت الآيات تتحدث عن غزوة أُحد وما جاء في أعقابها من خروج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وراء جيش أبي سفيان إلى أن وصل حمراء الأسد فلم يلق حرباً بل رجع سالماً، ولما كان شعبان من السنة الرابعة خرج صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى بدر لموعد أبي سفيان فلم يجد به أحداً فرجع بنعمة الله وفضله، وكان قبل خروجه من المدينة قدم عليه نُعَيْمُ بن مسعود مُرْجِفاً بما جمعه أبو سفيان وقال للمسلمين: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ الآية، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، أي: الله كافينا شر ذي شر، ونعم الوكيل: الله سبحانه وتعالى.

{٢٢١} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كيف أنعَمُ وصاحبُ القرن قد التقم القرن وأصغى بِسَمْعِهِ وجثى بِجَبْهَتِه ينتظر متى يُؤْمَرُ فيَنْفُخُ**»، قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال: «**قولوا**: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ **على الله توكلنا**».

رواه النسائي في الكبرى (٦/٣١٦) بسند صحيح، وله شاهد عن أبي سعيد رواه أحمد والحميدي والترمذي، وعن ابن عباس رواه أحمد والحاكم، ويأتي في النفخة، وانظر تهذيبي للجامع (٢٢٥٢).

في الحديث إرشاد إلى ذكر الحسبلة عند الأمور العظام وترقب نزول الدواهي لما في ذلك من التفويض إلى الله تعالى والتوكل والاعتماد عليه، فمن لجأ إلى ذلك وذكره كفاه الله ما أهمه وكان وكيله الأكبر الذي لا يضام ولا يقهر سبحانه عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ﴾ [١٨٠].

{٢٢٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من أتاه الله مالاً فلم يُؤَدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعاً أقرعَ له زَبيبتان يُطَوَّقُه يوم القيامة يأخذ بِلِهزِمَتَيه** ـ يعني: شدقيه ـ **يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية**».

رواه أحمد (٢/٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٨٩)، والبخاري في التفسير (٢٩٨/٩) وغيرهما، ورواه أحمد (٣٧٧/١)، والترمذي في التفسير (٣٠١٢)، والنسائي في الكبرى (٣١٧/٦)، وفي المجتبى، وابن ماجه (٧٨٤) من حديث ابن مسعود بنحوه وسنده صحيح وهو في الصحيحين في نزول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الخ وتقدم.

وقوله: شجاعاً أقرع: هو الذكر من الحيات الخبيث الكثير السم.

وفي الآية والحديث وَعيدٌ شديدٌ لمانعي الزكاة، وأن ذلك المال سيمثَّل لصاحبه ثعباناً عظيماً يأخذ بلحييه ويطوق على عنقه ويناديه: أنا مالك الذي كنزتني ولم تؤدِّ حق الله تعالى مني، نعوذ بالله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [١٨٥].

{٣٣٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن موضعَ سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ الآية**».

رواه أحمد (٤٣٨/٢)، والترمذي في التفسير (٣٠١٣)، والنسائي في الكبرى (٣١٧/٦)، وابن جرير (٢٠٠/٤)، وابن أبي حاتم (٨٣٣/٣)، والدارمي (٢٨٢٣، ٢٨٣١، ٢٨٤١)، وابن ماجه (٤٣٣٥) وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم (٢٩٩/٢) وهو في الصحيحين بدون ذكر الآية.

في الآية والحديث بشارة للمؤمن المقضي له بالجنة والحفظ من النار.

{٢٢٤} ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«مَن أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ويُدْخلَ الجنة فلْتُدْرِكه مَنِيَّتُه وهو يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر وليأتِ إلى الناسِ ما يُحب أن يُؤتَى إليه»**.

رواه أحمد (٢/١٩٢) بسند صحيح.

في الحديث: أن الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان إلى الناس من موجبات الجنة والإبعاد من النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [١٨٦].

{٢٢٥} ـ عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ركب على حِمارٍ على قَطِيفَةٍ فدكية وأردف أُسَامةَ بن زيد وراءَه يعود سعدَ بن عُبادة في بني الحارث بن الخزرج قبْل وقْعَة بدر قال: حتى مرَّ بمجلس فيه عبدالله بن أُبي بنُ سَلُول وذلك قبل أن يُسلم عبدالله بن أبي فإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدةِ الأوثان واليهودِ والمسلمين، وفي المجلس عبدالله بن رَواحة فلما غشيت المجلسَ عجاجةُ الدابَّة خَمَّرَ عبدالله بن أبي أنفَه بردائه ثم قال: لا تُغَبِّرُوا علينا، فسلَّم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي بن سلول: أيها المرءُ! إنه لا أحسنَ مما تقول إن كان حقاً فلا تُؤذِنا به في مجالسنا ارجِعْ إلى رحْلِك فمن جاءك فاقصُصْ عليه، فقال عبدُالله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغْشَنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاسْتَبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يَتَثَاوَرُون، فلم يزل النبي

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يُخَفِّضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دابّته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا سعدُ! ألم تسمعْ ما قال أبو حُبَاب؟** - يريد عبدالله بن أبي -، **قال: كذا وكذا**»، **قال** سعد بن عبادة: يا رسول الله! اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصْطَلَحَ أهلُ هذه البُحْرة أن يُتَوِّجُوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفَى عنه رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله عز وجل ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ الآية.

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتأوَّل العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بدراً فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الإسلام فأسلموا.

رواه البخاري في التفسير (**٢٩٨/٩**) وغيره، ومسلم في السير (**١٥٧/١٢، ١٥٨، ١٥٩**)، ورواه مسلم عن أنس بسياق آخر.

في الحديث ما كان عليه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من تحمل الأذى من المشركين والمنافقين في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل مع عفوه عن الجاهلين والسفهاء منهم، وكان ذلك بمكة أكثر منه بالمدينة، وفي الآية الكريمة إخبار منه تعالى بما سيصاب به المسلمون من طرف الكفار من أنواع الأذايات.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [١٨٨].

{٢٣٦} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يُحْمَدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٣٠١/٩)، ومسلم في صفات المنافقين (١٢٣/١٧).

في الآية والحديث ذم الفرح، وحب المدح بما لم يفعله الإنسان كما كان شأن المنافقين واليهود مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأن صانع ذلك والراضي به له وعيد شديد إن لم يرعو عما هو متصف به، ويدخل في ذلك من يفرح بمدح الناس له بما هو عار عنه، وذلك من علامات الإفلاس وصاحبه مغرور معجب بنفسه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ [١٩٠، ١٩١].

{٢٣٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأهله في طولها، فنام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شَنٍّ مُعلَّقَةٍ فتوضأ منها وضوءه ثم قام يصلي.. الحديث تقدم في قيام الليل.

رواه البخاري في الطهارة، وفي الصلاة، وفي التفسير (٩/٣٠٣، ٣٠٥)، ومسلم في صلاة الليل (٦/٤٤، ٤٦)، وأبو داود (١٣٦٤، ١٣٦٧)، والترمذي في الشمائل (٢٦٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٣١٨، ٣١٩)، وفي المجتبى، وابن ماجه (١٣٦٣) وغيرهم.

{٢٢٨} ـ وعن عُبَيد بن حُمَيْدٍ رحمه الله تعالى قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: أخبريني بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال: فسكتَتْ ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «**يا عائشة! ذَريني أتعبد الليلة لربي؟**»، قلت: والله إني لأحب قربك وأحِبُّ ما سَرَّكَ، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حجره، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لِمَ تبكي؟ وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر! قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليّ الليلة آيةٌ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها**».

رواه ابن حبان (٦٢٠) بالإحسان، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (١٨١) وغيرهما، وانظر الدر المنثور (٢/٤٠٩) وسنده صحيح على شرط مسلم عند ابن حبان.

في الحديث الأول مشروعية قراءة هذه الآيات عند القيام للتهجد، وهي آيات عظيمة ففيها إرشاد المؤمنين للتفكر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من عجائب الكائنات كما فيها مدح فاعلي ذلك والداعين الله عز وجل بأنواع الأدعية وابتهالهم إليه مع إخباره عز وجل بأنه يستجيب لهم وأنه لا يضيع أجر عمل عامل منهم.

أما الحديث الثاني ففيه ما كان عليه الحبيب الأعظم صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم من التعبد لربه وكثرة بكائه قياماً بشكر الله تعالى على ما أتمَّ عليه وأسبغ من النعم التي منها غفران ما تقدم له وما تأخر.

وفيه ذم من قرأ هذه الآية ولم يتفكَّر فيها وأنه يوشك أن يكون من الخاسرين الهالكين الغافلين جعلنا الله تعالى من أهل الذكر والتفكر والتيقظ وحفظنا من أهل الغفلة والقسوة والملل والفتور، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [١٩٥].

{٣٢٩} ـ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله! لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم . . .﴾ الخ.

رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٤٤/١٥)، والترمذي في التفسير (٣٠٢٣)، وابن جرير (٢١٥/٤)، وابن أبي حاتم (٨٤٤/٣)، وأبو يعلى (٦٩٥٨)، والحاكم (٣٠٠/٢) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

في الآية الكريمة: أن الجنسين الذكر والأنثى كلاهما سواء في الإيمان والعمل الصالح والجزاء، وأنه لا فضل لهذا على ذاك إلا بالتقوى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ﴾ [١٩٩].

{٣٣٠} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**صلوا عليه**»، قالوا: يا رسول الله! نصلي على عبد حبشي؟! فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ . . .﴾ الخ.

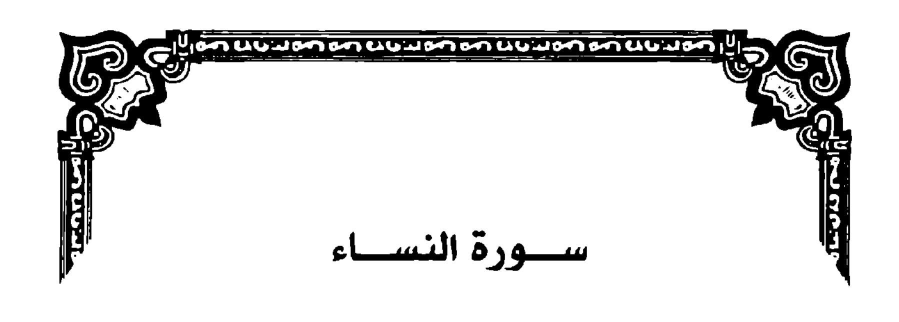
رواه النسائي في الكبرى (٣١٩/٦)، والبزار (٨٣٢)، وابن أبي حاتم (٨٤٦/٣)، والطبراني في الأوسط (٢٦٨٨) وغيرهم وهو حديث حسن أو صحيح لطرقه، وقال النور في المجمع (٣٨/٣): ورجال الطبراني ثقات.

نعي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم النجاشي عند موته والصلاة عليه في الصحيحين، والحديث يدل على أن الآية نزلت بسبب نعي النجاشي، وقد جاء في سبب نزولها حديث آخر رواه الحاكم (٣٠٠/٢) من حديث ابن الزبير، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر ابن جرير (٢١٨/٤، ٢١٩)، والدر المنثور (٤١٦/٢)، واختار ابن جرير رحمه الله تعالى عموم الآية في جميع أهل الكتاب من النصارى واليهود وهذا لا ينبغي فيه الخلاف، فالعبرة بالعموم وإنما كلامنا في سبب النزول.

وفي الآية فضيلة للنجاشي بمدح الله تعالى ولأمثاله بما ذكر فيها من الصفات الحميدة كالإيمان بالله، والإيمان بالكتب الإلٰهية مع الخشوع لله عز وجل، وعدم الكتمان لما في كتبهم من الحق، وأخذ الرشا في مقابلة ذلك كما كان سائداً بين أوساط أحبارهم الفجرة.

وبه تم الكلام على سورة آل عمران، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





ســورة النســاء

السورة الكريمة من السور المدنيات الطوال آياتها (١٧٦) وقد اهتمت بأحكام النساء، ولذلك سميت باسمهن ولها من الخصائص في ذلك ما ليس لغيرها.

{٣٣١} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ في النِّساءِ لَخَمْسَ آياتٍ ما يَسُرُّنِي بِها الدنيا وما فيها، وقد علمتُ أن العلماءَ إذا مَرُّوا بها يَعْرِفُونَها:

- قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [٣١].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [٤٠].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [٤٨].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [٦٤].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [١١٠].

رواه الحاكم (٣٠٥/٢) وصححه وأشار إلى الاختلاف في اتصاله، وعزاه النور في المجمع رقم (١٠٩٥٤) للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

{٣٣٢} ـ وعنه في رواية: إن في كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر له: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ آل عمران: ١٣٥، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ النساء: ١١٠.

عزاه النور (١٠٩٥٢) للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

فيما ذكره ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن هذه الآيات يحمل خيراً كبيراً وبشارة عظيمة لمن عقل وعمل بمقتضى ذلك جعلنا الله تعالى من أهلها بمنّه وكرمه آمين.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [١].

{٣٣٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن المرأة خُلِقَتْ من ضِلعٍ: لن تَسْتَقِيم لك على طَرِيقةٍ، فإن استَمْتَعتَ بها استَمْتَعْتَ بها وبها عِوَجٌ، وإن ذهبتَ تُقيمها كَسَرْتَها وكَسْرُها طَلاقُها»**.

رواه مسلم في الرضاع (٥٧/١٠)، والترمذي آخر النكاح (١١٨٨) وغيرهما وهو عند البخاري وغيره بسياق آخر سيأتي في النكاح إن شاء الله تعالى مع غيره.

الحديث مبين للآية الكريمة وأن الزوجة خلقت من ضلع آدم عليه السلام. وفي الحديث إرشاد للرجال لملاطفة النساء والصبر على سوء أخلاقهن وتحمل إذايتهنّ وذلك لضعفهن.

❋ **قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [٣].**

{٢٣٤} ـ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية، فقالت: يا ابن أختي! هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تُشْرِكُه في ماله ويُعْجِبُه مالُها وجمالُها فيُريد وليُّها أن يتزوجها بغير أن يُقْسِط في صداقها فيُعْطيها مثلَ ما يعطيها غيرُه فنهوا عن ذلك إلا أن يُقسِطوا لهن ويبلغوا لهن أعْلى سُنَّتِهِنَّ فأُمِرُوا أن يَنْكِحُوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قالت: وإن الناس اسْتَفْتَوْا رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾.. قالت: وقول الله في آية أخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، رغبة أحدكم عن يتيمته حيث تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٠٧، ٣٠٩) وغيره، ومسلم آخر الكتاب (١٨/١٥٤، ١٥٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٩، ٣)، وابن جرير (٤/٢٣١، ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٣/٨٥٧، ٨٥٨).

في الآية وأثر السيدة عائشة دليل على وجوب العدل في المهر بين اليتيمة وغيرها، وأن الأوصياء لا يجوز لهم غصب اليتامى اللاتي تحت أيديهم بالنقص في مُهُورِهن، كما أن الآية صريحة في إباحة تعدد الزوجات للحاجة ونهاية ذلك أربع بالإجماع والزيادة على ذلك من خصائص نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد جاء في حديث غيلان الثقفي أنه أسلم وله عشر نسوة، فأسلمن معه، فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يختار منهن أربعاً ويفارق باقيهن؛ رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، كما صححه ابن حزم، وابن كثير، وابن القطان..

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُقْسِطُوا﴾: أي: لا تعدلوا.

وقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾: أي: ما حل وأبيح لكم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٦].

{٣٣٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ الآية، قالت: أنزلت في والي اليتيم أن يُصيب من ماله إذا كان محتاجاً بقدرِ ماله بالمعروف. وفي رواية: إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٠٩، ٣١٠) وغيره، ومسلم (١٨/١٥٦، ١٥٧).

الآية نص في وجوب استعفاف وصي اليتيم عن أخذ ماله إذا لم يكن محتاجاً فإن احتاج فله أن يأخذ بقدر الحاجة ولا يعتدي فإن ذلك عظيم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [٨].

{٣٣٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت ولا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون الناس، هما واليان: والٍ يَرِثُ وذاك الذي يُرْزَقُ، ووالٍ لا يَرِث فذاك الذي يقال له بالمعروف، يقول لا أملك لك أن أُعطِيَك، وفي رواية: هي محكمة وليست منسوخة.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣١٠)، وفي الوصايا (٦/٣١٨).

جمهور الأئمة على أن الآية منسوخة بآية المواريث، نعم يستحب أن يعطى الأقارب الذين لا يرثون إذا حضروا القسمة مع ما ذكر في الآية، ويقال لهم قولٌ معروف.

❊ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية [١٠].

{٣٣٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**اجْتَنِبُوا السبعَ المُوبِقَاتِ**»، قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشركُ بالله، والسِّحْر، وقتلُ النفس التي حرَّمَ اللّهُ إلا بالحق، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتَولّي يومَ الزَّحْفِ، وقذفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمِناتِ**».

رواه البخاري في الوصايا، وفي الطب، وفي الحدود (٦٨٥٧)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، وأبو عوانة (٥٥/١)، وأبو داود، والنسائي في الوصايا من المجتبى، وفي الكبرى أيضاً (١٤/٤).

«**الموبقات**»: الذنوب الكبار التي توبق صاحبها في النار، وهي ليست محصورة في هذه السبع بل هي تناهز الأربعمائة كما ذكرها مفصلة ابن حجر الهيتمي في الزواجر وحد الكبيرة هي كل ما جاء بها نص من كتاب أو سنة، أو إجماع، أو لعن صاحبها، أو علق على مرتكبها حداً أو جاء فيها عقاب شديد أو نحو ذلك.

وفي الحديث عظم هذه الذنوب وأنها من كبائر السيئات، ولا خلاف في ذلك ومنها تناول مال اليتيم كما نصت على ذلك الآية الكريمة أيضاً وقرنته بذلك الوعيد الشديد، وجعلت آكله كأنه الآن يأكل النار عياذاً بالله تعالى.

❊ قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ الخ [١١].

{٣٣٨} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: عادَني النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبو بكر في بني سَلِمة ماشِيَيْن فوجدَني النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا أعقِل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رشَّ عليَّ فأفَقْتُ فقلت: ما تأمرني أن أصنعَ في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في الطهارة، وفي الفرائض، وفي التفسير (٣١١/٩)، وفي الاعتصام، ومسلم في الفرائض (٥٥/١)، والترمذي في التفسير (٣٠١٥)، وأبو داود (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، والنسائي في الكبرى (٣٢٠/٦)، وفي مواضع، وابن جرير (٢٧٦/٤)، وابن أبي حاتم (٨٨٠/٣).

هكذا جاء في هذه الرواية: أن الآية نزلت لهذا السبب، وسيأتي خلاف هذا آخر السورة. وفي الآية مشروعية أخذ الذكر من تركة أحد والديه مثل نصيب الأنثيين وهو إجماع لا خلاف فيه لما في ذلك من الحكمة الإلٰهية التي تتجلى في تصرفات الجنسين، فمن خالف هذا الحكم وطالب تسوية الذكر والأنثى كان مرتداً كافراً.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [١١].

{٣٣٩} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: جاءت امرأة سعدِ بن الرَّبيع إلى رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله! هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتِلَ أبوهما معك في يوم أُحُد شهيداً وأن عمَّهما أخَذ مالهما فلم يَدعْ لهما مالاً ولا ينكحان إلا ولهما مال، قال: فقال: **«يقضي الله في ذلك»**، فنزلت آية المواريث فأرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى عمهما فقال: **«اعْطِ ابْنَتَيْ سعدِ الثلثين، وأمَّهُمَا الثُّمُنَ، وما بَقِي فهو لك»**.

رواه أحمد (٣٥٢/٣)، وأبو داود (٢٨٩)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم (٣٤٢/٤) كلهم في الفرائض، وحسنه الترمذي، وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في هذا الحديث: أن هذه القصة إحدى أسباب نزول آية المواريث.

وفي الحديث دليل على أن العم مع الزوجة والبنتين.. عاصب يأخذ ما بقي بعد أخذ ذوي الفرائض أنصباءهم وهو إجماع أيضاً.

﴿ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ الآية [١٢].

{٢٤٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين؛ فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع.

رواه البخاري (٩/٣١٣)، وابن جرير (٤/٢٧٥)، وابن أبي حاتم، والنسائي في الكبرى (٦/٢٢٦) وغيرهم.

في هذا الأثر بيان الأنصباء والفرائض التي قدرها الله تعالى للذين يرثون بالفرضية وهي ستة، السدس للأبوين إن كان للميت ولد، والثلث للأم، والثلثان للأب عند فقدان ولد للميت، والثمن للزوجة من زوجها إن كان له ولد، أو الربع إن لم يكن له ولد، وله منها النصف إن لم يكن لها ولد، والربع إن كان لها ولد، وهنالك ورثة آخرون يرثون بالفرضية أو التعصيب مستوفون في كتب المواريث.

﴿ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [١٢].

{٢٤١} ـ عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾، وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قضى بالدَّيْن قبل الوصية، وأن أعيان بَنِي الأم يرثون دون بني العلات الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه.

رواه أحمد (٥٩٥، ١٠٩١، ١٢٢١)، والحميدي (٥٥، ٥٦)، والترمذي (٢٠٩٤)، وابن ماجه (٢٢٣٩)، والحاكم (٤/٣٣٦)، وكذا ابن الجارود (٩٥٠)، وأبو يعلى (٣٠٠، ٦٢٥) وغيرهم وسنده صحيح، والحارث ثقة على الصحيح ولا يضر هنا أبو إسحاق السبيعي فإنه وقع

الإجماع على العمل بمقتضاه، وأن إخراج الديون من التركة مقدم على تنفيذ الوصية، وما قاله الإمام علي هنا إجماع لا خلاف فيه، وأعيان بني الأم هم الأخوة الأشقاء، وبنو العلات الأخوة للأب من أمهات شتى.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ [١٢].

{٢٤٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن الرجلَ ليعملُ والمرأةُ بطاعة الله ستين سنة ثم يَحضُرُهم الموتُ فيضارَّان في الوصية فتجب لهما النار**»، ثم قرأ أبو هريرة: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

رواه أحمد (٢/٢٢٨)، وأبو داود (٢٨٦٧)، والترمذي (٢١١٧)، وابن ماجه (٢٧٠٤) بسند حسن، وشهر تكلم فيه بغير حجة كما قال النووي في شرح مسلم والمهذب.

والحديث يدل على تحريم المضارة في الوصية وللناس فنون في ذلك، وورد عن ابن عباس أنه قال: الإضرار في الوصية من الكبائر، رواه ابن جرير (٢٨٨، ٢٨٩)، وابن أبي حاتم (٣/٨٨٩) وورد مرفوعاً.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [١٥].

{٢٤٣} ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الخ، قال: ففعل ذلك بهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فبينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جالس ونحن حوله وكان إذا نزل عليه الوحي أعرض عنَّا وأعرضنا عنه، وتربَّدَ وجهه وكُرِبَ لذلك، فلما رفع عنه الوحي قال: «**خذوا عني، خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن**

سبيلاً، البِكْرُ بالبكر جلدُ مائةٍ نفيُ سنةٍ، والثَّيِّبُ بالثيب جلدُ مائةٍ ثم الرجمُ».

رواه أحمد (٣١٣/٥، ٣١٨، ٣٢٧)، ومسلم في الحدود (١٨٨/١١، ١٩١)، وأبو داود (٤٤١٥)، وباقي أهل السنن، وابن جرير (٢٩٣/٤)، وابن حاتم (٨٩٤/٣).

قوله: تربد وجهه: أي: تغير حتى صار كلون الرماد.

وقوله: كرب بضم الكاف: أي: أصابه كرب وشدة.

والحديث يدل على أن الآية منسوخة فقد كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، ثم جاء الأمر الإلٰهي بالحد ورفع ما كان قبلُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ﴾ [١٧].

{٢٤٤} ـ عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فرأوا أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمداً كان أو غيره.

رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥١/١)، ومن طريقه ابن جرير (٢٩٨/٤)، وورد ذلك عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد وغيره انظر ابن جرير (٢٩٨/٤، ٢٩٩)، وابن أبي حاتم (٨٩٧/٣).

ما قاله هؤلاء يدل على أن كل عاص جاهل سواء كان عالماً أم لا، وسواء أتى المعصية عن عمد أم غيره حفظنا الله تعالى من مواقع سخطه وغضبه، آمين.

{٢٤٥} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن الله يَقبلُ توبةَ العبد ما لم يُغرْغِرْ**».

رواه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي في الدعوات (٣٣٠٤)، وابن ماجه

(٤٢٥٣)، وابن حبان (٢٤٤٩) بالموارد، والحاكم في التوبة (٤/٢٥٧) بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو صحيح لشواهده عن أبي هريرة، وأبي ذر وعن أربعة من الصحابة.

والآية تدل على أن من أذنب وتاب من قريب تاب الله تعالى عليه، والقرب بينه الحديث وهو ما دام على قيد الحياة ولم تصل الروح إلى الحلقوم حيث تقع الغرغرة ويشاهد المحتضر مقامه فإذا أبلغ إلى هذه الحالة لا يقبل الله توبته ولا إسلامه وهذا من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين ورحمته بهم، فإن رحمته سبقت غضبه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ الآية [١٩].

{٢٤٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ الخ، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها فنزلت الآية في ذلك.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣١٥)، وفي الإكراه، وأبو داود في النكاح (٢٠٨٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢١)، وابن جرير (٤/٣٠٥)، وابن أبي حاتم (٣/٩٠٢).

{٢٤٧} ـ وعن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف عن أبيه قال: لما توفي أبو قيس بن الأَسْلَتِ أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده، فكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ الخ.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٢١)، وابن جرير (٤/٣٠٥) بسند حسن.

هذا من مخازي الجاهلية وعاداتها الهابطة، فقد كانت المرأة عندهم تورث كما يورث المتاع حتى زوجة الأب يأخذها الابن ويكون له الخيار في التزوج بها أو تزويجها أو منعها حتى تموت، فحرم الله كل ذلك وأعطى

المرأة حقها وحريتها تتزوج بمن شاءت من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [١٩].

{٢٤٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«خَيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهْلِي»**.

رواه أبو داود (٤٨٩٩)، والترمذي (٣٨٩٥)، والدارمي (٢٣٦٥)، وابن حبان (١٣١٢) بالموارد بسند صحيح، وحسنه الترمذي، وصححه وله شواهد عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما.

{٢٤٩} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لا يَفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً إن كَرِهَ منها خُلُقاً رضِيَ مِنها آخرَ»**.

رواه أحمد (٣٢٩/٢)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأبو يعلى (٤٥٩/٥).

الآية الكريمة ترشد الرجال إلى معاملة النساء بطيب من القول والمعاملة الحسنة، وجاء الحديث الأول يبين أن أفضل الناس وخيرهم خيرهم معاملة لأهلهم، أما الحديث الثاني فيشير إلى ما عسى أن يَصْدُر من الرجل تجاه امرأته من الكراهية، فأرشدنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الصبر وتحمل ما يصدر منها، فإن لها أخلاقاً حسنة وآثاراً كريمة فليغض الطرف عن سيء أخلاقها، فعسى الله تعالى أن يجعل له في ذلك خيراً.

وقوله: «**لا يفرك**»: من باب تَعِب أي: لا يبغض.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [٢١].

{٢٥٠} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه في خطبة حجة الوداع أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال فيها: **«واسْتَوْصُوا بالنساء خيراً، فإنكم**

أخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانَةِ اللَّهِ تعالى واستَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بكلمةِ الله».

رواه أحمد، ومسلم في الحج وقد تقدم فيه وفي سورة البقرة.

الحديث جاء مفسراً لقوله تعالى: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: أي: أخذن منكم عهداً وثيقاً مؤكداً، وهو عقد النكاح وهو الوارد عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم في تفسير الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية [٢٢].

{٢٥١} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: مَرَّ بِي خَالي أبو بُرْدَةَ بن نِيَّار ومعه لواءٌ فقلت: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى رجُلٍ تَزَوَّجَ امرأةَ أبيه أن آتِيهِ بِرَأسِهِ.

رواه أحمد (٢٩٢/٤)، وأبو داود (٤٤٥٧)، والترمذي في الأحكام (١٣٦٢)، والنسائي (١٠٩/٦)، وفي مواضع من الكبرى في النكاح والحدود.. وابن ماجه (٢٦٠٧)، وابن حبان (١٥٦٦)، والحاكم (٣٥٦/٤، ٣٥٧)، والدارقطني (١٩٦/٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم؛ وللحديث طرق بعضها رجاله رجال الصحيح وبعضها حسنة.

تحريم نكاح أزواج الآباء محرم بالإجماع وهو من فواحش الجاهلية وحكمه في الإسلام قتل من تزوج بذلك كقتل من وقع على ذات محرم.

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [٢٣].

{٢٥٢} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يَحرمُ من الرضاعة ما يَحْرُمُ مِن النسب»**، وفي رواية: **«من الولادة»**.

رواه أحمد (٦/٥١، ٦٦)، والبخاري (١١، ٤٣)، ومسلم (١٠، ١٩، ٢٠)، وأبو داود (٢٠٤٨)، والنسائي (٦/٨١، ٨٢)، وابن ماجه (١٩٣٧) وغيرهم.

لا خلاف في تحريم التزوج بالأم والأخت من الرضاعة كما هو صريح القرآن، وجاء هذا الحديث بالتسوية في التحريم بين ما حرم من النسب وبين مثله من الرضاعة، فالأمهات والأخوات والبنات والخالات والعمات وبنات الإخوة وبنات الأخوات من الرضاعة كلهن محرمات على الرضيع كمثلهن من النسب، ولا فارق وبسط هذا في كتب الفقه الإسلامي. ويأتي لنا ذلك في النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ...﴾ [٢٣].

{٢٥٣} ـ عن الديلمي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! إني أسلمتُ وتحتي أختان، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«طَلِّق أيَّتَهُما شِئتَ»**.

رواه أحمد (٤/٢٣٢)، وأبو داود (٢٢٤٣)، والترمذي (١٠١٢)، وابن ماجه (١٩٥١)، وابن حبان (١٢٧٦) بالموارد وهو حديث حسن، والقرآن يعضده: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾.

وهذا أيضاً لا خلاف فيه، والحديث جاء موافقاً للآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [٢٤].

{٢٥٤} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يومُ أوطاسٍ أصَبْنا نساءً لهن أزواجٌ في المشركين فكرِهَهُنَّ رجالٌ منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

رواه أحمد (٣/٨٤)، ومسلم في الرضاع (١٠/٣٥)، وأبو داود (٢١٥٥)، والترمذي في النكاح، وفي التفسير (٣٠١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢١) وهو عند مسلم مطولاً مبسوطاً.

الآية الكريمة معطوفة على المحرمات من النساء المتقدمات، وهن ثلاثة عشر بدايةً من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ الخ، ومعنى قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: أن المتزوجات من النساء يحرم التزوج بهن ما دمن تحت عصمة أزواجهن إلا ما أخذن بملك اليمين من نساء الكفار فهن حلال إذا استبرأن بحيضة. . . ولا عبرة بعصمة أزواجهن.

ويوم أوطاس: كان بعد حنين في السنة الثامنة من الهجرة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [٢٥].

{٢٥٥} ـ عن علي رضي الله تعالى عنه أنه خطب فقال: يا أيها الناس! أقيموا على أرقائكم الحد من أحْصَنَ منهنَّ ومن لم يُحصِن فإنَّ أمةً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زنَت فأمرني أن أجلِدَها فإذا هي حديثةُ عَهْدٍ بنفاس فخشيتُ إن جلدتها أن أقتلَها فذكرتُ ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«أحْسَنْتَ»**، وفي رواية: **«فإذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين»**.

رواه أحمد (١٥٦/٢)، ومسلم في الحدود (٢١٤/١١).

{٢٥٦} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ قال: **«إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير»**، وفي رواية: **«ولا يُثرِّبْ علَيها»**.

رواه أحمد (٢٤٩/٢، ٤٩٤، ٤٢٢)، ومسلم في الحدود (٢١١/١١، ٢١٢).

الحديثان مبينان للآية الكريمة، وأن الأمة إذا زنت وجب حدها خمسين جلدة على النصف من الحرة. وبيَّن الحديثان أن إحصان الأمة المذكور في الآية لا مفهوم له بل تحد مطلقاً أحصنت أم لا؟.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [٢٩].

{٢٥٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم﴾ الخ، فكان الرجل يَحْرَجُ أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في سورة النور فقال: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾، إلى قوله: ﴿أَشۡتَاتٗاۚ﴾. فكان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى طعام فيقول: إني لأجنح أن آكل منه. والتجنح: الحرج، ويقول: المسكين أحق به مني، فأحلَّ ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأحلَّ طعام أهل الكتاب.

رواه أبو داود في الأطعمة (٣٧٥٣) بسند حسن.

قوله: لم يحرج بفتح الياء والراء: أي: يرى ذلك إثماً وجناحاً أن يأكله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [٢٩].

{٢٥٨} ـ عن عمرو بن العاصي قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشْفَقْتُ إن اغْتَسَلْتُ أن أهْلِكَ فتيمَّمْت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: «**يا عَمْرُو! صَليتَ بأصحابك وأنت جنبٌ؟**»، فأخبرتُه بالذي مَنَعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾، فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يقل شيئاً.

رواه أحمد (٤/٣٠٣، ٣٠٤)، وأبو داود (٣٣٤)، والحاكم (١/١٧٧)، والبيهقي (١/٢٢٥) بسند صحيح، وله طرق وعلقه البخاري.

في الحديث دليل على أن كل ما يؤدي إلى قتل الإنسان نفسه من الوسائل هو محرم كمن تيقن أو ظن الموت إن اغتسل بالماء البارد أو اقتحم

نهراً أو ناراً فمات كان منتحراً آثماً.

وفي الحديث العمل بالعموم وسنية إقرار النبي عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [٣١].

{٢٥٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الكبائر قال: «**الشرك بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس، وقولُ الزور**».

رواه أحمد (١٣١/٣، ١٣٤)، والبخاري في الشهادات وغيرها، ومسلم في الإيمان، والترمذي في البيوع، وفي التفسير (٣٠/٨) وغيرهم، وفي الباب أحاديث عن عبدالله بن عمرو، وعبدالله بن أُنَيْس، وأبي بكرة وغيرهم.

قد قدمنا الكلام على الكبيرة من الذنوب، وفي هذا الحديث التنصيص على بعضها وراجع آية (١٠) من هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [٣٢].

{٢٦٠} ـ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: يَغْزُو الرِّجالُ ولا تَغْزُو النِّساءُ وإنما لنا نصفُ الميراثِ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. قال مجاهد: وأنزل فيها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية، وكانت أم سلمة أول ظعينة قدِمَتْ المدينة مهاجرةً.

أخرجه عبدالرزاق (١٥٦/١)، وأحمد (٣٢٢/٦)، والترمذي (٣٠٢٢)، وابن جرير (٤٦/٥، ٤٧)، وأبو يعلى (٦٩٥٩)، والحاكم (٣٠٥/٢، ٣٠٦)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وصحح الشيخ أحمد شاكر صحة سماع مجاهد من أم سلمة وصحح الحديث لذلك.

في الآية الكريمة النهي عن تمني ما فضل الله به بعضنا على بعض وبالأخص ما جعله الله من الفرائض والتكاليف الشرعية، وما خص به كلاً من الرجال والنساء وقد طغى نساء عصرنا المستغربات وتطاولن على ما قضى الله تعالى عز وجل من تفضيل الرجال على النساء بما أعطاهم من القوامة والرياسة السياسية والولايات، وما فضلهم عليهن في الإرث، والنكاح، والطلاق وما إلى ذلك من خصائص الرجال فقمن يعترضن على الله تعالى وينتقدن حكمه العادل والناعقون إلى جهنم من الملاحدة والعلمانيين... وراءهن هنا وهناك يمهدون لهن السبل ويسعون جادين في مساواتهن مع الرجال في كل شيء تبعاً لأسيادهم وأساتذتهم من الغربيين الأوربيين والأمريكيين... حفظ الله الإسلام والمسلمين من كيدهم وشرورهم وفتنهم آمين.

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [٣٢].

{٣٦١} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«سَلُوا اللَّهَ مِن فضْلِه فإن الله يُحِبُّ أن يُسْأَل»**.

رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٧١) وهو حديث حسن له شاهد عن رجل رواه ابن جرير (٤٩/٥)، وعن ابن عباس عند ابن مردويه، والحديث حسنه الحافظ، وصححه السيوطي.

وفيه كالآية إرشاد لنا إلى سؤال الله تعالى من فضله وخيره ورحمته فإنه ذو الفضل الواسع يحب السائلين من عباده، وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي لكل من الجنسين أن يقنعوا ويرضوا بما أعطاهم الله وأن لا يسيئوا الأدب معه في تمنيهم ما ليس لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [٣٣].

{٣٦٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا

مَوَٰلِيَ﴾، قال: ورثة. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾، نسخت، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له.

رواه البخاري في الكفالة، وفي الفرائض، وفي التفسير (٣١٦/٩، ٣١٧)، وأبو داود (٢٩٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣٢٢/٦)، وابن جرير (٥٣/٥)، وابن أبي حاتم (٩٣٧/٣).

ما قاله ابن عباس متفق عليه.

فمعنى الآية الكريمة: ولكل إنسان من ذكر وأنثى جعلنا له موالي، أي: عصبة وأقارب من أبناء وآباء وأخوة وإخوات وأعمام... يرثون ماله مما تركه الوالدان والأقربون. والذين عاهدتموهم على النصرة والإرث فاعطوهم شيئاً كالوصية مثلاً، وما إلى ذلك. أما الإرث فقد نسخ بينكم وبينهم.

{٣٦٣} ـ وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لا حِلْفَ في الإسلام وأيُّمَا حِلْفٍ كان في الجاهلية لم يَزِدْه الإسلامُ إلا شِدَّةً»**.

رواه أحمد (٨٣/٤)، ومسلم (٢٥٣٠)، والنسائي في الكبرى (٩٠/٤)، وأبو داود (٢٩٢٥) وغيرهم، وفي الباب عن أم سلمة وقَيْس بن عاصم وابن عباس.

{٣٦٤} ـ وعن عاصم الأحوال رحمه الله تعالى قال: قيل لأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه بلغك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا حلف في الإسلام»**، فقال أنس: قد حالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين قريش والأنصار في داره بالمدينة.

رواه مسلم في الفضائل (٢٥٢٩).

كان أهل الجاهلية يتحالفون بالأيمان المؤكدة ويتعاقدون فيما بينهم على التناصر والتوارث، فلما جاء الإسلام حالف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فكانوا يتوارثون، ثم نسخ ذلك وبقي الحلف على التناصر والتعاون على الحق..

قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الخ [٣٤].

{٣٦٥} ـ عن الحسن رحمه الله تعالى قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تستعْدِي على زَوْجِها أنه لَطَمَها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«القصاص»**، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص.

رواه ابن جرير (٥٨/٥)، وابن أبي حاتم (٩٤٠/٣) وجاء نحوه عن قتادة رواه عبدالرزاق (١٥٧/١)، وابن جرير (٥٨/٥) كما أخرج هذا الأخير نحوه عن السدي وكلها مراسيل ثابتة، وذكر ابن كثير أنه جاء متصلاً عن الإمام علي رواه ابن مردويه.

فالآية الكريمة تنص على أفضلية الرجال على النساء في الجملة وأن لهم القوامة عليهن في كل شيء، ولذلك كانت الخلافة والإمارة والولاية العامة والقضاء العام وشؤون المسلمين العامة خاصة بالرجل دون المرأة، ولذا جاء في الحديث الصحيح: **«لن يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوْا أمْرَهُم امْرَأَةً»** ويأتي هذا في الخلافة.

قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [٣٤].

{٣٦٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«خَيرُ النساءِ التي إذا نَظَرت إليها سَرَّتْك، وإذا أمَرْتَها أطاعَتْك، وإذا غِبْتَ عنها حَفِظَتْكَ في مَالِكَ ونَفْسِها»**، ثم قرأ

رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، إلى قوله: ﴿قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾.

رواه الطيالسي وأحمد (٢/٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨)، والنسائي وابن جرير (٥/٦٠)، وابن أبي حاتم (٣/٩٤١)، والحاكم (٢/١٦١)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وذكر الآية خاص بابن جرير وابن أبي حاتم.

والحديث مبين للصالحات من النساء الحافظات للغيب وأنهن اللاتي يحفظن مال أزواجهن ونفوسهن من الحرام عند غياب أزواجهن.

وقد جاء في الحديث الصحيح: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**» رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [٣٤].

{٣٦٧} ـ عن معاوية بن حَيْدة القُشَيْري رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه سأله رجلٌ ما حقُّ المرأة على زوجها؟ قال: «**تُطعِمُها إذا طَعِمتَ، وتَكْسُوها إذا اكْتَسَيتَ، ولا تَضْرِبْ الوَجْهَ، ولا تُقَبِّح، ولا تَهجُر إلا في البيت**».

رواه أحمد (٤/٤٤٦، ٤٤٧)، وأبو داود في النكاح (٢١٤٢، ٢١٤٤)، والنسائي في التفسير (٦/٣٢٣)، وفي عشرة النسائي، وابن ماجه في النكاح (١٨٥٠)، وابن حبان (١٢٨٦) بالموارد، والحاكم (٢/١٨٧، ١٨٨) بسند حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث بيان بعض حقوق المرأة على زوجها وهي أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، وإذا ضربها فليجتنب الوجه، ولا يقول لها قبحك الله، وإذا أدى الحال إلى الهجران فلا يهجرها إلا في البيت.

أما الآية الكريمة فمؤداها أن النساء اللاتي يتعالين على أزواجهن

ويتمردن عن طاعتهم فعليهم أن يسلكوا معهن ثلاث مراحل: الوعظ، والتذكير، ثم الهجران في مضاجعهن، ثم في النهاية إن لم يرجعن ضربهن ضرباً غير مبرح كما جاء في خطبته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

والآية مع الحديث صريحان في الإذن بضربهن، لكنه ينبغي للزوج أن لا يكون ضراباً، ولا خشناً شديداً، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يكن يضرب نساءه.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [٣٦].

{٣٦٨} ـ عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أتدري ما حق الله على العباد؟»**، فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«فإن حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»**، قال: **«فتدري ما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟»**، قال: الله ورسوله أعلم، قال: **«أن لا يعذبهم»**.

رواه أحمد (٢٢٨/٥، ٢٣٠، ٢٣٤)، والبخاري في الجهاد، وفي الرقاق (١٢٢/١٤، ١٢٤)، وفي التوحيد... ومسلم (٢٣٠/١، ٢٣٣)، والترمذي (٢٦٤٣) كلاهما في الإيمان، وأبو داود (٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى (٥٥/٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٩٦) مطولاً ومختصراً.

في الحديث أن حق الله على عباده في هذه الحياة هو قيامهم بعبادته عقيدة وعملاً وطاعته أمراً ونهياً، وأن لا يتخذوا معه أي شريك، فإذا فعلوا ذلك كان حقاً عليه عز وجل تفضلاً منه عليهم أن لا يعذبهم.

{٣٦٩} ـ وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنة هكذا»**، وقال بأصبعيه: السبابةِ والوُسطى.

رواه أحمد (٥/٣٣٣)، والبخاري في الأدب (٤٣/١٣)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩١٨)، ورواه مسلم في الزهد عن أبي هريرة (١١٣/١٨).

في الحديث فضل الإحسان إلى اليتيم وأن كافله سيكون مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجنة وهي بشارة لأوصياء اليتامى وما أعظمها من بشارة.

واليتيم من بني آدم من فقد أباه قبل الاحتلام.

{٢٧٠} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«السَّاعِي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»**.

رواه أحمد (٢/٣٦١)، والبخاري في الأدب (٤٤/١٣)، ومسلم في الزهد (١١٢/١٨)، والنسائي في الكبرى (٤٦/٢)، وفي المجتبى والترمذي في البرّ والصلة (١٩٦٩)، وابن ماجه في التجارة (٢١٤٠).

الأرملة ـ بفتح الميم ـ التي طلقت أو توفّي لها زوجها.

وفي الحديث فضل عظيم للقائم بالأرملة والمسكين الذين لا قوام لهم من عيش، فمن وفّق للقيام بهما والسعي عليهما حسب المستطاع كان كالمجاهد الشاهر سلاحه في سبيل الله، وكالصائم النهار القائم الليل وما أعظمه من فضل.

{٢٧١} ـ وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما زال جبريل عليه السلام يُوصِيني بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُهُ»**.

رواه أحمد (٢/٨٥، ١٦٠)، والبخاري في الأدب (٤٩/١٣)، ومسلم في البرّ والصلة (١٧٦/١٦)، وأبو داود (٥١٥٢)، والترمذي في البرّ والصلة (١٧٨٨) بتهذيبي وغيرهم.

فيه الحضّ الشديد الأكيد على الإحسان إلى الجار وإكرامه ورفع

الإذاية عنه، وأن حقه قريب من حق القريب الوارث.

{٣٧٢} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين حضره الموت: **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»**.

رواه أحمد (١١٧/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٨)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٦)، وابن ماجه في الوصايا (٢٦٩٧، ٢٦٩٨) من طريقين هو بهما صحيح، وله شاهد عن أمّ سلمة رواه ابن ماجه في الجنائز (١٦٢٥) بسند صحيح، قال البوصيري: على شرط الشيخين.

وفي الحديث الوصاية بالأرقاء والإحسان إليهم، وهذه الآية الكريمة تعتبر ذات الحقوق العشرة، وقد ذكرنا لها بعض ما جاء فيها من السنة النبويّة. أمّا ما يتعلق بالوالدين فيأتي في سورة الإسراء إن شاء الله تعالى وغيرها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [الآية: ٤٠].

{٣٧٣} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه في الآية، قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حسنةً يُعْطَى بها في الدنيا ويُجْزَى بها في الآخِرة، وأما الكافر فَيُطْعَم بحسناتِ ما عَمِلَ بها للهِ في الدُّنيا حتى إذَا قُضِي إلى الآخِرة لم تَكنْ له حسنةٌ يُجْزَى بها»**.

رواه أحمد (١٢٣/٣، ١٢٥، ٢٨٣)، ومسلم في صفة القيامة (١٤٩/١٧، ١٥٠).

ومعنى الآية الكريمة أن الله عزّ وجلّ لا يبخس وينقص أحداً من عمله شيئاً، ولو كان وزن ذرة، وهي أقل شيء، وإن كانت تلك الذرة حسنة ينمّيها ويجعلها أضعافاً كثيرة، ويعطي من عنده تعالى تفضّلاً على ثواب العمل أجراً عظيماً وهي الجنّة وما يتبعها من نعيم ورضوان.

أما الحديث، فيدلّ على أن المؤمن يجازى بعمله الصالح في الدنيا والآخرة بينما الكافر يجازى به في الدنيا صحة في جسمه، وسعة في رزقه،

ونصراً على عدوّه، ولكنه لا حظّ له في الآخرة، بل مآله العذاب الخالد وهذا من كمال عدله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [٤١].

{٢٧٤} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اقرأ عليّ**»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾، قال: «**أمسِكْ**»، فإذا عيناه تَذْرِفان.

رواه أحمد (٣٨٠/١)، والبخاري في التفسير (٣١٩/٩)، وفي فضائل القرآن، ومسلم في فضائل القرآن (٨٦/٦، ٨٧)، وأبو داود في العلم (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٤، ٣٠٢٥)، والنسائي (٣٢٣/٦) في التفسير.

في الحديث استحباب استماع القرآن من القراء الأفاضل والبكاء عنده.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [٤٣]:

{٢٧٥} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: صنع لنا ابن عوف طعاماً فدعانا فأكلنا وسقانا خمراً قبل أن تحرم، فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون، قال: فخلطت فنزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلخ، وفي رواية: إن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمٰن بن عوف وفيه فأمّهم عليّ في المغرب.

رواه أبو داود في الأشربة (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي في الكبرى وابن جرير (٩٥/٥)، وابن أبي حاتم (٩٥٨/٣)، والحاكم (٣٠٧/٢)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وعطاء بن السائب سمع منه الثوري قبل الاختلاط.

في الآية الكريمة نهي المسلم عن الصلاة حالة السكر لأن السكران لا يدري ما يقول، وأخذ بعض أهل البصائر من الآية قربان الصلاة مع الغيبة في شؤون الدنيا حتى لا يدري الإنسان ما قال أو فعل في صلاته؛ لأن ذلك يشبه السكر.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [٤٣]:

{٢٧٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء، فبعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في طلبها رجالاً، فحضرت الصلاة وليسوا على وضُوء ولم يجدوا ماء فصلّوا وهم على غير وضوء، فأنزل الله تعالى ـ يعني: آية التيمّم ـ فقال أُسَيْد بن حُضَيْر لعائشة: جزاكِ الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيراً. وفي رواية عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنّا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس أبا بكر رضي الله تعالى عنه، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وبالناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على فخذي قد نام، فقال: أحبستِ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتَبَني أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يقول: وجعل يطعُن بيده في خاصِرَتي فما يمنعُنِي من التحرك إلا مكان رأس رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على فخذي، فنام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمّم فتيمّموا، فقال أُسَيد بن حُضَير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العِقد تحته.

رواه البخاري في التيمّم (٤٥٦/١، ٤٥٧) وفي التفسير (٣٢١/٩) وفي النكاح وفي اللباس وفي الحدود، ومسلم في الحيض (٥٩/٤) مختصراً، ورواه البخاري في التيمّم (٤٤٨/١) وفي المناقب وفي التفسير رقم (٤٦٠٧) من المائدة، ومسلم في التيمّم (٥٦/٤، ٥٨)، والنسائي في الكبرى (٣٢٤/٦) مطوّلاً.

في الحديث أن الآية التي نزلت بهذا السبب هي آية النساء، وهي آية التيمّم. أما آية المائدة، فيقال لها: آية الوضوء، ويأتي الكلام على هذه الآية في المائدة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [٤٨]:

{**٣٧٧**} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**كُلُّ ذَنْب عَسَى الله أن يَغْفِرَه إلا من مات مشركاً أو من قَتَلَ مُؤمناً متعمَداً**».

رواه أبو داود في الفتن (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٣٥١/٤)، والبيهقي (٢١/٨)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وله شاهد عن معاوية، رواه أحمد (٩٩/٤)، والنسائي في الكبرى رقم (٣٤٤٦)، وفي الدم من المجتبى والحاكم (٣٥/٤).

الآية كالحديث يصرحان بأن الشرك لا يغفره الله بحال، وأنه تعالى يغفر ما عداه لمن شاء، والأحاديث بهذا المعنى متواترة. أما قوله: أو من قتل مؤمناً إلخ، هذا مؤول بالإجماع، وللآية الكريمة وما قاله ابن عباس لم يتابع عليه.

وقد كان بعض الصالحين يدعو فيقول: اللّهُمَّ إِنّي قد أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، ولَمْ أَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الكُفْرُ وَالشِّرْكُ بِكَ فَاغْفِر لِي مَا بَيْنَهُمَا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [٥٨]:

{٣٧٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أدِّ الأَمَانَةَ إلى من ائتَمَنك، ولا تَخُن من خانك**».

رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والدارمي (١١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٥٠)، والحاكم(٤٦/٢)، وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرط مسلم، وحسّنه الحافظ وردّ قول من ضعّفه.

الأمانة: كل حق لزمك أداؤه، والحديث كالآية يدلاّن على وجوب أداء الأمانة، ولا خلاف في ذلك بل عدم أدائها من خصال المنافقين؛ للحديث: «**وإذا ائتمن خان**»، والحديث يفيد أن الخائن لا يقابل بخيانته وهو من باب الأفضل لأدلة أخرى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [٥٩]:

{٣٧٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: نزلت في عبد الله بن حُذَافَة بن قيس بن عَدِي إذ بَعَثَه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في سرية.

رواه أحمد (٣٣٧/١)، والبخاري في التفسير (٣٢٢/٩)، ومسلم في الإمارة (٢٢٣/١٢)، وأبو داود (٢٦٢٤)، والترمذي (١٦٧٢) كلاهما في الجهاد، والنسائي في التفسير من الكبرى (٣٢٤/٦)، وفي البيعة من المجتبى وغيرهم.

في الآية الكريمة وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء علماً بأن طاعتهم إنما تكون في المعروف لا في معصية الخالق؛ لأن طاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مقدّمة على طاعة كل مخلوق كائناً من كان.

ويلاحظ أن الحديث ذكره ابن عباس هنا مختصراً، وقد رواه أحمد (٨٢/١)، والبخاري ومسلم في الإمارة (٢٢٦/١٢، ٦٦٧) عن الإمام عليّ رضي الله تعالى عنه، قال: بعث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً ثم دعا بنار فأضْرَمَها فيه ثم قال: عَزَمْتُ عليكم لتدخُلنها، قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فَرَرْتُم إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من النار، فلا تَعْجَلُوا حتى تلقوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها، قال: فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبروه فقال لهم: **«لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف»**.

فهذا مفسّر لذاك، والأحاديث في وجوب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر كثيرة فلا نطيل بها، ولعلّ بعضها يأتي في مواضعه إن شاء الله تعالى في الخلافة والإمارة.

❋ قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية ٦٥]:

{٢٨٠} ـ عن عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شِرَاج الحرَّةِ التي يُسْقُون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يمُر فأبى عليه الزبير، فاختصموا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم للزبير: **«اسْقِ يا زبير وأرْسِل الماء إلى جارك»**، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله، إن كان ابن عمتك، فتغيّر وجه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم قال: **«يا زبير اسْقِ واحبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر»**، فقال الزبير: أحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٣٢٣/٩) وغيره، ومسلم في الفضائل (١٠٧/١٥)، وأبو داود في الأقضية (٣٦٣٧)، والترمذي في الأحكام وفي الفسير (٣٠٢٧)، والنسائي في الكبرى (٣٢٤/٦)، وفي آداب القضاء من المجتبى، وابن ماجه (٢٤٨٠/١٥).

شِراج - بكسر الشين -: جمع شرج بفتح أوله مسيل الماء، والحرّة: الحجارة السود، وللمدينة حرتان. والجدر - بفتح الجيم وسكون الدال - ويضمّان جمع جدار وهو هنا الحفر الذي يحفر في أصول النخل فتصير مثل الجدار.

فالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سلك معهما أولاً طريق الصلح، فلما قال الأنصاري ما قال حكم للزبير وأمره أن يأخذ حقّه من الماء كاملاً ثم يرسله لجاره. وظاهر الآية الكريمة يدلّ على نفي الإيمان عمن لم يحكم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يرضَ بحكمه...

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [الآية ٦٩]:

{٢٨١} - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«ما من نبيّ يَمْرضُ إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة»**، وكان في شكواه الذي قبض فيه، أخذته بُحَّةٌ شديدة، فسمعتُه يقول: **«مع الذين أنعمَ الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين»**، فقلت: إنه خير.

رواه البخاري في الوفاة النبويّة وفي التفسير (٣٢٣/٩)، ومسلم في الفضائل (٢٠٨/١٥، ٢٠٩)، والنسائي في الكبرى (٣٢٥/٦)، وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٠) وغيرهم.

في الحديث إكرام الله تعالى أنبياءه واعتناؤه بهم حيث كان يخيرهم بين هذه الحياة والدار الآخرة، فكانوا يختارون الآخرة ورفقة المنعم عليهم...

▣ **قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [الآية ٧٥]:**

{٢٨٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، قال: كنتُ أنا وأمّي ممن عَذَرَ الله، وفي رواية: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

رواه البخاري في التفسير (٣٢٤/٩) بالروايتين، وعزاه الحافظ في الفتح إلى الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما.

في الآية الكريمة إنكار من الله تعالى على المسلمين الذين لا يقاتلون في سبيل الله ولتحرير المسلمين من الأعداء والاستعمار وأهل الأعذار الذين لا استطاعة لهم في الهجرة والخروج من بين الأعداء كما كان المسلمون بمكّة قبل الفتح.

▣ **قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية ٧٧]:**

{٢٨٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عبدالرحمٰن وأصحاباً له أتوا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكّة، فقالوا: يا نبيّ الله إنا كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلمّا آمنا صرنا أذلّة، فقال: **«إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم»**، فلما حوله الله إلى المدينة أمر بالقتال فكفوا فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى (٣٢٥/٦) وفي المجتبى، وابن جرير (١٧٠/٥، ١٧١)، وابن أبي حاتم (١٠٠٥/٣)، والحاكم (٦٦/٢، ٣٠٧)، والبيهقي (١١/٩) وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

والأمر كما في الحديث، فكان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكة المكرمة مأموراً بالعفو والصبر على أذى الكفار، فلما هاجر ونزل الإذن بالقتال جَبُنَ قوم عن القتال وخافوا الكفار بعد أن كانوا يستأذنون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكّة في القتال.

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [٨٠]:

{٢٨٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطِعِ الأمير فقد أطاعَني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»**.

رواه أحمد (٢/٩٣، ٢٧٠، ٢٤٤، ٤٧١، ٥١١) وفي مواضع، والبخاري في الجهاد (٢٩٥٧)، وفي الأحكام (٧١٣٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٥)، والنسائي في الكبرى (٤/٤٣٢، ٤٦٢) و(٥/٢٢٢)، وفي البيعة من المجتبى، والبيهقي (٨/١٥٥) وغيرهم.

في الآية والحديث عظم قدر الرسول عند الله تعالى حيث جعل طاعته طاعة لله وعصيانه عصياناً له عزّ وجلّ، كما في الحديث وجوب طاعة أمراء الرسول وخلفائه الذين هم سائرون على نهجه ونهج شريعته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [الآية ٨٣]:

{٢٨٥} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما اعتزل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصا ويقولون: طلّق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساءه، فقلت: يا رسول الله أطلّقتهن؟ قال: **«لا»**، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساءه، فنزلت

هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ الآية.

رواه مسلم في الطلاق (١٠/٨٢، ٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠١٤)، وهو عند مسلم مطوّلاً.

في الآية إرشاد إلى التثبت في الأُمور وعدم إفشائِها قبل تحققها وردّها إلى من يستنبطها من أهل العلم والدين والرأي القويم.

قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [٨٥]:

{٢٨٦} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة، قال: **«اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»**.

رواه أحمد (٤/٤٠٩، ٤١٣)، والحميدي (٧٧١)، والبخاري في الزكاة (٤/٤٢)، وفي الأدب وفي التوحيد، ومسلم في البرّ (١٦/١٧٧)، وأبو داود في الأدب (٥١٣١)، والترمذي في العلم (٢٤٨٦) بتهذيبي، والنسائي في الزكاة (٥/٤٨) وغيرهم.

في الآية والحديث فضل الشفاعة والسعي في قضاء حوائج المحتاجين وبالأخص عند ذوي السلطة غير أنها لا تجوز في المتمردين والمفسدين، لما في ذلك من الإعانة على الإفساد والإثم والعدوان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [الآية ٨٦]:

{٢٨٧} ـ عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: السلام عليكم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«عشرة»**، وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«عشرون»**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ثلاثون»**.

رواه أحمد (٤/٤٣٩، ٤٤٠)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٥)، والترمذي في الاستئذان رقم (٢٥٠٣) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٦/٩١) بسند صحيح على شرط مسلم، وله شاهد بنحوه عن أبي هريرة عند ابن حبان (١٩٣١) بالموارد بسند صحيح.

{٢٨٨} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«خلق اللهُ آدَمَ على صُورَتِهِ وطُوله سِتُّون ذِراعاً، فلما خلقه قال: اذْهَبْ فَسلِّم على أولئك النَّفَر ـ وهم مِنَ الملائكة جُلُوسٌ ـ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تحيَتُك وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتك، قال: فذهب فقال: السَّلام عليكم فزادُوه ورحمة الله، قال: فكل من يَدْخُلُ الجنة على صُورَة آدم طُولُه سِتُّون ذراعاً، فلم يزل الخلق يَنْقُصُ حتى الآن»**.

رواه أحمد (٢/٣١٥)، والبخاري في الأنبياء (٧/١٧٥)، وفي الاستئذان رقم (٦٢٢٧)، ومسلم في الجنّة رقم (٢٨٤١)، وابن حبان (١٤/٣٣)، والبغوي في شرح السنة (٣٢٩٨) وغيرهم، ويأتي في الأنبياء وفي الرقاق.

هذه هي تحية الإسلام تبعاً لما شرّعه الله عزّ وجلّ لأبينا آدم عليه السلام لكن أهل الجاهلية استبدلوا ذلك بألفاظ كانوا يحيّون بها بعضهم بعضاً، وقد اتّفق العلماء على أن إفشاء السلام بهذه الكلمات من أخلاق الإسلام ومن حقوق المسلمين فيما بينهم، وأن بدايته سنّة وردّه فرض. وفي الحديث الأول فضل هذه التحية، وأن كل جملة منها يثاب صاحبها عليها بعشر حسنات.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [الآية ٨٨]:

{٢٨٩} ـ عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال في هذه الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الآية، قال: رجع ناس من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من أُحدٍ، فكان الناس فيهم فرقتين: فريق منهم يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت الآية، وقال صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم: «إِنَّها تَنْفِي الخَبَثَ كَمَا تَنفِي النارُ خَبَثَ الفِضَّةِ».

رواه البخاري آخر الحجّ (٤/٤٦٩)، وفي التفسير (٩/٣٢٥)، ومسلم في الحجّ وفي صفات المنافقين (١٧/١٢٣)، والترمذي (٢٨٣٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٥) وغيرهم.

قوله تعالى: أركسهم: أي: قلبهم وردّهم إلى الكفر، والركس: نَكْسُ الشيء مقلوباً.

لما خرج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة أحد رجع رئيس المنافقين ابن أبي سلول بمن معه من أصحابه ومن أطاعه أو اغترّ به من ضعفاء الإيمان، فاختلف المسلمون في شأنهم، ماذا يفعل بهم حيث خذلوا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في وقتٍ كان في أشدّ الحاجة إلى من يؤازره ويقاتل معه، فقال الصحابة فيهم ما قالوا، فأنزل الله الآية في شأنهم، وبيان حالهم ومآلهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الآية ٩٣]:

{٣٩٠} ـ عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس: أَلِمَنْ قتل مؤمناً متعمّداً من توبةٍ؟ قال: لا، فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه آية مكّية نسختها آية مدنية، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية، وفي رواية قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس، فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

رواه البخاري في الفضائل وفي التفسير (٩/٣٢٦) وفي مواضع، ومسلم آخر الكتاب (١٨/١٥٨، ١٥٩)، وأبو داود (٤٢٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٦) وفي المجتبى...

{٣٩١} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سُئِل عمّن قتل مؤمناً متعمداً ثم تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى، فقال: فأنّى له

بالتَّوْبة سمعت نبيّكم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**يَجِيءُ المَقْتولُ مُتعلِّقاً بالقَاتِلِ تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَماً فيقول: أي: ربّ سَلْ هذا فِيمَ قَتَلَنِي، ثم قال: واللهِ لقد أنزلها الله ثم ما نسخها**».

رواه الترمذي في التفسير (٢٨٣٣) بتهذيبي، والنسائي في المجتبى في تحريم الدم وابن ماجه (٢٦٢١) بسند صحيح.

تشخب ـ بفتح التاء وضم الخاء ـ أي: تسيل.

ظاهر الآية الكريمة مع قول ابن عباس أن القاتل المتعمد لا توبة له، وأنه مخلد في النار، لكن جمهور السلف والخلف، بل عامّة العلماء جميعاً ذهبوا إلى أن له توبة، وأنه لا يخلد في النار إلا الكافر، وأنه تعالى يغفر الذنوب كلّها إلا الشرك الأكبر، والأحاديث بهذا المعنى متواترة وسيأتي بعض ذلك في الرقاق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية [٩٤]:

{٢٩٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ إلخ، قال: كان رجلٌ في غُنَيْمَةٍ له فلحِقَه المُسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه، وأخذوا غُنَيْمَته فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، تلك الغنيمة.

رواه البخاري في التفسير (٣٢٧/٩)، ومسلم آخر الكتاب (١٦١/١٨)، وأبو داود في الحروف (٣٩٧٤)، والترمذي (٢٨٣٤)، والنسائي في الكبرى (٣٢٦/٦) كلاهما في التفسير.

أُمِرَ المسلمون إذا سافروا وخرجوا للجهاد أن يتثبتوا ويتحقّقوا المسلم من الكافر ولا يقدموا على قتل مسلم، فإن ذلك عظيم، فمن أشهر إسلامه قُبِل منه ذلك، ولو كان في نفس الوقت غير صادق. لكن هؤلاء الصحابة قتلوا هذا الرجل بعد أن سلّم عليهم، وكان قصدهم من ذلك أخذ غنيمته، فنزلت الآية تعاتبهم على ما صنعوا. . . وفي الباب أحاديث كثيرة تقدم بعضها في الإيمان.

❊ **قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ الآية [٩٥]:**

{٢٩٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر، والخارجون إلى بدر.

رواه البخاري في التفسير (٣٣٠/٩) هكذا مختصراً، ورواه الترمذي (٢٨٣٦) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٢٧/٦) مطوّلاً.

{٢٩٤} ـ وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أملى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال: فجاء ابن أمّ مكتوم وهو يُمْلِيها عليَّ، فقال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن تُرَضّ فَخِذي ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.

رواه البخاري (٣٢٨/٩)، والترمذي (٢٨٣٧)، وابن جرير (٢٢٨/٤، ٢٢٩)، وابن أبي حاتم (١٠٤٣/٣)، ونحوه عن البراء بن عازب رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

الآية الكريمة مع هذه الأحاديث تدلّ على أنه لا يستوي المجاهدون والمتخلّفون القاعدون رغم أنهم مؤمنون، وأن الجميع من أهل الجنّة غير أصحاب الأعذار والضرر كالعُمْي والعَرجى والمَرضى والضعاف والكبار، فهؤلاء لهم أجر المجاهدين لنيّاتهم الصالحة.

❊ **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ إلخ.**

{٢٩٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكَثِّرون سَوادَ المشركين على رسول الله صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم يأتيهم السَّهم يُرمَى فيُصِيبُ أحدَهم فيقتُله أو يُضرَبُ فيُقتَل، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، إلى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٣١، ٣٣٢)، وفي الفتن باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٧)، وابن جرير (٤/٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٣/١٠٤٥).

كان جماعة من المسلمين بمكة المكرمة يخفون إيمانهم ولم يهاجروا، فأخرجهم المشركون يوم بدر فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان هؤلاء أصحاباً لنا مسلمين فأكرهوا على الخروج، فأنزل الله الآية توبّخهم وتعدهم بالنار إذا كانوا مستطيعين للهجرة ومفارقة الكفار وديارهم ثم استثنى المستضعفين الذين لا طاقة لهم بالهجرة والخروج.

ويؤخذ من الآية الكريمة أن الإقامة بدار الحرب ومساكنة المحاربين وتكثير سوادهم لا تجوز، لا سيما من تجنس منهم وكانت قوانينهم تطبق عليهم، إلا من كان لاجئاً مضطهداً أو داعية أو تاجراً أو سائحاً للاعتبار.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ إلخ:

{٣٩٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً، فقال لأهله: احمِلُوني فأَخرِجوني من أرض المشركين إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فنزل الوَحْيُ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى بلغ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

رواه أبو يعلى (٢٦٧٩)، والطبراني في الكبرى (١١٧٠٩)، قال الهيثمي في المجمع: (٧/١٠)، ورجاله ثقات.

وفي الآية الكريمة الترغيب في الهجرة ومفارقة ديار الكفار المحاربين.

وفي الهجرة جاء الحديث الصحيح المشهور: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**» إلخ، وأن الأعمال بالنيات.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [١٠١]:

{٢٩٧} ـ عن يعلى بن أميّة رضي الله تعالى عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب: فليس عليكم جناح أن تقصروا فقد أمن الناس، فقال: عجبتُ مما عجبت منه فسألتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ذلك فقال: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّق الله بها عَلَيْكُمْ فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**».

رواه أحمد (١/٢٥، ٣٦)، ومسلم (٥/١٩٦)، وأبو داود (١١٩٩)، والترمذي في الصلاة وفي التفسير (٢٨٣٨) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٨)، وفي المجتبى (٣/٩٥) وابن ماجه وآخرون.

ظاهر الآية أن الخوف كان شرطاً في تقصير الصلاة الرباعية وليس كذلك، وإنما المراد إدخال التخفيف في أدائها بترك بعض ركعاتها أو الاكتفاء بالإيماء مثلاً إذا اشتدّ الخوف والقتال؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، وحديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يدلّ على أن تقصير الصلاة الرباعية هي صدقة من الله عزّ وجلّ علينا يجب قبولها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ الآية [١٠٢]:

{٢٩٨} ـ عن أبي عياش الزرقي رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعُسْفَان فاستقبلَنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، فصلّى بنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال:

فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر، ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ﴾ إلخ، قال: فحضرت فأمرهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخذوا السلاح، قال: فصففنا خلفه صفين، قال: ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلس، جلس الآخرون فسجدوا فسلّم عليهم ثم انصرف فصلاّها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مرّتين بعسفان، ومرّة بأرض سليم.

رواه أحمد (٥٩/٤، ٦٠)، وأبو داود (١٢٣٦)، والنسائي في المجتبى رقم (١٤٥٨)، وابن حبان (٥٨٧)، والحاكم (٣٣٧/١)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

في الحديث بيان سبب نزول آية صلاة الخوف، وقد صلاّها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في عدة مواطن، وعلى صفات وهيئات مختلفة. قال ابن حزم رحمه الله تعالى: صحّ فيها أربعة عشر وجهاً. وقال النووي رحمه الله تعالى: جاء فيها ستة عشر كلّها مجزئة. وموضع بسطها كتاب الصلاة من كتب الأحكام والفقه الإسلامي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [١٠٥]:

{٢٩٩} ـ عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بينة، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشرٌ ولعلّ بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو ما أَسْمَعُ، فمن قضيتُ**

له من حقّ أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطعُ له قطعةً من النارَ يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة»، فبكى الرجلان وقال كل منهما: حَقّي لأخي، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أما إذا قلتما فاذْهَبَا فَاقْتَسِمَا ثُمَّ تَوَخّيَا الحَقَّ بينكم، ثم اسْتَهِمَا ثم لِيُحْلِل كلٌّ منكما صاحبَه»**.

رواه أحمد (٦/٢٩٠، ٣٠٧، ٣٢٠) واللفظ له، والبخاري في الشهادات (٢٦٨٠)، وفي الأحكام (٧١٦٩) وفي المظالم... ومسلم في الأقضية (١٧١٣)، والترمذي في الأحكام، والنسائي في آداب القضاة... وابن ماجه في الأحكام (٢٣١٧)، وابن الجارود (٩٩٩، ١٠٠٠).

احتجّ بالآية والحديث من يقول باجتهاد الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم والأدلّة على ذلك كثيرة غير أنه لا يُقَرّ على خلاف الواقع والكلام على الحديث يأتي في الأحكام والقضاء إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [١١٠]:

{٣٠٠} ـ فيه حديث الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما من مُسلم يُذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلّي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له»**، وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ الآية، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح، وقد تقدم في آل عمران.

وفي الآية والحديث بيان سعة فضل الله ورحمته ولطفه بعباده، وأنه عزّ وجلّ يقبل توبة عبده المذنب كلما تاب واستغفر وفي الحديث أدب من آداب التائب، وهو تقديم الوضوء وصلاة ركعتين ثم طلب المغفرة...

قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [١١٤]:

{٣٠١} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«كُلُّ معروف صدقةٌ»**.

رواه أحمد (٣٤٤/٣، ٣٦٠)، والبخاري في الأدب (٦٠٢١)، والترمذي في البرّ والصلة، وأحمد ومسلم وأبو داود عن حذيفة وهو عند بعضهم مطوّلاً ويأتي في البرّ والصلة.

{٣٠٢} ـ وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ألاَ أُخبِرُكُمْ بأفضل مِن درجةِ الصيام الصلاة والصدقة»**؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ»**، قال: **«وفساد ذات البين هي الحالقة»**.

رواه أحمد (٤٤٤/٦، ٤٤٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة الجنّة (٢٥٠٩)، وكذا البخاري في الأدب المفرد (٣٩١)، وابن حبان (٥٠٩٢)، وحسّنه الترمذي وصححه.

في الآية والحديثين فضل الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين المتنافرين، وأن لفاعل ذلك الأجر الجزيل والثواب العظيم.

قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ الآية [١٢٣]:

{٣٠٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغتْ من المسلمين مَبْلغاً شديداً، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«قارِبُوا وَسَدِّدُوا، ففِي كلِّ ما يُصابُ بِهِ المسلمُ كفارةٌ حتى النكبة يُنْكَبُها والشوكة يُشاكُها»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٣٠/١٦)، وأحمد (٢٤٨/٢)، والترمذي

في التفسير (٢٨٤٢) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٨) ويأتي في البرّ والصلة.

قاربوا أي: توسّطوا واقتصدوا في العبادة ولا تغلو وتجاوزوا الحدّ، ولا تقصروا وتُفرّطوا في ترك الواجبات مع انتهاك المحرمات والإصرار عليها. وسدّدوا أي: اقصدوا السداد وهو الصواب، وقوله: النكبة هي ما ينزل بالإنسان ولو عثرة أو جرح مثلاً.

وفي الحديث كالآية دليل على أن المسلم قد يجازى على سيئاته في الدنيا بما يصاب به من الأحداث التي تطرأ عليه في نفسه وأهله وماله ويساء بها، وأن كل ذلك من أسباب تكفير الذنوب وهذا من رحمة الله تعالى بعبده ولطفه به في هذه الحياة من غير أن يشعر.

{٣٠٤} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، قال: إنا لنجزى بكل عملنا هلكنا إذاً، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: **«نَعَمْ يُجْزَى به المؤمنُ في الدنيا في مُصِيبته في جسَدِهِ فِيمَا يُؤْذِيهِ»**.

رواه أحمد (٦/٦٦) بسند صحيح.

الحديث كسابقه.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [١٢٥]:

{٣٠٥} ـ عن جندب رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول قبل أن يموت بخمس: **«قد كان لي منكم إخوةٌ وأصدقاءُ وإني أبرأ إلى كلِّ خليل من خلّته، ولوكنتُ متخذاً خليلاً مِنْ أمّتي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، وإن رَبّي اتّخذني خليلاً كما اتّخذ إبراهيم خليلاً، ولا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»**.

رواه مسلم في المساجد (٥/١٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٨)، وفي الباب أحاديث.

قوله: أبرأ أي: أمتنع من هذا وأُنكِرُهُ، والخليل الصديق الخالص، والخلّة الصداقة، والمحبة التي تخلّلت القلب. وفي الحديث فضيلة هامة للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث اتّخذه الله خليلاً مثل ما فعل بأبيه إبراهيم عليه السلام. وفي الحديث أيضاً فضل الصديق رضي الله تعالى عنه وأن له مكانة خاصة عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، كما أن في الحديث النهي عن اتّخاذ القبور مساجد، وذلك يحتمل أن تتخذ مسجداً يصلّى عليها، وقد جاء النهي عن ذلك في الصحيح، ويحتمل أن يبنى عليها مسجد بعد وجودها فكلاهما يشملهما النهي، وقد تقدم بعض هذا في المساجد من الصلاة.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [١٢٧]:

{٣٠٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، قالت: أنزلت في اليتيمة تكون عند الرجل لعلّها أن تكون شَرِكَته في ماله وهو وليّها فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيَشْرَكه في ماله بما شركته فيَعْضُلُها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير (٣٣٤/٩) وغيره، ومسلم آخر الكتاب (٥٦/١٨)، وأبو داود (٢٠٦٨)، والنسائي في الكبرى (٣١٩/٦) وفي المجتبى.

تقدم معناه في آية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ﴾ إلخ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ الآية [١٢٨]:

{٣٠٧} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ

﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾ إلخ، أنزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد أن يطلقها ويتزوّج غيرها، فتقول: لا تطلّقني وأمسكني وأنت في حلّ من النفقة والقسمة لي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾.

رواه البخاري في التفسير (٣٣٤/٩)، ومسلم (١٥٧/١٨)، والنسائي في الكبرى (٣٢٩/٦).

النشوز يكون من الرجل ومن المرأة، وهو هنا من الرجل يعني: أنه يبغضها ويعرض عنها ولا يستكثر منها، يعني: في المحبة والمعاشرة، وهذا من طبيعة البشر أن المرأة إذا طعنت في السن يتباعد عنها الرجل ولا يكاد يبقىٰ له إليها ميل ويتمنى البديل غير أن المؤمن ينبغي له أن يكون كريماً وفياً لزوجته فلا يجرحها بالضرّة والتزوّج عليها، فإن حسن العهد من الإيمان، ولا سيما إذا تشاركا في إنجاب الأولاد وطالت العشرة فينبغي له أن يصبر حتى يفرق بينهما الموت.

{٣٠٨} ـ وعنها قالت: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يُفَضِّلُ بعضَنا على بعضٍ في القَسْم من مُكْثِهِ عِنْدنا، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يطوفُ علينا جميعاً فيَدْنُو من كلِّ امرأةٍ من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنّت وفرِقَت أن يفارقها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: يا رسول الله يَوْمِي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم منها، قالت: تقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها أراه قال: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾.

رواه أبو داود (٢١٣٥)، والحاكم (١٨٦/٢)، والبيهقي (٧٤/٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأصله في الصحيحين ونحوه عن ابن عباس عند الطيالسي (٢٦٨٣)، والترمذي (٢٨٤٤) بتهذيبي، والبيهقي (٢٩٧/٧) وحسّنه الترمذي وصححه.

في الحديث أن الآية نزلت بسبب سودة رضي الله تعالى عنها، والحديث يأتي في النكاح بل في السيرة النبوية.

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ الآية [١٢٩]:

{٣٠٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَقْسِمُ بين نسائه فيعدِل، ثم يقول: **«اللّهمّ هذا قَسْمِي فيما أمْلِك فلا تَلُمْنِي فيما تملك ولا أملك»**، يعني: القلب.

رواه أحمد (١٤٤/٦)، وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١٠٢٢) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٢٨١/٥)، وابن ماجه (١٩٧١)، وابن حبان (٣٠٥) بالموارد، والحاكم (١٨٧/٢) بسند صحيح على شرط مسلم، وهكذا صححه الحاكم، ووافقه الذهبي ولا يضرّ إرسال من أرسله.

قوله: فلا تلمني إلخ، يعني به الحبّ والمودة، فإن هذا الميل إلى بعض الزوجات دون الباقي لا يضرّ ولا يستطيع أحد العدالة بين الضرائر في ذلك ولو حرص، وهو معنى الآية الكريمة؛ فالعدالة في كل شيء حتى في المحبّة والمَيْل القلبي ليست في طَاقة الإنسان ولا يملكها، وإنما الواجب هو النفقة والكسوة والسُّكَن والمبيت. أما المحبة والشهوة والجماع، فلا بدّ وأن يكون هناك تفاوت وهو خارج عن المستطاع، ومن حمل الآية على ظاهرها مطلقاً فقد أخطأ وجهل.

❁ قوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [١٤٣]:

{٣١٠} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«مَثَلُ المنافق كَمَثَلِ الشّاةِ العَايرَةِ بين الغَنَمَيْنِ تعيرُ إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تدري أيّهما تتبع»**.

رواه مسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٨٤).

قوله: العايرة أي: المتردّدة بينهما لا تدري لأيهما تتبع، وما في الحديث الشريف مثل ضربه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم

للمنافق بالشاة العايرة بين قطع الغنم، فالمنافق لا هو مع المؤمنين ولا هو مع الكافرين، وهو الوصف الذي ذكره الله تعالى لهم، وهي الذبذبة أي: التردّد بين الأمرين فهم متحيّرون ومتردّدون بين فريقي المؤمنين والكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ إلخ [١٥٩]:

{٣١١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«والذي نفسي بيده ليُوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عَدْلاً فيكسِرُ الصَّلِيبَ ويَقتلُ الخنزير ويضع الجزية ويفيضُ المال حتى لا يقبله أحدٌ وحتى تكونَ السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها»**، ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ إلخ.

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٠٢/٧، ٣٠٣)، ومسلم في الإيمان (١٨٩/٢، ١٩٠)، والترمذي في الفتن (٢٠٦٢) بتهذيبي، وابن ماجه وغيرهم.

وفي الحديث دليل على نزول سيدنا عيسى عليه السلام آخر الزمان ليحكم بشريعة الإسلام ويقضي على سائر المِلل والأديان، وقد تواترت بنزوله الأحاديث، ويأتي الكلام عليه عند ذكر أشراط الساعة إن شاء الله تعالى.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، فمعناه أنه إذا نزل لا يبقى أحد من اليهود والنصارى إلا آمن به، وبهذا جزم ابن عباس وهو قول أكثر أهل العلم، ورجحه ابن جرير وصححه ابن كثير، وقالوا: إن الضمير في قوله: به وفي موته يعود على عيسى عليه السلام لا على الكتابي، وعلى هذا حمل الآية أبو هريرة رضي الله تعالى عنه.

﴿ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [١٦٤]:

{٣١٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«احتجَّ آدمُ ومُوسى فقال موسى لآدم: أنتَ الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أَغْوَيْتَ الناسَ وأخرجْتَهم من الجنة، فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلّمك تكليماً، أتلُومني أن أعْمَل عملاً كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، فحجّ آدم موسى»**.

رواه أحمد، والشيخان وغيرهم من طرق وألفاظ وتقدم في البقرة وغيرها بلفظ آخر.

أجمع المسلمون على أن الله عزّ وجلّ كلّم نبيّه موسى عليه السلام في هذه الدنيا بكلام سمعه منه تعالى لا نعرف كيفيّته ولا صورته وهو صريح القرآن في مواضع، وبه جاءت الأحاديث الصحيحة، فمن أنكر ذلك فليس بمسلم.

﴿ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [١٧١]:

{٣١٣} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصارى عيسَى ابن مريم، فإنَّما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسوله»**.

رواه أحمد (١/٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥)، والبخاري في الأنبياء (٧/٣٠٠) وفي كتاب المحاربين، ورواه ابن حبان ضمن حديث طويل (٤١٣، ٤١٤).

الإطراء مجاوزة الحدّ في المدح والثناء، وفي الحديث النهي عن الغلوّ في مدح النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، كما فعل النصارى في نبيّهم عيسى عليه السلام حيث تغالوا فيه حتى رفعوه إلى مقام الألوهيّة، فالحديث جاء مؤيّداً للآية الكريمة: ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾.

وتقدم فى الإيمان حديث عبادة بن الصامت: «**من شهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنّة حق وأن النار حقّ أدخله الله الجنّة على ما كان من عمل**».

رواه أحمد والشيخان وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية [١٧٦]:

{٣١٤} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾.

رواه أحمد (٢٩٨/٤)، والبخاري في التفسير (٣٣٧/٩)، ومسلم (٥٨/١١، ٥٩)، وأبو داود (٢٨٨٨)، والنسائي في الكبرى (٣٣١/٦)، وفي المجتبى كلّهم في الفرائض.

الآخرية هنا في النزول مؤوّلة، فبالنسبة للسور الطوال براءة، وبالنسبة لآيات المواريث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، وقد ثبت أن آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، وآخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وكلها في الصحيح، وهذه الآية كانت بعد نزول ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية النازلة في حجة الوداع.

{٣١٥} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: مَرِضتُ فأتاني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبو بكر رضي الله تعالى عنه يعودَاني، وفيه: قلت كيف أوصي في مالي ثلاثاً؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية المواريث.

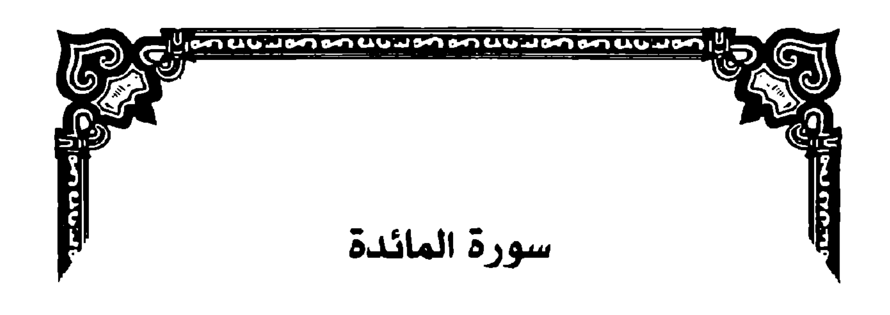
رواه مسلم والأربعة، وتقدم في آية المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾.

وقد قدمنا الخلاف أي الآيتين نزلتا بهذا السبب، فرجح ابن كثير وغيره آية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ إلخ، وقال آخرون: كلاهما نزلت بهذا السبب، والله تعالى أعلم.

والكلالة في الآية المراد بها هنا من مات ولا والد له ولا ولد، وإنما ترك أختاً فلها نصف ما ترك من التركة، فإن كانتا أختين فلهما منه ثلثا ما ترك. أما إن كان الهالك أنثى وتركت أخاً شقيقاً لها أو لأب استوعب كل التركة، فإن كان الإخوة رجالاً ونساء، فللذكر مثل حظّ الأنثيين، هذه هي القسمة الإلـهيّة العادلة، فمن رفضها فقد ضلّ وكفر، ولذلك ختم الآية بقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وهناك صفة أخرى للكلالة، وهي من مات ولم يترك إلا أخاً أو أختاً أو أكثر كلهم إخوة لأمّ، فإن كان واحداً ذكراً كان أم أنثى كان حظّه السدس فقط، فإن تعددوا اشتركوا في الثلث، والباقي يوضع في بيت مال الدولة، وفي هذا يقول الله فيما سبق: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ إلخ، ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، وبهذا تمّ تفسير سورة النساء والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذرّيته وزوجه وصحبه وحزبه.





سورة المائدة

وهي السورة الرابعة من السور الطوال على التوالي، من المدنيات وهي مائة وعشرون آية، أكثرها يتحدّث عن الأحكام الشرعية، كالعقود والصيد والذبائح ونكاح الكتابيات وحلية طعام أهل الكتاب وأحكام الوضوء والغسل والتيمّم وقتل الصيد حالة الإحرام وجزاء ذلك والوصية عند الموت حالة السفر وحد السرقة والبغي والإفساد في الأرض وتحريم الخمر والميسر وكفارة اليمين وغير ذلك من الأحكام التي لا توجد إلاّ فيها فهي سورة عظيمة.

{٣٦٦} ـ عن جبير بن نفير رحمه الله تعالى قالت: دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت لي: هل تقرأ سورة المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه.

رواه أحمد (١٨٨/٦)، والنسائي في الكبرى (٣٣٣/٦)، والحاكم (٣١١/٢)، والبيهقي (١٧٢/٧) وغيرهم وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ونحوه عن عبدالله بن عمرو قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة، رواه أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه.

اختلفت الأحاديث في آخر ما نزل، وقد تقدم قريباً بعض ذلك، فقد يقال في هذه السورة: إنها آخر ما نزل من أحكام الدين وفرائضه وحلاله وحرامه.

❊ **قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [١]:**

{٣١٧} ـ عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رحمهم الله تعالى، قال: هذا كتاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلّمهم السنّة ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتاباً وعهداً وأمره فيه بأمره، فكتب: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتابٌ من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهدٌ من محمد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعَمْرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمَرهُ بتقوى الله في أمْره كلّه، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**».

رواه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحٰق وسنده إلى أبي بكر حسن، ورواه ابن جرير (٥/٤٩) من طريق آخر عن ابن شهاب الزهري، قال: قرأت كتاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران، قال: فكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم إلخ، وروى بعضه مالك في الموطأ، وعبدالرزاق في المصنف، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (١/٨٨) ج(١٠/١٨٩) بسند صحيح.

كتاب عمرو هذا صحيح أشبه المتواتر، كما قال غير واحد من الأعلام وفيه فرائض وأحكام، ومنها ذكر الآية الكريمة الآمرة بالوفاء بالعقود، وانظر ما سيأتي في سورة الواقعة رقم (١٠٧٧).

❊ **قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [٢]**

{٣١٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**انصُرْ أخاكَ ظَالِماً أو مظلوماً**»، قيل: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً، قال: «**تَمنعُه من الظلم، فذلك نَصْرُكَ إيّاهُ**».

رواه أحمد (٣/٩٩، ٢٠١)، والبخاري في المظالم (٢٤٤٣، ٢٤٤٤)

وفي الإكراه، والترمذي في الفتن (٢٠٨٣) بتهذيبي وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند مسلم.

في الحديث وجوب نصر المظلوم وكفّ الظالم عن ظلمه، وذلك من باب التعاون على البرّ والخير والتقوى، والآية أوسع من هذا وأشمل فهي من أكبر وأعظم قواعد الدين الإسلامي، فيدخل فيها جزئيات كثيرة.

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ الآية [٣]:

{٣١٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أحلّت لنا ميتتان ودمان، فأمّا الميتتان فالجراد والحوت، وأمّا الدمان فالكَبِد والطِّحال».**

رواه أحمد (٩٧/٢)، وابن ماجه (٣٣١٤)، والدارقطني (٢٧١/٤، ٢٧٢)، والبيهقي (٢٥٤/١) وج(٢٥٧/٩) من طرق هو بها حسن، وأخرجه البيهقي (٢٥٤/١) موقوفاً بسند صحيح، وقال: إنه في معنى المسند وصححه هو والنووي في شرح المهذّب (٥٦٦/٢).

جاء الحديث النبويّ مخصّصاً للآية الكريمة، فالميتة والدم كلاهما حرام إلاّ ما في الحديث، فمستثنيان، فالجراد والحيتان كلّها حلال، وإن لم تذك كما أن الكبد والطحال مباحان، وهما دم معقود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [٣]:

{٣٢٠} ـ عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله إنّا لاقُوا العدُوّ غداً وليس معنا مُدَى أفَنَذْبَحُ بالقَصَب؟ فقال: **«مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسمُ الله عليه فكلُوهُ ليس السِّنّ والظُفر، وسأُحَدِّثكم عن ذلك. أمّا السِّنُّ فعظمٌ، وأمّا الظفر فمُدَى الحبشة».**

رواه أحمد (٤٦٣/٣)، والبخاري في الذبائح والمظالم، ومسلم في الأضاحي (١٢٢/١٣)، وأهل السنن الأربعة، ويأتي في الذبائح.

الحديث يدلّ على أن كل ما أراق الدم من البهيمة؛ من حلقها مع

ذكر اسم الله تعالى، فهو مباح، غير أنه يستثنى من ذلك العظم والظفر مثلاً فلا تجوز التذكية بهما، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ هو استثناء متّصل على قول الجمهور من قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ فما بعدها يعني: إلا ما لحقتم من هذه على قيد الحياة، فعملتم فيها الذكاة، فإنها حلال.

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [٣]:

{٣٣١} ـ عن طارق بن شهاب رحمه الله تعالى قال: قالت اليهود لعمر رضي الله تعالى عنه: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتّخذناها عِيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، حيث أنزلت يوم عرفة، وأنا والله بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في الإيمان وفي المغازي وفي التفسير (٣٣٩/٩) وفي الاعتصام، ومسلم (١٥٢/١٨، ١٥٣، ١٥٤)، والترمذي (٢٨٤٧) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٣٢/٦).

هذه آية عظيمة؛ فيها امتنان الله عزّ وجلّ على كافّة الأُمّة الإسلامية بإتمام هذا الدين، وإسباغه تعالى علينا النعمة ورضائه لنا الإسلام ديناً، وهي من النّعم التي لا توازيها نعمة، بل ولا تقاربها وهي من النّعم الخمس التي لا يَدَ للإنسان فيها، بل هي مجردِ فضل ورحمة منه عزّ وجلّ.

والآية الكريمة من أواخر ما نزل من الأحكام والحلال والحرام، فيحق للمسلمين أن يتّخذوا يوم نزولها عيداً وذكرى إخلاداً لتلك النعمة العظمى، وشكراً لما منَّ به علينا وأنعم، فله الحمد والشكر دائماً سرمداً.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣]:

{٣٣٢} ـ عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا

رسول الله إنا بأرض تُصِيبُنا بها المَخْمَصةُ، فمتى تَحِلُّ لنا بها المَيْتَة؟ فقال: **«إذا لم تَصْطَبِحُوا ولم تَغْتَبِقوا ولم تَحْتَفِئوا بها بَقْلاً فشأنكم بها»**.

رواه أحمد (٢١٨/٥) وسنده صحيح على شرط الشيخين، ورواه ابن جرير (٨٦/٥، ٨٧) من طرق، والحاكم (١٢٥/٤).

{٣٢٣} ـ وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً نزل الحرَّة ومعه أهله وولَدُه، فقال رجل: إن ناقة لي ضَلَّت فإن وجدتها فأمسكها، فوجدها فلم يجد صاحبها فمرضت، فقالت امرأته: انْحَرْها، فأبَى فنفَقت، فقالت: اسْلَخْهَا حتى نُقَدِّدَ شَحْمَها ولَحْمَها ونأكُله، فقال: حتى أسأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأتاه فسأله فأخْبَره الخبَر، فقال له: **«هل عندك غِنًى يُغْنِيك»**؟ قال: لا، قال: **«فكُلُوها»**، قال: فجاء صاحبها فأخبره الخبر، فقال: هلاً كُنْتَ نَحَرْتَها، قال: اسْتَحْيَيْتُ مِنْكَ.

رواه أبو داود في الأطعمة (٣٨١٦) بسند حسن.

اضطر أي: ألجىء، مخمصة: أي: مجاعة، متجانف: أي: مائل لإثم.

وقوله في الحديث: تصطبحوا أي: لا توقدوا سراجاً ولا مصباحاً، وقوله: لم تغتبقوا أي: ليس لكم حليب تشربونه في الغبوق أي: العشي، وقوله: ولم تحتفئوا، أي: لم تجدوا شيئاً من البقول في الأرض تفتعلونه وتأكلونه.

الآية الكريمة تنصّ على أن من ألجأته الضرورة عند المجاعة إلى أكل المحرمات المتقدمة فلا حرج عليه، فالله غفور له، رحيم به ما لم يكن في ذلك متعمداً للأكل فوق الشبع ومنحرفاً إلى الإثم أو متعرّضاً لمعصية.

وجاء الحديث الأول يوضح حالة الاضطرار وهي أن لا يجد الإنسان ما يوقد به مصباحه ولا ما يشربه في مسائه من لبن، ولا يجد بقلاً يطبخه ويسدّ به رمقه، ففي هذه الحالة له أن يتناول ما حرم الله تعالى عليه من الأطعمة. . .

أما الحديث الثاني، فجاء مبيحاً للميتة عند فقدان ما يغني عنها من الحلال، ومن هنا يعلم بطلان ما يردده كثير من الناس من قولهم: الضرورات تبيح المحظورات بإطلاق، وقد يكون عنده ما يسدّ به رمقه، ويكون له أثاث وأمتعة وأشياء فضلة قد تغنيه عن المحرمات وتعاطيها.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [٤]:

{٣٢٤} ـ عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أُرْسِل الكلاب المُعَلَّمة وأذكر اسمَ الله، فقال: «**إذا أرسلت كلبَك المُعلَّم وذكرتَ اسم الله عليه فكُلْ ما أمْسَك عليكَ**»، قلت: وإن قتلن؟ قال: «**وإن قتلنَ ما لم يَشْرَكْهَا كلبٌ ليس منها، فإنك إنما سمَّيت على كَلْبك ولم تُسَمِّ على غيره**»، قلت له: فإني أرمي بالمِعْرَاض في الصيد فأُصِيبُ، فقال: «**إذا رميتَ بالمِعْرَاضِ فخَزَقَ فكُلْه، وإن أصابه بِعَرْضٍ فإنه وَقِيذٌ فلا تأكُلْه**».

وفي رواية: «**إذا أرسلتَ كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركْتَه حياً فاذْبَحْه، وإن أدركْته قد قَتل ولم يأكل منه فكلْه فإن أخذ الكلب ذكاتُه**».

وفي رواية: «**فإن أكل فلا تأكلْ، فإني أخافُ أن يكون أمْسك على نَفْسه**».

رواه أحمد (٢٥٦/٤، ٣٨٠) وفي مواضع، والبخاري (٢٢/١٢، ٢٩)، ومسلم (٧٣/١٣، ٧٨) كلاهما في الصيد، ورواه البخاري في مواضع ورواه باقي الجماعة، ويأتي أيضاً في الصيد ونحوه عندهم عن أبي ثعلبة الخشني، ويأتي في الذبائح والصيد إن شاء الله.

من نِعم الله تعالى علينا وخاصة سكان البادية أن أباح لنا ما تأخذه الجوارح المُعَلَّمة من الصيد بشرط أن يكون الجارح من كلب وغيره معلَّماً عند صاحبه، وأن يذكر اسم الله عند إرساله، وأن لا يشركه كلب آخر في قتله، وأن لا يأكل منه.

وفي الحديث شرعية ما يقتل بما يجرح إذا سمّي الله عند الضرب، فإن ضرب ولم يجرحه فقتل كان ميتة، وستأتي بقية في الصيد إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ﴾ [٦]:

{٣٢٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سَقطتْ قلادةٌ لي بالبَيْداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، فأقبل أبو بكر فلكَزَني لَكْزَةً شديدة، وقال: حَبَسْت الناس في قِلادة، فتمنّيتُ الموت لِمكانِ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مِنّي، وقد أوجعني، ثم إن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم استيقظ وحضرت صلاة الصبح، فالتمس الناس الماء فلم يوجد فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية، فقال أُسَيْد بن الحُضَيْر: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم.

رواه البخاري في التيمّم (٤٤٨/١، ٤٥١)، وفي سورة المائدة (٢٤١/٩، ٢٤٢) وتقدم في التيمّم.

هكذا رواه البخاري في التفسير، وأن هذه الآية نزلت بسبب قلادة مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وتقدم في النساء أن الآية النازلة بهذا السبب هي الآية الأخرى المتقدمة. ولذلك جعل القاضي أبو بكر ابن العربي هذه المسألة من المعضلات التي لم يجد لها دواء، قال: لأنا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة. قال ابن بطال: هي آية النساء أو آية المائدة. وقال القرطبي: هي آية النساء، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية

النساء لا ذكر فيها للوضوء فيتّجه تخصيصها بآية التيمّم إلخ. قال الحافظ: وخفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردّد لرواية عمرو بن الحارث؛ إذ صرّح فيها بقوله: فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وما ذكره واضح، فإن هذه الرواية صريحة في المراد بنزول آية التيمّم التي عنت سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها.

{٣٣٦} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج من الخلاء فَقُرِّبت إليه طعامٌ، فقالوا: ألا نأتِيكَ بوَضوءٍ؟ قال: «**إنما أُمِرْتُ بالوُضوء إذا قمت إلى الصلاة**».

رواه أحمد رقم (١٩٣٢، ٢٥٤٩، ٢٥٥٨، ٢٥٧١)، وأبو داود (٣٧٦٠)، والترمذي في الأطعمة (١٨٤٧)، والنسائي (٨٥/١)، وابن خزيمة (٣٥)، والبيهقي (٤٢/١، ٣٤٨)، وهو في صحيح مسلم رقم (٣٧٤) بلفظ: «**أريد أن أُصَلِّي فَأَتَوَضَّأَ**»، وفي رواية: «**ما أردتُ صلاة فأتوضّأ**».

{٣٣٧} ـ وعن عبدالله بن حنظلة بن الغَسِيل رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان أُمِرَ بالوُضُوءِ لكُلِّ صلاةٍ طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شَقَّ ذلك أُمِر بالسواك عند كل صلاة، وَوُضِعَ عنه الوُضوء إلا من حدث.

رواه أحمد (٢٢٥/٥)، وأبو داود في السواك رقم (٤٨) بسند حسن، وابن إسحٰق صرّح بالتحديث.

{٣٣٨} ـ وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتوضّأ لكل صلاة، فلما كان عام الفتح صلّى الصلوات كلّها بوضوء واحد ومسحَ على خفّيه، فقال عمر: إنك فعلتَ شيئاً لم تكن تفعله، قال: «**عَمْداً فعلتُه**».

رواه أحمد (٣٥٠/٥، ٣٥٨)، والطيالسي (١٨٧)، ومسلم (١٧٧/٣)، وأبو داود (١٧٢)، والترمذي (٥٣) بتهذيبي، والنسائي، وابن ماجه (٥١٠).

{٣٣٩} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ صلّى الله

تعالى عليه وآله وسلم يتوضأ عند كل صلاة، قيل له: فأنتم ما كنتم تصنعون؟ قال: كنّا نصلّي الصلوات كُلَّها بوُضوء واحد ما لم نُحْدِثْ.

رواه البخاري (١/٣٢٨)، والترمذي (٥١)، والنسائي (١/٧٣)، والدارمي (٧٢٦)، وابن ماجه (٥٠٩).

أحاديث الباب تدلّ على أن الوضوء واجب للصلاة، وهذا لا خلاف فيه فهو شرط صحة لها بالإجماع، ولا يجب إلا عند إرادتها بدليل ظاهر الآية: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ إلخ، وحديث ابن عباس والأحاديث الأخرى تدلّ على جواز الصلاة بوضوء واحد ما لم يطرأ حدث لكن السنّة تجديده لكل صلاة.

قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [٦]:

الصحابة الذين رووا لنا عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بيان صفة الوضوء المذكور في هذه الآية كثيرون، وأشهرهم ثلاثة عشر نفراً، والذين استوعبوا صِفَتَهُ هم الإمام علي وعثمان وابن عباس وعبدالله بن زيد والرُّبَيِّع رضي الله تعالى عنهم، وكل هذا قد تقدّم في الطهارة والحمدلله.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [٦]:

تقدم في كتاب الطهارة ما يتعلق بالتيمّم، وما جاء فيه من الأحاديث والسنّة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [١١]:

{٣٣٠} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نزل منزلاً وتفرق الناس في العِضَاهِ يستظلّون تحتها، وعلّق النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سِلاَحَه بِشَجَرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخذه فسلَّه، ثم أقبل على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟ قال: «**الله عز وجلّ**»، قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً: من يمنعك مني؟ والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**الله**»، قال: فشاحَ الأعرابي السيف فدعا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه ولم يُعاقبه، وقال معمر: كان قتادة يذكر نحو هذا، ويذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكُوا برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأرسلوا هذا الأعرابي، وتأول: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾.

رواه ابن جرير (١٤٦/٦)، والبيهقي في الدلائل (٣٧٤/٣)، وزاد في الدرّ المنثور (٣٥/٣) عَبْدَ بن حُمَيْد وابن المنذر، وسنده صحيح رجاله رجال الشيخين.

والحديث رواه أحمد (٣١١/٣، ٣٦٤، ٣٩٠)، والبخاري في الجهاد وفي غزوة ذات الرقاع (٤٣٠/٨، ٤٣٢)، ومسلم في الفضائل (٤٤/١٥، ٤٥)، والحاكم (٢٩/٣) بنحوه بدون ذكر الآية، والأعرابي هو غَوْرَثٌ كما جاء مسمى في رواية.

وفي الآية الكريمة تذكير من الله عزّ وجلّ بنعمته على الصحابة حيث كفّ أيدي الأعادي عنهم بعد أن همّوا بالإيقاع بهم، والحديث ظاهر في أن سبب الآية هو ما ذكر فيه، ورجح ابن جرير أنّ السَّبب كان هَمُّ يَهُودِ بني النضير بِقَتْل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ إلخ [١٥]:

{٣٣١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مَنْ كفر بالرجم فقد كَفَرَ بالقرآن من حيث لا يَحتسب، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٣٣)، وابن جرير (٦/١٦١)، وابن حبان (٥١١) بالموارد، والحاكم في الحدود (٤/٣٥٩) وصححه ووافقه الذهبي.

الآية والأثر يدلآن على أن اليهود كانوا يكتمون كثيراً من الأحكام التي كانت عندهم في التوراة، فجاء رسولنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يفضحهم ويبيّن ما أخفوه كآية الرجم كما تقدم في آل عمران.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [١٧]:

{٣٣٢} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: مرّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في نفرٍ من أصحابه وصَبِيٌّ في الطريق، فلما رأت أمُّه القومَ خَشِيَتْ على ولدها أن يُوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابْنِي وسَعَت فأخذتْه، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتُلْقِي ولدَها في النار، قال: فخَفضهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«ولا الله يُلْقِي حَبِيبَه في النارِ»**.

رواه أحمد (٣/١٠٤، ٢٣٥)، وأبو يعلى (٣٧٣٥)، والحاكم (١/٥٨)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وعزاه النور (١٠/٣٨٣) لأحمد والبزار وأبي يعلى، وقال: رجالهم رجال الصحيح.

في الحديث بشارة للمحبّين لله عزّ وجلّ بأن الله لا يعذّبهم، فإن الحبيب لا يمكن له بحال أن يعذّب حبيبه.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية [١٩]:

{٣٣٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أنا أَوْلَى الناس بعيسى ابن مريم في الأُولى والآخرة»**، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **«الأنبياءُ إخوةٌ من علاَّتٍ وأُمَّهاتُهم شتّى، ودينهم واحدٌ ليس بيننا نبيّ»**.

رواه أحمد (٣١٩/٢، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١)، والبخاري في الأنبياء (٢٩٨/٧، ٢٩٩)، ومسلم في الفضائل (١١٩/١٥)، وأبو داود في السنة (٤٦٧٥) وغيرهم.

قوله: إخوة علاّت، في رواية: أبناء علات، وفي أخرى: أولاد علات.

والعلات ـ بفتح العين ـ: هن الضرائر، وأولادهن هم الإخوة من أبٍ واحد وأمّهات شتى، وهذا تمثيل لاختلاف شرائع الأنبياء، فأُمّهاتهم هن شرائعهم والأب هو أصول الدين، فالأنبياء متّفقون فيه مع اختلاف شرائعهم. والحديث يدلّ على أنه ليس بين نبيّنا وعيسى عليهما الصلاة والسلام نبيّ، فكانت بعثته جاءت بعد فترة من الرسل، كما في الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٢٤]:

{٣٣٤} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: جاء المقداد رضي الله تعالى عه يوم بدر وهو على فرس له، فقال: يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ إلخ، ولكنه امْضِهْ ونحنُ معك، فكأنه سري عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير (٣٤٢/٩)، والنسائي في الكبرى (٣٣٣/٦)، والحاكم، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

{٣٣٥} ـ وعن أنس نحوه، رواه أحمد (١٠٥/٣، ١٨٨)، والنسائي في الكبرى (٣٣٤/٦)، وأبو يعلى (٣٧٦٦، ٣٨٠)، وابن حبان (٤٧٠١) بالإحسان بسند صحيح، وأصله في صحيح مسلم (١٢٤/١٢). وفيه قول سعد بن عبادة...: والذي نفسي بيده لو أمَرْتَنا أن نُخيضَها البحر لأَخَضْنَاها، ولو أمرتنا أن نَضْرب أكبادَها إلى بَرْكِ الغِماد لفعلنا... الخ، وسيأتي تامّاً مطولاً في الغزوات والسير. وبرك ـ بفتح الباء وسكون الراء ـ

والغماد - بكسر الغين المعجمة وضمّها - موضع بطرف اليمن...

وفيه فضل الصحابة وخاصة الأنصار، حيث كانوا أطوع الناس لله ولرسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولم يكونوا كاليهود الملاعين الذين قالوا لنبيّهم: اذهب أنت وربك فقاتلا، إلخ.

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ الآية [٢٧]:

{٢٣٦} - عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا تُقْتَلُ نفسٌ ظلماً إلا كانَ على ابن آدم الأول كفلٌ من دمِها، لأنه أوّل من سَنَّ القتل**».

رواه أحمد (١/٣٨٣، ٤٣٠)، والبخاري في الأنبياء (٧/١٧٩)، وفي الديات وفي الاعتصام، ومسلم في القسامة (١١/١٦٦)، والترمذي في العلم (٢٦٧٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٣٤)، وفي المجتبى، وابن ماجه في الديات (٢٦١٦) وغيرهم.

كفل - بكسر الكاف - أي: نصيب، وفي الحديث وعيد شديد لابن آدم قابيل الذي قتل أخاه هابيل عدواناً وظلماً، وأن جميع ما يراق من الدماء بغير حقّ في هذه الأرض فعليه نصيب منها لأنه أول من سنّ هذه السنّة الظالمة، وقد قصّ الله عزّ وجلّ علينا قصّتهما وما دار بينهما، وكان الحامل لقابيل على سفك دم أخيه هو الحسد، وهو أول شرّ وفساد وقع في الأرض من بني آدم.

قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨]:

{٢٣٧} - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال عند فتنة عثمان: أشهد أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنها ستكونُ فتنةٌ، القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من السّاعي**»، قال: أفرأيت إن دخل عليّ بيتي فبسط يده إليّ ليقتلني،

قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كن كابْنَي آدم**»، وتلا: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ الآية.

رواه أحمد (١/١٨٥)، وأبو داود (٤٢٥٧)، والترمذي (٢٠٢٥) كلاهما في الفتن بسند صحيح على شرط مسلم.

{٣٣٨} ـ وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه نحوه، وفيه: «**فكَسِّرُوا قِسِيّكم، وقَطِّعُوا أوْتَارَكُم، واضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بالحِجَارَة، فإن دخل يعني: على أحدكم فليكن كخير ابني آدم**».

رواه أبو داود (٤٣٥٩)، والترمذي (٢٠٣٤) في الفتن، وابن ماجه (٣٩٦١)، وابن حبان (١٨٦٩) بالموارد، وسنده صحيح.

ما في الحديثين محمول على أيام الفتنة والقتال بين المسلمين عند اشتباه الحق بالباطل وعدم بيان المحق من غيره، ففي هذه الحالة ينبغي للمؤمن الملتزم أن يكفّ عن الدخول في الفتنة، وأن لا يقاتل أحداً بل يسلم نفسه لمن يقتله كما وقع من هابيل حيث استسلم لأخيه، وقال له ما قصّه الله تعالى علينا. أما عند ظهور جانب الحقّ، فيجب قتال المبطلين من البغاة وغيرهم، على أنه يجوز للإنسان الدفاع عن نفسه، كما جاء في الأحاديث الأخرى.

❋ قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [٢٩]:

{٣٣٩} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، أو قال: ما خار الله لي ورسوله؟ قال: «**عليك بالصبر**» أو قال: «**تصبر**»، ثم قال لي: «**يا أبا ذرّ**»، قلت: لبّيك وسعديك، قال: «**كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم**»؟ قلت: ما خار الله لي ورسوله؟ قال: «**عليك بمن أنت منه**»، قلت: يا رسول الله أفلا آخذ سيفي وأضعه على عاتقي، قال: «**شاركت القوم**

إذن»، قلت: فما تأمرني؟ قال: «**تلزم بيتك**»، قلت: فإن دخل على بيتي؟ قال: «**فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه**».

رواه أحمد (١٦٣/٥)، وأبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨)، وابن حبان (١٨٦٢، ١٨٦٣)، والحاكم (٤٢٣/٤، ٤٢٤)، والبيهقي (١٩١/٨) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

{٢٤٠} ـ وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: يا أبا عبدالله ما تأمرنا إذا اقتتل المصلون؟ قال: «**آمرك أن تنظر أقصى بيت من دارك فتَلِجَ فيه، فإن دخل عليك فتقول: هابُؤ بإثمي وإثمِك فتكون كابن آدم**».

رواه الحاكم (٤٤٤/٤، ٤٤٥) وصححه على شرط الشيخين، وأورده ابن كثير وغيره عن ابن مردويه، وذكره مرفوعاً وقال فيه: لئن اقتتلتم لأنظرن إلى أقصى بيت في داري فلألجنّه فلئن دخل عليّ فلان لأقولن: هابُؤ بإثمي وإثمك، فأكون كخير ابني آدم.

فما ذكر في الحديثين هو تفسير للآية الكريمة: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ أي: ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾ قتلي إن قتلتني ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي كان منك قبل قتلي، فتصير من ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلخ [٣٣]:

{٢٤١} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن نفراً من عُكْلٍ قدموا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأسلموا واجْتَوَوْا المدينة، فأمرهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في طلبهم قافَّة فأُتِي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَل أعينهم،

ولم يحسِمْهم وتركَهم حتى ماتوا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية.

رواه البخاري في الطهارة وفي الجهاد وفي المغازي وفي الحدود وفي التفسير (٣٤٣/٩)، ومسلم في القسامة (١٥٤/١١، ١٥٦، ١٥٧)، وأبو داود في الحدود (٤٣٦٤، ٤٣٦٥، ٤٣٦٦)، والنسائي في الكبرى (٣٣٤/٦) وغيرهم.

الآية الكريمة والحديث الشريف كلاهما يدلاّن على أن حكم المفسدين من قاطعي الطريق ومخيفي المسلمين... أن يخيّر فيهم الحاكم الإسلامي بين ما ذكرته الآية. وهذا الحكم يجري على كل من أفسد في الأرض بالقتل أو قطع الطريق أو نَشْرِ ما يُفْسِد العقول كأرباب المخدّرات ونحو ذلك.

وقوله في الحديث: فاجتَووْا المدينة، أي: لم يوافقهم هواؤها، وقوله: سمل أعينهم أي: فقأها، وفي رواية: سمر ـ بالميم ـ أي: كحلها بمسامير، وقوله: لم يحسمهم أي: لم يكو منهم موضع القطع، بل تركهم كذلك حتى نزفوا فماتوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [٣٦]:

{٣٤٢} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقول: «**يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملىء الأرض ذهباً أكنتَ تَفْتَدِي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنتَ سُئِلتَ ما هو أيسَرُ من ذلك**».

وفي رواية: «**يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنتَ مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهونَ من هذا، وأنت في صلب آدم ألا تشرك ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك**».

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله؟ فقال: «**إنّ الله لم يُهلِك قوماً**»، أو قال: «**لم يَمسَخ قوماً فيَجعَل لهم نَسلاً ولا عَقِباً، وأن القردة والخنازير كانت قبل ذلك**».

وفي رواية: سألنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «**لا إن الله لم يَلْعَنْ قوماً قطّ فمسَخهم، فكان لهم نسلٌ، ولكن هذا خلق فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم**».

رواه بالرواية الأُولى أحمد (١/٣٩٠، ٤١٣)، ومسلم في القدر (٢١٣/١٦)، وبالثانية أحمد (٤٢١/١)، وابن أبي حاتم (١١٦٥/٤) وغيرهما.

الآية كالحديث يدلآن على أن اليهود قد مسخوا قردة وخنازير بعد أن لعنهم الله وغضب عليهم، كما أن الحديث يدلّ على أن القردة والخنازير الموجودة هي من جملة ما خلق الله من الكائنات، وليست من بقايا ممسوخي بني إسرائيل، فإن الحديث صريح في أن الممسوخ لا نسل له ولا عقب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾:

{٣٤٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يَمِينُ الله مَلأَى سَحَّاء لا يَغِيضُها الليل والنهار**»، قال: «**أَرَأَيْتُم ما أنفقَ منذُ خلق السمٰوات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه، وعَرشُه على الماء، وبيدِه الأُخرى الميزانُ، يَخفِض ويرفع**».

رواه أحمد (٥٠٠/٢)، والبخاري في سورة هود (٤٢١/٩)، وفي التوحيد ومسلم في الزكاة (٧٩/٧)، والترمذي في التفسير (٢٨٤٩) بتهذيبي، وابن ماجه وغيرهم.

قوله: سحّاء ـ بفتح السين والحاء المشدّدة الممدودة ـ أي: دائمة الصب والعطاء، وقوله: لا يغيضها أي: لا ينقصها.

وفي الآية والحديث ردّ على اليهود الملاعين الذين وصفوا الله عزّ وجلّ بالبخل مع أنه جواد كريم يمينه ملآنة دائمة العطاء لا ينقصها الليل والنهار، وما ذكر في الآية من اليد واليدين، وفي الحديث من اليمين يجب الإيمان بذلك كما جاء من غير توهّم ولا تكييف ولا تشبيه، قال الإمام أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عند هذه الآية والحديث: وهذا حديث قد روته الأئمّة نؤمن به كما جاء من غير أن يفسّر أو يتوهّم، هكذا قال غير واحد من الأئمّة والثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها فلا يقال كيف.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [٦٧]:

{٣٤٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ثلاثٌ من قال واحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفرية، من زعم أنه يعلم ما في غد، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾، ومن زعم أن محمداً صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كتم شيئاً من الوحي والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ الآية، ومن زعم أن محمداً صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ إلخ، الحديث.

رواه أحمد (٤٩/٦، ٥٠)، والبخاري في التفسير (٣٤٤/٩)، وفي بدء الخلق وفي التوحيد ومسلم في الإيمان، والترمذي (٣٠٦٨)، والنسائي (٣٣٥/٦، ٣٣٦) كلاهما في التفسير، ويأتي في الأنعام وفي النجم.

والآية الكريمة صريحة في الأمر الإلـهي لنبيّه الكريم بتبليغ الرسالة، وقد بلغ ونصح وما كتم شيئاً من الوحي الذي يحتاجه الناس، وحاشاه من ذلك، ولذلك كان يقول: «**اللّهمّ هل بلّغت، اللّهمّ فاشهد**».

ومن زعم أنه كتم شيئاً خصّ به الأوصياء من أهل البيت كما يزعمه الروافض، فقد كفر لتكذيبه القرآن.

رواه النسائي في الكبرى (٣٣٦/٦)، وابن جرير (٥/٧)، وابن أبي حاتم (١١٨٥/٤)، وعزاه النور في المجمع (٤١٩/٩) للبزار، وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر وهو ثقة.

فيه الثناء الجميل من الله عزّ جلّ على هؤلاء النصارى المؤمنين وحق لهم ذلك، فإن البكاء من خشية الله ومحبّته... من أخلاق الصادقين وصفات الصالحين.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ إلخ [٨٧]:

{٣٥٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أتى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إني إذا أصبتُ اللحم انتشرتُ للنساء، وأخذتْني شهوتي، فحرَّمتُ عليَّ اللحم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ﴾ إلخ. إلى قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾.

رواه الترمذي (٣٠٥٤) في التفسير بتهذيبي، ورواه ابن جرير (١١/٧)، وابن أبي حاتم (١١٨٦/٤) بسند حسن.

{٣٥٤} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سألوا أزواج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«ما بال أقوام يقول أحدُهم كذا وكذا، لكني أصومُ وأفطر، وأنامُ وأقوم، وآكلُ اللَّحْمَ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منّي»**.

وفي رواية: فلما أُخبِرُوا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأيْنَ نحنُ من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلّي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا

أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء إليهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكُمْ له، لكني أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني»**.

رواه مسلم بالرواية الأُولى (٩/١٧٥، ١٧٦)، والبخاري بالثانية (٤/١١، ٥) كلاهما في النكاح.

{٣٥٥} ـ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنّا نغزو مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وليس معنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نَسْتَخْصِي؟ فنهانا عن ذلك، ورخّص لنا أن نَنْكِحَ المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٤٥) وفي النكاح، ومسلم في باب نكاح المتعة (٩/١٨٢).

في هذه الآية الكريمة مع الأحاديث المذكورة النهي عن تحريم ما أحلّ الله لنا من الطيّبات مأكولات ومشروبات وملبوسات ومنكوحات... وأن من فعل ذلك كان من المعتدين خارجاً عن هدي الرسول، ويأتي في النكاح بقية إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [٩٠، ٩١]:

{٣٥٦} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: نزلت فيَّ آياتٌ من القرآن، فذكر الحديث وفيه: وأتيتُ على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمراً، وذلك قبل أن تحرم

رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٣٦)، وابن جرير (٧/٥)، وابن أبي حاتم (٤/١١٨٥)، وعزاه النور في المجمع (٩/٤١٩) للبزار، وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر وهو ثقة.

فيه الثناء الجميل من الله عزّ جلّ على هؤلاء النصارى المؤمنين وحق لهم ذلك، فإن البكاء من خشية الله ومحبّته... من أخلاق الصادقين وصفات الصالحين.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ إلخ [٨٧]:

{٣٥٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أتى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إني إذا أصبتُ اللحم انتشرتُ للنساء، وأخذتْني شهوتي، فحرّمتُ عليَّ اللحم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ﴾ إلخ. إلى قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

رواه الترمذي (٣٠٥٤) في التفسير بتهذيبي، ورواه ابن جرير (٧/١١)، وابن أبي حاتم (٤/١١٨٦) بسند حسن.

{٣٥٤} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سألوا أزواج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: «**ما بال أقوام يقول أحدُهم كذا وكذا، لكني أصومُ وأُفطر، وأنامُ وأقوم، وآكلُ اللَّحْمَ، وأتزَوّجُ النساءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَتي فليس منّي**».

وفي رواية: فلما أُخبِرُوا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأيْنَ نحنُ من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلّي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا

أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء إليهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكُمْ له، لكني أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني»**.

رواه مسلم بالرواية الأولى (٩/١٧٥، ١٧٦)، والبخاري بالثانية (١١/٤، ٥) كلاهما في النكاح.

{٣٥٥} ـ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنّا نغزو مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وليس معنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نَسْتَخْصِي؟ فنهانا عن ذلك، ورخّص لنا أن نَنْكِحَ المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٤٥) وفي النكاح، ومسلم في باب نكاح المتعة (٩/١٨٢).

في هذه الآية الكريمة مع الأحاديث المذكورة النهي عن تحريم ما أحلّ الله لنا من الطيّبات مأكولات ومشروبات وملبوسات ومنكوحات... وأن من فعل ذلك كان من المعتدين خارجاً عن هدي الرسول، ويأتي في النكاح بقية إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [٩٠، ٩١]:

{٣٥٦} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: نزلت فيَّ آياتٌ من القرآن، فذكر الحديث وفيه: وأتيتُ على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمراً، وذلك قبل أن تحرم

الخمر، قال: فأتيتهم في حُشٍّ ـ والحُشّ البستان ـ قال: فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزِقٌّ من خمر، فأكلتُ وشربتُ معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرَحَ أنفي، فأتيتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرتُه، فأنزل الله عزّ وجلّ فيّ، ـ يعني: نفسه ـ شأن الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

رواه مسلم في الفضائل (١٨٥/١٤، ١٨٦)، وابن جرير (٣٣/٧، ٣٤)، وابن أبي حاتم (١٢٠٠/٤).

في الحديث أن قصة سعد هذه هي سبب نزول الآية، وتقدم في البقرة حديث عمر في ذلك وأنه بسببه نزلت. قال ابن جرير ما معناه: وجائز أن يكون نزولها بسبب دعاء عمر وبسبب ما نال سعداً من الأنصاري...

وتحريم الخمر لا خلاف فيه بين المسلمين وهو قطعي الدلالة والثبوت معاً، ورغم ذلك يوجد في عصرنا من يزعم أن تحريمه ليس فيه نص من القرآن... مع الإجماع على تحريمه وكفر مستحلّيه، وانظر ما كتبته في التفسير بالحديث المرفوع في هذا الموضوع، فقد ذكرت دلالة الآية على تحريمه من ثمان وجوه مع إيراد الأحاديث في تحريم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾:

{٢٥٧} ـ عن بريدة بن الحُصَيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من لَعبَ بالنَّرْدَشِير فكأنما صَبَغَ يَدَه في لَحم خِنْزِير ودَمِه»**.

رواه أحمد (٣٥٢/٥)، ومسلم في كتاب الشعر (٢٢٦٠)، وأبو داود (٤٩٣٩)، وابن ماجه (٣٧٦٣) ونحوه عن أبي موسى بلفظ: **«من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»**، رواه أحمد (٣٩٤/٤)، وأبو داود (٤٩٣٨)، وابن ماجه (٣٧٦٣)، والحاكم (٥٠/١) وغيرهم.

النردشير ـ بفتح النون وسكون الراء وفتح الدال ثم شين مكسورة ـ هي كلمة معربة، وهي عبارة عن لعبة كانت عندهم معروفة، وقد صحّ عن ابن عمر أنها من الميسر، فاللاعب بها وبغيرها من ألعاب القمار عاصٍ لله ولرسوله، وكفى بذلك خبثاً وقذارة أن يكون كملطخ يده في لحم خنزير ودمه.

وسمّي القمار ميسراً لأن المقامر يأخذ أموال المقامرين معه بيسر وبدون أي تعب وعناء، وهو محرّم بالإجماع.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ إلخ [١٩٣]:

{٣٥٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج، فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا منادٍ ينادي ألا إن الخمر قد حرّمت، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فَجرتْ في سِكَكِ المدينة، قال: وكانت خمرُهم يومئذ الفضيخَ، فقال بعض القوم: قتل قوم، وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾.

رواه البخاري في التفسير (٣٤٨/٩) وفي الأشربة، ومسلم في الأشربة أيضاً.

وجاء نحوه باختصار عن البراء قال: مات رجال من أصحاب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٥٠، ٣٠٥١)، وابن حبان (١٧٤٠)، وحسّنه الترمذي وصححه، ونحوه أيضاً عن ابن عباس عند الترمذي (٣٠٥٢) وحسّنه وصححه.

في الآية كالأحاديث أنه لا حرج على مَن كان يشرب الخمر قبل تحريمها بل لا مفهوم للخمر فكل المحرمات كذلك، فلا تكليف قبل الشرع، وهكذا الأمر فيمن ارتكب أي معصية قبل معرفته بتحريمها، فإنه لا حرج عليه إذا انتهى وأصلح.

❊ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [٩٦]:

{٢٥٩} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأمّر علينا أبا عُبَيدة نتلقى عيراً لقريش، وزوّدنا جِراباً من تمر لم يجد لنا غيرَه، وكان أبو عبيدة يُعطينا تَمْرةً تَمْرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصّها كما يمصُّ الصَّبيّ ثم نَشْرَبُ عليها من الماء، فتَكْفِينا يومَنا إلى الليل، وكنا نضرب بعُصِيّنا الخَبَط ثم نَبُلُّه بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العَنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا نحن رُسُلُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكُلُوا، قال: فأقمنا عليه شهراً، ونحن ثلاثمائة حتى سمِنًا فذكر الحديث، وفيه: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرنا ذلك له، فقال: **«هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم مِن لحمه شيءٌ فتُطْعِمُونا»**؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم منه فأكله.

رواه البخاري في الشركة وفي المغازي (٩/١٤٠، ١٤٤)، ومسلم في الصيد والذبائح (١٣/٨٤، ٨٥، ٨٩) بألفاظ.

في هذا الحديث الشريف كالآية الكريمة دليل على إباحة صيد البحر وطعامه ولا خلاف في ذلك في الجملة، وإنما الخلاف في بعض أفراده كالكلب والخنزير ونحوهما، وقد تقدم في الطهارة حديث: **«هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»**، وفي الحديث فوائد لها محل آخر.

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [٩٦]:

فيها حديثا أبي قتادة في حمار الوحشي والصعب بن جثامة في ذلك أيضاً وتَقَدَّما في كتاب الحج.

وفي كل ذلك دليل على تحريم الاصطياد حالة الإحرام أو الأكل من الصيد لمن صيد لأجله.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [٩٧]:

{٣٦٠} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يَغْزُو جيشٌ الكعبة فإذا كانوا بِبَيداءَ من الأرض خُسِفَ بأوّلهم وآخِرهم»**، فقلت: يا رسول الله كيف يُخْسَفُ بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومَن ليس منهم؟ قال: **«يخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نيّاتهم»**.

رواه البخاري في البيوع (٥/٢٤٢، ٢٤٣)، وفي الحجّ ونحوه عند النسائي عن أبي هريرة.

{٣٦١} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يُخَرِّبُ الكعبةَ ذُو السُّوَيقتين مِنَ الحَبَشَةِ»**.

رواه أحمد (٢/٢٢٠)، والبخاري في الحجّ (٤/١٩٩، ٢٠٧)، ومسلم في الفتن (١٨/٣٥، ٣٦)، وكذا النسائي في الكبرى (٦/٣٣٧)، وفي المجتبى في المناسك، وكذا الحميدي (١١٤٦)، وابن حبان (١٥/١٥٢) وغيرهم.

الكعبة جعلها الله عزّ وجلّ قياماً للناس، أي: يقيمون بها أمور دينهم من استقبالها في الصلاة والطواف بها في الحجّ والعمرة وغيرهما، فإذا انقرض المسلمون وذهبت مهمّتها جاءت الحبشة فغزتها وهدمتها حجراً حجراً واستخرجوا كنزها ثم لا تعمّر أبداً، وهذا سيكون بعد موت عيسى بزمان.

وقوله: السويقتين هو تصغير ساقين، وإنما صغرهما لأن سيقان الحبشة رقيقة غالباً. أما قبل سيدنا عيسى حيث لا يزال المسلمون يحجّون فسيؤُمُّه جيشٌ ظالمٌ مُلْحِدٌ، فيخسف الله بهم الأرض جميعاً دفاعاً عن حرمه الشريف وانتقاماً من الملحدين.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ الآية [١٠١]:

{٣٦٢} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن أصحابه شيء فخطب، فقال: «**عُرِضَتْ عليَّ الجنّة والنّار فلم أرَ كاليوم في الخير والشرّ، ولو تعلمون ما أعلم لضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً**»، قال: فما أتى على أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يومٌ أشدّ منه، قال: غَطُّوا رُؤُوسَهُم ولهُم خَنِينٌ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله رَضِينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً، فقام ذلك الرجل فقال: من أبي؟ فقال: «**أبوك فلان**»، قال: فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ الآية.

رواه أحمد (١٦٢/٣)، والبخاري في التفسير (٣٤٩/٩، ٣٥٠) وفي الرقاق وفي الاعتصام، ومسلم في الفضائل (١١١/١٥، ١١٢، ١١٣)، والترمذي (٢٨٥٨)، والنسائي (٣٣٨/٦) بألفاظ.

{٣٦٣} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تَضِلُّ ناقتُه: أين نَاقَتِي؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير (٣٥٢/٩).

قد وردت لنزول الآية أسباب وما ذكرناه أصح ما جاء.

وفي الآية مع الحديثين ذم كثرة السؤال إذا لم يكن لحاجة ملحّة، أو كان بقصد الاستهزاء أو التعنّت أو التعجيز، فإن ذلك كلّه حرام.

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [١٠٣]:

{٣٦٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«رأيت عَمرو بن لُحَيّ الخُزَاعي يَجُرُّ قُصْبَه في النار، كان أوَّل من سَيَّبَ السَّوَائِب»**.

رواه البخاري في التفسير (٣٥٣/٩)، ومسلم في الجنّة (١٨٨/١٧، ١٨٩)، والنسائي في الكبرى (٣٣٨/٦)، ونحوه عن عائشة رواه البخاري (٣٥٤/٩)، وأوله: **«رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً»** إلخ.

{٣٦٥} ـ وعن مالك بن نَضْلة الجُشَمي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فصعَّدَ فِيَّ النظر وَصَوَّبه، وقال: **«أرَب إبل أو غنم»**، قلت: من كل قد أتاني الله فأكثر وأطْيَب، فقال: **«ألستَ تُنْتِجُها وافيةً أعيانها وآذانها فتَجْدَعُ هذه، وتقول: بَحيرَة، وتُفقأ هذه، ساعِدُ الله أشدُّ، ومُوسَاه أحدُّ»**.

رواه أحمد (٤٧٣/٣) و(١٣٦/٤، ١٣٧)، والنسائي في الكبرى (٣٣٨/٦)، وابن حبان (١٠٧٣)، والحاكم (١٨١/٤) وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

قوله: قُصبه ـ بضم القاف وسكون الصاد ـ وهي المعى والمصارين. وقوله: ساعد الله إلخ، قال في النهاية: أي: لو أراد الله تحريمها بشقّ آذانها لخلقها كذلك، فإنه يقول لها: كوني فتكون.

والساعد والموسى معلومان وهما محال في حقّ الله عزّ وجلّ، لكن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو أعلم الخلق بربّه وبصفاته عبّر بذلك عن كمال قدرة الله عزّ وجلّ، وأنه ذو القوّة المتين لا يتعاظمه شيء.

فالساعد حكمه بالنسبة لله كاليد، واليمين نؤمن بذلك ولا يكيف شيء منها ولا يؤول ولا يشبّه.

هذا الخطاب الإلـهيّ لرسوله عيسى عليه السلام سيكون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، كما قال ابن عباس وغيره وفيه فضيحة للنصارى الغالين الكذّابين.

قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [١١٨]:

{٣٦٩} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم تلا قول إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾، وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، فرفع يديه وقال: «**أمّتي أمّتي**»، ثم بَكى فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أُمّتك ولا نسوءك.

رواه مسلم في الإيمان (٧٧/٣، ٧٨)، وابن جرير (٢٢٩/١٣)، وابن أبي حاتم (١٢٥٤/٤) وغيرهم، ويأتي في سورة الإسراء بأطول من هذا.

في هذا الحديث بيان كمال شفقته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ورحمته بأُمّته واهتمامه بها، وأن الله سيعطيه من أنواع الشفاعة ما سيرضيه في أُمّته.

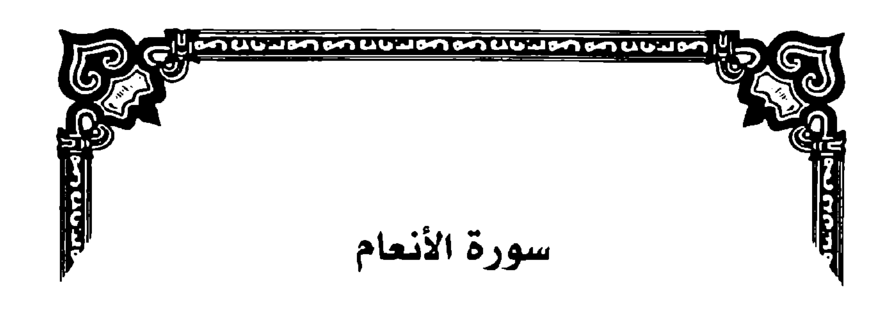
{٣٧٠} ـ وعن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: قام النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية.

رواه أحمد (١٥٦/٥، ١٧٠، ١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٣٤٠/٦)، وابن ماجه (١٣٥٠)، والطحاوي في المعاني (٣٤٧/١)، والحاكم (٢٤١/١) وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد عن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها رواه الترمذي في الصلاة (٤٠١) بتهذيبي، ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٩١٤) وسنده صحيح، وشاهد آخر عن أبي سعيد رواه أحمد (٦٢/٣) وسنده صحيح أيضاً.

وفي الحديث مشروعيّة تكرار الآية الواحدة في صلاة الليل ولو في كل ركعة طوال الليل وخاصة إذا وجد المسلم فيها دواء قلبه بما يحصل له من تجلّيات إلـٰهيّة وأنوار... جعلنا الله من أهل ذلك، آمين.

وبهذا تم ما أردناه من تفسير آيات سورة المائدة والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه.





سورة الأنعام

هذه السورة الكريمة من السور المكيات الطوال كالأعراف الآتية عقبها، وآياتها مائة وخمس وستون، وهي تعني بالكلام على الأُلوهية ودلائل التوحيد والرسالة وذكر الأنبياء، وما يتبع ذلك من بعض التسليات للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وليس فيها تعرّض للتشريع على قاعدة السور المكّيات.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [١٢]:

{٣٧١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن الله لما خلق الخَلْق كتب كِتاباً عندَه فوقَ العرش أنّ رحمته تَغْلِبُ غَضَبه»**.

رواه أحمد (٣١٣/٢، ٣٥٨، ٤٦٦)، والبخاري في بدء الخلق (١٠١/٧)، وفي التوحيد (١٥٥/١١)، ومسلم في التوبة (٦٧/١٧، ٦٨)، والترمذي (٣٥٤٣)، وابن ماجه (١٨٩)، وابن حبان (٦١٤٥).

الحديث يدلّ على أسبقية رحمة الله عزّ وجلّ على غضبه، فتعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب، لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدّسة. وأما الغضب، فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث. وأما الآية الكريمة، فمقتضاها أنه تعالى ألزم على نفسه الرحمة لعباده تفضّلاً منه عليهم ولطفاً بهم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [٣٣]:

{٣٧٢} ـ عن عليّ عليه السلام أن أبا جهل قال للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: إنا لا نكذّبك، ولكن نكذّب بما جئت به، فأنزل الله فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٦٤)، وابن أبي حاتم (١٢٨٢/٤)، والحاكم (٣١٥/٢)، وصححه على شرطهما، وناجية لم يخرجا له كما قال الذهبي، وأخرجه ابن جرير (١٨٢/٧) مرسلاً، لكن الواصل ثقة فالحكم له.

الآية الكريمة صريحة في تصديق الكفار للنبيّ وأنهم لم يكونوا يتّهمونه بالكذب، لكنهم كانوا يكذّبون ما جاء به، وهذا تناقض منهم يدلّ على غباوتهم وإغراقهم في الجحود والعناد وإصرارهم على الضلال.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [٤٤]:

{٣٧٣} ـ عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إذا رأيت الله عزّ وجلّ يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحِبُّ وهو مُقيمٌ على معاصيه فإنمّا ذلك منه استدراجٌ**»، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟﴾ الآية إلى: ﴿مُّبْلِسُونَ﴾.

رواه أحمد (١٤٥/٤)، وابن جرير (١٩٥/٧)، وابن أبي حاتم (١٢٩٠/٤)، وعزاه العراقي في المغني للطبراني، والبيهقي في الشعب (٤٥٤٠)، وحسّنه وهو صحيح لطرقه.

الآية صريحة كالحديث في أن من فتحت عليهم الحياة ووسّع عليهم في العيش وفرحوا بذلك مع إصرارهم على ارتكاب ما حرّم الله، فإنما هو استدراج من الله لهم، وأنه سوف يأخذهم من غير شعور.

وقوله: فإذا هم مبلسون، أي: يائسون.

■ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٥٢]:

{٣٧٤} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ستّةَ نفر، فقال المشركون للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: اطْرُدْ هؤلاء لا يَجْتَرِئُونَ علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجلٌ من هُذَيْل ورجلان لست أُسَمّيهما فوقع في نفس رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما شاء الله أن يقع فحدَّث نفسه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية.

رواه مسلم في الفضائل (١٨٧/١٥، ١٨٨)، والنسائي في الكبرى (٣٤٠/٦)، وأبو يعلى (٨٢٢)، وابن أبي حاتم (١٢٩٨/٤)، والحاكم (٣١٩/٣).

في الآية الكريمة فضل ضعفاء المؤمنين الذين يعبدون الله وحده بإخلاص ولا يريدون غيره من الكائنات، كما فيه النهي عن طردهم وإحلال الكفار أو أهل الدنيا محلّهم، وسيأتي بقية لهذا في سورة الكهف.

■ قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [٥٩]:

{٣٧٥} ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «مفاتح الغيب خمسٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾».

رواه البخاري في تفسير سورة الأنعام (٣٦٠/٩)، ولقمان، ويأتي هنالك تخريجه وشرحه إن شاء الله تعالى.

▣ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [٦٥]:

{٢٧٦} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أعوذُ بوجهك»**، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: **«أعوذ بوجهك»** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«هذا أهونُ أو هذا أيسَرُ»**.

رواه أحمد (٣/٣٠٩)، والحميدي (١٢٥٩)، والبخاري في التفسير (٩/٣٦١) وفي التوحيد، والنسائي في الكبرى (٦/٣٤٠)، وابن حبان (٧١٧٦) بالإحسان.

قوله: يلبسكم شيعاً أي: يخلطكم فرقاً.

ما في الآية الكريمة ظاهر في هذه المخترعات الحربية المدمرة من الصواريخ والقنابل والألغام... ولذا استعاذ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بوجه الله منها لما لها من الفتك والتدمير... وبعيد جداً تفسيرها بالرجم والخسف وأئمة الجور، والخدم السوء وحبس المطر فما كان يقوله المفسرون قبل هذا الوقت.

ويؤيّد ما فسرنا به حديث: **«أما إنها كائنةٌ ولم يأتِ تأويلها بعد»**، رواه أحمد (١/١٧١)، والترمذي (٣٠٦٦)، وأبو يعلى (٧٤٥) وغيرهم، وضعفه لا يضرّ، فإن الواقع يؤيّده والله تعالى أعلم. أما تشيّع الأُمّة، فهو أمر واقعي في الأمة بداية من القرون الأولى حتى يومنا هذا، ولا يزال الصراع قائماً بين الفرق.

▣ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٨٢]:

{٢٧٧} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ الآية، قال أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم:

وأيُنا لم يَظْلِم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وفي رواية: شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقالوا: أيُنا لا يظلم نفسه، فقال: «**ليس هو كما تَظُنُّون إنَّما هو كما قال لقمان لابنه: يا بُنَيّ لا تُشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيم**».

رواه البخاري في الإيمان (٩٥/١، ٩٦)، وفي التفسير (٣٦٣/٩) وفي أحاديث الأنبياء وفي مواضع، ومسلم في الإيمان (١٤٣/٢، ١٤٤)، والترمذي (٣٠٦٧)، والنسائي في الكبرى (٣٤١/٦).

الظلم: وضع الشيء في غير محلّه، ولذلك فهم الصحابة من الآية عموم الظلم وهو مطلق المعاصي، فبين لهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن ذلك من العام الذي أريد به الخصوص، وأن المراد بالظلم هنا الشرك الأكبر المخرج من الملّة والذي هو أعظم الظلم.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [٩٠]:

{**٣٧٨**} ـ عن مجاهد رحمه الله تعالى أنه قال لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنسجد في صٓ، فقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ حتى أتى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ فقال: نبيّكم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ممن أمر أن يَقْتَدِي بهم.

رواه أحمد (٣٦٠/١)، والبخاري في التفسير (٣٦٤/٩)، وفي أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٢١)، والنسائي في الكبرى (٣٤٢/٦)، وابن خزيمة (٥٥٢)، وابن حبان (٦٧٦٦) وغيرهم.

وسيأتي في سورة صٓ بسياق آخر.

في الآية الكريمة مع الأثر دليل على أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان مأموراً بالاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، وهذا لا خلاف فيه، غير أنه مخصوص بغير ما نسخ من شرائعهم بشرعنا، ومن هنا اختلف الأصوليون في العمل بشرع من قبلنا.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [٩٤]:

{٣٧٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقول العبدُ: مالِي مَالِي، وأن له من ماله ثلاثاً: ما أكل فأفنَى، أو لَبِس فأبلَى، أو أُعطِيَ فاقتَنَى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**».

رواه أحمد (٣٦٨/٢، ٤١٢)، ومسلم في الزهد (٩٤/١٨)، ونحوه عن مطرف عن أبيه عنده: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت**».

هذه حياة الإنسان وهذا حاله في الدنيا يعيش مخدوعاً يدعي أن له ملكاً ومالاً وليس له من ذلك إلا ما انتفع به في حياته ففني واضمحل ولم يبق له إلاّ ما قدمه لآخرته، فسوف يجده أحوج ما يكون إليه. أمّا ما خزنه وكدّسه فلا يملك منه ذرّة، بل سوف يرتحل ويذره وراء ظهره لورثته يقتسمونه ويقال له: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠٤]:

فيه حديث عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفرية، من زعم أن محمداً رأى ربّه، والله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، إلخ.

رواه الشيخان وغيرهما كما تقدم في المائدة، ويأتي أيضاً في النجم.

واختلف العلماء في رؤية نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ربّه ليلة الإسراء على قولين منعتها مولاتنا عائشة ومن تبعها، وأثبتها آخرون ونسبه النووي في شرح مسلم لأكثر العلماء مع اتفاقهم على عدم استحالتها؛

لأن كل موجود يصح أن يرى، وهذا في الدنيا. أما في الآخرة، فأجمع أهل السنة على وقوعها، ويأتي ذلك في سورة القيامة. أمّا قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا تحيط بحقيقة ذاته الأبصار الفانية في هذه الحياة.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [١١٠]:

{٣٨٠} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُكْثِرُ أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِك**»، فقلت: يا رسول الله آمنّا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم إنّ القلوبَ بين أصْبُعين من أصابع الله يُقلّبها كيف شاء**».

رواه أحمد (٣/١١٢)، والترمذي في القدر (١٩٧٢)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، والحاكم (١/٥٢٦) وصححه على شرط مسلم، وحسنه الترمذي وصححه، وتقدم في الدعوات حديث ابن عَمْرو.

في ذلك تقليب القلوب هو تحويلها من حالة إلى حالة من كفر إلى إيمان، ومن معصية إلى طاعة، ومن بغض إلى محبّة أو عكس ذلك، وهذا من خصائص ربّنا العظيم فلا يقدر على ذلك أحد أيّاً كان، فينبغي للمؤمن أن يلتجىء إليه تعالى بأن يثبّت قلبه على الإيمان والدين اقتداء بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الآية [١١٢]:

{٣٨١} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في المسجد فجلست، فقال: «**يا أبا ذرّ هل صلّيت**»؟ قلت: لا، قال: «**قم فصلّ**»، قال: فقمت فصلّيت ثم جلست، فقال: «**يا أبا ذرّ تعوّذ بالله من شر شياطين الإنس والجنّ**»، قال: قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «**نعم**» الحديث بطوله.

رواه أحمد (١٧٨/٥، ٢٦٥)، والنسائي في الكبرى (٤٦١/٤)، وفي الاستعاذة من المجتبى والبزار (٩٣/١، ٩٤) مع كشف الأستار، وابن جرير (٤/٨، ٥) وغيرهم، وسنده صحيح ولا يضرّ اختلاط المسعود، فإن للحديث طرقاً مجموعها يقوي صحته، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى.

الآية والحديث يدلآن على أن للإنس شياطين كالجن، وهم المتمردون المتجاوزون الحدّ في الشر، وأنهم إخوة في الإغواء والإضلال ومعاداة الرسل وأتباعهم.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [١٢٠]:

{٣٨٢} ـ عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن البرّ والإثم، فقال: **«البِرُّ حُسْنُ الخُلُق، والإثْمُ ما حَاكَ في صدرِكَ وكَرِهتَ أن يطَّلِعَ عليه الناسُ»**.

رواه أحمد (١٨٢/٤)، والبخاري في الأدب المفرد، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٥٣)، والترمذي في الزهد (٢٢٠٧) بتهذيبي.

البِرّ ـ بكسر الباء ـ: اسم جامع للخير، والإثم: الذنب والمعصية والسيّئة، وقوله: حاكَ في صدرك أي: وقع فيه تردّد ولم ينشرح له الصدر ويطمئن.

وفي الحديث ميزان نبوي يعرف به الإثم من الطاعة، فكل شيء وقع فيه تردّد القلب وكره الإنسان اطّلاع الناس عليه فهو إما محرم أو فيه شبهة.

والآية الكريمة تأمرنا بترك كل الآثام الظاهرة والباطنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [١٢٢]:

{٣٨٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم

فكلوا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

رواه أبو داود (٢٨١٨)، وابن ماجه (٣١٧٣)، وابن جرير (١٦/٨)، وابن أبي حاتم (١٣٨٠/٤)، والحاكم (١١٣/٤، ٢٣١)، والبيهقي (٢٤١/٩) وسنده صحيح ولا تضرّ هنا رواية سماك عن عكرمة، فإن للحديث طريقاً آخر رواه النسائي في الكبرى (٣٤٢/٦) وفي الضحايا من المجتبى، والحاكم (٢٣٣/٤) بسند حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ومعنى قول ابن عباس: أن المشركين كانوا جادلوا المسلمين بما تلقوه عن شياطيهم فقالوا لهم: كيف تأكلون ما قتلتم وذبحتم ولا تأكلوا ما ذبح الله، أي: مات وحده وهي الميتة، فجاءت الآية الكريمة تحرم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، وذلك يشمل الميتة وما ذبح لغير الله عزّ وجلّ وأن كل ذلك فسق ومعصية وخروج عن طاعة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ الآية [١٢٥]:

{٢٨٤} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: تَلاَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، قالوا: يا رسول الله، ما هذا الشرح؟ قال: **«نُورٌ يقذَفُ به في القلب»**، قالوا: يا رسول الله، فهل لذلك من أمارة تعرف؟ قال: **«نعم»**، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: **«الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت»**.

رواه ابن أبي حاتم (١٣٨٤/٤)، وابن جرير (٢٧/٨)، والحاكم (٣١١/٤) بنحوه، وله طرق أخرى أوردها ابن كثير وقال عقبها: فهذه الطرق لهذا الحديث مرسلة ومتّصلة يشدّ بعضها بعضاً.

التجافي: التباعد، والحديث جاء مبيناً للانشراح الوارد في الآية الكريمة وهو نور يضعه الله عزّ وجلّ في قلب من شاء هدايته، فإذا تمّ حمل

صاحبه على الإقبال على الله استعداداً للقائه تعالى، وإعراضاً عن هذه الحياة الغرّارة الصاخبة.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [١٤١]:

{٣٨٥} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أمَرَ من كل جاذِ عشرةَ أوسق من التمر بقِنْوٍ يُعَلَّقُ في المسجد للمساكين.

رواه أحمد (٣/٣٦٠)، وأبو داود في الزكاة وسنده جيّد قوي، قاله ابن كثير.

الحديث بين المراد بحق الثمار والزروع الذي يعطى يوم الحصاد، وهو التصدّق على المساكين من غير تقدير، وهو قول ابن عباس وابن جبير وعطاء ومجاهد في آخرين، وكان هذا قبل الزكاة التي فرضت بالمدينة.

قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ الآية [١٤٦]:

{٣٨٦} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عام الفتح يقول: «**إنّ الله ورسولَه حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»، فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة فإنها يُدْهَنُ بها الجلود وتُطلَى بها السفُنُ ويَسْتَصبحُ بها الناسُ، فقال: «**لا هو حرام**»، ثم قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عند ذلك: «**قاتل الله اليهود إن الله لمّا حرّم عليهم شُحُومها جَمِلُوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه**».

رواه البخاري في التفسير (٩/٣٦٥)، ومسلم في المساقاة (١٥٨١)، وأحمد وأهل السنن.

كان الله عزّ وجلّ حرّم على اليهود شحوم البقر والغنم إلا ما استثنت الآية، ولكنهم احتالوا فأذابوه وباعوه وأكلوا ثمنه، وجاء في رواية: «**إن الله**

وفي الحديث بيان أن الله عزّ وجلّ يحب المدح ويحب من يمدحه بالثناء عليه وتمجيده وتسبيحه. . . وفيه أنه يقبل عذر من اعتذر إليه والتجأ إليه معترفاً بذنبه أو بتقصيره، وذلك من فضله على عباده ورحمته بهم، فله الحمد والشكر كثيراً دائماً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية [١٥٣]:

{٣٩١} ـ فيه حديث عبدالله أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خطّ يوماً خطّاً فقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطّ خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله فقال: «**هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

رواه أحمد، والنسائي، والدارمي وغيرهم بسند حسن صحيح، وتقدم في الإيمان.

فيه بيان طريق الله وهو سبيله القويم، سبيل الصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمّة والعلماء الربانيين. أما السبل الأخرى، فهي سبل أهل الأهواء الذين أضلّهم الشيطان؛ كالخوارج والمعتزلة والشيعة الروافض والجهمية المعطلة والنواصب أعداء أهل البيت.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [١٥٨]:

{٣٩٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها**»، ثم قرأ الآية.

رواه أحمد (٢/٢٣١، ٣١٣) وفي مواضع، والبخاري في التفسير (٩/٣٦٦)، ومسلم في الإيمان (٢/٢٩٤)، وأبو داود في الملاحم (٤٣١٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٤٤)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٦٨).

{٣٩٣} ـ وعنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ثلاثٌ إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ: الدجالُ، والدابّةُ، وطلوعُ الشمس من مغربها»**.

رواه أحمد (٢/٤٤٥)، ومسلم في الإيمان (٢/١٩٥)، والترمذي في التفسير (٢٨٧٤) بتهذيبي.

في الآية مع الحديثين بيان أنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، وأنها إذا طلعت آمن كل الناس، ولكن ذلك لا ينفع لأن بطلوعها من المغرب تغلق باب التوبة مطلقاً، وسيأتي لهذا مزيد في أشراط الساعة وفي الرقاق.

❊ قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [١٦١]:

{٣٩٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«قال الله تبارك وتعالى: إذا هَمّ عبدي بالحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عَمِلها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن همّ بسيئة فلا تكتبوها فإن عَمِلها فاكتبوها بمثلِها، فإن تركَها** ـ وربما قال ـ **فإن لم يعمل فاكتبوها له حسنة»**، ثم قرأ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الآية.

رواه مسلم في الإيمان (٢/١٤٧، ١٤٨)، والترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي (٦/٣٤٤، ٣٤٥) في التفسير.

في الآية والحديث فضل واسع وتكرّم من الله عظيم على عباده المؤمنين، فله الحمد والشكر، وبهذا تمّت سورة الأنعام.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وآله وزوجه وصحبه، وسبحان الله وبحمده، سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى الربع الأول من التفسير



وفي الحديث بيان أن الله عزّ وجلّ يحب المدح ويحب من يمدحه بالثناء عليه وتمجيده وتسبيحه... وفيه أنه يقبل عذر من اعتذر إليه والتجأ إليه معترفاً بذنبه أو بتقصيره، وذلك من فضله على عباده ورحمته بهم، فله الحمد والشكر كثيراً دائماً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية [١٥٣]:

{٣٩١} ـ فيه حديث عبدالله أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خطّ يوماً خطّاً فقال: **«هذا سبيل الله»**، ثم خطّ خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله فقال: **«هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه»**، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

رواه أحمد، والنسائي، والدارمي وغيرهم بسند حسن صحيح، وتقدم في الإيمان.

فيه بيان طريق الله وهو سبيله القويم، سبيل الصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمّة والعلماء الربانيين. أما السبل الأخرى، فهي سبل أهل الأهواء الذين أضلّهم الشيطان؛ كالخوارج والمعتزلة والشيعة الروافض والجهمية المعطلة والنواصب أعداء أهل البيت.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [١٥٨]:

{٣٩٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لا تقوم الساعة حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها»**، ثم قرأ الآية.

رواه أحمد (٢٣١/٢، ٣١٣) وفي مواضع، والبخاري في التفسير (٣٦٦/٩)، ومسلم في الإيمان (٢٩٤/٢)، وأبو داود في الملاحم (٤٣١٢)، والنسائي في الكبرى (٣٤٤/٦)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٦٨).

{٣٩٣} ـ وعنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ثلاثٌ إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ: الدجالُ، والدابّةُ، وطلوعُ الشمس من مغربها».**

رواه أحمد (٤٤٥/٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٥/٢)، والترمذي في التفسير (٢٨٧٤) بتهذيبي.

في الآية مع الحديثين بيان أنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، وأنها إذا طلعت آمن كل الناس، ولكن ذلك لا ينفع لأن بطلوعها من المغرب تغلق باب التوبة مطلقاً، وسيأتي لهذا مزيد في أشراط الساعة وفي الرقاق.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [١٦١]:

{٣٩٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«قال الله تبارك وتعالى: إذا هَمّ عبدي بالحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عَمِلها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن همّ بسيئة فلا تكتبوها فإن عَمِلها فاكتبوها بمثلِها، فإن تركَها** ـ وربما قال ـ **فإن لم يعمل فاكتبوها له حسنة»**، ثم قرأ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الآية.

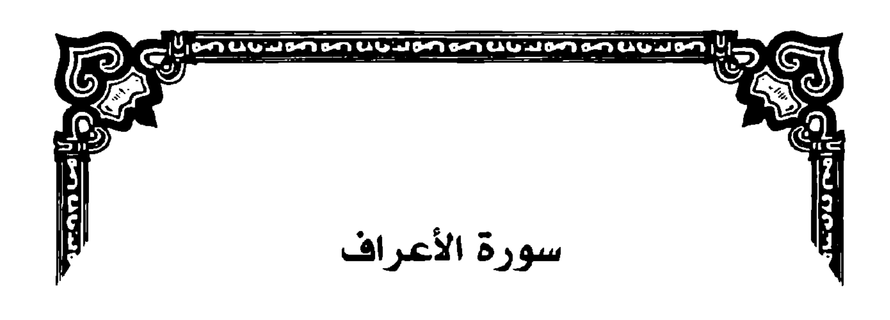
رواه مسلم في الإيمان (١٤٧/٢، ١٤٨)، والترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي (٣٤٤/٦، ٣٤٥) في التفسير.

في الآية والحديث فضل واسع وتكرّم من الله عظيم على عباده المؤمنين، فله الحمد والشكر، وبهذا تمّت سورة الأنعام.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وآله وزوجه وصحبه، وسبحان الله وبحمده، سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى الربع الأول من التفسير





سورة الأعراف

هذه السورة الكريمة هي السادسة من السبع الطوال، وهي مكية كالسابقة، مقاصدها بيان أصول الدين، التوحيد، الرسالة، القصص...

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [٢٦]:

{٣٩٥} ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمدُلله الذي كساني ما أُوارِي به عَورَتي وأتجمّلُ به في حياتي، ثم عَمَد إلى الثوب الذي أُخلِق فتصدّق به كان في كَنَفِ الله وفي حفظ الله وفي سِتر الله حياً وميتاً**».

رواه أحمد (٤٤/١)، والترمذي في الدعوات (٣٣٢٨) بتهذيبي، وابن ماجه (١٩٢/٢، ٣٥٥٧)، والحاكم (١٩٣/٤) ورجاله لا بأس بهم غير أبي العلاء الشامي فمجهول، لكن له شاهداً عن الإمام عليّ رضي الله تعالى عنه رواه أحمد (١٥٧/١)، وابن أبي حاتم (٤٥٧/٥)، وهو وإن كان في سنده ضعف فإنّه يتقوّى به في الجملة، وخاصة وأنه في الفضائل.

في الآية امتنان من الله عزّ وجلّ على بني آدم حيث أعطاهم من الألبسة ما يغطّون به عوراتهم ويتجمّلون به من أنواع الزينة، وهو الريش، وهذا خلاف ما كان عليه الجاهلية من كشف عوراتهم عند الطواف، وكذا ما

صار إليه الناس اليوم وخاصة النساء، فإن ذلك لا يليق بمن كرمه الله تعالى وشرّفه.

والحديث يدلّ على أن من استجدّ ثوباً يستحب أن يحمد الله تعالى على ذلك ويتصدّق بسابقه.

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [٣٠]:

{٣٩٦} ـ عن عبد بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله تبارك وتعالى خلقَ خلقَه في ظُلْمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضَلَّ، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله**».

رواه أحمد (١٧٦/٢، ١٩٧)، والطيالسي (٥٧)، والترمذي في الإيمان (٢٤٥٨) بتهذيبي، وابن حبان (١٨١٢)، والحاكم (٣٠/١)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وعبدالله الديلمي لم يخرجا له لكنه ثقة، فالحديث صحيح.

كل من الهداية والإضلال بيد الله عزّ وجلّ يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء ويخذله بعدله، ولا يُسأل عما يفعل فمن سبقت له الهداية فبفضل الله ومن سبق له الانحراف فبعدله.

وهذا الحديث الشريف يبيّن أصل الهداية والضلال وأن ذلك راجع إلى من أصابه نور الله، ومن أخطأه في عالم الأرواح. فالحمد الله عزّ وجلّ حمداً كثيراً دائماً على الإيمان والهداية، فنسأله تعالى أن يتكرّم علينا بالثبات والموت على السعادة.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [٣١]:

{٣٩٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأةُ تطوف بالبيت وهي عُرْيانة، فتقول: من يُعيرنا تِطْوافاً، تجعله على فرجها،

وتقول: اليوم يَبْدُو بَعْضُه أو كلُّه، وما بدا منه فلا أُحِلُّه.

رواه مسلم آخر الكتاب (١٦٢/١٨)، والنسائي في الكبرى (٣٤٥/٦)، وفي الحج من المجتبى.

تطوافاً ـ بكسر التاء ـ ثوب تلبسه المرأة تطوف به.

كان الناس في الجاهلية يطوفون بالكعبة عراة وعرايا نساء ورجالاً إلا من استعار ثوباً من سكان الحرم، فجاء الإسلام فأبطل ذلك ونادى منادي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عام حجّ أبو بكر في السنة التاسعة: **«ولا يطوف بالبيت عُرْيان»**.

وقد رجع الناس اليوم إلى جاهليّتهم الأُولى، فأصبحوا عراة وعرايا في الشوارع والأسواق والشواطىء ومواضع اللّهو والعهر... وليس عند البيت فقط، وهم مع ذلك ينتمون للإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [٣١]:

{٢٩٨} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«كلوا واشربوا وتصدّقوا والبَسُوا في غير إسراف ولا مَخِيلة»**.

رواه أحمد (١٨١/٢، ١٨٢)، والنسائي في المجتبى (٥٩/٥)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، والحاكم (١٣٥/٤) بسند حسن، وعلقه البخاري في أول اللباس مجزوماً به (٣٦٥/١٢).

وذكر البخاري أيضاً معلقاً عن ابن عباس: **«كل ما شئتَ، والبَسْ ما شئت، ما أخطأتك اثنان: سَرَفٌ ومَخِيلةٌ»**، وذكر الحافظ أن ابن أبي شيبة وغيره وصلوه.

الإسراف والسرف: هو مجاوزة الحدّ في كل شيء، والمخيلة: التكبّر والتعاظم والمباهاة والإعجاب، وكل ذلك محرّم. والآية والحديث نصّان في

إباحة كل المآكل والمشارب المأذون فيها إذا لم يكن إسراف وتجاوز في الحد وتكبّر وتفاخر...

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [٤٠]:

{٣٩٩} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر، ولمّا يُلْحَد بعدُ، فجلس رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطَّيْر وفي يده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرض، فرفعَ رأسه فقال: **«استَعيذوا بالله من عذاب القبر»** مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: **«إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء»** فذكر الحديث في قبض روح المؤمن والصعود به إلى السماء وثناء الملائكة عليه، وقبض روح الكافر والصعود بها إلى السماء، وأنه لا يمرّ بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمّى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾، **«فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سجّين في الأرض السفلى فتُطْرَح روحه طرحاً»** الحديث بطوله.

رواه أحمد (٤/٢٨٧، ٢٨٨)، والطيالسي (٧٤٣)، وأبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٤)، والحاكم (١/٣٧، ٤٠) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذا حديث عظيم في قبض الأرواح وسؤال القبر وقد ذكرته بطوله في كتاب مشاهد الموت، فارجع إليه للذكرى والعبرة.

وفيه كالآية أن السماء لا تفتح للكافرين مثل المؤمنين الذين يحظون بالترحيب بهم والثناء عليهم وإكرامهم، جعلنا الله من أكرمهم عنده.

قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣]:

{٤٠٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ الآية، قال: «**نودوا أنّ صِحُّوا فلا تَسْقَمُوا، وانعَمُوا فلا تَبأَسُوا، وشِبُّوا فلا تهرَمُوا**»، وفي رواية: «**ينادي منادٍ: إنّ لَكُمْ أن تَحيَوْا فلا تَموتُوا أبداً**» إلخ.

رواه أحمد (٣/٩٥)، ومسلم في الجنّة (١٧/١٧٥)، والترمذي في تفسير الزمر (٣٠٣١) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٦/٣٤٥)، وابن أبي حاتم (٥/١٤٨٠) وغيرهم.

قوله: فلا تسقموا أي: لا يصيبكم سقم ولا مرض، وقوله: فلا تبأسوا من البؤس: وهو شدّة الحال والفاقة؛ فأهل الجنّة في نعيم دائم. وقوله: وشبّوا أي: دوموا على شبابكم فلا يعتريكم كِبَرٌ ولا هَرَمٌ ولا خَرفٌ ولا مَوْتٌ، وانظر ما يتعلق بالآية والحديث في كتابي الجواهر واللآلىء.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [٤٤]:

{٤٠١} ـ عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقُذِفُوا في طوى من أطواء بَدْر خَبيث مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشدّ عليها رحلها ثم مشى واتّبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الرَّكِيّ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيَسُرُّكُمْ أنكم أطعتُم الله ورسوله، فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**»، قال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم: **«والذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتُم بأسْمعَ لما أقول منهم»**.

رواه البخاري في المغازي رقم (٣٩٧٦)، ومسلم في الجنّة رقم (٢٨٧٥)، وأخرج نحوه مسلم (٢٨٧٤) عن أنس وفيه: **«ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»**، وسيأتي في المغازي حديث عمر وابنه في ذلك إن شاء الله تعالى.

قوله: طوى ـ بفتح الطاء وكسر الواو ـ: البئر المبنية بالحجارة، وقوله: شفة ـ بفتح الشين والفاء المخفّفة ـ والركي ـ بفتح الراء وكسر الكاف ـ طرف البئر.

في الحديث دليل على أن الأموات يسمعون كلام الأحياء، وهذا مع كونه يكاد يكون من اليقينيّات خالفت فيه مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها ومن تبعها من بعض أهل الشذوذ فخالفوا الأحاديث الصحيحة والواقع المشاهد.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [٥٥]:

{٤٠٢} ـ عن أبي نعامة رحمه الله تعالى أن عبدالله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللّهمّ إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنّة إذا دخلتها، فقال: أي بنيّ سل الله الجنّة وتعوّذ بالله من النار، فإني سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«إنه سيكونُ في هذه الأمّة قومٌ يعتدون في الطَّهُور والدُّعاء»**.

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند صحيح، وتقدم في الأدعية مع حديث آخر.

وقوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، قال ابن جرير: تضرعاً تذلّلاً وإسكاناً لطاعته، وخفية يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيّته وربوبيّته فيما بينكم وبينه لا جهاراً ومراآة.

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [٧٧]:

{٤٠٣} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما مرّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالحِجْرِ قال: «**لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت** ـ يعني: الناقة ـ **تَرِدُ من هذا الفجّ وتصدُر من هذا الفجّ، فعتَوْا عن أمر ربهم فعَقَرُوها وكانت تَشْرَبُ ماءهم يوماً ويشرَبُوا لبنَها يوماً فعقروها فأخذتهم صيحة، أخْمَدَ الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله**»، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «**أبو رغال**»، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه.

رواه أحمد (٢٩٦/٣)، وابن أبي حاتم (١٥١٦/٥)، والحاكم (٣٢٠/٢) وسنده صحيح على شرط مسلم.

في الحديث النهي عن طلب الآيات، فإن ذلك ينافي كمال العبودية لله تعالى، ويدلّ على ضعف الدين أو ذهابه، وربما كان المآل التكذيب، فيحق العذاب على السائلين كما وقع لقوم صالح عليه السلام، وسيأتي مزيد للموضوع في سورة الحجّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [١٣٨]:

{٤٠٤} ـ عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة، فقلت: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنْوَاطٍ كما للكفار ذاتُ أنواط، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلـٰهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتَرَكَبُنَّ سُنَّةَ من كان قبلكم**».

رواه أحمد (٢١٨/٥)، والحميدي (٨٤٨)، والترمذي في الفتن

(٢٠١٠)، والنسائي في الكبرى (٥٩٩/٦)، وابن أبي حاتم (١٥٥٣/٥) وغيرهم وسنده صحيح.

ذات أنواط: هو اسم شجرة كان المشركون يعلّقون بها أسلحتهم. وقوله: الله أكبر، في رواية للترمذي وغيره: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى لموسى».

وقوله: لتركبنّ أي: لتتبعن طريق من سبقكم من اليهود والنصارى وغيرهم.

وفي الحديث ذمّ اقتفاء أثر الكفار والتشبّه بهم في شؤونهم، وأنه يجب على المسلمين التباعد عن تقليدهم في مظاهرهم، وهذا مما أغرق فيه المسلمون اليوم حتى ذابت شخصيتهم في شخصية الكفار، وأصبحوا لا مظهر لهم يُعرفون به عن غيرهم إلا من رحم الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾:

{٤٠٥} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة اليمنى فساخ الجبل وخرّ موسى صعقاً.

رواه أحمد، والترمذي في التفسير (٢٨٧٦) بتهذيبي، وابن جرير (٥٣/٩)، وابن أبي حاكم (١٥٦٠/٥)، والحاكم (٣٢٠/٢) وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: تجلى أي: ظهر بنوره، فألقاه على الجبل فصار مدكوكاً تراباً مستوياً بالأرض، قوله: وأمسك بطرف إبهامه، جاء في رواية: ووضع النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل.

وههنا يظهر جلال الله وعظمته وكبرياؤه وأن رؤية شيء ضئيل من نوره لا تطاق، فكيف برؤية ذاته المقدّسة العلية التي ليس كمثلها شيء.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الآية [١٥٦]:

{٤٠٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ، فَبِها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»**.

رواه أحمد (٥٥/٣، ٥٦)، والبخاري في الأدب (٣٨/١٣)، ومسلم في التوبة (٦٨/١٧، ٦٩) واللفظ له، والترمذي في الدعوات (٣٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٩٣) وغيرهم بألفاظ، وسيأتي في الرقاق أحاديث أخرى.

رحمة الله رحمتان: رحمة عامة تعمّ كل الخلائق في هذه الحياة إنسهم وجنّهم، مؤمنهم وكافرهم... ورحمة خاصة، وهي التي اختصّها تعالى بمن آمن به واتّقاه وأطاعه ومنّ عليه في هذه الحياة بنعمة الإيمان... وشارك سائر الخلق في الرحمة التي قسمت بينهم في هذه الأرض، ثم أتمّ عليه النعمة في الآخرة بباقي الرحمات ويا لها من سعادة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ إلخ [١٥٧]:

{٤٠٧} ـ عن رجل من الأعراب قال: جلبتُ جَلُوبَةً إلى المدينة في حياة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فلما فرغتُ من بيعتي قلت: لألْقَيَنَّ هذا الرجل فلأسْمَعَنَّ منه، قال: فتلقّاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يُعزّي

بها نفسه عن ابنٍ له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أنشُدُك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صِفَتِي ومَخْرَجي»**؟ فقال برأسه هكذا، أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأشهد أنك رسول الله، فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أقِيمُوا اليَهودي عن أخِيكُم»**، ثم تولّى كفَنَه والصلاةَ عليه.

رواه أحمد (٥/٤١١) وسنده صحيح، وقال ابن كثير: هذا حديث جيّد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس، وذكر النور في المجمع (٨/١٢٣٤) أن رجاله رجال الصحيح، وقال: إنه لم يعرف أبا صخر مع أن الشيخين وابن حبان جزموا بأن له صحبة...

في الحديث بيان أن اليهود كانوا يعرفون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصفته ومخرجه بما كان عندهم في التوراة، لكنهم كتموا ذلك وكفروا به.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [١٥٨]:

{٤٠٨} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر محاورةٌ فأَغْضَبَ أبو بكر عمرَ رضي الله تعالى عنهما، فانصرف عنه عمر مُغْضَباً فاتّبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أما صاحبكم فقد غامر»**، قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلّم وجلس إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقصّ على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«هل أنتم تاركو لي صاحبي، هل أنتم تاركو لي صاحبي، إني قلت: يا أيها الناس إني**

رسول الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ».

رواه البخاري في الفضائل وفي التفسير (٣٧٣/٩).

وفي حديث جابر عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أُعطيت خمساً...»** وفيه: **«وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة».**

رواه الشيخان وغيرهما، وقد تقدم في التيمّم، ويأتي في المناقب...

وفي الباب أحاديث عن جماعة ستأتي في المناقب إن شاء الله تعالى.
عموم بعثته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من اليقينيّات التي لا يخالف فيها إلا كافر، فمن خصّص دعوته بالعرب أو بالأوائل، أو قال بنبوّة غيره أو سوّى بين الأديان كان كافراً حلال الدم والمال بالإجماع وبدون خلاف بين طوائف المسلمين، وفي الحديث فضل ظاهر للصدّيق رضي الله تعالى عنه وكم له من فضائل...

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [١٧٢]:

{٤٠٩} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ إلخ، فقال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُسألُ عنها، فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم فمسحَ ظهره بيمينه فاستخرج منه ذُرِّيةً فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»**، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن الله إذا خلق العبد للجنّة استعمله بعمل أهل الجنّة حتى يموت على عمل أهل الجنّة فيدخله به الجنّة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار».**

رواه أحمد (٤٤/١، ٤٥)، وأبو داود (٤٧٠٣، ٤٧٠٤)، والنسائي في

الكبرى (٥٠٤/٦)، وابن حبان (١٨٠٤) بالموارد (١٨٠٦)، والحاكم (٣٢٤/٢، ٣٢٥، ٥٤٤، ٥٤٥) وصححه، ورواه أيضاً أحمد (١٨٦/٤)، وابن حبان (١٨٠٦)، والحاكم (٣١/١) مختصراً بسند صحيح.

{٤١٠} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان ـ يعني: عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذَرَأها فنَثَرَهُم بين يديه كالذَّرّ ثم كلَّمهم قُبُلاً، قال: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**» الآية.

رواه أحمد (٢٧٢/١، ٢٥١، ٢٩٩، ٣٧١)، والنسائي في الكبرى (٥٠٦/٦)، والحاكم (٢٧/١) و(٥٤٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي وسنده صحيح على شرط مسلم، ونحوه عن أبي بن كعب رواه عبدالله بن أحمد في الزوائد كذا في المجمع (٢٥/٧).

قوله: فمسح ظهره هذا مما يجب الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تأويل ولا تشبيه، وقوله: ذرأها أي: خلقها، وقوله: قبلاً ـ بضم القاف والباء ـ أي: كلّمهم مواجهة.

وفي الحديثين أن الآجال والسعادة والشقاوة كلّها مقدّرة لا تتبدّل ولا تتغيّر، وأنه تعالى خلق كلاً من أهل الجنّة وأهل النار ويسّر وهَيَّأ كلاً لما خلق له، كما أنه تعالى أخذ العهد على جميع أرواح بني آدم في عالم الذر بأن يوحدوه ويعترفوا بربوبيّته، وفيهما أن الله تعالى قد أطلع آدم عليه السلام على جميع نسل بنيه وعرفه إياهم.

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [١٧٥]:

{٤١١} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلت.

رواه النسائي في الكبرى (٣٤٨/٦)، وابن جرير (١٢١/٩)، وابن أبي

حاتم (١٦١٦/٥) بسند صحيح، وعزاه البوصيري في الإتحاف (٣٧٥/٤) لمسدد وكبرى النسائي وقال: رجاله ثقات، وأورده الهيثمي (٢٢٥/٧) برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

{٤١٢} ـ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الآية قال: هو بلعم، وقال: نزلت في أميّة.

رواه النسائي في الكبرى (٣٤٨/٦)، وابن جرير (١١٩/٩، ١٢٠) بسند صحيح.

الآية الكريمة تتحدّث عن بلعام بن باعوراء كما هو قول عامّة المفسّرين، وكان من أصحاب سيدنا موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، فأضلّه الله ومسخه بعد أن كان قد أوتي علماً. ولكن ابن مسعود وابن عمرو رضي الله تعالى عنهما يصرّحان هنا بأن الآية نزلت في أُميّة بن أبي الصلت، فكأنه لشبهه بابن باعوراء نزلت فيه الآية الكريمة، فإنه كان على علم من الشرائع القديمة، وجاء في شعره الكثير من التوحيد والكلام على البعث والآخرة، ولكنه لم ينتفع بعلمه فإنه لما بعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وبلغته آياته ومعجزاته كفر في جملة من كفر، وكان علمه وبالاً عليه كابن باعوراء، ففر إلى الشام ومات كافراً لعنه الله. وفي قصة ابن باعوراء اللعين الخاسر عبرة لعلماء السوء الذين يخلدون إلى الدنيا وشهواتها، ويبيعون دينهم لأهلها ويتملّقون للأمراء والظّلمة والأغنياء وذوي الثراء السقطاء فيضلّون في أنفسهم ويضلّون الغير من العوام والغوغاء عياذاً بالله تعالى منهم ومن أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ الآية [١٧٩]:

{٤١٣} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: دعي النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار، فقالت: يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنّة لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق الجنّة وخلقَ لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم**».

رواه أحمد (٢٠٨/٦، ٤١)، ومسلم في القدر (٢١١/١٦، ٢١٢)، وأبو داود (٤٧١٣)، والنسائي (٤٦/٤، ٤٧)، وابن ماجه (٨٢)، وتقدم قريباً حديث: «**خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنّة يعملون، وخلقت هؤلاء للنار**» الحديث.

قوله: «أو غير ذلك يا عائشة» هذا محمول على أنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله بأن الأطفال في الجنّة وأنهم أفراط لآبائهم... والحديث كالآية يدلاّن على أن الله تعالى خلق كثيراً من الجنّ والإنس لجهنّم، وكذا خلق آخرين للجنّة وكل ذلك قد سبق به علمه وقدره، وهذا من القطعيات اليقينيّات.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [١٨٠]:

{٤١٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن لله تسعةً وتسعين اسماً مِائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنّة، وهو وتر يحب الوتر**».

رواه أحمد (٢٥٨/٢، ٤٩٩)، والبخاري في الشروط وفي الدعوات (٤٧١/١٣، ٤٨٦) وفي التوحيد (١٤٨/١٧)، ومسلم في الذكر (٥/١٧، ٦)، والترمذي في الدعوات (٣٢٧٧، ٣٢٧٨) وغيرهم.

من أحصاها أي: حفظها كما قال البخاري وغيره، وفي الحديث فضل حفظ أسماء الله تعالى، وأن ذلك من موجبات الجنّة، وفي الآية الكريمة الحضّ على سؤاله تعالى ودعائه بأسمائه.

تعالى عليه وآله وسلم لا حاكمية لأحد فيها، وأن الواجب الاستسلام لله في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [١]:

{٤١٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من أتى مكان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا، فأسرع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله لهم جاء الشباب يطلبون ما جعل لهم، فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فإنما كنا رِدءاً لكم»**، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا﴾ إلخ.

رواه أبو داود (٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩)، والنسائي في الكبرى (٣٤٩/٦)، وابن حبان (١٧٤٣) بالموارد، والحاكم (١٣١/٢، ١٣٢، ٢٢١، ٣٢٧) وصححه ووافقه الذهبي.

الحديث يدلّ على أن كل من حضر المعركة يعطى من الغنيمة سواء كان مقاتلاً أم حارساً، وأنه لا ينبغي للجنود الاختلاف في ذلك بل يجب عليهم إصلاح ذات بينهم...

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧﴾ [٧]:

{٤١٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما فرغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من بدر قيل له: عليك العير ليس دونها شيء، قال: فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح لك ذلك، فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ولِمَ»**؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك، قال: **«صَدَقْتَ»**.

رواه أحمد (٢٢٩/١، ٣١٤، ٣٢٦)، والترمذي في التفسير (٢٨٨٢)، وابن أبي حاتم (١٦٦٠/٥)، وسنده صحيح ولا يضرّ هنا رواية سماك عن عكرمة.

العِير ـ بكسر العين ـ يقال للإبل الموقرة بالبضائع التجارية، وكان هذا العير مكوّناً من ألف بعير شارك فيه جميع أهل مكّة، فخرج إليه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ففاته، وكان الله وعده إحدى الطائفتين ذات العير أو المقاتلة ذات الشوكة، فكانت الثانية وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وسيأتي ذلك في الجهاد والغزوات.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [٩]:

{٤١٩} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: نظر نبي الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم القبلةَ ثم مدَّ يدَه وجعل يَهْتِف بربّه: «**اللّهمّ أنجِز لي ما وعَدْتَنِي، اللّهمّ إن تُهلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبَد في الأرض**»، فما زال يهتِف به مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على مَنْكِبَيْه ثم التَزَمَه من ورائه، وقال: يا نبيّ الله كَفَاكَ مُنَاشَدَتك ربَّك، فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وَعَدَكَ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية.

رواه أحمد (١/٣٠، ٣١) مطوّلاً، والبخاري في المغازي (٨/٢٩٠، ٢٩١) مختصراً، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٢/٨٤، ٨٥) مطوّلاً، والترمذي في التفسير (٢٨٨١) بتهذيبي واللفظ له، وابن أبي حاتم (٥/١٦٦٢، ١٦٦٣).

قوله: يَهتف أي: يصيح. ومناشدتك أي: سؤالك، والعصابة الجماعة، والاستغاثة طلب الغوث وهوبمعنى الخلق خاص بالله عزّ وجلّ، وقد تأتي بمعنى طلب الشفاعة. والآية تدلّ على أن الله عزّ وجلّ أمدّ المسلمين ببدر بألف من الملائكة ثم بثلاثة آلاف ثم بخمسة... كما تقدّم في آل عمران، وبذلك جاءت السنّة المطهرة، ومع ذلك نرى بعض المفسّرين المعاصرين ينكر ذلك، وقانا الله الزَّلَل والزيغ والخذلان.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٤٢٠} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: ما كان فارسٌ يومَ بدرٍ غير المقداد، ولقد رأيتُنا وما فِينا إلا نائمٌ إلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُصَلِّي تحتَ شَجرة ويَبْكي حتى أصبح.

رواه أحمد (١/١٢٥، ١٣٨)، والنسائي في الكبرى، وابن خزيمة (٧٣٤)، وأبو يعلى (١/١٤٦) وسنده صحيح.

{٤٢١} ـ وعنه قال: أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر، يعني: الليلة التي كانت صبيحتَها وقعةُ بدر، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف نستظِلّ تحتها من المطر، وبات رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يدعو ربّه، ويقول: **«اللّهمّ إن تُهلِك هذه الفِئة لا تُعْبَد»**.

رواه أحمد (١/١٧١)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٥) بسند صحيح، ونحوه عن ابن عباس عند الحاكم (٣/١٨٧، ١٨٨).

من رحمة الله تعالى ولطفه بالمسلمين يوم بدر، أن ألقى عليهم النوم والنعاس أمْناً مِنْهُ تعالى وطمأنينة لهم من شدّة البأس مع نزول الغيث عليهم ليتطهروا به وليثبت به أقدامهم في تلك الرمال.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ الآية [١٥ ـ ١٦]:

{٤٢٢} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ الآية، قال: نزلت في أهل بدر.

رواه أبو داود (٢٦٤٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٥٠)، وابن جرير (٩/٢٠١)، وابن أبي حاتم (٥/١٦٧٠)، والحاكم (٢/٣٢٧) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة وإن نزلت في أهل بدر فحكمها عام ومُحْكَمَةٌ فلا يحلّ لمؤمن أن يفرّ من المعركة إلا إذا كان القصد بذلك التحرُّفَ للقتال حيلة أو التَّحَيُّز إلى فئة أخرى من المؤمنين، وهذا الذي عليه جمهور المفسّرين والعلماء. وقد جاء في الحديث الصحيح: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، فذكر منها التولي يوم الزحف.

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾:

{٤٢٣} ـ عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يومُ بدر أمر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخذ كفّاً من الحصى، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: «**شاهَتْ الوجوه**»، فانهزمنا فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية.

رواه الطبراني، وحسّنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٨٤) وعنده نحوه عن ابن عباس، وقال فيه: رجاله رجال الصحيح.

والآية تدلّ على أن أفعال العباد مخلوقة لله عزّ وجلّ، وأنه الفاعل الحقيقي... وليس للعبد من ذلك إلا الكسب بتقدير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [١٩]:

{٤٢٤} ـ عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعَيْر رضي الله تعالى عنه قال: كان المُسْتَفْتِحُ يوم بدر أبو جهل، وأنه قال حين التقَى القوم: اللّهمّ أيّنا كان أقطعَ للرحم وأتانا بِمَا لا نَعْرِف فافْتَح الغد، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾.

رواه أحمد (٥/٤٣١)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٥٠)، وابن جرير (٩/٢٠٧، ٢٠٨)، والحاكم (٢/٣٢٨) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

أبو جهل لعنه الله طلب الفتح والنصر لأحد الحزبين، فجاء النصر لحزب الله وهزم حزب الشيطان، فقتلوا وأُسِروا.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [٢٤]:

{٤٢٥} ـ عن أبي سعيد بن المُعَلّى رضي الله تعالى عنه قال: كنت أصلّي فمرّ بي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فدعاني فلم آته حتى صلّيت ثم أتيته، فقال: «**ما منعك أن تأتي ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**»، ثم قال: «**لأعلّمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج**»، فذهب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ليخرج فذكرت له وقال: «**الحمدلله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته**».

رواه أحمد (٤٥٠/٣) و(٢١١/٤)، والبخاري (٣٧٧/٩، ٣٧٨، ٤٥٣)، وأبو داود (١٤٥٨)، والنسائي في الكبرى (٣٨٣/٦) وفي الصلاة من المجتبى، وابن ماجه (٣٧٨٥) وغيرهم، وتقدم في فضائل القرآن.

في الآية والحديث وجوب الاستجابة لله وللرسول، وللعلماء كلام فقهي يتعلق بالموضوع، وفي الحديث فضل سورة الفاتحة وأنها أعظم سور القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [٢٥]:

{٤٢٦} ـ عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ﴾ الآية، قال: ونحن يومئذٍ مُتَوَافِرُون، قال: فجعلت أتعَجَّبُ من هذه الآية أيُّ فتنةٍ تُصِيبُنا، ما هذه الفتنة! حتى رأيناها.

رواه أحمد (١٦٧/١)، والنسائي في الكبرى (٣٥١/٦)، وابن جرير (٢١٨/٩)، وابن أبي حاتم (١٦٨٢/٥)، وفي رواية: قرأت هذه الآية زماناً

وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيّون. وسنده صحيح، وعزاه في المجمع (٢٧/٧) لأحمد، وقال: بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وذكر ابن جرير عن الحسن البصري أنها نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير، والآية الكريمة عامة تجرّ ذيلها على كل الأجيال.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [٣٢]:

{٤٢٧} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: اللّهمّ إنْ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الآية، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٣٧٨/٩، ٣٧٩)، ومسلم

هذا من فرط جهل أبي جهل وشدّة كفره وعناده، فبدل أن يسأل الهداية استعجل العذاب، ولكنّ الله عزّ وجلّ لم يَسْتَأْصِلْهُم بالعذاب إكراماً لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث كان بين أظهرهم، فلما فارقهم جاءهم عذاب الله وخزيه بالتقتيل والأسر والإذلال، وفتح عاصمتهم مكة المكرمة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [٣٤]:

{٤٢٨} ـ عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول جِهاراً غير سِرّ: «**ألاَ إنّ آل أبي فلان لَيْسُوا لي بأولياء، إنما وَلِيِّيَ الله وصالِحُ المؤمنين**».

رواه البخاري في الأدب (٢٤/١٣، ٢٥، ٢٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧/٣).

أولياء الله هم الذين والوا الله بطاعته، فوالاهم بألطافه وكراماته وهم المتقون. وفي الحديث إرشاد للمؤمنين بأن يقطعوا ولايتهم وصداقاتهم عن المخالفين في الدين، وأن يعلنوا البراءة من موادتهم وأن يخلصوا الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين الصالحين. والمراد بقوله في الحديث: إن آل أبي فلان،

قيل: الحكم بن أبي العاص، وقيل: أبو طالب ومن كان كافراً من أولاده معه. ولا يدخل في الحديث الإمام عليّ وجعفر رضي الله تعالى عنهما، لأنهما من أكابر صالحي المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [٣٨]:

{٤٢٩} ـ عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أما علمتَ يا عَمْرُو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدِم ما كان قبلها، وأن الحجّ يهدم ما كان قبله»**.

رواه مسلم في الإيمان (١٣٧/٢) مطولاً في قصة موت عمرو بن العاص وتوبته وبكائه. وسيأتي مطولاً لاحقاً

في الآية والحديث بشارة لمن أسلم من الكفار كما فيه فضل الحجّ والهجرة، وأنهما يكفران كل ما سبق من آثام وفواحش... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [٤١]:

{٤٣٠} ـ عن عمرو بن عَبَسة رضي الله تعالى عنه قال: صلّى بنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى بعير من المَغْنم فلما سلَّم أخذ وَبَرة من جَنْب البعير، ثم قال: **«ولا يحلّ لي من غنائمكم مثلُ هذا إلا الخمس، والخُمُس مردودٌ فيكم»**.

رواه أبو داود (٢٧٥٥)، والحاكم (٦١٦/٣)، والبيهقي (٣٣٩/٦) بسند صحيح، وللحديث شواهد حسان، سيأتي بعضها في سورة الحشر إن شاء الله تعالى.

لا خلاف بين المسلمين أن حكم الغنيمة التي تؤخذ من الكفار على أيدي المسلمين أنها تجعل خمسة أخماس: أربعة منها تقسم بين المقاتلين،

والخُمُس الباقي يوزع بين المذكورين في الآية الكريمة المذكورة.

وخمس الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم واحد كما قال بعض مفسري السلف وقد صح عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه كان يأخذ من الغنيمة الصَّفيَّ أَمَةً أو ما شاء يصطفيه لنفسه زيادة على سهمه من الخُمُس. ويأتي ذلك من الجهاد.

❋ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [٤٥]:

{٤٣١} ـ عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدوّ حتى إذا مالَت الشَّمْسُ قامَ فيهم، فقال: **«يا أيها الناس لا تَتَمَنَّوا لقاءَ العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنّة تحت ظلال السيوف»** الحديث، وسيأتي في سورة الأحزاب.

رواه البخاري في مواضع من الجهاد منها (٤٩٧/٦، ٤٩٨)، ومسلم فيه أيضاً (١٧٤٢) وغيرهما.

الآية الكريمة والحديث الشريف يدلاّن على وجوب الثبات والصبر عند التحام القتال ولقاء العدوّ مع ذكر الله تعالى والالتجاء إليه وسؤاله النصر والظفر بالعدوّ، كما في الحديث النهي عن تمني لقاء العدوّ وسؤال العافية أفضل.

❋ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ إلخ [٦٠]:

{٤٣٢} ـ عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو على المنبر يقول: **«وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوّة، ألا إن القوة الرَّمْيُ ثلاثاً»**.

رواه أحمد (١٥٧/٤)، ومسلم في الإمارة (٦٤/١٣)، وأبو داود (٢٥١٤)، والترمذي في التفسير (٢٨٨٤)، وابن ماجه (٢٨٨٣)، والحاكم (٣٢٨/٢)، وزاد مسلم والترمذي: «**ألا إن الله سيفتح لكم الأرض وسَتُكْفَوْنَ المَؤُونة فلا يَعْجِزَنَّ أحدكم أن يَلْهُوَ بأسْهُمِهِ**»، غير أن مسلماً أفردها حديثاً مستقلاً.

في الآية والحديث الحضّ على اتخاذ القوّة والاستعداد لقتال الكفار وإرهابهم وأن أعظم القوة هي الرمي، وفي الحديث إشارة لطيفة إلى الرمي بهذه الصواريخ والقنابل الحالية المدمّرة، وأنها هي القوة الحقيقية لا غيرها من كثرة الجنود والأسلحة الخفيفة، فإن الرمي بهذه الصواريخ والقنابل يكون بواسطة الطائرات والدبابات البريّة، والبواخر الحربية البحرية... مما لا تبقي ولا تذر ويتولّى شخص واحد أو اثنان... قتل الأُلوف من البشر وتدمير مدن بأتمّها، فيجب على الدولة الإسلامية إن وُجدت أن تنافس الكفار في الحصول على هذه الأسلحة المتطوّرة... وتنشئ لها المصانع... والتدرب على استعمالها لكننا...

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [٦٣]:

{٤٣٢} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ إلخ، قال: «**هم المتحابّون في الله**»، وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله.

رواه النسائي في الكبرى (٣٥٢/٦)، وابن جرير (٣٧/١٠)، وابن أبي حاتم (١٧٢٧/٥)، والحاكم (٣٢٩/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وعزاه نور الدين (٢٧/٧، ٢٨) للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح غير جنادة بن مسلم وهو ثقة. والصواب مسلم بن جنادة كما عند البزار.

في الآية الكريمة امتنان من الله عزّ وجلّ على نبيّه صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم بما أيّده به من المهاجرين والأنصار حيث جمع قلوبهم على الإيمان وآخى بينهم وحبّبهم إلى بعضهم وألف بين قلوبهم بعد أن كانوا متخاذلين متعادين متقاتلين.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الآية [٦٥]:

{٤٣٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ شقّ ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفرّ واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾، قال: فلما خفف الله عنهم من العدّة نقص من الصبر بقدر ما خفّف عنهم.

رواه البخاري (٣٨١/٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٤٦)، وابن جرير (٣٩/١٠) واللفظ لأبي داود.

الآية واضحة في وقوع النسخ، وكان ذلك هنا من الشدّة إلى التخفيف رحمةً بالعباد، فإن مقاومة رجل واحد لعشرة وعشرين لمائتين ومائة لألف شاقّ وصعب جداً، وخاصة في وقتٍ كان الحرب فيه بالسيوف والحراب والنبال، ولذلك لما علم الله ضعفهم خفّف عنهم فجعل المائة بالمائتين والألف بالألفين.

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ﴾:

{٤٣٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لم تَحِلّ الغنائمُ لأحدٍ سُودِ الرؤوس من قبلِكم كانت تنزل نارٌ من السماء، فتأكلها فلما كان يومُ بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحلّ لهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ﴾**».

رواه أحمد (٢/٢٥٢)، والترمذي (٢٨٨٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٥٢)، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي (٦/٢٩٠) بسند صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه.

في الحديث بيان لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، وأن الله عزّ وجلّ أباح لنا الغنائم رحمةً بنا وتخفيفاً علينا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [٧٢]:

{٤٣٦} ـ عن جرير بن عبدالله البَجلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«والمهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطُّلَقاءُ من قريش والعُتَقاءُ من ثَقِيف، بعضُهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة»**.

رواه أحمد (٤/٣٦٣)، والطبراني في الكبير (٢/٣١٤، ٣١٦)، والحاكم (٤/٨٠، ٨١)، وصححه ووافقه الذهبي، وعزاه نور الدين (١٠/١٥) لأحمد والطبراني قال: بأسانيد وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، ورواه أبويعلى (٥٠١١)، والطبراني في الكبير (١١/٢٣٠) من حديث ابن مسعود وسنده حسن.

في الآية الكريمة مع الحديث الشريف أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطلقاء والعتقاء كذلك، وقد كانوا كذلك أيام النبوّة، وحياة الصديق والفاروق وطرفاً من أيام عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى جاءت الفتنة فحصل ما حصل.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [٧٣]:

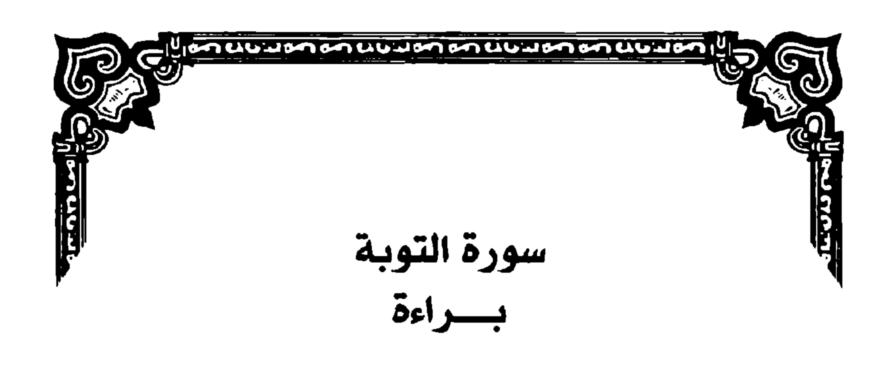
{٤٣٧} ـ عن أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله

تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا يتوارثُ أهلُ ملّتين، ولا يرثُ مسلمٌ كافراً، ولا كافرٌ مسلماً**»، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾﴾.

رواه الحاكم (٢/٢٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، وهو في الصحيحين بلفظ: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**»، وأوّله عند أهل السنن من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي وصححه.

في الآية﴿والحديث وجوب قطع علاقة الولاية والإرث بين المسلم والكافر، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ﴾ إلخ، معناه: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وقعت في المجتمع فتنة وفساد عريضٌ... وقد وقع ما حذّرنا الله تعالى منه، فإن المسلمين لما والوا الكفار واختلطوا بهم وتشبّهوا بمظاهرهم وأخلاقهم انتشر الفساد بما لم يتقدم له مثيل، وتميّع الناس وأخلدوا إلى الشهوات المحرمة وانخلعوا من كل خلق كريم وأصبحوا كالبهائم، وذابت شخصية المسلم في شخصية الكافر ذكوراً وإناثاً، وهذا آخر تفسير سورة الأنفال، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة التوبة
بـــراءة

هذه السورة الكريمة من السور المدنية وهي آخر ما نزل من السور الطوال، نزلت في السنة التاسعة مرجع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غزوة تبوك، وقد يجعلها بعضهم سورة واحدة مع ما قبلها ويستدلّون على ذلك بحديث ورد في ذلك عن سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه. وآياتها مائة وتسع وعشرون، وأهدافها: التشريع الإسلامي وخاصّة الشؤون السياسية، كالجهاد في سبيل الله والحضّ عليه والاستنفار لقتال أعداء الدين، وذكر بعض أحكام السياسة الخارجية ثم التحدّث عن المنافقين وكشف عوراتهم وما فعلوه وقاموا به من أدوار ومكر وكذب. . . في غزوة تبوك والكلام عليه أخذ معظم السورة.

قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢) وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾ [١ ـ ٣]:

{٤٣٨} - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعليّ بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، إلا الذين عاهدتم من المشركين.

وفي رواية: **«ويوم الحجّ الأكبر يوم النحر»**... وفي رواية: **«ومن كان بينه وبين رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عهد فأجله وأمَدُه إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسولُه»**.

رواه البخاري (٣٨٧/٩، ٣٩٠)، ومسلم في الحجّ (١١٥/٩، ١١٦)، وأبو داود (١٩٤٦)، والنسائي في الكبرى (٣٥٣/٦)، والرواية الثانية لأبي داود والثالثة للنسائي وسندهما صحيح.

{٤٣٩} - وعن زيد بن يُثَيْع قال: سألنا عليّاً بأيّ شيء بُعِثْتَ في الحجّة؟ قال: بُعِثْتُ بأربع أن لا يطوفَ بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عهدٌ فهو إلى مدَّته، ومن لم يكن له عهدٌ فأجلُه أربعةُ أشهر، ولا يدخل الجنّة إلا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعدَ عامِهم هذا.

رواه أحمد (٣/١)، وعبدالله في الزوائد (١٥٠/١، ١٥١)، والترمذي (٢٨٩٢) من طرق صحيحة.

في الحديث بيان أن السنة التاسعة من الهجرة كانت الفاصل بين المشركين وبين دخول الحرم المكي الشريف، والمنع الباتّ من الطواف بالبيت مع العُرْي كما كان الحال أيام الجاهلية كما فيه وفي الآية قطع العلاقة بين الله ورسوله وبين المشركين. وفيه أن الذين تولوا الإعلام بهذه البراءة هم الإمام عليّ والصدّيق وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم، وفيه بيان المدة المضروبة للمعاهدين وغيرهم غير أنه تعارض حديث عليّ مع رواية

أبي هريرة عند النسائي، فإن هذه تنصّ على أن الأربعة أشهر هي مدة لمن كان لهم عهد، بينما رواية الإمام عليّ تدلّ على أنها أجلّ لمن لم يكن لهم عهد، وقد رجّح ابن جرير وابن كثير وغيرهما رواية الإمام وحكموا على رواية أبي هريرة التي رواها النسائي بالوهم، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [٥]:

{٤٤٠} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: **«أمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله»**.

رواه البخاري في الإيمان (٨٢/١)، ومسلم فيه أيضاً (٣١٢/١) وغيرهم.

والحديث متواتر وارد عن جماعة كثيرة من الصحابة حتى أفرده بعض الحفاظ بالتأليف.

والحديث موافق للآية الكريمة والمراد بالناس في الحديث غير أهل الكتاب ومن ألحق بهم فهم الذين يجب قتالهم حتى يسلموا... ولا يقبل منهم غير ذلك. ويأتي هذا مفصلاً في الجهاد.

قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]:

{٤٤١} ـ عن زيد بن وهب قال: كنّا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة. فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا، قال: أولئك الفسّاق

أجل لم يبق منهم إلا أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده.

رواه البخاري في التفسير (٣٩٢/٩)، والنسائي في الكبرى (٣٥٤/٦) والسياق للأول.

أئمة الكفر: رؤساؤه كانوا كفاراً خلصاً أم منافقين، وقوله: لا إيمان لهم أي: لا عهد لهم، فهم كلما عاهدوا خانوا، وقوله: يبقرون ـ بضم القاف ـ أي: ينقبون، وقوله: أعلاقنا أي: نفائس أموالنا، وقول حذيفة في الآية من قبيل المرفوع لأنه لولا ما كان عنده من علم عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بتعيين المنافقين لما تجاسر على رمي الأبرياء برأيه وحدسه، وقد كان رضي الله تعالى عنه ممن اختصّ بعلم المنافقين كما هو معروف عنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [١٨]:

{٤٤٢} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إذا رأيتم الرجلَ يعتاد المَسْجِدَ فاشهَدُوا له بالإيمان**»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية.

رواه أحمد (٧٦/٣)، والترمذي في الإيمان (٢٤٣٦)، وفي التفسير (٢٨٩٣)، وابن ماجه (٨٠٢)، والحاكم (٢١٢/١، ٢١٣)، وغيرهم وحسّنه الترمذي وصححه الحاكم، وهو وإن كان فيه أبو السمح عن أبي الهيثم، وروايته عنه ضعيفة، فإن لمعناه شواهد تقوّيه عن أنس رواه عبيد بن حميد والبزار بلفظ: «**إنما عمار المساجد هم أهل الله**»، وعن معاذ بن جبل رواه أحمد، وعن أبي الدرداء رواه ابن أبي شيبة والبزار.

الآية مع الحديث وما في معناه تدلّ على أن من اعتاد المسجد للصلاة فيه والذكر والعلم كان مؤمناً تقيّاً مهتدياً، وهذا مما لا شكّ فيه، وقد جاء

في حديث الصحيحين في السبعة الذين يظلّهم الله تحت ظلّ عرشه... «ورجل قلبه معلّق بالمساجد»، ففي كل ذلك بشارة لروّاد المساجد، جعلنا الله تعالى بمنّه وكرمه من أشرفهم وأفضلهم.

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [١٩]:

{٤٤٣} ـ عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند منبر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمُر المسجد الحرام، وقال آخر: والجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صلّيت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ إلخ.

رواه مسلم في الإمارة باب فضل الشهادة (١٣/٢٥، ٢٦) وغيره.

الحديث كالآية يدلاّن عن أن الجهاد في سبيل الله مع الإيمان لا يوازيه أي عمل، فأحرى من ادّعى السقاية وعمارة المسجد الحرام ولاسيما مع الكفر بالله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [٢٥ ـ ٢٦]:

{٤٤٤} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: أفررتم عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يفرّ، إن هوازن كانوا قوماً رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، ولقد رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يومئذ وأبو سفيان بن الحارث آخِذٌ بلجامِ البغلة ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابنُ عبد المطَّلب»**.

رواه البخاري في الجهاد (٤١٥/٦)، وفي المغازي (٩٢/٩، ٩٣)، ومسلم في الجهاد والسير (١١٧/١٢، ١١٨).

{٤٤٥} ـ وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال: أخذ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم حنين حصيّاتٍ ثم رمَى بها في وجوه الكفار ثم قال: **«انهزموا وربِّ محمد»**، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً وأمْرَهُم مُدْبراً.

رواه مسلم في الجهاد (١١٣/١٢، ١١٧)، والنسائي في الكبرى (١٩٥/٥) وغيرهما.

{٤٤٦} ـ وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما غَشَوْا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم حنين نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم فقال: **«شاهت الوجوه»**، فما خلف الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولّوا مدبرين.

رواه مسلم (١٢٢/١٢) مطوّلاً كسابقه، ويأتي في المغازي بإذن الله تعالى.

جاءت هذه الآية الكريمة يُذكّر الله بها الصحابة نعمه الكثيرة وفضله عليهم، وأنه تعالى أيّدهم ونصرهم وهزم أعداءهم في مواطن وغزوات كثيرة كبدر والخندق وقريظة والنضير وخيبر والفتح... وغيرها، وكذا يوم حنين حيث أعجبوا بكثرتهم. ورغم ذلك لم تغن عنهم شيئاً حيث ولّوا مدبرين ثم

نصرهم بتأييده وعونه لا بكثرة عددهم ولا عدّتهم. وجاءت هذه الأحاديث تبيّن بعض ما وقع لهم في هذه الغزوة وما صدر من حضرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من تلك المعجزة العظمى حيث رماهم بالتراب فانهزموا وضعفوا وأبان فيها صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن شجاعة فاق بها الأبطال، وقوله: حدّهم كليلاً أي: قوتهم ضعيفة، وكَلَّ السيفُ إذا ضعف حده ولم يقطع فهو كليل. وقوله: شاهت الوجوه أي: قبحت الوجوه، والشوهاء من النساء القبيحة.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [٣١]:

{٤٤٧} ـ عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: أتيتُ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفي عُنُقي صَلِيبٌ من ذهب، فقال: **«يا عدي اطْرح عنكَ هذا الوثَن»**، وسمعته يقرأ: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: **«أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرَّمُوا عليهم شيئاً حرموه»**.

رواه الترمذي (٢٨٩٥)، وابن جرير (١٠/١١٤)، والبيهقي (١٠/١١٦) وغيرهم وهو حديث صحيح لشاهد له عن حذيفة عند ابن جرير (١٠/١١٤)، وابن عبد البرّ في العلم (٢/١٠٩)، والبيهقي (١٠/١١٦) بسند صحيح.

الوثن: هو ما يعبد من دون الله، والمراد به هنا الصليب. والأحبار: جمع حبر ـ بفتح الحاء وكسرها ـ هو العالم، والرهبان جمع راهب، وهو العابد المنقطع إلى الله تعالى.

وفي الآية والحديث ذمّ تقليد العلماء والعباد... في آرائهم من التحليل والتحريم بدون حجّة من الله عزّ وجلّ، وأن ذلك يعتبر نوعاً من الشرك، وقد قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ

بِهِ ٱللَّهُۚ﴾. وقال تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [٣٣]:

{٤٤٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**لا يَذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تُعبدَ اللاَّتُ والعُزَّى**»، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عزّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الآية، أن ذلك تام قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عزّ وجلّ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم**».

رواه مسلم في الإيمان وفي التفسير (٣٣/١٨).

{٤٤٩} ـ وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله زَوى لي الأرض فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وأن ملك أمتي سيبلُغ ما زُوي لي منها**».

رواه مسلم في الفتن (١٣/١٨، ١٤).

زوى لي الأرض: جمعها لي، والهدى ـ بضم الهاء وفتح الدال مع ألف مقصورة ـ هو ما جاء به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الأخبار الصادقة والعلم النافع والإيمان الصحيح، ودين الحقّ هو توحيد الله عزّ وجلّ والأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة. والآية صريحة في أن الله تعالى سيظهر دينه على سائر الأديان الأخرى الباطلة، وأن مُلْكَ الأمة سيعمّ المشارق والمغارب كما بيّنه حديث ثوبان، وقد صدق الواقع كل ذلك، والحمد لله.

◼ **قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [٣٤]:

{٤٥٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يكون كنز أحدهم يوم القيامة شجاعاً أقرَع يَفِرُّ منه صاحبُه ويطلبُهُ أنا كنزُك، فلا يزال به حتى يُلْقمه أُصْبعَه»**.

رواه البخاري في الزكاة وفي التفسير (٣٩٣/٩)، والنسائي في الكبرى (٣٥٤/٦)، وكذا أحمد (٢٧٩/٢، ٣٥٥)، وابن حبان (٣٢٥٨) بالإحسان، والبيهقي (٨١/٤).

فسّروا الكنز بالمال الذي لا يزكى، ورد ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر وأبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً. والشجاع الأقرع: أخبث الأفاعي، وفي هذا وعيد شديد لمن لا يزكي ماله، وقد تقدم شيء من هذا في سورة آل عمران.

{٤٥١} ـ وعن زيد بن وهب رحمه الله تعالى قال: مررت على أبي ذرّ بالرَّبَذَة، فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنّا بالشام فقرأتُ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. قال معاوية: ما هي فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب، قال: قلت: إنها فينا وفي أهل الكتاب إلى أن كان قول وتنازع وكتب إلى عثمان يشكوني، كتب إليَّ عثمان أن أقدم، فقدمت المدينة فكثر ورائي الناس كأنهم لم يروني قط، فدخلت على عثمان فشكوت إليه ذلك، فقال: تنحَ وكن قريباً، فنزلت هذا المنزل، والله لو أُمِّر عليَّ حبشي ما عصيته ولا أرجع عن قولي.

رواه البخاري في الزكاة (١٦/٤، ١٧)، وفي التفسير (٣٩٣/٩)، والنسائي في الكبرى (٣٥٤/٦، ٣٥٥).

في الحديث بيان أن الآية وإن كان سياقها في أحبار أهل الكتاب... فإنها شاملة لنا أيضاً، وأن الحق كان مع أبي ذرّ في محاورته مع معاوية.

•

وفيه وجوب طاعة الخليفة والانقياد لأوامره ما لم تكن معصية ومخالفة للحق.

{٤٥٢} ـ وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ الآية، قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: نزلت في الذهب والفضّة لو علمنا أي المال خير فنتخذه، فقال: أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه.

رواه أحمد (٥/٢٧٨، ٢٨٢)، والترمذي (٢٨٩٤) وحسّنه وصححه وله شواهد.

{٤٥٣} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ﴾ إلخ، كبُرَ ذلك على المسلمين، فقال عمر: أنا أُفَرِّجُ عنكم، فانطلق فقال: يا نبي الله إنه كَبُرَ على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنّ الله لم يفرض الزكاة إلا ليُطَيِّبَ ما بَقِي من أمْوَالِكُم، وإنّما فَرَضَ المواريثَ لتكون لمن بعدكم»**، فكبّر عمر ثم قال: **«ألا أخبرك بخير ما يكنِزُ المرءُ: المرأةُ الصالحة إذا نظر إليها سَرَّتْه، وإذا أمَرها أطاعتْه، وإذا غاب عنها حَفِظَتْه»**.

رواه أبو داود في الزكاة (١٦٦٤)، والحاكم (٤/٣٣٣) وصححه ووافقه الذهبي.

في الحديث الثاني أن الزكاة فرضت تطهيراً للأموال... وفي الحديثين بيان أن أفضل ما يملك المسلم في هذه الحياة هو الإكثار من ذكر الله مع الشكر له عزّ وجلّ والزوجة الصالحة التي تساعده على دينه...

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [٣٥]:

{٤٥٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضّة لا يُؤدّي حقَّها إلا إذا كانت يوم القيامة صُفحتْ له صفائحُ من نار، فيُكْوى بها جَنْبُه وجبهتُه وظهرُه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضَى بين العباد ثم يَرى سبيله إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار**».

رواه أحمد (٢/٢٦٢)، ومسلم في الزكاة (٧/٦٤، ٦٨)، وأبو داود (١٦٥٨، ١٦٥٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٩٨)، وفي المجتبى وغيرهم مطوّلاً.

{٤٥٥} ـ وعن الأحنف بن قيس قال: جلستُ إلى ملإٍ من قريش فجاء رجل خشِنُ الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلّم، ثم قال: بشّر الكانزين برضَفٍ يُحْمَى عليهم في نار جهنم، ثم يوضع على حَلَمَةِ ثدي أحدهم حتى يخرج من نُغْض كتفه، ويوضع على نُغْضِ كتفه حتى يخرج من حَلَمَة ثديه يتزلزل، ثم ولّى فجلس إلى سارية وتبعتُه وجلستُ إليه وأنا لا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئاً. وفي رواية: فقمت إليه، فقلت: ما شيءٌ سمعتك تقوله؟ قال: ما قلت إلا شيئاً سمعته من نبيّهم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري (٤/١٧، ١٨)، ومسلم (٧/٧٧، ٧٨) كلاهما في الزكاة، والرواية الثانية عند مسلم وهو عندهما مطوّل.

الرضف: الحجارة المحماة، وقوله: نغض ـ بضم النون وسكون الغين آخره ضاد معجمة ـ: هو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف، وقيل: هو أعلى الكتف.

وفي الآية والحديثين وعيد عظيم لمانعي الزكاة، وأنهم سيعذّبون بأموالهم على كيفيّات يعلمها الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الآية:

{٤٥٦} ـ عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن الزمان قد استدَارَ كهيئته يوم خلق السمٰوات والأرضَ السَّنَة اثْنَا عشر شَهراً منها أربعةٌ حُرُمٌ ثلاثٌ متواليات: ذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».**

رواه أحمد (٣٧/٥، ٧٣)، والبخاري في بدء الخلق وفي التفسير (٣٩٤/٩)، ومسلم (١٦٧/١).

يخبر تعالى بأن عدد الشهور المعتد بها عنده في شرعه وحكمه هو اثنا عشر شهراً هلالية على منازل القمر، وعليها تدور الأحكام الشرعية من صيام وحجّ وعدد النساء وغير ذلك، وقد كتب الله ذلك في الكتاب الإمام اللوح المحفوظ يوم خلق هذا العالم بأرضه وسمائه، فكانت منها أربعة أشهر محرمة معظمة محترمة فتضاعف فيها الطاعات ويحرم فيها القتال وهتك الحرمات وارتكاب ما حرم الله من الآثام، فذلك المذكور هو الدين المستقيم.

وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن الزمان أي: السنة، استدار استدارة مثل حالته الأولى أي: وقوع تاسع ذي الحجّة في الوقت الذي حلّت فيه الشمس برج الحمل عندما يستوي الليل والنهار في فصل الربيع.

قال الخطابي رحمه الله تعالى: كانوا ـ يعني: الجاهلية ـ يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير لأسباب تعرض لهم منها استعجال الحرب، فيستحلّون الشهر الحرام ثم يحرّمون بدله شهراً غيره،

فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدّل، فإذا أتى على ذلك عدّة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله، فاتّفق وقوع حجّة الوداع عند ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [٤٠]:

{٤٥٧} ـ عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: **«ما ظنّك باثنين الله ثالثهما»**.

رواه أحمد (٤/١)، والبخاري في المناقب (١١/٨)، وفي التفسير (٣٩٥/٩)، ومسلم في الفضائل (١٤٩/٥)، والترمذي (٢٨٩٦)، وابن جرير (٣٦/١٠)، وابن حبان (٦٢٧٨) وغيرهم.

{٤٥٨} ـ وعن سالم بن عُبيد أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما قُبِض قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فقال عمر: مَن له مثلُ هذه الثلاث: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾، من هما ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، من هما؟ ثم بسط يده وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة.

رواه الترمذي في الشمائل (٣٧٨)، والنسائي في الكبرى (٣٥٥/٦)، وابن خزيمة (١٥٤١/ ١٦٢٤)، وابن أبي حاتم (١٨٠٠/٦) وسنده صحيح عند بعضهم.

المراد بالصاحب في الآية هو أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه بالإجماع، وكان الصحابة لا يختلفون في ذلك.

وقد استوفيت فضائل الصديق في فضائل الصحابة، فارجع إليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [٦٠]:

{٤٥٩} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا تحل الصدقة لغنيّ إلاّ لخمسة: لغازٍ في سبيل الله، أو لغارم أو رجلٍ اشتراها بمالِه، أو رجلٍ له جارٌ مسكين فتُصُدِّق على المسكين فأهدَى المسكين للغني أو لعامل عليها»**.

رواه أحمد (٣١/٣)، وأبو داود (١٦٣٦)، وابن ماجه (١٨٤١)، وأبو يعلى (٥٠٧/١) بسند صحيح.

{٤٦٠} ـ وعن صفوان بن أُميّة رضي الله تعالى عنه قال: أعطاني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم حُنين، وإنه أبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليّ.

رواه مسلم في فضائل النبيّ (٧٣/١٥)، والترمذي في الزكاة (٥٨٩) بتهذيبي.

{٤٦١} ـ وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن عليّاً عليه السلام بعث إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بذُهَيْبَة في تربتها من اليمن، فقسَمَها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن بَدْر وعلقمَةَ بن عِلاثة وزيد الخير، وقال: **«أتألفهم»**.

رواه الشيخان وغيرهما، وهو من أحاديث الخوارج.

{٤٦٢} ـ وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله دلّني على عمل يقرّبني من الجنّة ويباعدني من النار، فقال: **«أعتِقْ النَّسمة وفُكَّ الرّقبة»**، فقال: يا رسول الله أوَليستا واحداً؟ قال: **«لا عِتْق النَّسمة أن تَنفرِد بِعتْقِها وفكُّ الرقبة أن تُعِينَهُ في ثَمَنِها»**.

رواه أحمد (٢٩٩/٤)، والطيالسي (٧٣٩)، وابن حبان (٣٧٤/٢)،

والبيهقي (١٠/٢٧٢، ٢٧٣) وغيرهم، وهو حديث صحيح.

{٤٦٣} ـ وعن قَبِيصة بن مُخارق رضي الله تعالى عنه قال: تحمّلت حَمالة، فأتيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أسأله فيها، فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**»، قال: ثم قال: «**يا قبيصة، إن المسألة لا تحلّ لأحد إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حمالة فحلّت له المسألةُ حتى يصيبها ثم يمسك**» الحديث.

رواه أحمد ومسلم في الزكاة (١٣٤/٧) وغيرهما، وتقدم بطوله في الزكاة.

{٤٦٤} ـ وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: أصيب رجل في عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في ثمار ابتاعها فكثُر دَيْنُه، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**تصدّقوا عليه**»، فتصدّق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لغرمائه: «**خذوا ما وجدتم وليس لكم إلاّ ذلك**».

رواه أحمد (٣٦/٣، ٣٨)، ومسلم في البيوع (١٥٥٦)، وأبو داود (٣٤٦٩)، والترمذي في الزكاة (٥٧٩)، والنسائي في البيوع، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٥٦) وغيرهم.

الغارم: هو مَن عليه دين؛ أعمّ من أن يكون تحمل حمالة، أو غيره، والعامل عليها: هو الساعي والجابي للصدقة، والمؤلّفة قلوبهم من هم حديثو عهد بالإسلام، وفكّ الرقبة: المساعدة على تحريرها، وقوله: رجل تحمّل حمالة معناه: أن يتحمل شخص عن غيره حقاً فلا يجد ما يؤدّي به.

وفي هذه الأحاديث بيان للآية الكريمة وأن المذكورين فيها هم الذين يعطون من الزكوات والصدقات ومن سواهم لا حظّ لهم فيها، وإنما يأخذونه سحتاً محرماً، وقد تركنا أحاديث هنا اختصاراً.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ **الآية:**

{٤٦٥} ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونزل القرآن. قال عبدالله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»**.

رواه ابن جرير (١٠/١٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩) وغيرهما وسنده صحيح.

الآية الكريمة استدلّ بها العلماء على كفر من طعن في القرآن أو في الله ورسوله، ولو كان عابثاً ولاعباً كما هي عادة أرباب المسرحيات والممثلين اليوم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٩]:

{٤٦٦} ـ عن أبي مسعود البدريّ رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنّا نُحامِلُ على ظهورنا، فجاء رجل فتصدّق بشيء كثير، فقالوا: مراء، وجاء رجل فتصدّق بصاع، فقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآية، وفي رواية: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المدّ وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف.

رواه البخاري (٤/٢٥)، ومسلم (٧/١٠٥) كلاهما في الزكاة، ورواه البخاري في التفسير (٩/٤٠٠، ٤٠٢) أيضاً.

نحامل أي: نتكلّف الحمل بالأجرة، وقوله: آية الصدقة، يعني: قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ الآية، وفي الآية والحديث بيان ما كان عليه

الصحابة من المسارعة إلى العمل بمقتضى الشريعة والإنفاق من أموالهم كل على حسبه من السعة والضيق والقلّة، كما يدلاّن على سوء معاملة المنافقين لأهل الإيمان، وأن عادتهم الطعن واللمز وسوء الظن بالناس وأنه لا يسلم من شرّهم مسلم.

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾:

{٤٦٧} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما مات عبدالله بن أُبيّ بن سلول دُعِي له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ليصلّي عليه، فلما قام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وثَبْتُ إليه وقلت: يا رسول الله أتصلّي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا، أعدد عليه قوله، فتبسّم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال: «**أخّر عني يا عمر**»، فلما أكثرت عليه، قال: «**أما إني خُيّرتُ فاخترت لو أعلم أني زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها**»، قال: فصلّى عليه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآية من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾، قال: فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يومئذ، والله ورسوله أعلم.

رواه البخاري (٤٠٦/٩)، والترمذي (٢٨٩٧) كلاهما في التفسير.

{٤٦٨} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عبدالله بن عبدالله بن أُبيّ إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين مات أبوه، فقال: أعطني قميصك أكفّنه وصلّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: «**إذا فرغتم فآذنوني**»، فلما أراد أن يصلّي جذبه عُمر وقال: أليس قد

نهى الله أن نصلّي على المنافقين، فقال: «أنا بين الخيرتين استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» فصلّى عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، فترك الصلاة عليهم.

رواه البخاري في التفسير (٤٠٣/٩، ٤٠٤، ٤٠٨)، ومسلم في الفضائل (١٦٧/١٥)، والترمذي (٢٨٩٨).

في الآيتين المنع من الاستغفار للمنافقين والصلاة عليهم وذلك لكفرهم بالله ورسوله وموتهم على ذلك، فهم ليسوا أهلاً للاستغفار والاستشفاع لهم. . .

وفي الحديثين فضل عمر رضي الله تعالى عنه حيث نزل القرآن بسببه، وأنه كان ملهماً موفقاً، وهذه إحدى موافقاته، وقد ذكرت ما صح منها في فضائل الصحابة.

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾:

{٤٦٩} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سِرتم سَيراً إلا وهُمْ معكم حَبَسَهُمْ العذرُ»**.

رواه البخاري في الجهاد (٣٨٧/٦)، وفي المغازي (١٩٠/٩)، ومسلم في الإمارة باب من حبسه العذر عن الغزو (٥٧/١٣)، وفي رواية عن جابر: حبسهم المرض.

{٤٧٠} ـ وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في رهط من الأشعريين أستحمله، فقال: **«والله لا أحملكم ما عندي ما أحملكم»**، ثم لبثنا ما شاء الله، فأتى بإبل فأمر

لنا بثلاث ذود، فلما انطلقنا قال بعضنا لبعض: لا يبارك الله لنا، أتينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نستحمله فحلف لا يحملنا فحملنا، فقال أبو موسى: فأتينا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرنا ذلك له، فقال: «**ما أنا حملتكم، بل الله حملكم، إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفّرت عن يميني وأتيت الذي هو خير**».

رواه أحمد (٣٩٨/٤، ٤٠٤)، والبخاري (٤١٦/١٤، ٤١٧)، ومسلم (١٠٨/١١، ١٠٩، ١١١) وغيرهم، ورواه أيضاً البخاري في المغازي (١٧٥/٩).

في الآيتين والحديث بيان أن صاحب العذر من مرض ونحوه لا حرج عليه ولا إثم في تخلّفه عن الجهاد ونحوه من التكاليف الشرعية إذا كانت نيّته صادقة، وأنه يكون في الأجر مشاركاً لمن خرج وعدل. وقوله: إلا وهم معكم، معناه: معهم بأرواحهم ونيّاتهم الصادقة، وفيه فضل النيّة الصالحة وأن الله يكتب لأصحابها ما نووه.

قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [٩٥ ـ ٩٦]:

{٤٧١} ـ عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال حين تخلّف عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في غزوة تبوك: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل الوحي: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير (٤١٠/٩) وغيره، ومسلم، ويأتي مطوّلاً قريباً.

الآية الكريمة نزلت في المنافقين المتخلّفين عن غزوة تبوك، وجاءت تخبر بكذبهم على رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتأكيده بحلفهم الغموس وتسجل عليهم الشقاء الأبدي والعذاب الخالد، لأنهم قوم رجس فاسقون مغضوب عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [١٠٢]:

{٤٧٢} ـ عن سمرة قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا فيقصّ من شاء الله أن يقصّ، وأنه قال لنا ذات يوم: **«إنه أتاني آتيان الليلة وأنهما انبعثاني فقالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما فانتهيا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب وفضّة، فأتيا باب المدينة فاستفتحا ففتح لنا فدخلنا فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راء، فقال لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، وإذا هو معرض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم وصاروا كأحسن صورة، فقالا لي: هذه جنّة عدن، وذاك منزلك، فبينما بصَري صَعْداً فإذا قصر قالا لي: هذا منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني أدخله، قالا: أمّا الآن فلا، وأنت داخله، فقال: القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن وشطراً منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتجاوز الله عنهم»**.

رواه البخاري في مواضع مطوّلاً ومختصراً في التفسير (٤١١/٩)، وفي التعبير (٩٩/١٦، ١٠٦)، ومسلم فيه (٣٥/١٥)، والنسائي في الكبرى (٣٥٨/٦)، والترمذي في الرؤيا وغيرهم.

وفي الحديث بيان لمن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وأنهم الذين ماتوا على ذلك بدون توبة، وأن الله سيتجاوز عنهم بفضله ورحمته.

قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [١٠٣]:

{٤٧٣} ـ عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا أُتِيَ بصدقةِ قومٍ صَلَّى عليهم، فأتاه أبي بصدقته، فقال: «**اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى**».

رواه أحمد (٣٨٢/٤)، ومسلم آخر الزكاة (١٨٤/٧).

في الآية والحديث مشروعية الدعاء مع مُؤدّي الزكاة، واستدلّ بالحديث من أجاز الصلاة استقلالاً على غير الأنبياء، وفي ذلك خلاف وتفصيل للعلماء.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [١٠٤]:

{٤٧٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله يقبلُ الصدقةَ ويأخذُها بيمينه فيُرَبّيها لأحدِكم كما يُرَبّى أحدكم مَهرَه، حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحد، وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ**: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ و﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾».

رواه الترمذي في الزكاة (٥٨٧) بتهذيبي، وهو في الصحيحين بمعناه بدون ذكر الآيتين.

المهر: هو الفصيل الصغير من الإبل، وفي الحديث كالآية فضل الصدقة وأن الله ينميها لصاحبها حتى تصبح أضعاف أضعاف ما تصدّق به. وقوله: ويأخذها بيمينه تقدم ما فيه مراراً.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [١٠٨]:

{٤٧٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: تمارى رجلان

في المسجد الذي أُسّس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال آخر: هو مسجد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«هو مسجدي هذا»**.

رواه أحمد (٨/٣، ٢٣، ٢٤، ٩١)، ومسلم آخر الحجّ (١٦٨/٩، ١٦٩)، والترمذي (٢٩٠، ٢٨٩٩)، والنسائي (٣٥٩/٦) وغيرهم، وزاد الترمذي: وفي ذلك خير كثير.

والحديث نصّ في أن المسجد المؤسّس على التقوى هو المسجد النبوي الشريف، ولا شكّ أنه كذلك بالأولى والأحرى من غيره، غير أن سياق الآية الكريمة إنما هو في معرض مسجد قباء، ولهذا قال بعده: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ إلخ، وهؤلاء هم سكان قباء، وقد قدّمنا في الطهارة ما يتعلق بآية طهور أهل قباء الذين أثنى الله عليهم بسببه.

❖ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ الآية [١١٣]:

{٤٧٦} ـ عن سعيد بن المسيّب عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أُميّة، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أيْ عم قل: لا إلـه إلاّ الله أحاجُّ لك بها عند الله»**، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أُميّة: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبدالمطّلب، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لأستغفرن لك الله ما لم أُنهَ»**، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ إلخ.

رواه البخاري في الجنائز وفي التفسير (٤١١/٩) وغيرهما، ومسلم في الإيمان (٢١٤/١، ٢١٥، ٢١٦) وغيرهما.

الحديث نصّ في أن أبا طالب لم ينطق بكلمتي الشهادة وأن الآية نزلت بسببه، وكم كنا نتمنى أن يعتنق الإسلام ويموت عليه ولكن الله يفعل ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [١١٧ ـ ١١٩]:

{٤٧٧} ـ عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه في حديث تخلّفه عن غزوة تبوك، قال: فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منّا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رَحُبت، سمعت صارخاً أوفى على أعلى جبل بأعلى صوت: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج وأذن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بتوبة الله علينا حين صلّى صلاة الفجر، قد هم الناس يبشّرونا وهب قبل صاحبي مبشّرون وركض رجل إليَّ فرساً وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على جبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته بشّرني نزعت ثوبيّ فكسوته إياهما بشارة، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنّئوني بالتوبة يقولون: لِتَهْنِكَ توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم جالساً حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنّأني، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على

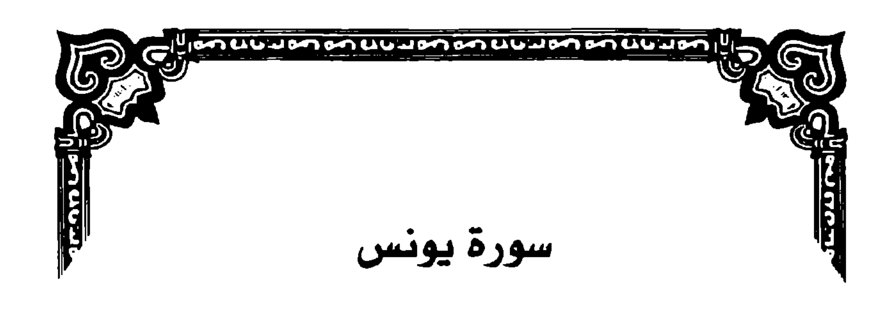
رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يبرق وجهه من السرور، قال: «**أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك**»، فقلت: من عندك يا رسول الله أو من عند الله؟ قال: «**بل من عند الله**»، وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك**»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قلت: يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي ألا أحدّث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أحد من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أحسن مما أبلاني، وما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ إلى ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام بأعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يومئذ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل الله تعالى الوحي بشرّ ما قال لأحد: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى ﴿ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [٩٦]، قال كعب: وكنا خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه، فلذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾، وليس الذي ذكر الله تعالى تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

رواه البخاري في أكثر من ستة مواضع منها في التفسير (٤١٢/٩،

٤١٣)، ومسلم في التوبة (٨٧/١٧، ٩٧)، وأهل السنن وغيرهم مطوّلاً ومختصراً.

هذا حديث عظيم وفيه فوائد وأحكام وآداب، وجاء مبيّناً لنزول الآيات المذكورة، وما حصل لكعب راويه وصاحبيه المتخلفين عن غزوة تبوك، ومقاطعة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه إياهم حتى نزلت توبتهم. وهذا آخر سورة التوبة والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة يونس

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه، هذه السورة الكريمة بداية السور المكية المتوالية من هنا إلى سورة الحج المدنية، وهي تهتم بجانب العقيدة والكلام على الألوهية ودلائل التوحيد وما يتبع ذلك من الكلام على الرسالة والكتب الإلٰهيّة. وآياتها تسع ومائة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ⑪﴾ [١١]:

{٤٧٨} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لا تَدْعو على أنفسكم، ولا تَدْعُو على أولادكم، ولا تَدْعو على خَدَمِكم، ولا تدعو على أموالكم، لا تُوافِقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاء فيستجابُ لكم»**.

رواه مسلم في الزهد (١٨/١٣٩)، وأبو داود في الوتر (١٥٣٢)، وابن حبان (٢٤١١) بالموارد.

في الحديث الشريف النهي عن دعاء الإنسان على نفسه ونحوه، وهذا مضمون الآية، فإن الله لا يستجيب في الشر كاستجابته في الخير، ولكنه ربما وافق وقت الإجابة... قال مجاهد في هذه الآية: هو قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليهم: اللّهم لا تبارك فيه والعنه.

❊ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [١٤]:

{٤٧٩} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الدنيا حلوةٌ خَضِرَةٌ وأن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون، فاتّقوا الدنيا واتّقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء**».

رواه أحمد (١٩/٣، ٢٢، ٦١، ٨٤)، ومسلم (٥٤/١٧، ٥٥)، وابن ماجه (٤٠٠٠)، والبيهقي (٩١/٧).

حُلْوة ـ بضمّ الحاء ـ وخضرة ـ بفتح ثم كسر ـ ومعناه: أن النفوس تستحليها وتحبها كما تحب الخضرة وغيرها من مظاهر الجمال، وقوله: مستخلفكم معناه: سيجعلكم خلفاء فيها لمن سبقكم لينظر هل تقومون بحقّها أم تغترون بها وتتساقون وراءها! وسيأتي الكلام على الحديث في الزهد والرقاق.

❊ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٥]:

{٤٨٠} ـ عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جَنْبَي الصراط سُورَان فيهما أبواب مُفَتَّحَةٌ، وعلى الأبواب ستور مُرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تَعْوَجُوا، وداعٍ يدعو من فَوق الصراط، فإذا أراد أحدكم أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تَلِجْهُ فإنك إن تَفْتَحْهُ تَلِجْه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على باب الصراط كتاب الله عزّ وجلّ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**».

وفي رواية: «وداع يدعو من فوقه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾».

رواه أحمد (١٨٢/٤، ١٨٤)، والترمذي في الأمثال (٢٦٧٠) وحسّنه، والنسائي في الكبرى (٣٦١/٦) وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والحديث تقدم في الاعتصام.

ضرب الله أي: بيّن، والمثل ـ بفتحتين ـ تصوير شيء خفي بأمر جليّ والغائب بالشاهد، وواعظ الله هو المسمّى بلمة الملك.

والحديث يدلّ على أن طريق الله واضح لا لبس فيه ولا غموض، وأن الله عزّ وجلّ يوفق من يشاء من عباده، فيهديه إليه، وهذا المثل من الأمثال العظيمة.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [٢٦]:

{٤٨١} ـ عن صُهَيْب رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«إذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنّة إن لكم عند ربكم موعداً يريد أن يُنجزكُموه؟ قالوا: ألم يُبَيِّضْ وجوهنا ويُثَقِّل موازيننا ويُدْخِلنا الجنّة ويُجِرْنا من النار؟ قال: فيَكْشِفُ الحجاب فينظرون إلى الله عزّ وجلّ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم».**

رواه أحمد (٣٣٢/٤) و(١٥/٦)، ومسلم في الإيمان (١٧/٣)، وأبو عوانة (٤١١)، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٢٩)، وفي التفسير (٢٩٠٥)، والنسائي في الكبرى (٣٦١/٦، ٣٦٢)، وابن ماجه (١٨٧) في المقدمة.

قوله: فيكشف الحجاب أي: عن أهل الجنّة، والحديث صريح في تفسير الزيادة بالنظر إلى الله عزّ وجلّ. أما الحسنى: فهي هنا الجنّة.

وسيأتي الكلام على رؤية الله في الجنّة في سورة القيامة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ الآية [٦٢]:

{٤٨٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: من أولياء الله؟ قال: «**الذين إذا رُؤُوا ذكر الله**».

رواه النسائي في الكبرى (٣٦٢/٦)، وابن المبارك في الزهد (٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٢٣٢٥)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢٣١/١) وسنده حسن ولا يعتد بمن أرسله.

وللحديث شواهد منها عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**ألا أُنبئكم بخياركم**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**خيارُكم الذين إذا رُؤُوا ذُكِر الله عزّ وجلّ. ألا أُخبركم بشِرَارِكُمْ؟**» قالوا: بلى، قال: «**شراركم المفسدون بين الأحبّة، المشّاؤون بالنميمة الباغون البراء العَنَت**».

رواه أحمد (٤٥٩/٦)، وابن ماجه (٤١١٩)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٥٨٠)، قال البوصيري في المصباح: هذا إسناد حسن، شهر وسويد مختلف فيهما، وباقي رجاله ثقات.

ومنها عن عمرو بن الجموح عند أحمد (٤٣٠/١)، وأبي نعيم في الحلية (٦/١)، وابن أبي الدنيا في الأولياء (١٩)، ومنها عن عبدالرحمٰن بن غنم عند أحمد (٢٢٧/٤) فالحديث صحيح.

{٤٨٣} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن من العباد عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء**»، قيل: مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال: «**هم قوم تحابُّوا برُوح الله على غير أموال ولا أنساب، وجوهُهم نور** ـ يعني: على منابر من نور ـ **لا**

يخافون إن خاف الناس، ولا يحزنون إن حَزِنَ الناس»، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ الآيه.

رواه النسائي في الكبرى (٣٦٢/٦)، وأبو يعلى (٦١١٠)، وابن حبان (٥٧٣) بالإحسان، وكذا ابن جرير (١٣٢/١١) وسنده صحيح، وله شاهد عن عمر رضي الله تعالى عنه رواه أبو داود (٣٥٢٧)، وابن جرير (١٣٢/١١)، وجوّده ابن كثير ولا يضرّ انقطاعه، وله شاهد آخر عن أبي مالك الأشعري رواه أحمد (٣٤١/٥، ٣٤٣)، وأبو يعلى (٦٨٤٢) بسند حسن.

في هذه الأحاديث بيان لما في الآية الكريمة: بأن أولياء الله عزّ وجلّ هم الذين إذا رآهم الناس ذكروا الله لما عليهم من الصبغة الإلـٰهيّة، أو لما يغشاهم من جلال الله تعالى، وأنهم لعلوّ منازلهم يوم القيامة يغبطهم الأنبياء والشهداء، وأنهم كانوا في الدنيا متحابّين في الله من غير أنساب ولا أموال تجمعهم. ولا شكّ أن هؤلاء صنف من كبار الأتقياء الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في الآية، وأنهم لا يخافون إن خاف الناس ولا يحزنون إن حزن الناس، جعلنا الله عزّ وجلّ من أشرفهم بمنّه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [٦٤]:

{٤٨٤} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فقال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عنها، فقال: **«ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له»**.

رواه أحمد (٤٤٧/٦)، والترمذي في الرؤيا وفي التفسير (٢٩٠٦)، وابن جرير (١٣٣/١١، ١٣٧)، والحاكم (٣٩١/٤) من طرق بعضها صحيحة، وله شاهد عن عبادة بن الصامت رواه أحمد (٣١٥/٥)، والترمذي

في الرؤيا (٢١٠٣)، وابن ماجه (٣٨٩٨)، والحاكم (٣٩١/٤)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وجاء معناه في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره، وفيه: «**فالرؤيا الصالحة بشرى من الله عزّ وجلّ**»، انظر ج (٢٦/١٦) وح(٢٠/١٥، ٢١)، وفي صحيح البخاري (٢٩/١٦)، وغيره عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لم يبق من النبوّة إلا المبشّرات**»، قالوا: وما المبشّرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»، وفي صحيح مسلم (١٩٦/٤) من باب القراءة في الركوع عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أيها الناس إنه لم يبق من مبشّرات النبوّة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له**»، وعنده (٢٣/١٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**رؤيا المسلم يراها أو تُرى له**».

فهذه الأحاديث كلها تدلّ على أن البشرى المذكورة في الآية للمؤمن في الدنيا هي الرؤيا الصالحة الحسنة يراها بنفسه أو يراها له غيره، وتكون مؤذنة بأنه من جملة أولياء الله الذين ذكرهم الله هنا، جعلنا الله من أفضلهم وأكرمهم لديه.

قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [٩٠، ٩١]:

{**٤٨٥**} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه**»؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**»، فصامه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأمر بصيامه.

رواه البخاري (١٥٠/٥، ١٥١)، ومسلم (٩/٨، ١٠) كلاهما في الصيام، ورواه البخاري في التفسير (٤١٨/٩).

{٤٨٦} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لما أغرق الله تعالى فرعون قال:** ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلخ، **فقال جبريل عليه السلام: يا محمد لو رَأَيتَنِي وأنا آخُذُ من حَال البحر وأدُسُّه في فيه مخافَةَ أن تُدركَه الرحمة».**

وفي رواية: **«إن جبريل جعل يدسّ في في فرعون الطين خشية أن يقول: لا إلـه إلاّ الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله».**

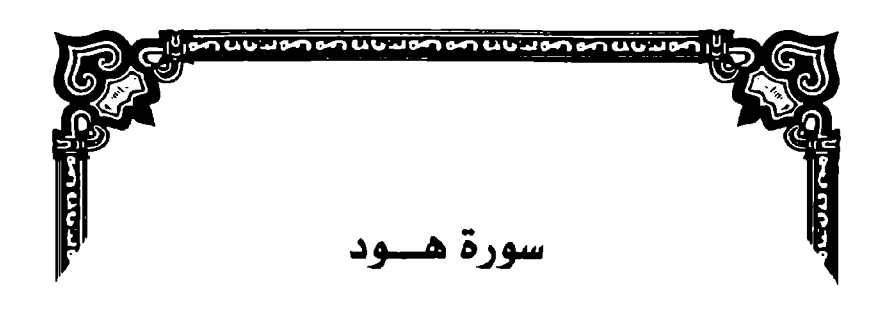
رواه أحمد (٢٢٠٣، ٢١٤٤، ٣١٥٤)، والترمذي (٢٩٠٧) بالروايتين، والنسائي في الكبرى (٣٦٣/٦)، وابن جرير (١٦٣/١١)، وابن أبي حاتم (١٩٨٢/٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

في الحديثين بيان واضح للآية الكريمة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾، وأن الله عزّ وجلّ أغرقه وقومه بالفعل، وأن ذلك لا يحتمل تأويلاً.

وفي الحديث الأول بيان أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان من هديه الاقتداء بالأنبياء قبله، كما فيه مشروعية الشكر على دفع البلاء وإهلاك الأعداء واتخاذ ذلك عادة كلما حلّ ذلك الوقت.

انتهت سورة يونس والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.





سورة هــود

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه. آيات السورة ثلاث وعشرون ومائة. وأهدافها نفس أهداف السور المكّية، وفيها ذكر الأنبياء وخاصة قدماءهم؛ كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب ورئيس أنبياء بني إسرائيل وصاحب كتابهم العظيم التوراة كليم الله سيدنا موسى وأخيه هٰرون، على نبيّنا وعليهم جميعاً الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [٥]:

{٤٨٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سُئِل عن هذه الآية، فقال: **أناس كانوا يستخفون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم.**

رواه البخاري (٤٢٠/٩)، وابن جرير (١٨٥/١١) في التفسير، ومعنى هذا أن الناس كانوا لجهلهم بالإحاطة العلمية والبصرية الإلـٰهيّة إذا أتوا نساءهم أو قضاء حاجتهم من بول... تلفّفوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء فيراهم الله في زعمهم، فأخبرهم تعالى بأن كل ذلك لا يخفى عليه منه شيء.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [٧]:

{٤٨٨} ـ عن عمران بن حُصَيْن رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**»، وفي رواية: «**غيره**»، وفي أخرى: «**معه**»، «**وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السمٰوات والأرض**».

رواه أحمد (٤٣٢/٤، ٤٣٣)، والبخاري في بدء الخلق (٩٨/٧) وفي المغازي... والترمذي في آخر المناقب (٣٦١٢) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٦٣/٦) بنحوه.

{٤٨٩} ـ وعن عبدالله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**قدّر الله مقادِيرَ الخلائق قبل أن يَخلُق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

رواه أحمد (١٦٩/٢)، ومسلم (٢٠٣/١٦)، والترمذي (٢١٥٦) كلاهما في القدر.

كلا الحديثين يوافقان الآية الكريمة في أن العرش كان على الماء قبل خلق هذه الأجرام، وقبل أن يقدر الله المقادير ويكتبها في الذكر، وهذا قول الجمهور، وأن العرش خلق قبل الكائنات حتى اللوح والقلم، وأنه كان على الماء ولا ندري ما وراء ذلك. وفي حديث عمران بيان واضح بأن الله عزّ وجلّ كان ولم يكن شيء غيره ولا أحد معه قبله، فهو الأول قبل كل شيء بلا بداية، وآخر كل شيء بلا نهاية؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾، ومن قال غير هذا فليس بمسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [١٧]:

{٤٩٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لا يسمعُ بي أحد من هذه الأُمّة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلْتُ به إلاّ كان من أصحاب النار»**.

رواه أحمد (٣١٧/٢، ٣٥٠)، ومسلم في الإيمان (١٨٦/٣) ونحوه عن أبي موسى رواه أحمد (٣٩٦/٤، ٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٣٦٤/٦) بسند صحيح، وعن ابن عباس رواه الحاكم (٣٤٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

الحديث جاء مبيّناً للآية، وأن كل من بلغته رسالة هذا النبيّ ولم يؤمن به وبما جاء به كان من المخلدين في النار، وهذا لا خلاف فيه بحمد الله بين المسلمين لأن شريعة الإسلام جاءت ناسخة لجميع الشرائع وخاتمة لها.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [١٨]:

{٤٩١} ـ عن عبدالله بن عُمَر رضي الله تعالى عنه أنه بينا هو يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبدالرحمٰن هل سمعت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في النجوى؟ فقال: سمعت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«يُدْنَى المؤمنُ من ربه حتى يضعَ عليه كَنَفَه فيُقرِّرُه بذنوبه، تَعْرِفُ ذنب كذا، يقول: أعرف** ـ مرتين ـ **فيقول: سترتُها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم يُعْطَى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار، فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذَبُوا على ربّهم ألا لعنة الله على الظالمين»**.

رواه أحمد (١٠٥/٢)، والبخاري في المظالم وفي التفسير (٤٢٤/٩)، وفي الأدب (٩٩/١٣، ١٠٠) وفي التوحيد، ومسلم في التوبة (٨٧/١٧)، والنسائي في الكبرى (٣٦٤/٦)، وابن ماجه (١٨٣).

النجوى: هي ما يتكلّم به المرء مع غيره بحيث يسمع نفسه، والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب يوم القيامة مع المؤمنين، وقوله: كنفه ـ بفتحات ـ أي: ستره وعفوه. والحديث تتجلّى فيه رحمة الله تعالى بعبده

المؤمن يوم القيامة ولطفه به، وهذا بخلاف الكفرة والظَّلَمة المتمردين المطرودين من رحمة الله عزّ وجلّ، فإنهم سيفضحون ويلعنون على رؤوس الأشهاد.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [٤٦]:

{٤٩٢} ـ عن أنس رضي الله تعالى في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «**ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فينادونه فيقول: لست هنا ويذكر سؤاله ربّه ما ليس له به علم ويستحي من ذلك**» الحديث سيأتي.

رواه البخاري في التفسير (٢٢٦/٩)، ومسلم في الإيمان وغيرهما.

لـمّا أغرق الله عزّ وجلّ قوم نوح عليه السلام بالطوفان كان من جملتهم ولده كنعان، فنادى ربّه: إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق... فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، أي: الذين وعدتك بنجاتهم لأنه كافر، ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، أي: لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على حقيقته.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [٨٠]:

{٤٩٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قول لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كان يأوي إلى ركن شديد إلى ربّه عزّ وجلّ قال: فما بعث بعده نبياً إلا في ثروة من قومه**»، وفي رواية: «**ولكنه عنى عشيرته**» الحديث.

رواه أحمد، والشيخان وغيرهم، ويأتي كاملاً مع تخريجه في سورة يوسف وفي الأنبياء.

الظاهر من الآية الكريمة أن لوطاً عليه السلام لم تكن له منعة في

قومه، ولذلك قال ما قال مع أنه كان في الواقع يأوي إلى ركن عظيم وهو الله عزّ وجلّ، فإنه لا يُضَامُ ولا يقهر ولا يغلب من احتمى به أو التجأ إليه وتوكّل عليه.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [١٠٢]:

{٤٩٤} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله لَيُمْلِي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ**»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٤٢٥/٩)، ومسلم في البرّ والصلة (١٣٧/١٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٠٩)، والنسائي في الكبرى (٣٦٥/٦)، وابن ماجه في الفتن (٤٠/٨).

قوله: يملي ـ بضم الياء ـ أي: يمهل ويؤخر ويطيل له المدة، وقوله: لم يفلته ـ بضم الياء أيضاً ـ أي: لم يطلقه وينفلت منه.

وفي الآية مع الحديث تهديد أكيد للعتاة الظلمة المتجبّرين، وأن الله عزّ وجلّ يمهلهم في هذه الحياة ويمدّ لهم فيها ويعطيهم من كل أنواع المتاع، وقد ينصرهم على أعدائهم ويمنحهم قوّة ونفوذاً ويطيل أعمارهم ويملأ قصورهم جواري حساناً وخدماً... حتى إذا اطمأنّوا لذلك أخذهم أخذ عزيز مقتدر، فيصبحون لا ترى لهم أثراً...

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [١٠٥]:

{٤٩٥} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾، سألت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: يا نبيّ الله فعلى ما نعمل على شيء قد فُرِغَ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «**بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كلٌّ ميسّر لما خُلق له**».

رواه الترمذي في التفسير (٢٩١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٠)، وهو حسن صحيح لطرقه، وانظر تهذيب الجامع (٢٩٦٧) من كتاب القدر.

والحديث يدلّ على أن الله عزّ وجلّ قد فرغ من كل شيء، وأن جميع ما يصدر في هذه الكائنات من خير وشر وهدى وضلالة قد كتب في الذكر وسبق به علم الله وقدره وتعلّقت به قدرته وإرادته، فالسعيد سعيد لا يتبدّل، والشقيّ شقيّ كذلك، وسيأتي بقية لهذا في سورة الليل إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [١١٣]:

{٤٩٦} ـ عن كعب بن عُجْرَة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن تسعة خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب، والآخر من العجم، فقال: **«اسْمَعُوا وأَطِيعُوا هل سَمِعْتُم أنه سَيَكُون بَعْدِي أمراء فمن دخل عليهم فَصَدَّقَهُم في كَذِبِهم وأعانَهُمْ على ظُلْمِهِم فليس منّي ولستُ منه، وليس بوارِدٍ عليّ الحوضَ، ومن لم يَدْخُلْ عليهم ولم يُعِنْهُم على ظلمهم ولم يُصَدِّقهم في كذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد عليّ الحوضَ».**

رواه أحمد (٢٤٣/٤)، والترمذي آخر الصلاة (٥٤٧) بتهذيبي، وفي الفتن (٢٠٨٧)، والنسائي في البيعة (١٤٣/٧)، وابن حبان (١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣) بالموارد، وحسّنه الترمذي وصححه. وللحديث شواهد عن جابر وخباب والنعمان بن بشير وأبي سعيد وابن عمر وهي مخرجة في تهذيبي للجامع رقم (٥٤٧).

هذا الحديث الشريف من أخطر ما جاء في ذمّ موالاة الظلمة والدخول عليهم والركون إليهم ومعاونتهم ومساعدتهم على ظلمهم وتصديقهم في كذبهم ولو بالسكوت، وحسب مواليهم أن يكون رسول الله صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم بريئاً منه وأنه سيحرم الشرب من حوضه، وفي مقابلة هذا الوعيد بشارة لمن يجانبهم ولا يدخل عليهم بكونه مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأنه سيحظى بالشرب من حوضه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، والآية الكريمة نصّت على أن الركون إلى الظلمة كفاراً كانوا أم مسلمين يوجب النار، عياذاً بالله تعالى من ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [١١٤]:

{٤٩٧} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني عالجتُ امرأة في أقصى المدينة وأني أصبتُ منها ما دون أن أمَسَّها، فأنا هذا فاقضِ فيّ ما شِئْتَ، فقال له عُمر: لقد سَتَرِكَ الله لو سترتَ نَفْسك، قال: فلم يرد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم شيئاً، فقام الرجل فانطلق فاتبعه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ الآية، فقال رجل من القوم: يا نبيّ الله هذا له خاصة؟ فقال: **«بل للناس كافّة»**.

وفي رواية: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلةً، فأتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكر ذلك، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية.

قال الرجل: أَلِي هذه؟ قال: **«لمن عَمِل بها من أُمّتي»**.

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير (٤٢٦/٩، ٤٢٧)، ومسلم في التوبة (٧٩/١٧، ٨٠، ٨١)، والترمذي (٢٩١١)، والنسائي (٣٦٦/٦) كلاهما في التفسير، وابن ماجه في الصلاة (١٣٩٨)، وفي الزهد (٤٢٥٤).

{٤٩٨} ـ وعن أبي اليَسَر رضي الله تعالى عنه قال: أتتني امرأة تبتاعُ تمراً، فقلت: إن في البيت تمراً أطيبَ منه، فدخلَتْ معي في البيت، فأهْوَيْتُ إليها فقبَّلْتُها، فأتيت أبا بكر فذكرتُ ذلك له فقال: ٱسْتُر على نفسك

وتُبْ ولا تُخْبِر أحداً، فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك، فقال: اسْتر على نفسك وتُب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر، فأتيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له، فقال لي: «**أخَلَفْتَ غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا**»؟ حتى تَمَنَّى أنه لم يكن أسلمَ إلا تلك الساعةَ حتى ظَنّ أنه من أهل النار، قال: وأطرقَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى أُوحِيَ إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، قال أبو اليسر: فأتيتُه فقرأها عليّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال أصحابه: يا رسول الله ألهذا خاصّة أم للناس عامّة؟ قال: «**بل للناس عامّة**».

رواه الترمذي (٢٩١٣)، والنسائي (٣٦٦/٦)، وابن جرير (١٣٢/١١)، وحسنه الترمذي وصححه.

قوله: عالجت أي: تناولتها واستمتعت بها بالمعانقة والقبلة إلا الجماع، والظاهر أن هذه القصة كانت واحدة وقعت لرجل واحد، هو أبو اليسر بن عَمْرو الأنصاري، تصرف الرواة الناقلون في ألفاظها.

وفي الحديثين أنه ينبغي للمؤمن إذا أتى ذنباً في خفاء أن يستر على نفسه ويتوب إلى الله تعالى منه ولا يذكره لأحد، وفي الآية والحديثين بيان فضل الله ورحمته الواسعة وأنه تعالى يكفّر السيئات بالحسنات، وأهم الحسنات وأعلاها المحافظة على الصلوات الخمس.. وفي الحديثين إشارة إلى أنه لا تنبغي الخلوة بالأجنبية كما وردت بذلك أحاديث، وقد جاءت الشريعة بالاحتياطات في هذا الميدان لأن الجنسين جُبِلا على تبادل الفتنة بينهما في هذا المجال، فيجب التباعد فيما بينهما ما أمكن.

وفي حديث أبي اليسر دليل على جواز شراء المرأة من الرجل ما تحتاجه من طعام وغيره إذا كان ذلك مع حشمة وعفاف وفي غير خلوة، والله الموفق الهادي لا ربّ سواه.

انتهت سورة هود والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة يوسف

هذه السورة الكريمة تناولت قصة نبيّ الله يوسف عليه السلام بإسهاب وما ناله من بلايا ومحن وما تعرّض له من نكبات وشدائد، وجاءت هذه القصة الرائقة تعزية للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وطمأنة لقلبه وتسليةً له، وآيات السورة إحدى عشرة ومائة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [٦]:

{٤٩٩} ـ عن عبدالله بن عَمرو رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يُوسُفُ بنُ يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم».**

رواه أحمد (٢/٩٦)، والبخاري في التفسير (٩/٤٣٢).

في الحديث بيان للآية وفضيلة خاصة لنبيّ الله يوسف عليه السلام وأنه الكريم ابن الكرماء، وأن الله عزّ وجلّ اجتباه وخصّه بتعبير الرؤيا وأتمّ عليه النعمة بالنبوّة كما أتمّها على آبائه يعقوب وإسحٰق وإبراهيم، وجعل في ذرّيتهم النبوءة والكتاب على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام.

قــولــه تــعــالــى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [٧]:

{٥٠٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: أي الناس أكرم؟ قال: «**أكرمُهم عند الله أتقاهم**»، قالوا: لسنا عن هذا نسألك، قال: «**فأكرم الناس يوسفُ نبيُّ الله ابن نبيِّ الله ابن نبيِّ الله ابن خليل الله**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني**»؟ قالوا: نعم، قال: «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقُهُوا**».

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٧/١٩٨، ٢٢٥، ٢٢٨)، وفي التفسير (٩/٤٣٢) وغيرهما، ومسلم في الفضائل (١٥/١٣٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٦٧) وغيرهم، وقد تقدم في العلم بالاقتصار على آخره رقم (٣).

أصل الكرم كثرة الخير، وقد تضمّن الحديث الشريف في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه مجمله ومبيّنه إنما هو الدين والتقوى والنبوّة والإسلام والفقه في الدين.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ إلخ [٥٠]:

{٥٠١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعِيَ ونحن أحقُّ بالشك من إبراهيم إذ قال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾**».

رواه أحمد (٢/٣٢٦)، والبخاري في الأنبياء، وفي بدء الخلق وفي

التفسير (٩/٢٦٨، ٤٣٧)، ومسلم في الفضائل (١٥/١٢٣)، وانظر ما سبق في البقرة.

{٥٠٢} ـ وعنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم، قال: ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت»**، ثم قرأ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، قال: «**ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد، فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ذروة من قومه**»، وفي رواية: «**إلا في ثروة**».

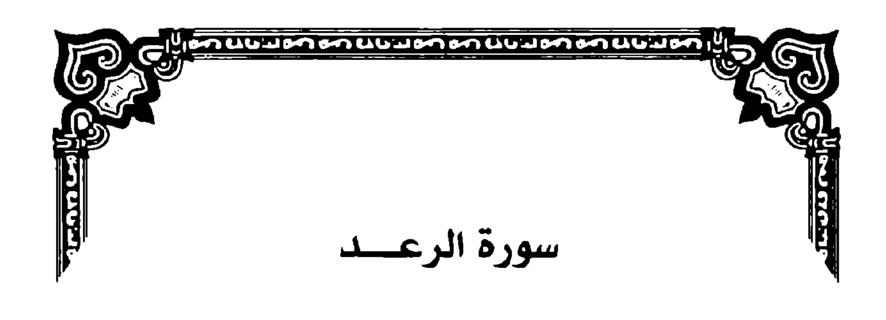
رواه أحمد (٢/٢٣٢، ٣٤٦، ٣٨٩)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي (٦/٣٦٩) كلاهما في التفسير، والحاكم (٢/٣٤٦، ٥٦١، ٥٧٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو في الصحيحين مفرقاً.

الذِّروة ـ بكسر الذال وضمّها ـ: أعلى الشيء، والثروة: الغنى والسّعة.

وقوله: ولو لبثت في السجن إلخ، هذا من تواضعه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وإلا فهو قد حوصر في الشعب سنوات مع قومه الموالين له حتى كادوا يموتون جوعاً وهو صابر ثابت مستسلم لله عزّ وجلّ، وذلك قد يكون أعظم من سجن يوسف عليه السلام. وباقي أبحاث الحديث تقدّمت.

وبهذا تمّت سورة يوسف والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.





سورة الرعـــد

السورة الكريمة ثلاث وأربعون آية.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [٨]:

{٥٠٣} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلاّ الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلاّ الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلاّ الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلاّ الله عزّ وجلّ»**.

رواه أحمد (٢/٢٤، ٥٢، ٨٥)، والبخاري في التفسير، ويأتي في سورة لقمان، وهناك شرحه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [١١]:

{٥٠٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألُهم ربُّهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»**.

رواه أحمد (٤٨٦/٢)، والبخاري في المواقيت (١٧٣/٢، ١٧٦)، ومسلم في المساجد (١٣٣/٥) وغيرهما.

التعاقب أن يأتي البعض عقب بعض، ويتناوبون كالحرس في الدوائر الحكومية، وهؤلاء الملائكة هم الحفظة لنا من الطوارىء والأحداث، فإذا جاء قدر الله وإنفاذ قضائه تخلوا عنا، وفي هذا كرامة وشرف لنا والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [١٣]:

{٥٠٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: **«ملك من الملائكة مُوكَّلٌ بالسحاب معه مخارِيقُ من نار يَسُوق بها السحاب حيث شاء الله»**، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: **«زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره»**، قالوا: صدقتَ.

رواه أحمد (٢٧٣/١، ٢٧٤، ٢٧٨)، والترمذي (٢٩١٥)، والنسائي في الكبرى (٣٣٦/٦) كلاهما في التفسير وحسّنه الترمذي وصححه.

الحديث صريح بأن الرعد المذكور في القرآن هو اسم ملك خاص موكّل بالسحاب، وأن ما نسمعه من الصواعق هو أثر زجره السحاب بمخاريق له عليه السلام، وقد جهل هذا علماء الطبيعة والجغرافية والفلك المعاصرون فليصدقوا رسول الإسلام صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما أخبر به عن ذلك ويتركوا آراء الكفار العفنة.

وبه تمّت سورة الرعد والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة إبراهيم

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه. آيات السورة الكريمة ثنتان وخمسون، وأهدافها لا تخرج عن أهداف سائر السور المكية.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [٤]:

{٥٠٦} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لم يَبعثْ الله نبياً إلا بِلُغةِ قومِهِ»**.

رواه أحمد (١٥٨/٥) بسند صحيح ولا يضرّ انقطاعه، فالواقع يصدقه مع القرآن.

الآية والحديث نصّان في أن الرسل كانت تبعث بلغات قومها، لأن المقصود من الرسالة هو تبليغ دين الله تعالى وشرعه للعباد ولا يستقيم ذلك إلا بما يفهمون... فمن الخطأ الفاحش والجمود والسخف ما يشترطه بعض الفقهاء في خطبة الجمعة بأن تكون باللغة العربية، فهذا جمود وظاهرية باردة.

قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [٥]:

{٥٠٧} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله

تعالى عليه وآله وسلم قال: **«قام موسى يوماً في قومه فذكّرهم بأيام الله، وأيام الله نَعْمَاؤُه»**.

رواه النسائي في الكبرى (٣٧١/٦) بسند صحيح.

في الآية والحديث مشروعية تذكير الناس بنِعَم الله وآلائه، فإن في ذلك حملاً لهم على المزيد من محبّته وشكره وطاعته.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [٢٤ ـ ٢٥]:

{٥٠٨} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن من الشجر شجرةً لا يَسقطُ ورقُها، وأنها مثلُ المؤمن فحدِّثوني ما هي»**؟ قال عبدالله: فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييتُ، فقالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: **«هي النخلة»**.

رواه البخاري في العلم وفي التفسير (٤٤٩/٩)، ومسلم في صفة القيامة (١٥٣/١٧)، والنسائي في الكبرى (٣٧١/٦)، والترمذي في الأمثال (٢٦٧٧) بتهذيبي.

{٥٠٩} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أُتِي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بقِنَاعٍ من بُسْرٍ، فقرأ: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، قال: **«هي النخلة»**، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾، قال: **«هي الحنظلة»**.

رواه الترمذي (٢٩١٧)، والنسائي في الكبرى (٣٧١/٦)، وأبو يعلى وابن حبان (١٧٤٨)، والحاكم (٣٥٢/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قوله: بقناع أي: طبق، والبسر: نوع من التمر، والحديثان يدلاّن على

أن المؤمن في ثبات قلبه وعمله الصالح وبركته في كل وقت مثل النخلة التي هي راسخة في الأرض وأغصانها ممتدة نحو السماء وتعطي ثمرها كل وقت بتكوين الخالق، والكلمة الطيّبة هي لا إله إلاّ الله. أما الكلمة الخبيثة فهي كلمة الإشراك التي لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة كشجرة الحنظل الخبيث التي استؤصلت من جذورها وليس لها ثبات في الأرض ولا استقرار.

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [٢٧]:

{٥١٠} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«المسلم إذا سُئِل في القبر يشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾** الآية.

وفي رواية: نزلت في عذاب القبر يقال له: **«من ربّك؟ فيقول: ربّي الله ونبيّي محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»** الآية. وفي رواية: **«إذا قيل له: من ربك وما دينك ومَن نبيك»؟**

رواه البخاري في الجنائز (٣٧٥/٣)، وفي التفسير (٤٥٠/٩)، ومسلم في الجنة (٢٠٤/١٧، ٢٠٥)، والترمذي في التفسير (٢٩١٨)، والنسائي في الكبرى (٣٧٢/٦)، وفي المجتبى، وابن ماجه (٤٢٦٩).

{٥١١} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ﴾ إلخ، قال: المخاطبة في القبر: من ربّك وما دينك ومن نبيّك؟ وفي الآخرة مثل ذلك.

رواه النسائي في الكبرى (٣٧٢/٦)، والطبراني في الكبير (٤٣٧/١١) بسند صحيح.

الحديثان مفسّران للآية الكريمة، فالمؤمن إذا دفن أجلس في قبره،

فيقال له: مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيثبته الله فيجيب: ربّي الله، وديني الإسلام، ونبيّي محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فيقال له: صدقت على هذا عشت وعليه متّ وعليه تُبعث.

وجمهور المفسّرين ومنهم شيخهم ابن جرير على أن التثبيت في الدنيا يكون على كلمة التوحيد لا إله إلاّ الله، فلا يزيغون ولا يفتنون في دينهم وعقيدتهم، وفي الآخرة عند سؤال الملكين في القبر، والله تعالى أعلم.

▩ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨]:

{٥١٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إلخ، قال: هم أهل مكّة، وفي رواية: هم والله كفار قريش، ومحمد نعمة الله، ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾، قال: النار يوم بدر.

رواه البخاري في التفسير (٩/٤٥٠) وفي المغازي، والنسائي في الكبرى (٦/٣٧٢)، وابن جرير وابن أبي حاتم ونحوه عن الإمام عليّ عليه السلام عند النسائي (٦/٣٧٢) بسند صحيح.

قال المفسّرون: إن كفار مكة أسكنهم الله حرمه الآمن، وجعل عيشهم في السّعة، وبعث فيهم أشرف الرسل صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ولم يشكروها، بل بدّلوها كفراً وتكذيباً فأنزلوا قومهم دار الهلاك وهي البوار بسبب طغيانهم وكفرهم، وجعل قرارهم جهنّم يصلونها وبئست مستقراً.

▩ قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [٣٦]:

{٥١٣} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم تلا قوله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ

ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ الآية، وقال في عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، فرفع يديه وقال: «**اللّهمّ أمّتي أُمّتي**» وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وربك أعلم فاسأله ما يُبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله عزّ وجلّ: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: «**إنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوءك**».

رواه مسلم في الإيمان (٣/٧٧، ٧٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٧٣) وغيرهما، وانظر ما سبق آخر سورة المائدة (ص ٣٥٦).

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [٤٥]:

{٥١٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما مرّ بالحِجْر قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفُسَهم إلا أن تَكُونُوا باكين أن يُصِيبَكُم مثلُ ما أصابَهم وتقَنَّع بردائه وهو على الرحل**».

رواه أحمد (٢/٦٦، ٩٦، ٥٨، ٧٢)، والبخاري في أحاديث الأنبياء (٧/١٩٠)، وفي المغازي (٩/١٨٩)، ومسلم في الزهد (١٨/١١١)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٧٣).

الحِجر ـ بكسر الحاء وسكون الجيم ـ ديار قوم ثمود، وكان مروره صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك على ديارهم، وقوله: أن يصيبكم إلخ، أي: خشية أو كراهية أن يصيبكم ما أصابهم.

والحديث يدلّ على أن المسلم يجب عليه أن لا يمكث في ديار المغضوب عليهم، بل يسرع في المشي إذا مرّ بها، ولذلك جاءت الآية مخوّفة للكفار الذين سكنوا مساكن الظالمين بعد أن أهلكهم الله ولم يعتبروا بذلك.

وأخذ العلماء من الآية والحديث منع الإقامة في ديار الملعونين

والمغضوب عليهم، بل وحرّموا الدخول إليها إلا لضرورة ملجئة، ومثلوا لذلك بديار الظلمة فضلاً عن ديار الكفرة، وكذا مواضع المعاصي ومحاربة دين الله والمحاكم التي تُحَكِّمُ غير دين الله، ومنها المدارس التي يكفر فيها بالله ودور الشباب والأندية السياسية والاجتماعية المختلطة المصبوغة بالميوعة والإباحية، وقاعات الأفلام السافلة العفنة الفاضحة وأمثال ذلك مما فيه مجاهرة بالمعاصي علناً وجماعياً، ومن مرّ ببعض ذلك أو دخلها فليكن باكياً أو متباكياً.

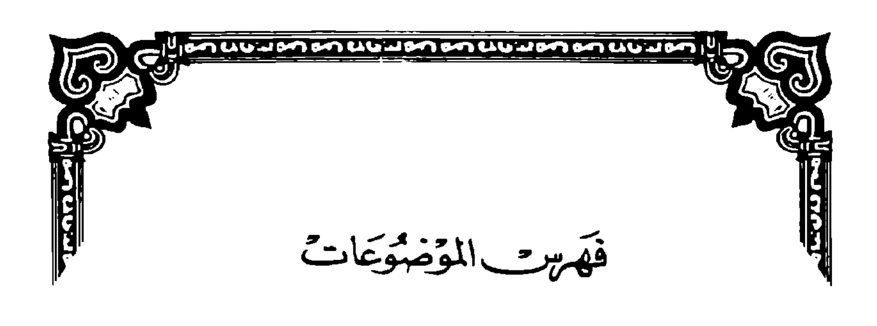
قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [٤٨]:

{٥١٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ إلخ، قالت: قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: **«على الصّراط»**، وفي رواية: **«على متن جهنم»**.

رواه أحمد (٦/١٣٤)، ومسلم في كتاب الجنّة (١٧/١٣٤)، والترمذي في التفسير (٢٩١٩)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٧٩).

الآية صريحة في أن الله عزّ وجلّ سيبدل هذه الأجرام كلها بأرضها وسمائها، والحديث يدلّ على أن ذلك سيكون بعد البعث، وأن الخلائق سيكونون على الصراط ومتن جهنّم، وجاء في حديث لثوبان مولى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أنهم سيكونون في الظلمة دون الجسر»** وهو في صحيح مسلم أيضاً في كتاب الطهارة مطولاً (٣/٢٢٦، ٢٢٨)، وهذا من عالم الغيب فلا تدرى كيفيته فنكل أمره إلى الله تعالى، وبهذا تمّت سورة إبراهيم والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



بداية الوصول بلب صحيح الأمهات والأصول

جمع

عبد الله عبد القادر التليدي

عفا الله تعالى عنه

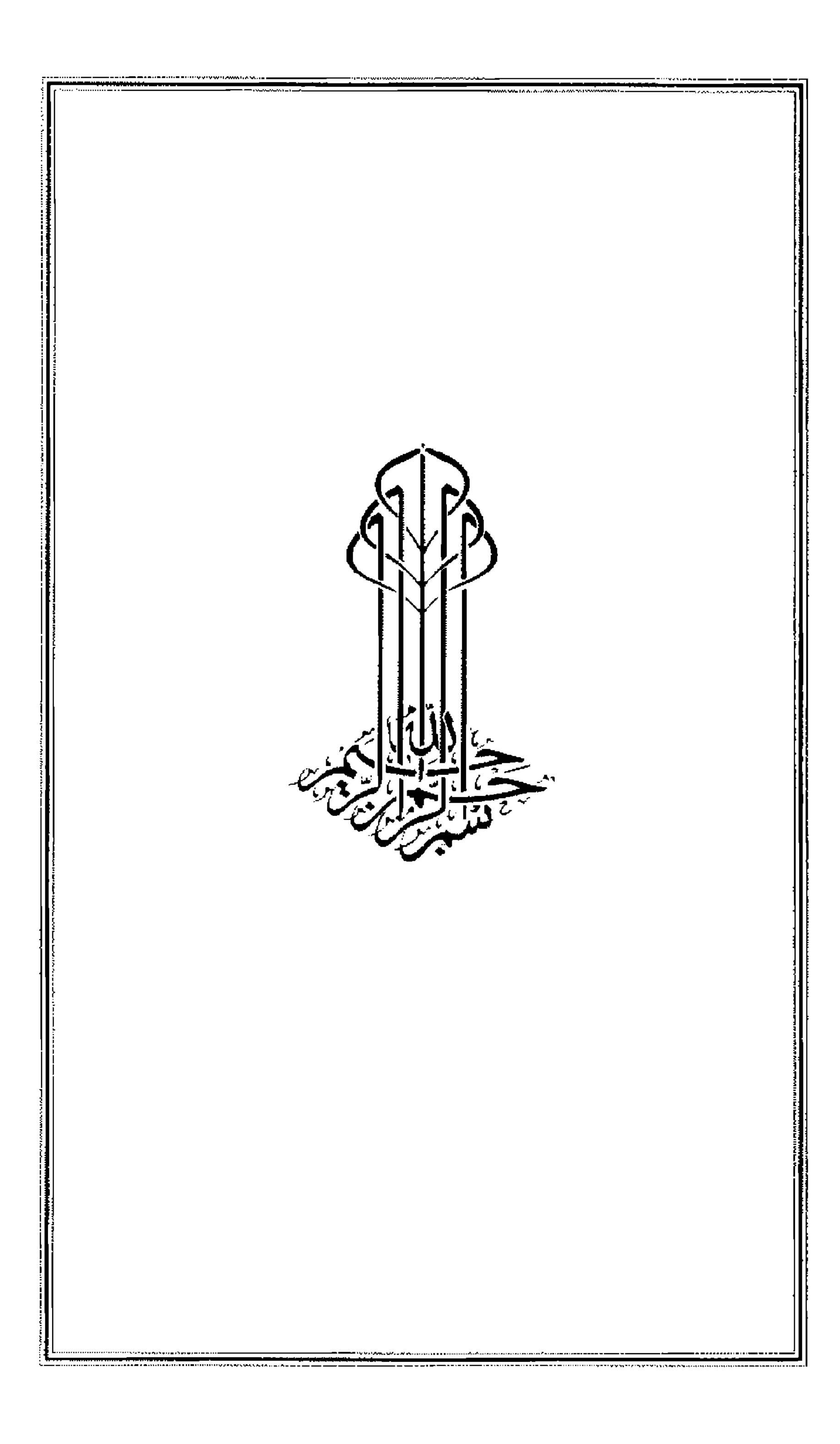
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

المجلد الرابع

قسم التفسير

سورة الحجر - سورة الفلق

دار ابن حزم

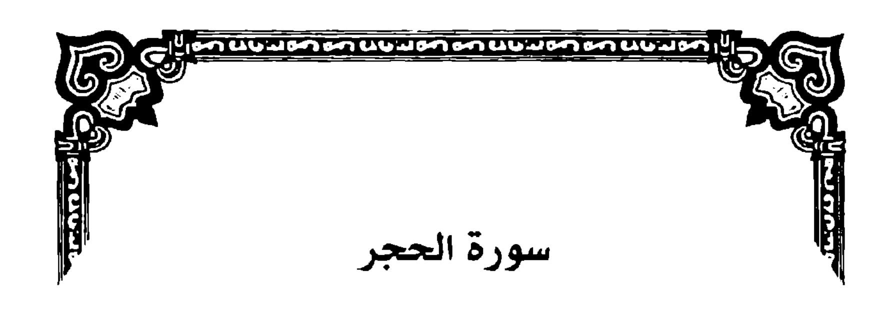

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

ISBN 9953-81-269-1



دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



سورة الحجر

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه. آيات السورة تسع وتسعون.

قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [٢]:

{٥١٦} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال ـ وقد ذكر الخوارج ـ، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن ناساً من أُمّتي يُعذّبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يُعَيِّرُهم أهلُ الشرك فيقولون لهم: ما نرى ما كنتم تُخالِفُونَنا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم لما يَريد الله تعالى أن يُري أهل الشرك من الحسرة، فما يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى**»، ثم تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٧٣)، والطبراني في الأوسط (٥١٤٢) بسند حسن وهو صحيح لشواهده عن أبي موسى عند ابن أبي عاصم في السنة (٨٤٣)، وابن جرير (١٤/٢)، والحاكم (٢/٢٤٢) وصححه بموافقة الذهبي، وعن أنس رواه ابن جرير (١٤/٣)، وابن أبي عاصم (٨٤٤)، وعن ابن عباس رواه ابن جرير (١٤/٣، ٥)، والحاكم وصححه...

والحديث بشواهده مبين للآية الكريمة متى يتمنى الكفار لو كانوا

مسلمين، وأن ذلك سيكون بعد خروج عصاة المسلمين من النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [١٦ ـ ١٨]:

{٥١٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم جالساً في نَفَرٍ من أصحابه فرُمِي بنجم فاستنار، فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما كنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا في الجاهلية**»؟ قالوا: كنّا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم... الحديث، ويأتي في سورة سبأ إن شاء الله تعالى.

رواه أحمد (٢١٨/١)، ومسلم في السلام باب تحريم الكهانة (٢٢٥/١٤، ٢٢٦).

لقد خلق الله عزّ وجلّ بقدرته في هذه السماء الدنيا بروجاً ومنازل تسير فيها الأفلاك والكواكب السيّارة وزيَّنها بنجوم ليسرّ الناظر إليها، وتولّى سبحانه حفظها من كل متمرّد لعين من الشياطين إلا من اختلس شيئاً من أخبار السماء التي تتكلّم بها الملائكة الكرام، فيضرب بشهاب ثاقب من النار فيحرقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [٢٤]:

{٥١٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت امرأةٌ تُصلّي خلفَ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حسناءَ من أجمَلِ الناس، فكان ناس يصلّون في آخر صفوف الرجل فينظرون إليها، فكانَ أحدهم ينظر إليها من تحتِ إبطه إذا ركع، وكان أحدُهم يتقدم إلى الصف الأول حتى لا يراها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ الآية.

رواه أحمد (٣٠٥/١)، والترمذي (٢٩٢٠)، والنسائي في الكبرى (٣٧٤/٦) وفي المجتبى، وابن ماجه (١٠٤٦)، وابن خزيمة (١٦٩٦)، وابن حبان (١٧٤٩) بالموارد، والحاكم (٣٥٣/٢)، والبيهقي في الكبرى (٩٨/٣) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً جمع من المحدثين، هذا هو سبب نزول الآية الكريمة، ومع ذلك فلا تقصر على ما نزلت فيه بل تحمل على عمومها، ولذلك قال ابن جرير (٢٦/١٤)، وتبعه الألوسي وغيره: وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما كانوا يعملون ومن هو حيّ منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس. . . قال: فيكون ذلك تهديداً ووعيداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء، ولكل من تعدّى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعد لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء وسارع إلى محبّة الله ورضوانه في أفعاله كلّها.

قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [٧٢]:

{٥١٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نَفْساً أكرَم عليه من محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

رواه ابن جرير (٤٤/١٤) من طريقين أحدهما سنده صحيح، ورواه أبو يعلى (٢٧٥٤)، وأبو نعيم (١٣/١٢)، والبيهقي كلاهما في الدلائل وجوّده الهيثمي في المجمع (٤٦/٧).

نقل القاضي عياض اتفاق المفسرين على أن هذا قسم بمدة حياة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكذا نقل على ذلك الإجماع كل من القاضي ابن العربي والقرطبي. . . ومعنى الآية: وبقائك يا محمد أو وعيشك وحياتك إن قومك من قريش لفي شركهم وجهلهم يعمهون أي: يتردّدون تحيّراً. والعَمَه ـ بفتحتين ـ للقلب مثل العمى للبصر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [٧٥]:

{٥٢٠} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اتّقوا فِراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

رواه البخاري في التاريخ (٣٥٤/٧)، والترمذي (٢٩٢٤) بتهذيبي، وابن جرير (٤٦/١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٨١/١٠، ٢٨٢)، والخطيب في التاريخ (٩١/٣) وج(٢٤٢/٧) وغيرهم، وهو وإن كان فيه عطية العوفي وقد ضعّفوه، فإن الترمذي حسن له عدّة أحاديث، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه فمثله لا يترك، وللحديث شاهد مثله أو أمثل منه رواه أبو نعيم (١١٨/٦)، والخطيب (٩٩/٥)، وابن عبدالبرّ في العلم (١٩٦/١) من حديث أبي أُمامة وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث مختلف فيه، فالحديث لذلك حسن، وقد حسّنه الهيثمي في المجمع (٢٦٨/١٠)، والسيوطي في اللآلئ، وقال في موضع آخر: حسن صحيح.

قوله: فراسة هي بكسر الفاء وهي نوعان: الأول: ما يُوقعُه الله عزّ وجلّ في قلوب بعض أوليائه المتقين من العلوم والمعارف وبعض الغيوب، والثاني: ما يُعْرفُ بالخَلْق والأخْلاق والتجربة، والمراد به هنا الأول لقوله: «فإنه ينظر بنور الله تعالى»، والمتوسّمون: هم الذين يتوسّمون في الناس ويتأمّلون بعين البصر والبصيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [٨٧]:

{٥٢١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**الحمد لله أم القرآن، وأمّ الكتاب، والسبع المثاني**».

رواه البخاري (٤٥٣/٩)، والترمذي (٢٩٢٢) كلاهما في التفسير، وأبو داود وغيرهم.

{٥٢٢} ـ وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ما أنزل الله في التورة ولا الإنجيل مثل أمّ القرآن وهي السبع المثاني، وهي مقسومةٌ بيني وبين عبدي ولِعَبْدي ما سأل»**.

رواه الترمذي (٢٩٢٣)، وابن حبان(١٧١٤)، والحاكم (٢/٢٥٨) وسنده صحيح على شرط مسلم، ولذا صححه الحاكم كذلك ووافقه الذهبي، وتقدم حديث أبي سعيد بن المُعَلّى في الأنفال بنحو هذا. والحديثان يدلآن على أن المراد بالسبع المثاني في الآية هي سورة الفاتحة، وسمّيت بذلك لأنها تتكرّر وتثنى في الصلاة.

وقد جاء عن ابن عباس أن السبع المثاني هن السبع الطوال من البقرة إلى الأنفال، رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٧٥)، والحاكم (٢/٣٥٥) بسند صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وانظر كلاماً لابن كثير هٰهنا في تفسيره للآية.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [٨٩]:

{٥٢٣} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنما مَثَلِي ومَثَلُ ما بَعَثَني الله كمثلِ رجُلٍ أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النَذِير العُرْيان فالنَّجاءَ النجاء فأطاعه طائفةٌ من قومه، فأدْلجُوا فانطلقوا على مَهلِهِمْ فنجوا وكذَّبَت طائفةٌ منهم، فأصبحوا مكانهم فصبَّحَهُم الجَيْشُ فأهلكهم واجْتاحهُم، فذلك مثلُ من أطاعني فاتَّبع ما جئت به، ومن عصاني وكذّب ما جئت به من الحقّ»**.

رواه البخاري في الرقاق وفي الاعتصام (١٧/١٦)، ومسلم في الفضائل (١٥/٤٨، ٤٩) وغيرهما.

الحديث قد تقدم بمعناه في الاعتصام أول الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [٩١]:

{٥٢٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ **قال**: هم أهل الكتاب جَزَّؤوهُ أجزاء فآمنوا بِبَعضِهِ وكفروا ببعضه.

رواه البخاري (٩/٤٥٥)، وابن جرير (١٤/٦١، ٦٢، ٦٤) وغيرهما.

على ما قال ابن عباس ذهب جمع من المفسّرين، وقال آخرون: المراد بهؤلاء كفار قريش تقسّمت أقوالهم وجعلوها في القرآن عضين، أي: فرقاً، قالوا فيه: سِحْرٌ، شِعْرٌ، كهانةٌ، أساطير الأوّلين، واختار ابن جرير العموم.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [٩٩]:

{٥٢٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**من خير معاشِ الناس لهم رجلٌ مُمسِك بعِنان فرسه في سبيل الله يَطِيرُ على مَتْنِهِ كلما سمع هَيْعة أو فَزعة طار عليه يَبْتَغِي القتل والموتَ مظانَّه، أو رجل في غُنَيمَة في رأس شَعَفَة من هذه الشّعف أو بَطْن واد من هذه الأودية، يُقيمُ الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبدُ ربّه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلاّ في خير**».

رواه مسلم في الإمارة في باب فضل الجهاد والرباط (١٣/٣٤، ٣٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٧٥)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٧).

عنان ـ بكسر العين ـ اللّجام، وقوله: على متنه، أي: ظهره، وقوله: هيعة أي: صوت العدو، وقوله: شعفة ـ بفتحات ـ: رأس الجبل، وفي رواية: شعب ـ بكسر الشين وسكون العين وآخره باء ـ بطن الوادي. والحديث يفسّر اليقين في الآية بأنه الموت لأنه متيقّن مجيئه، ومنه قوله: «حتى أتانا اليقين»، وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عند موت عثمان بن مظعون: «**أما هو فقد جاءه اليقين**»، وبه فسّر الآية مجاهد وقتادة وسالم بن أبي الجعد.. فقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ

ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ أي: دم على عبادة ربّك حتى يأتيك الموت المتيقّن. وفي الحديث فضل الجهاد في سبيل الله بقصد الاستشهاد كما فيه فضل اعتزال الناس في الجبال ونحوها من الأماكن الخالية للتفرّغ للعبادة، وفراراً من الفتن والشرور التي يعيش فيها الناس... من غير أن يكون مؤذياً لأحدٍ حتى يأتيه الموتُ. وبهذا تمّت سورة الحجر والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة النحل

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه. السورة الكريمة من أهم السور المكية التي تحدّثت عن دلائل التوحيد في السمٰوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال والسهول والسحاب والمطر والنبات والفلك الماخرة في المحيطات والأنعام والحيوانات وما إلى ذلك مما ذكر فيها، وآياتها ثمان وعشرون ومائة.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾ [٣٠]:

{٥٢٦} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله لا يَظْلِمُ مُؤمناً حسنَةً، يُعْطَى بها في الدنيا ويُجْزَى بها في الآخرة. وأما الكافر، فيُطْعَمُ بحسنات ما عَمِل بها لله في الدنيا حتى إذا أفْضَى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها**»، وفي رواية: «**إن الكافر إذا عَمِل حسنةً أُطْعِمَ بها طُعْمَةً من الدنيا. وأما المؤمن، فإن الله يَدَّخِرُ له حسناتِه في الآخرة ويُعْقِبُه رزقاً في الدنيا على طاعته**».

رواه أحمد (١٢٣/٣، ١٢٥، ٢٨٣)، ومسلم في صفة القيامة (١٤٩/١٧، ١٥٠).

في الحديث وعد من الله عزّ وجلّ للمؤمن كالآية بأنه تعالى يجازيه

على حسناته في الدنيا والآخرة، فيعيش هنا في حياة طيّبة من انشراح وطمأنينة ورَغد العيش، فإذا أفضى للآخرة كان له ما لا عينٌ رأت...

أما الكافر، فيجازى على ما عمل من خير في هذه الحياة، أما الآخرة فلا حظّ له فيها إطلاقاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [٦٨ ـ ٦٩]:

{٥٢٧} ـ عن أبي رَزِين العُقَيلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«مثل المؤمن مثل النَّخلة، لا تأكُلُ إلا طيّباً، ولا تَضَعُ إلا طيباً».**

رواه النسائي في الكبرى (٣٧٦/٦)، وابن حبان (٣٠) بالموارد، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٤، ٢٤٨)، والطبراني في الكبير (٤٥٩، ٤٦٠)، وهو حديث صحيح فله شاهد صحيح عن ابن عمرو رواه أحمد (١٩٩/٢)، والحاكم (٧٥/١، ٧٦) و(٥١٣/٤) وصححه ووافقه الذهبي وعزاه في المجمع (٢٩٥/١٠) لأحمد وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة، وقد وثّقه ابن حبان وله طريق آخر عند البزار، قال في المجمع (٢٢٧/٧): فيه عبدالرحمٰن بن مغراء وثّقه أبو زرعة وجماعة، وضعّفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح.

المؤمن الكامل من شأنه أن يحتاط في كَسْبِه فلا يأكل إلا الحلال الطيّب، ولا يخرجُ من فمه إلا القولُ الحسنُ، فهو كالنحلة تلك الحشرةُ الضعيفة المباركَة التي لا تَرْعى إلا من الأشجار الطيبة، وتَتَنَزَّه عن الأقذار ومواضع النّجاسات والعفونات ولا يخرجُ منها إلا العسلُ والشرابُ الطيبُ الحلوْ النافع الشافي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إن أخي اسْتُطْلِقَ بَطنُه، فقال: **«اسْقِهِ عسلاً»**، فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيتُه عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً، قال: **«اذهب فاسقِهِ عسلاً»**، فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«صدق الله، وكذبَ بطنُ أخيك، اذهب فاسقه عسلاً»**، فذهب فسقاه عسلاً فبرىء.

رواه البخاري (١٢/٢٤٧)، ومسلم (١٤/٢٠٢، ٢٠٣) كلاهما في الطب. ويأتي فيه أيضاً.

الحديث يؤكد الآية الكريمة: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، فالعسل شفاء للأمراض المادية بنصّ القرآن والسنّة النبوية الصحيحة، غير أن الأطباء قالوا: حسب فهمهم وتجربتهم إنه شفاء للأمراض الناشئة عن البرودة؛ لأنه حار والشيء يداوى بضده، قالوا: والله قال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ منكراً، ولو قال: فيه الشفاء معرّفاً لكان شفاء لكل الأمراض. أما الرجل الذي سقي العسل وزاده استطلاقاً، فكان عنده فضلات فلما سقي تحلّلت فأسرعت في الاندفاع، فازداد إسهالاً ثم زاده، فازداد التحليل فلما اندفعت الفضلات الفاسدة التي كانت في أمعائه استمسك بطنه وصَلُح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعلى كلٍّ فالأعمال بالنيّات، فمن شربه معتقداً الشفاء به تصديقاً لعموم كتاب الله شفاه الله بلا ريب، وهو القادر على كل شيء، وبيده الأمر كلّه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [٧٠]:

{٥٢٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يدعو: **«أعوذ بك من البخل والكَسَل وأرْذَلِ العُمُر وعذابِ القَبر وفتنة المحيا والممات»**.

رواه البخاريّ في التفسير (٩/٤٥٩)، وفي الدعوات (١٣/٤٣٠، ٤٣١)، وأبو داود (١٥٤٠) وغيرهما، ونحوه عن سعد بن أبي وقاص

عند البخاري والترمذي والنسائي وفي الباب عن جماعة.

أرذل العمر أي: العمر الأَرْذَل وهو أيام الضعف والخَرَف نعوذ بالله تعالى منه، فالإنسان قد يقطع أشواطاً من حياته، ثم قد يموت طفلاً، أو شاباً، أو كهلاً، أو شيخاً، وقد تطول به الحياة فيعمر حتى يضعف بالمرض ويصبح في عمر رديء، قد ذهب منه كل شيء، فلذا كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يستعيذ بالله من هذا العمر. اللّهمّ إنا نعوذ بك من الهرم والخرف والعمر الأرذل اقتداءً بنبيّك صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ونسألك كما سألك نبيّك عليه الصلاة والسلام **«أن تمتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وأن تجعله الوارث لنا»**.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [٩٠]:

{٥٢٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بفناءِ بيته جالسٌ إذ مَرَّ به عثمان بن مظعون، فكشر إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ألا تَجْلِسُ»**؟ قال: بلى، قال: فجلس رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مُسْتَقْبِلَه بينما هو يحدثه إذ شخصَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضع بصره عن يمينه في الأرض، فأخذ يُنْغِضُ رأسَه كأنه يستفقه ما يقال له: وابنُ مظعون ينظر، فلمَّا قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كما شخص أول مرة، فأتْبَعَه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ببصره حتى تَوَارَى في السماء، فأقبل على عثمان بجلسته الأُولى، فقال له: يا محمد فِيمَا كنتُ أُجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفِعْلِك الغداةَ، قال: **«وما فعلت»**؟ قال: رأيتك شخصت ببصرك إلى السماء، ثم وضعته

حيث وضعته عن يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: **«وفطِنتَ لذلك»**؟ قال عثمان: نعم، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أتاني رسولُ ربّي عليه السلام آنفاً وأنتَ جالسٌ»**، قال رسول الله؟ قال: **«نعم»**، قال: فما قال لك؟ قال: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾» الآية.

رواه أحمد رقم (٢٩٢٢)، والطبراني في الكبير (٨٣٢٢) وسنده حسن وشهر مختلف فيه، والحديث حسّنه ابن كثير في التفسير وجوّده فقال: إسناده جيد متّصل حسن قد بيّن فيه أسماء المتصل.

{٥٣٠} ـ وعن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ شخص بصره فقال: **«أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾»** الآية.

رواه أحمد (٢١٨/٤) وحسنه الهيثمي في المجمع (٤٩/٧)، وقال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

فناء البيت ـ بكسر الفاء ـ ما امتدّ من جوانبه، كَشَرَ إلَيْهِ أي: فتح فاه ضاحكاً حتى بدت أسنانه. شخص بصره أي: جعل ينظر بعينيه لا يَطْرُفُ، يُنْغِضُ ـ بضم الياء وسكون النون ثم غين معجمة مكسورة آخره ضاد ـ أي: يحرّك رأسه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها... والحديث الأول مبين لسبب نزول الآية، وأن ذلك بمكة لأن ابن مظعون مات بالمدينة عقب هجرته إليها، وكون ابن عباس لم يحضر القصة لا يدلّ على انقطاع السند لأن مرسل الصحابي حجّة كما هو معروف عند الجمهور.

والحديث الثاني يدلّ على أن تركيب السور القرآنية ونسق الآيات توقيفي، وأن القرآن الموجود بين المسلمين هكذا أنزل من اللوح المحفوظ، وقد قدمنا هذا أوائل التفسير، وهذه الآية الكريمة هي أجمع آية في القرآن: حلال وحرام وأمر ونهي، كما قال ابن مسعود رواه الطبراني في الكبير (٨٦٦١) بسند حسن.

ففي الآية الكريمة الأمر بمكارم الأخلاق، ومنها العدل بين الناس والإحسان إلى جميع الخلق ومواساة الأقارب بدءاً من الوالدين. . . والنهي عن المنكر وكل ما تناهى قبحه كالشرك والقتل والزنا واللّواط والسحر والربا والظلم والاعتداء على الغير وكل ما تنكره الشريعة والفطرة السليمة.

قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ إلخ [١٠٦]:

{٥٣١} ـ عن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سبّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما وراءك»**؟ قال: شرٌّ يا رسول الله ما تُرِكْتُ حتى نِلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: **«كيف تجد قلبك»**؟ قال: مطمئنٌّ بالإيمان، قال: **«إن عادُوا فَعُدْ»**.

رواه ابن جرير (١٨٢/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٣٠٤/٧)، والحاكم (٣٥٧/٢) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي لكنه مرسل، وله طرق أخرى مرسلة تقوّيه أوردها ابن جرير وغيره، والآية نزلت في عمار بن ياسر باتفاق المفسّرين وأهل السير.

وهي تدلّ على أن من نطق بالكفر أو فعل فعلاً يكفر به عن إكراه مع مخالفة قلبه لما نطق به أو فعله لا حرج عليه فيه ولا إثم، وهذا متّفق عليه بين العلماء لا نَعْلَمُ في ذلك خلافاً بينهم، وإن كان الأفضلُ هو الثبات والصمود والصبر ولو أدّى إلى القتل لمن أطاق ذلك، وقوي على التعذيب، نسأل الله السلامة والعافية، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [١٢٦]:

{٥٣٢} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم

أحد أُصيب من الأنصار أربعةٌ وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستّةٌ منهم حمزةُ فمَثَّلُوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنُرْبِيَنَّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكّة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ الآية.

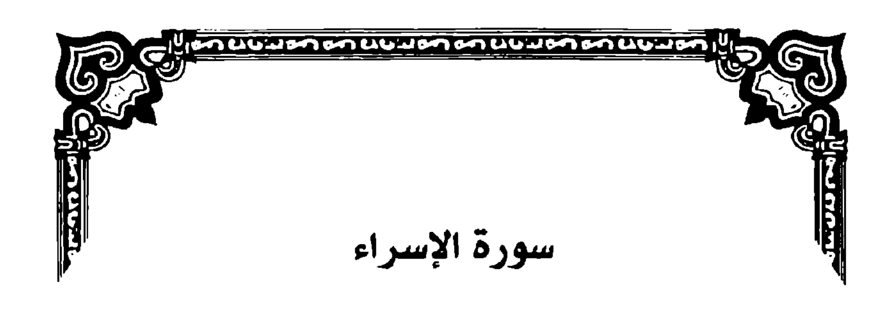
فقال رجل: لا قُريش بعد اليوم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كُفُّوا عن القوم إلا أربعة**».

رواه أحمد (١٣٥/٥)، والترمذي (٢٩٢٧)، والنسائي (٣٧٦/٦) كلاهما في التفسير وحسّنه الترمذي وصححه.

قوله: مثلوا بهم أي: قطعوا أطرافهم وجدعوا آذانهم وأنوفهم وبقروا بطونهم.

والآية الكريمة نزلت تُعَلِّم المسلمين كيف يتعاملون مع من أساء إليهم وأن لهم الحقّ في المقابلة بالمثل، ولكن الأَوْلى والأفضل الصبر والعفو بالنسبة للمسلمين، وبهذا تمّت سورة النحل والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الإسراء

السورة الكريمة إحدى عشرة ومائة آية، وأهدافها الكلام على أصول الدين والآداب والأخلاق، وأهمّ ما ذكر فيها: حادث الإسراء، والمقام المحمود.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [١]:

{٥٣٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أُتِي بالبُراق ليلةَ أُسري به مُلْجَماً مُسْرَجاً، فاسْتَصْعَب عليه، فقال له جبريل عليه السلام: بمحمّد تفعل هذا؟ فما ركبك أحدٌ أكرمَ على الله منه، فارْفضّ عَرَقاً، وفي رواية: فوالله ما ركبك أحد... إلخ.

رواه أحمد (٣/١٦٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٢٩)، وابن حبان (٤٦) بالإحسان، وابن جرير (١٥/٦، ١٥)، والبيهقي في الدلائل (٢/٣٦٢، ٣٦٣) بسند صحيح على شرط الشيخين.

البُراق ـ بضم الباء ـ يأتي تفسيره في الحديث الثالث، وقوله: ملجماً أي: له لجام، وقوله: مسرجاً أي: عليه سرج، قوله: فاستصعب أي: نفر منه وتظاهر بالصعوبة، وقوله: فارفضّ أي: سال عرقه خجلاً، وفي الحديث أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذهب من مكّة إلى بيت المقدس راكباً فوق البُراق طائراً به بصحبة جبريل عليه السلام.

{٥٣٤} ـ وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لما كان ليلةَ أُسْرِي بي انتهيتُ إلى بيتِ المقدِسِ فخَرَقَ جبريل عليه السلام الصَخْرَة بأصبعه وشدَّ بها البُراقَ**».

رواه الترمذي (٢٩٣٠)، وابن حبان (٤٧)، والحاكم (٢/ ٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبي.

في الحديث سلوك طريق الأسباب حيث ربط جبريل البراق بالصخرة مع أنه مسخر من الله لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذه الرحلة ولا يتصوّر منه الفرار.

وهذه الصخرة المذكورة عليها بنيت القبّة المشاهدة اليوم، وقد زرناها والحمد لله مراراً قبل الاحتلال الصهيوني.

{٥٣٥} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أُوتيت بالبُراق وهي دابّة أبيض طويلٌ فوق الحمار ودون البَغْلِ، يضع حَافِرَهُ عند منتهى طَرَفِهِ، قال: فركبتُه حتى أتيتُ بيت المقدس فربطتُه بالحَلْقَةِ التي يَرْبِط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصلّيتُ فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لَبَن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل: اخترت الفِطْرة ثم عُرِجَ بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتِح لنا فإذا أنا بآدم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكرياء صلّى الله عليهم وعلى نبينا وسلم، فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فذكر مثل الأول، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلّى الله عليه وعلى نبيّنا وسلم، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة**

فذكر مثله، فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله، فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مُسْنِداً ظَهرَه إلى البيت المعمور، وإذا هو يَدخلُه كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يَعُودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورَقُها كآذان الفِيَلَةِ وإذا ثَمرُها كالقِلاَل، قال: فلما غَشيَها من أمر الله ما غَشِي تَغَيَّرَتْ فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن يَنعتها من حُسْنِها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرضَ عليَّ خمسين صلاة في كلِّ يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى فقال: ما فرض ربّك على أُمّتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أُمّتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم، قال: فرجعت إلى ربّي، فقلت: يا ربِّ خفّف عن أُمّتي، فحطّ عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً، قال: إن أُمّتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجعِ بين ربّي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهنّ خَمْسُ صلوات كلَّ يوم وليلة لكل صلاة عشرٌ، فتلك خمسون صلاةً ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت لَه حسنةً، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هَمّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً، فإن عملها كتبت سيئةً واحدةً، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقلت: قد رجعت إلى ربّي حتى استحييتُ منه».

رواه أحمد (١٤٨/٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٩/٢، ٢٢٥)، ورواه البخاري في التوحيد وغيره من طريق شريك بن أبي نمر لكن روايته هذه مطعون فيها.

أحاديث الإسراء جاءت من طرق كثيرة وسياقات مختلفة عن جمّ غفير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والجمهور والمحقّقون من أهل العلم على أن الإسراء كان مرة واحدة يقظة بجسمه وروحه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

{٥٣٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم قال: «**لما كذَّبَتني قريشٌ قمتُ في الحِجْرِ فَجَلَّى الله لي بيتَ المقدس، فطفِقْتُ أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**».

رواه أحمد (٣٧٧/٣، ٣٧٨)، والبخاري في التفسير (٦/١٠) وفي المناقب، ومسلم في الإيمان (٢٢٧/٢)، والترمذي في التفسير (٢٩٣١) ونحوه عن أبي هريرة عند مسلم.

فجلّى ـ بفتح اللام المشدّدة وتخفّف ـ أي: أظهر، فطفقت أي: جعلت.

وفي هذا آية ومعجزة عظيمة له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث كشف الله له عن بيت المقدس وهو ينظر إليه من مكّة، وما أظهر الله عزّ وجلّ التلفزيون اليوم إلا تأييداً للمعجزات النبوية ولكرامات الأولياء، فإن كل ذلك خلق الله وتصريفه لا إلٰه سواه، والمسجد الحرام هنا المراد به مكّة المكرمة والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، وسمّي أقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام. ويأتي الكلام على هذا الموضوع في سورة النجم وفي السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [١٥]:

{٥٣٧} ـ عن الأسود بن شريح رضي الله تعالى عنه أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**أربعة يوم القيامة يُدْلون بحجّة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحْذِفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربِّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليُطِيعُنَّهُ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً**».

رواه أحمد (٢٤/٤)، وابن حبان (٣٥٦/١٦، ٣٥٧)، والطبراني في

الكبير (٨٤١) بسند صحيح، ورواه أحمد (٢٤/٤)، وابن جرير (٥٤/١٥) عن أبي هريرة بنحوه، وسنده صحيح أيضاً، وفي آخره: قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وورد عن أنس وأبي سعيد ومعاذ بن جبل وغيرهم أوردها ابن كثير في تفسيره، وما ذكرناه هو أصحها.

في الحديث بيان أن الله سيمتحن هؤلاء يوم القيامة، ومنهم من مات في الفترة.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [٢٦]:

{٥٣٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير، وذو أهل وولد وحاضرة، فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**تخرج الزكاة من مالك إن كان، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل، والجار، والمسكين**»، فقال: يا رسول الله أقلِلْ لي، قال: «**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً**»، فقال: حسبي يا رسول الله إذا أدّيت الزكاة إلى رسولك، فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**نعم إذا أدّيتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها وإثمها على من بدلها**».

رواه أحمد (١٣٦/٣)، والطبراني في الأوسط (٨٧٩٧) بسند صحيح، وقال النور (٦٦/٣): رجاله رجال الصحيح.

في الآية مع الحديث أمر من الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بإعطاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل... حقوقهم مما يستحقونه من الصلة والمساعدة والإحسان من غير تبذير، فإن ذلك من عمل الشياطين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{**٥٣٩**} ـ وعن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه أن فتًى شاباً أتى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القومُ عليه فزجرُوه وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «**ادْنُه**»، فدنا منه قريباً فقال: «**اجلس**»، فجلس فقال: «**أفتحبّه لأُمّك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأُمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبّه لعمّتك**»؟ فقال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعمّاتهم**»، قال: «**أفتحبّه لخالتك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبّونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه**»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

رواه أحمد (**٥/٢٥٧**)، والطبراني في الكبير (**٨/١٩٠، ٢١٥**) وسنده صحيح على شرط مسلم، وقال النور في المجمع (**١/١٢٩**): رجاله رجال الصحيح.

الزنا من كبار الفواحش والذنوب العظام، وهو محرم في جميع الشرائع لا يحلّ بحال إلا من أُكره عليه، وقد ضرب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لذلك الفتى مثلاً رائعاً بنساء من خواص الأقارب: الأم، البنت، الأخت، العمّة، الخالة، يتحاشى المؤمن ويغار أن تفعل فاحشة الزنا بإحداهنّ، فكما أنه لا يسمح لأحد أن يقرب هؤلاء الحرم بما يخدش أعراضهنّ، كذلك كل الناس لا يسمحون لأي شخص أن يتعاطى مع محارمه تلك الفاحشة، وكفى بذلك عبرة وذكرى.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [٥٥]:

{٥٤٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**خُفِّفَ على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فكان يقرؤه قبل أن تفرغ**».

رواه أحمد (٣١٤/٢)، والبخاري في الأنبياء (٢٦٥/٧)، وفي التفسير (١١/١٠، ١٢).

المراد بقوله القرآن يعني: قراءة كتابه الزبور، وقيل: التوراة، وفي ذلك معجزة له عليه السلام ظاهرة لأن قراءة الزبور في مثل هذا الوقت شيء خارق للعادة.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [٥٧]:

{٥٤١} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كان نفر من الإنس يعبدون الجنّ فأسلم الجنُّ وثبتَ الإنسُ على عبادتهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ إلخ.

رواه البخاري (١٢/١٠)، ومسلم (١٦٤/١٨) كلاهما في التفسير.

يبتغون: يطلبون، والوسيلة: ما يتقرّب به إلى الله. والحديث بين أن الآية نزلت بسبب قوم من العرب كانوا مشركين يعبدون طائفة من الجنّ، فأسلم الجنّ وبقي الإنس على عبادتهم إياهم ولم يشعروا أن الجنّ أسلموا.

ومعنى الآية الكريمة: أولئك الجنّ هم أنفسهم يطلبون القربة إلى الله ويتوسّلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف يُعبدون من دون الله وهم لا يستطيعون رفع البلاء عن أحد ولا تحويله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا

ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [٥٩]:

{٥٤٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سأل أهل مكّة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، قال الله عزّ وجلّ: «**إن شئت آتيناهم ما سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، وإن شئت تستأني بهم لعلنا ننتج منهم**»، فقال: «**لا، بل أستَأنِي بهم**»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ إلخ.

رواه أحمد (٢٥٨/١)، والنسائي في الكبرى (٣٨٠/٦)، والحاكم (٣٦٢/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٧١/٢) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور (٥٠/٧)، ورجال الروايتين رجال الصحيح.

قوله: نستأني من التأنّي، أي: ننتظر ونتربّص، وقوله: ننتج منهم أي: نخرج من أصلابهم من يؤمن بي. والحديث يدلّ على أنه لو كان الله أجابهم لما اقترحوا ولم يؤمنوا لأهلكهم الله كما أهلك من كان قبلهم، ولكنه استأنى بهم رجاء أن يخرج من أصلابهم من يوحّد الله عزّ وجلّ ويطيعه كما حصل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [٦٠]:

{٥٤٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ إلخ، قال: هي رؤيا عين أُريهَا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة أُسْرِي به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرةُ الزَّقُّوم.

رواه أحمد (١٩١٦)، والبخاري (١٣/١٠)، والترمذي (٢٩٣٢)، والنسائي (٣٨١/٦) كلهم في التفسير.

قوله: رؤيا عين أي: مشاهدة يقظة، وهي ما شاهده في تلك الليلة من الآيات وعجائب الأرض والسماء، وكان ذلك امتحاناً وفتنة لأهل مكّة حيث كذب بذلك قوم وارتد آخرون؛ لأن عقولهم الضيّقة لم تتحمل ذلك، وهكذا شجرة الزقوم جعلت فتنة لهم أيضاً، وهي شجرة خبيثة مُرّة جعلت طعاماً للكفار في جهنّم، وبعدما أنزلت هذه الآية، قال أبو جهل استهزاء بالقرآن: هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا.

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [٧٨]:

{٥٤٤} ـ عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُصلّي الظهر إذا زاغَتْ الشمسُ، ثم تلا: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ إلخ.

رواه ابن جرير (١٥/٢٣٥) بسند صحيح وأصله في الصحيحين بغير ذكر الآية.

الحديث يدلّ على أن دلوك الشمس في الآية هو زوال الشمس عند الظهر، وبهذا قال الجمهور، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وغسق الليل هو سواده وظلامه، وقال جماعة من السلف: إن الدلوك والغسق هما غروب الشمس، والصحيح الأوّل.

قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [٧٨]:

{٥٤٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«فضل صلاة الجَمْع على صلاةِ الواحد خمسٌ وعشرون درجة، وتَجْتَمِعُ ملائكةُ الليل وملائِكة النهار في صلاة الصبح»**، يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾.

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير (١٠/١٤)، والترمذي (٢٩٣٣)، والنسائي (٦/٣٨١)، وابن ماجه (٦٧٠) وغيرهم.

قوله: وقرآن الفجر أي: صلاة الفجر، ومعناه: أقم الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى اشتداد ظلمة الليل، ثم صلِّ صلاة الفجر وهي الصبح، فإن صلاتها مشهودة تشهدها الملائكة الذين يتعاقبون على الإنسان طوال حياته في وقتي العصر والصبح.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [٧٩]:

{٥٤٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، قال: «**هي الشفاعة**».

رواه أحمد (٤٤١/٢، ٤٤٤، ٤٧٨، ٥٢٨)، والترمذي (٢٩٣٥)، وابن جرير (١٤٥/١٥، ١٤٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١٩٨)، والطحاوي في المشكل (٤٤٩/١).

وفي رواية: «هو المقام الذي أشفع لأمّتي فيه»، وحسّنه الترمذي.

{٥٤٧} ـ وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يُبْعَثُ الناسُ يومَ القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ويَكْسُوني ربّي حُلَّةً خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود**».

رواه أحمد (٣٥٦/٣)، وابن حبان (٦٤٤٥) بالإحسان، والحاكم (٣٦٣/٢) بسند صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وكذا رواه ابن أبي حاتم (٢٣٤٢/٧).

{٥٤٨} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثى كل أمّة تتبع نبيّها يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

رواه البخاري (١٤/١٠)، والنسائي (٣٨٨/٦) كلاهما في التفسير، وحكمه الرفع.

قوله: تل ـ بفتح التاء ـ: قطعة من الأرض مرتفعة عما حولها، وقوله: جثى أي: جماعة. وفي هذه الأحاديث بيان للمقام المحمود وأنه شفاعة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم العظمى التي خصّه الله تعالى بها لإراحة الخلائق من هول الموقف، وقد تواترت بها الأحاديث واتّفق عليها كل الطوائف حتى من ينكر غيرها، وانظر حديث جابر في كتاب الأذان فيما يقال بعد الأذان.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [٨٠]:

{٥٤٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكّة ثمّ أمر بالهجرة فنزلت عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية.

رواه أحمد (٢٢٣/١)، والترمذي (٢٩٣٧)، وابن جرير (١٤٨/١٥) وحسّنه الترمذي وصححه وقابوس بن أبي ظبيان حجة عند الترمذي صحح له غير ما حديث، وقال فيه ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وضعّفه غيرهما.

ومدخل صدق هو دخوله المدينة، ومخرج صدق خروجه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من مكّة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [٨١]:

{٥٥٠} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مكّة عام الفتح وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نُصُباً، فجعلَ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَطْعُنُها بمِخْصَرةٍ في يده، وربما قال: بعود ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ **«جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»**.

رواه البخاري في مواضع منها في التفسير (١٠/١٥)، ومسلم في الجهاد (١٢/١٣٢)، والترمذي (٢٩٣٦). والنسائي في الكبرى (٦/٣٨٢) ونحوه عن أبي هريرة مطوّلاً رواه مسلم (١٢/١٣٠)، ويأتي في السير.

نُصُب ـ بضمّتين ـ: جمع أنصاب وهي ما عُبِدت من دون الله من الأصنام والتماثيل، وقوله: يطعنها ـ بضم العين ـ ويأتي بقية الكلام على هذا في السير والجهاد والمغازي.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [٨٥]:

{٥٥١} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في حَرْثٍ بالمدينة وهو يتوكّأ على عَسِيب فمرَّ به نَفَرٌ من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فإنه يُسْمِعُكُمْ ما تكرهون، فقالوا: يا أبا القاسم حدِّثْنا عن الروح، فقام النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ساعة ورفع رأسه إلى السماء، فعرفت أنه يُوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾.

رواه البخاري في العلم وفي التفسير (١٠/١٥، ١٨)، وفي الاعتصام وفي التوحيد، ومسلم آخر الكتاب، والترمذي (٢٩٣٩)، والنسائي في الكبير (٦/٣٨٣).

{٥٥٢} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت قريش ليهود: اعْطُونا شيئاً نسألُ عنه هذا الرجل، فقالوا: سَلُوه عن الروح، فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، قالوا: أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أُوتي التوراة فقد أُوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الآية.

رواه أحمد (١/٢٥٥)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى

(٣٩٢/٦)، والحاكم (٥٣١/٢) وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم والذهبي بموافقته.

العسيب: عود من النخل، وظاهر الحديثين أن الآية نزلت بمكة وبالمدينة، فيكون كل من كفار قريش واليهود سألوه عن الروح، والله أعلم.

والآية نصّ في أن الروح من أمر الله عزّ وجلّ وأنه من الأسرار الغيبية التي لا يعلم حقيقتها إلاّ الله عزّ وجلّ، فالبحث فيها بعد هذا يعدّ بحثاً ضائعاً وفضولاً وتقدماً بين يدي الله عزّ وجلّ. وراجع عجائب القلوب من الإحياء للغزالي، وكتاب الروح لابن القيم، وفتح الباري للحافظ (١٧/١٠).

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [٩٧]:

{٥٥٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا نبيّ الله يُحْشَرُ الكافر على وجهه؟ قال: **«أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدُّنيا قادراً على أن يُمْشِيَه على وجهه يوم القيامة»**، قال قتادة: بلى وعزَّة ربّنا.

رواه البخاري في تفسير سورة الفرقان (١٠٩/١٠)، وفي الرقاق (١٧١/١٤)، ومسلم في صفة جهنم (٢٨٠٩)، والنسائي في الكبرى (٤٢٠/٦)، وابن جرير (١٢/١٨)، وستأتي أحاديث في هذا المعنى في الرقاق وغيره.

في الآية والحديث بيان أن أُمور الآخرة على خلاف عادات الدنيا، وأن ما يكون مستحيلاً عقلاً أو عادة في هذه الدار سيكون عادياً في الآخرة، فالواجب الإيمان بكل ما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مما هو فوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٠٩]:

{٥٥٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا

الأقدمين» الطبعة الثالثة، والشاهد منه هو أنه عليه السلام لو قال إن شاء الله لجاءت كل امرأة بولد فارس، ولذا نهى الله نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن لا يقول لشيء يريد فعله غداً إلا أن يقرنه بالمشيئة الإلٰهيّة.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨]:

{٥٥٧} ـ عن عبدالرحمٰن بن سهل بن حُنَيْفٍ رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في بعض أبياته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية، خرج يلتمسُ فوجد قوماً يذكرون الله تعالى منهم ثائِر الرأس، وحافِ الجِلْد، وذو الثَّوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: «**الحمد لله الذي جعل في أُمّتي من أمَرَني أن أصْبِرَ نفسي معهم**».

رواه ابن جرير (٢٣٥/١٥)، والطبراني، قال النور في المجمع (٢١/٧): ورجاله رجال الصحيح ونحوه عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني وأبي يعلى وغيرهما مطوّلاً، وفي الباب عن خباب بن الأرتّ رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٢٥١٨)، وأبو يعلى مطوّلاً قال البوصيري في الإتحاف رقم (٦٤٧٦): وسنده صحيح.

وفيما ذكر فضل فقراء الصحابة وأنهم بالمكان الأعلى عند الله عزّ وجلّ، وقد تقدم نحو هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [٥٤]:

{٥٥٨} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم طرقَه وفاطمة عليهما السلام فقال: «**ألاَ تُصلُّون**»؟ قلت: يا رسول الله إنما أنفُسُنا بيد الله، فإذا شاء أن يَبْعَثَها بعثها، فانصرف رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو مُدْبِرٌ يضربُ فَخِذَه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

رواه البخاري في التهجد وفي التفسير (١٠/٢٢) وفي الاعتصام وفي التوحيد، ومسلم فيمن نام الليل أجمع من كتاب الصلاة رقم (٧٧٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٨٦) وفي المجتبى وغيرهم.

طرقه أي: أتاه ليلاً، وفي الحديث الحضّ على قيام الليل. وفيه أنه لا ينبغي للإنسان أن ينسب تقصيره إلى الله تعالى، وإن كانت كل الأمور بيده وبإذنه ومشيئته، فإن الأدب يأبى ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ

نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [٦٠ ـ ٨٢]:

{٥٥٩} ـ عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن نَوْفاً البَكالي يزعم أن موسى صاحب الخضِر ليس هو موسى صاحبَ بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوُّ الله حدّثني أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئِل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتَبَ الله عليه إذ لم يَرُدّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتلٍ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ الحوت فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه يُوشَعُ بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رُؤُوسَهما فناما فاضطرب الحوت في المِكْتَل فخرج منه فسقط في البحر، فاتّخذ سبيله في**

البحر سَرَباً، وأمسَكَ الله عزّ وجلّ عن الحوت جَرْيَةَ الماء، فصار عليه مثل الطّاق، فلما استيقظ نسي صاحبُه أن يُخبرَه بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، قال: ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قال: فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً، فقال له موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسجّى ثوباً فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتُك لِتُعَلّمني مما عُلّمْتَ رُشداً، قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ يا موسى إني على علم من الله علّمَنيه لا تعلمُه أنت وأنت على علم من الله علَّمَكَهُ لا أعلمه، فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾، فقال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة فكلّموهم أن يَحملُوهم فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير نولٍ، فلما ركبا في السفينة لم يَفْجأ موسى إلا والخضر قد قلَع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قومٌ حملونا بغير نول عَمَدت إلى سفينتهم فخرَقْتَها لتُغرِق أهلَها، لقد جئت شيئاً إمْراً، قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، قال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾»، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «وكانت الأولى من موسى نسياناً»، قال: «وجاء عصفورٌ فوقع على حَرْف السفينة فنقَر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾، قال: وهذا أشدّ من الأولى، قال: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ

بَلَغتَ مِن لَّدُنِّي عُذرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهلَ قَريَةٍ ٱستَطعَمَآ أَهلَهَا فَأَبَوا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، **قال: مائل، فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يُطْعِمُونا ولم يُضِيفُونا** ﴿لَو شِئتَ لَتَّخَذتَ عَلَيهِ أَجرًا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَينِي وَبَينِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأوِيلِ مَا لَم تَستَطِع عَّلَيهِ صَبرًا ﴿٧٨﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤمِنَينِ﴾».

فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وددنا أن موسى كان صَبَر حتى يَقُصَّ الله علينا من خَبَرِهِمَا**»، قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامَهم ملِكٌ يأخذ كل سَفِينَة صالحةٍ غَصْباً وكان يقرأ: ﴿وَأَمَّا ٱلغُلَٰمُ فَكَانَ﴾ كافراً وكان ﴿أَبَوَاهُ مُؤمِنَينِ﴾.

رواه أحمد (١١٨/٥، ١٢٠، ١٢٢)، والبخاري في العلم (٢٢٨/١، ٢٢٣)، وفي الأنبياء (٢٤٢/٧)، وفي تفسير سورة الكهف (٢٣/١٠، ٣٩) وفي مواضع نحو العشرة، ومسلم في الفضائل (١٣٦/١٥)، وأبو داود في السنة والترمذي (٢٩٤٦)، والنسائي (٣٨٦/٦، ٣٩١) كلاهما في التفسير وغيرهم مطوّلاً ومختصراً.

هذا حديث عظيم جاء مُفَسّراً لهذه الآيات الواردة في قصة هذين النبيّين العظيمين، وقد ذكرته مشروحاً مبيناً فوائده في العبر من عجائب الأقدمين وبيّنت هناك أن الصحيح من قولي العلماء: أن الخضر كان نبياً وأنه لا يزال حياً، فليراجع الكتاب المشار إليه فإن فيه فوائد وعبراً.

{٥٦٠} ـ وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**الغلامُ الذي قَتَلَه الخَضِر طُبِعَ يوم طُبع كافراً**»، وفي رواية: «**ولو عاش لأرْهَقَ أبَوَيهِ طُغياناً وكُفراً**».

رواه أحمد (١٢١/٥)، ومسلم في الفضائل وفي القدر (٢١١/١٦)، وأبو داود في السنة (٤٧٠٥)، والترمذي في التفسير (٢٩٤٧) بتهذيبي.

هذا من تتمة تفسير القصة في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤمِنَينِ﴾ إلخ، وأن هذا الغلام ختم على قلبه في بطن أمه وأنه سبق علم الله وقدره بكفره قبل كونه. وقوله: ولو عاش لأرهق إلخ، أي: لحملهما على الكفر والطغيان.

{٥٦١} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنما سُمّيَ الخضر لأنه جلس على فَرْوَةٍ بَيضاء فاهتَزَّت تحته خَضِراً**».

رواه أحمد (٣١٢/٢)، والبخاري في الأنبياء (٢٤٦/٧)، والترمذي في التفسير (٢٩٤٨).

فروة ـ بفتح الفاء وسكون الراء ـ: هي هنا قطعة يابسة من حشيش، وقوله: فاهتزت أي: تحرّكت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾:

{٥٦٢} ـ عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: انْتَبَه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من نوم مُحْمَرّاً وجهُه وهو يقول: «**لا إلـه إلاّ الله**» ثلاث مرات، «**ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوج مثلُ هذا**»، وعَقَدَ تسعين أو مائة، قلت: يا رسول الله أنهْلَكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثُرَ الخَبَثُ**»، وفي رواية: وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

رواه أحمد (٤٢٨/٦، ٤٢٩)، والبخاري في الأنبياء (١٩٥/٧) وفي علامات النبوّة وفي الفتن، ومسلم (٢/١٨، ٣)، والترمذي (٢٠١٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣) ثلاثتهم في الفتن، والنسائي في الكبرى (٣٩٢/٦).

يأجوج ومأجوج: قبيلتان من ذرية يافث بن نوح عليه السلام كانوا مفسدين بالقتل وقطع الطريق والسلب والنهب. . . فبنى ذو القرنين السد بينهم وبين غيرهم من بني آدم المجاورين لهم، والجمهور على أن هذا السد في غرب شمال آسيا، والقرآن مصرّح بوجودهم وبناء السد دونهم ودون غيرهم، والحديث نصّ في أنهم يعالجونه وسينهدم عند قرب قيام الساعة فيخرجون على الناس ويعيثون في الأرض فساداً حتى يهلكهم الله. وقوله:

نعم إذا كَثر الخبث، هو بفتح الخاء والباء: هو الفسوق والفجور وأولاد الزّنا والهلاك بوجود الخبث يتجلى في واقعنا بأجْلى مظهر.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [٩٩]:

{٥٦٣} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: ما الصور؟ قال: **«قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه»**.

رواه أحمد (٢/٢٦٢، ٢٩٢)، وأبو داود في السنة (٤٧٤٢)، والترمذي في القيامة (٢٢٥١)، وفي تفسير الزمر (٣٠٢٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٩٢)، والدارمي (٢٨٠١)، وابن حبان (٢٥٧٠)، والحاكم (٢/٤٣٦ ج٤/٥٦٠)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي. الحديث مفسّر للصور الوارد في الآية الكريمة وأنه قرن ينفخ فيه الملك المكلّف به.

قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [١٠٥]:

{٥٦٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إنه ليأتي الرجلُ العظيم السَّمِين يوم القيامة لا يَزِنُ عند الله جَناح بَعوضة، وقال اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»**.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٤١)، ومسلم في صفة القيامة (١٧/١٢٩).

إن الكافر وغيره من الأشقياء لا قيمة لهم يوم القيامة ولا وزن، وأن المنعم منهم السمين اللحيم لا يزن مقدار جناح بعوضة.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [١١٠]:

{٥٦٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«إنّ الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنَى الشُّركاءِ عن الشِّرْكِ، فمن عَمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه»**، وفي رواية: **«فأنا منه بريءٌ، وهو للذي أشْرك»**.

رواه أحمد (٢/٣٠١، ٤٣٥)، ومسلم (١١٥/١٨)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وابن أبي حاتم (٢٣٩٥) وغيرهم.

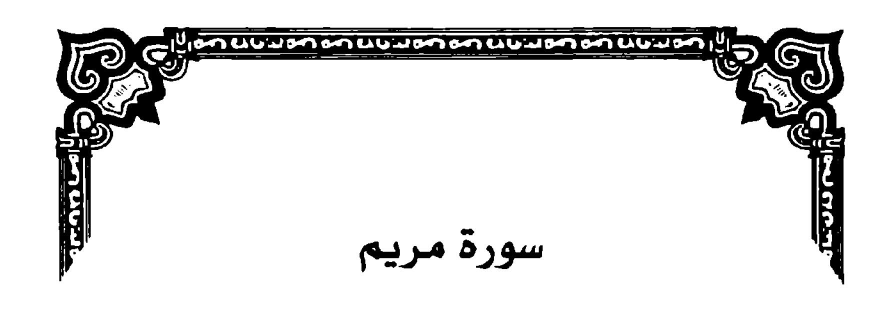
الآية والحديث يدلآن على وجوب إخلاص العمل لله، وأن لا يشرك معه غيره في أي عمل. وسيأتي لهذا مزيد في الأدب.

* * *

خاتمة

{٥٦٦} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبيَّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«مَنْ حَفِظ عَشْر آياتٍ من أوّل سُورة الكهف عُصِمَ من الدجال»**.

رواه مسلم (٩/٩٢) وغيره، وفي رواية: **«من حفظ من خواتيم سورة الكهف»**، رواه أبو داود وغيره، والأول أصح.



سورة مريم

هي من السور المكية وامتازت بذكر قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام بسياقات لم تذكر في غيرها من السور.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [٢٨]:

{٥٦٧} ـ عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: كنت بأرض نَجْرَان فسألوني أرأيتُم شيئاً تقرؤونه: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وبين موسى وعيسى ما قد علمتُم من السنين، قال: فلم أدرِ ما أُجيبُهم به، فلما قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذكرتُ ذلك له فقال: «**ألا أخبرتَهُم أنّهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين**».

رواه أحمد (٢٥٢/٤)، ومسلم في الأدب (١١٦/١٤)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي (٣٩٣/٦) كلاهما في التفسير، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

خاطبوا مريم بيا أخت هارون لأنها كانت لكثرة تعبّدها تُشبَّه برجل صالح في عصرها، وفي الحديث مشروعية التسمّي بأسماء الأنبياء، وقد نقل بعضهم الإجماع على جواز ذلك بالنسبة إلينا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ﴾ [٣٩]:

{٥٦٨} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذا دخل أهلُ النار النارَ، ودخل أهلُ الجنّة الجنّةَ يجاء بالموت كأنه كبشٌ أملحُ فينادِي مناد: يا أهلَ الجنّة تعرفون هذا؟ قال: فيَشْرَئِبُّون وينظُرون وكلٌّ قد رأوه، فيقولون: نعم هذا الموتُ. ثم ينادي مناد: يا أهل النار تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون وكلهم قد رأوه، فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤخذ فيُذْبَحُ ثم ينادي: يا أهل الجنّة خلودٌ ولا موتَ، ويا أهل النار خلودٌ ولا موت**»، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾، قال: أهل الدنيا في غفلة.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٤٣)، ومسلم في الجنّة (١٧/١٨٤، ١٨٥)، والترمذي (٢٩٥٣، ٢٣٧٥)، والنسائي (٦/٢٩٣) كلاهما في التفسير، ونحوه عن أبي هريرة عند أحمد (٢/٢٦١) والشيخين.

الأملح من الأنعام ما فيه بياضٌ وسوادٌ، يَشْرَئِبُّون أي: يُشْرِفون وينظرون.

والحديث يدلّ على أن أهل الجنّة والنار مخلّدون فيهما، وأن لا موت يلحقهم، وهذا إجماع لم يخالف فيه إلا بعض أهل الشذوذ، كما أنه يدلّ على أن يوم الحسرة هو وقت ذبح الموت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [٦٤]:

{٥٦٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام: «**ما يمنعُك أن تَزُورَنا أكثَر مِما تَزُورُنا**»؟ قال: فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

رواه أحمد (٢٣٦٥)، والبخاري في التفسير (١٠/٤٣) وفي بدء الخلق وفي التوحيد، والترمذي (٢٩٥٥)، والنسائي (٦/٣٩٤) كلاهما في التفسير.

الآية تدلّ على أن جبريل عليه السلام كان لا يزور نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا بإذن الله تعالى وأمره.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [٦٤]:

{٥٧٠} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما أحلَّ الله في كِتابِهِ فهو حلالٌ، وما حَرَّم فهو حرامٌ، وما سكتَ عنه فهو عَفْوٌ فاقبَلُوا من الله عافِيَته فإن الله تعالى لم يكن لِيَنْسَى شيئاً**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

رواه البزار (٢٢٣)، والحاكم (٣٧٥/٢) ومن طريقه البيهقي (١٢/١٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع (٢٥٥/٧): رجاله ثقات، وللحديث شواهد أوردها البيهقي وغيره، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢٤٢).

في الحديث ردّ على من يتزمت ويشدّد على العباد بتحريم ما سكت الله تعالى عنه، وجعله من المعفوّات رحمةً بعباده.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [٧١]:

{٥٧١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسَّه النارُ**»، وفي رواية: «**فيلج النار إلا تحلَّة القَسَم**».

رواه أحمد (٢٣٩/٢)، والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه كلّهم في الجنائز، ويأتي في الرقاق.

في الآية والحديث دليل على أنه لا بدّ من ورود النار من كل أحد وهو المرور على الصراط، وفي الحديث بشارة لمن يموت لهم الأطفال بعدم دخولهم النار إن شاء الله تعالى.

{٥٧٢} ـ وعن مرّة الهمداني أنه سُئِل عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فقال: حدّثني عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يرد الناسُ النارَ ثم يَصْدُرُون عنها بأعمالِهم فأولُهم كلَمْحِ البَرْقَ، ثم كالرِّيح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كَشَدِّ الرجل، ثم كَمَشْيِه**».

رواه أحمد (**٤١٢٨، ٤١٤١**)، والترمذي (**٢٩٥٦**)، والحاكم (**٢/٢٧٥**) مرفوعاً وموقوفاً وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي من ثلاثة طرق وكلّها حسنة، ولا يعل الحديث بالوقف فإن الحكم لمن رفع.

قوله: يرد الناس، أي: يمرون على الصراط. وقوله: ثم يصدرون أي: ينصرفون، وقوله: حضر ـ بضم الحاء وسكون الضاد ـ أي: عدو الفرس.

وفي الحديث بيان مراتب الناس في مرورهم على الصراط وأنهم ستّة أصناف، جعلنا الله تعالى من الصنف الأول بمنّه وكرمه آمين، ويأتي لهذا مزيد في الرقاق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [٧٢]:

{**٥٧٣**} ـ عن أمّ مُبَشِّر رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول عند حفصة رضي الله تعالى عنها: «**لا يدخلُ النارَ إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحدٌ من الذين بايعوا تحتها**»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، قالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فقد قال الله تعالى**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾».

رواه أحمد (**٦/٤٢٠**)، ومسلم في الفضائل (**١٦/٥٧، ٥٨**)، والنسائي في الكبرى (**٦/٣٩٥**)، وابن جرير (**١٦/١١٢**) وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند البخاري في المغازي (**٨/٣٢٥**).

قوله تعالى: جثياً أي: جاثين على ركبهم. في الحديث فضل أهل بيعة الرضوان وأن جميعهم من أهل الجنة، وفي الآية بشارة للمتقين بإنجائهم من السقوط في النار.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [٧٧ ـ ٨٠]:

{٥٧٤} ـ عن خَباب رضي الله تعالى عنه قال: كنت قَيْناً بمكة فعمِلتُ للعَاص بن وائل السَّهْمِي سيفاً، فجِئتُ أتَقَاضَاهُ فقال: لا أعطيك حتى تَكْفُرَ بمحمّد، قلت: لا أكفر بمحمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى يُمِيتك الله ثم يُحْيِيك، قال: إذا أماتَنِي الله ثم بعثَني ولي مال وولد... وفي رواية: وإني لميّت، ثم مَبْعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأعطيك... وفي أخرى: فَذَرْني حتى أموتَ ثم أُبعَثَ فسوف أُوتَى مالاً وولداً فأقضِيكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

رواه أحمد (١١١/٥)، والبخاري في البيوع وفي الإجارة وفي الخصومات وفي التفسير (٤٥/١٠، ٤٦)، ومسلم في صفة القيامة (١٣٨/١٦)، والترمذي (٢٩٥٨)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٦) كلاهما في التفسير.

القَيْن ـ بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة ـ: الحداد، أتقاضاه أي: أطلب منه قضاء حقّي. وفي الآية تهديدٌ بالغ لذلك الطاغية المغرور المعجب بنفسه وأهله وماله، وبيان ما كان عليه من العتوّ والأنانية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [٩٢]:

{٥٧٥} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لا أحد أصبرُ على أذى يَسْمَعُه مِن الله إنّه يُشرِكُ به ويُجعلُ له نِدٌّ وهو يُعَافيهم ويَرزُقُهم ويَدْفَعُ عنهم**».

رواه أحمد (٣٩٥/٤، ٤٠٥)، والبخاري في الأدب رقم (٦٠٩٩) وفي التوحيد، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨٠٤ ج ١٤٦/١٧)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٦).

إن الله عزّ وجلّ حليم كريم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، ولا يقطع مدده ورفده عن من كفر وأشرك به، بل يرزقه ويعافيه ويدفع عنه البلايا والمضار، بل ينصره على عدوّه ويمهّد له أسباب الحياة ويسهلها عليه، رغم أنه يؤذي الله بأقواله وأفعاله، فلا أحد يتحمل ذلك ويصبر عليه سواه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [٩٦]:

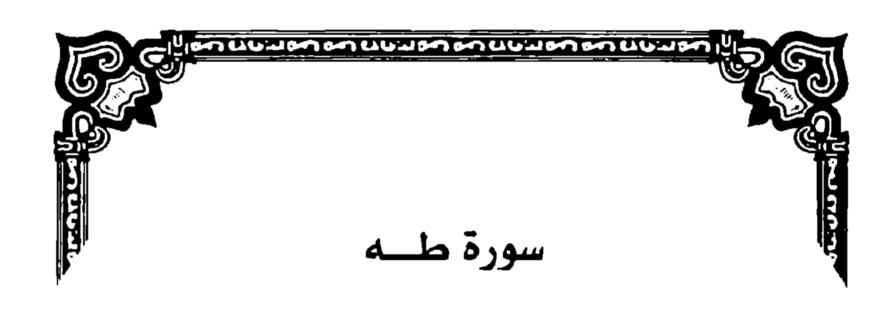
{٥٧٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إذا أحبَّ الله عبداً نادَى جبريل: إنّي قد أحببتُ فلاناً فأحبّه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾. وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض**»، وفي رواية في الأولى: «**ثم يوضع له القبول في الأرض**».

رواه أحمد (٣٤١/٢، ٥١٤)، والبخاري في الأدب (٧١/١٣) وفي بدء الخلق (١١٥/٧، ١١٦)، ومسلم في البرّ والصلة (١٨٣/١٦، ١٨٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٧) وغيرهم.

في الآية والحديث بشارة للمؤمن الصالح حيث إن الله تعالى يحبّه ويحبه أهل السماء ويحبه المؤمنون... ويصدق ذلك ولو من بعضهم، ومن أبغضه فإنما يبغضه لعارض. أما من أبغضه الله فبعكس ذلك حيث يبغضه كل شيء إلا مَن كان مثله.

وبهذا تمّت سورة مريم. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وصحبه وآله.





سورة طـــه

هي مكية، وآياتها مائة وخمس وثلاثون، وامتازت بذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية... مطولة مفصلة بما لم يذكر في غيرها، وقد أخذت من السورة نحواً من تسعين آية، وهي أكثر من نصف السورة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾:

{٥٧٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من نَسِي صلاةً أو نامَ عنها فكفّارتُها أن يُصلّيها إذا ذكَرَها**»، وفي رواية: «**إذا رقد أحدُكم عن الصلاة أو غَفَلَ عنها فلْيُصلّها إذا ذكرها، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾**».

رواه البخاري (٢/٢١١)، ومسلم (٥/١٩٣) كلاهما في قضاء الفوائت، واللفظ للأخير. وفي الباب عن جماعة في الصحيح وغيره.

وقوله: لذكرى: فيه قراءتان؛ بفتح الراء مع ألف مقصورة، ومعناه: متى ذكرت أن عليك صلاة فاقضها سواء كانت في وقتها أو خارجه، وقرىء بكسر الراء أي لتذكرني فيها، فإن كل من صلّى ذكر الله عزّ وجلّ، واستدلّ بالآية على أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا لأن الآية جاءت في خطاب كليم الله موسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ [٧٤]:

{٥٧٨} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما أهلُ النار الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتُون فيها ولا يَحيَون، ولكن أناسٌ تصيبُهم النارُ بذنوبهم فتُمِيتُهم إماتَةً حتى إذا صارُوا فَحْماً أُذِن في الشفاعة جِيءَ بهم ضَبَائِر ضَبَائِر فبُثُّوا على أنهار الجنّة، فيقال: يا أهل الجنّة أفيضوا عليهم، فينبُتُون نبات الحِبَّة تكون في حَمِيل السَّيل**»، فقال رجل من القوم: كأنَّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان بالبادية.

رواه أحمد (١١/٥/٣)، ومسلم في الإيمان (٣٧/٣، ٣٨)، والنسائي في الكبرى وابن ماجه (٤٣٠٩).

حميل السيل ـ بالحاء المهملة ـ أي: محمول السيل، وهو الغثاء الذي يحمله سيل الماء، وقوله: ضبائر أي: جماعات متفرّقة.

والآية الكريمة والحديث يدلاّن على أن الكفار مخلدون في النار لا يموتون فيستريحون ولا يحيون حياة تنعم كأهل الجنّة. أما عصاة الموحدين فتصيبهم إماتة حتى يصيروا فحماً، ثم يخرجون منها بفضل الله ورحمته، أعاذنا الله من عذابه، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [١١٧]:

{٥٧٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**حاجَ آدم موسى فقال له: يا آدم أنت الذي أخرجتَ الناس مِن الجنّة وأشْقَيتَهم؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالَتِه وبكلامِهِ؟ أتَلُومُني على أمْرٍ كتبه الله عليّ أو قَدَّره عليَّ قبل أن يخلُقني؟**» قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فحجَ آدمُ موسى**».

رواه البخاري في التفسير (٥٠/١٠)، ومسلم في القدر وغيرهما، وقد تقدم بسياق آخر.

قوله: أشقيتهم أي: تسبّبت في شقائهم بنزولك لهذه الدنيا، فعانوا من متاعبها ومشاقها ما هو معروف، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وقوله: وحجّ آدم موسى أي: غلبه بالحجّة. والآية الكريمة جاءت ضمن قصة أبينا آدم عليه السلام، فخاطبه الله عزّ وجلّ وزوجته محذّراً لهما من الشيطان أن لا يطيعاه، فيكون ذلك سبباً لإخراجهما من الجنّة فيشقيا.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [١٣٠]:

{٥٨٠} - عن جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: **«إنكُمْ سَتَرَوْنَ ربكُم كما تَرَوْن هذا لا تُضارُّون في رؤيته، فإن استطعتُم أن لا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»**، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

رواه البخاري في المواقيت وفي التفسير في سورة قٓ (ج ١٠/٢٢٠) وفي التوحيد، ومسلم في فضائل صلاتي الصبح والعصر (١٣٤/٥)، وأبو داود في السنة (٤٧٢٩)، والترمذي في رؤية الله من صفة الجنّة، والنسائي في الكبرى (٤٠٧/٦)، وابن ماجه (١٧٧).

الجمهور على أن الآية الكريمة جاءت في الصلوات الخمس، فقوله: وسبح بحمد ربك أي: صلّ وأنت حامد لربّك قبل طلوع الشمس - صلاة الصبح - وقبل غروبها - صلاة العصر - ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: وصلّ لربك في ساعات الليل وفي أول النهار وآخره، فآناء الليل: صلاة العشاء، وأطراف النهار: صلاة المغرب والظهر؛ لأن الظهر آخر طرف النهار الأول، والمغرب آخر طرف النهار الأخير.

وفي الحديث إثبات رؤية الله يوم القيامة، وقد تواترت بذلك الأحاديث كما فيه الحضّ على المحافظة على صلاتي الصبح والعصر، وقد جاء في الصحيح **«من صَلَّى البَرْدَيْن دَخَلَ الجَنَّة»**، والبردان: الصبح والعصر.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [١٣٢]:

{٥٨١} ـ عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا نزل بأهله الضيقُ أمرَهم بالصلاة، ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

رواه الطبراني في الأوسط (٨٩٠)، قال الهيثمي في المجمع (٦٧/٧): ورجاله ثقات.

{٥٨٢} ـ وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا حَزَبَهُ أمرٌ صلّى.

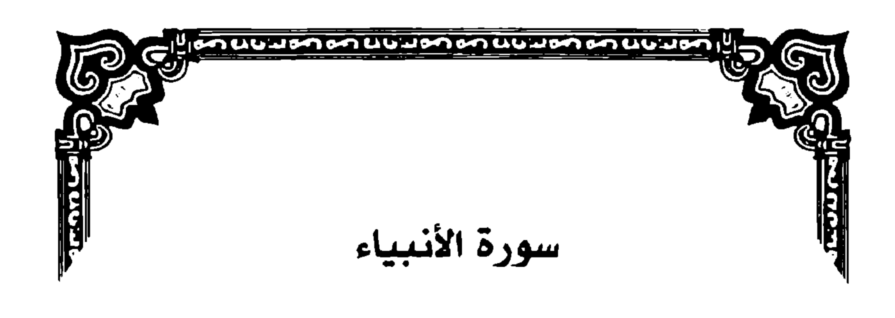
رواه أحمد (٣٨٨/٥)، وأبو داود (١٣١٩) بسند حسن.

حزَبه ـ بفتح الزاي والباء ـ أي: أصابه، وورد حَزَنَه بالنون.

وفي الحديثين مشروعية الفزع إلى الصلاة عند نزول البلايا والشدائد وضيق المعيشة، ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف، وصلاة الاستخارة، وصلاة الحاجة وصلاة التوبة... لأن الصلاة صلة وثيقة بالله عزّ وجلّ، ولها من البركة وشمول الرحمة ما ليس لغيرها من سائر القُرَب.

وبهذا تمّت سورة طه. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.





سورة الأنبياء

وهي مكية وآياتها مائة واثنتا عشرة آية.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [١]:

{٥٨٣} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ قال: «**في الدنيا**».

رواه النسائي في الكبرى (٤٠٧/٦) بسند صحيح، وأخرجه ابن جرير (١/١٧، ٢) من حديث أبي هريرة وسنده صحيح أيضاً.

ومعنى الآية الكريمة أنه قد دنا وقرب وقت حساب الناس على أعمالهم، وهم مع ذلك غافلون عن ذلك اليوم مستغرقون في الشهوات، لا يعملون للآخرة ولا يتأهبون لها.

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [٤٧]:

{٥٨٤} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يَكْذِبُونني، ويَخُونُونني، ويَعْصُونني، وأشْتِمُهم وأضرِبُهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «**يُحسب ما خانوك وعَصَوْك وكَذَبُوكَ وعِقابُك إيَّاهم، فإن كان عقابُك إياهُم بقدرِ ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذنوبهم أقْتُصَّ لهم منك الفضل**»، قال: فتنحَّى الرجل فجعل يَبْكي ويَهْتِف، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما تقرأ كتاب الله:**

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾» الآية، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم أُشْهِدُك أنَّهم أحْرارٌ كلُّهم.

رواه أحمد (٦/٢٨٠)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٠) وسنده صحيح.

قوله: ونضع الموازين إلخ، أي: ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الأعمال يوم القيامة فلا يجحد إحسان محسن، أو يضيع، كما تحضر السيئآت فلا تكتم أو تخفى، مهما كان الإحسان أو الإساءة، ولو مثقال حبة خردل.

{٥٨٥} ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«إن الله سَيُخَلِّص رجلاً من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلاًّ، كلّ سجلٍ مثلُ مدِّ البصر، ثم يقول: أَتُنْكِرُ مِن هذا شيئاً أظلمَكَ كَتَبَتِي الحافِظون؟ يقول: لا يا ربّ، فيقول: أفلَكَ عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظُلم عليك اليومَ، فتُخرجُ بطاقةٌ فيها أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمّداً عبده ورسوله، فيقول: احْضُر وَزْنَك فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلاّتِ؟ فقال: فإنك لا تُظْلَمُ، قال: فتوضع السجلات في كفّة والبطاقة في كفَّة، فطَاشَتْ السجلات، وثَقُلَتْ البطاقة ولا يَثْقُل مع اسم الله شيء»**.

رواه أحمد (٢/٢١٣، ٢٢١)، والترمذي في الإيمان (٢٤٥٥) بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٥٢٤) بالموارد، والحاكم (١/٦/٥٢٩)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

سيخلص ـ بفتح السين وضم الياء وكسر اللام المشدّدة ـ أي: يميز ويختار، سجلاً ـ بكسر السين والجيم ـ الكتاب الكبير، فطاشت أي: خفت. وفي الحديث فضل كلمة التوحيد كيف وهي مفتاح الجنّة، وعليها مدار الأحكام الشرعية كلّها، وفي الحديث دليل على أن في القيامة ميزاناً، وأن له كفتين كفة للحسنات وأخرى للسيّئات، وبهذا قال جمهور العلماء لظواهر القرآن والسنّة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [٦٣]:

{٥٨٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لم يَكْذِبْ إبراهيمُ عليه السلام في شيءٍ قطّ إلا في ثلاثِ كَذَباتٍ: قوله:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة: ﴿أختي﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾».

رواه الترمذي في التفسير (٢٩٦٢) هكذا مختصراً وحسنه وصححه، ورواه البخاري في الأنبياء (٢٠١/٧، ٢٠٤)، وفي النكاح وفي البيوع وفي مواضع، ومسلم في الفضائل (١٢٣/١٥) مطولاً، وقد أوردته في العبر مفصلاً مطولاً ومشروحاً والحمدلله.

الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، وإطلاق الكذب هنا من باب المعاريض، وهو القول الذي يحتمل معنيين: معنى يعتقده السامع كذباً ومعنى هو عند المتكلم حق وصدق، وفي الحديث: «**إن في المعارض لمندوحة عن الكذب**»، رواه البخاري في الأدب المفرد.

وإذا رجعنا إلى واقع الحديث وجدنا كل ما قاله الخليل عليه السلام حقاً.

قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٩]:

{٥٨٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**كانت امرأتان معهما ابناهُما جاء الذِّئب، فذهب بابنِ إحداهُما، فقالت صاحبتُها: إنَّما ذهبَ بابنِك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتَحاكَما إلى داود عليه السلام فقضى به للكُبْرَى، فخرجَتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرَتاه، فقال: إيتوني بالسكين أشُقُّهُ بينكم، فقالت الصُغرى: لا تَفعَلْ يَرْحَمك الله هو ابنُها، فقضَى به للصُغرى**».

رواه أحمد (٣٤٠/٢)، والبخاري في الأنبياء (٢٧٥/٧) وفي الفرائض، ومسلم (١٨/١٢)، والنسائي في الكبرى (٤٧٢/٣، ٤٧٣) كلاهما في الأقضية.

ما جاء في هذا الحديث هو داخل في الآية الكريمة، لأن الله تعالى فهَّم الحكم والقضاء سليمان، في هذه الحادثة... وفيه أدب من آداب القاضي لاستخراج الحق.

قوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٨٧]:

{٥٨٨} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دعوةُ ذِي النون إذْ دعا وهو في بطن الحوت: لا إلـه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدُع بها رجلٌ مسلم في شيء قطّ إلا استجاب الله له**».

رواه أحمد رقم (١٤٦٢)، والترمذي في الدعوات (٣٢٧٦)، والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦)، والحاكم (٥٠٥/١) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث أن الدعاء بهذه الآية الكريمة مما تُرجى معه الاستجابة إذا كانت شروط الاستجابة متوفرة، والآية قد اشتملت على توحيد الله تعالى وتنزيهه ثم الاعتراف له تعالى بالذنب وظلم النفس، وفي ذلك استمطار لرحمة الله ومغفرته...

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [٩٦]:

{٥٨٩} ـ عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: ذكر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الدجالَ ذات غداة، وفيه: «**فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى ابن مريم عليه السلام: أني قد**

أخرجتُ عباداً من عبادي لا يَدَانِ لك بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور فيبعث الله عزّ وجلّ يأجوج ومأجوج، كما قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾».

رواه أحمد (١٨١/٤، ١٨٢)، ومسلم (٦٣/١٨، ٧٠)، والترمذي (٢٠٦٨)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، ثلاثتهم في الفتن، ويأتي مطوّلاً في المصدر المذكور مع أحاديث أخرى إن شاء الله تعالى.

الحدب ـ بفتحتين ـ: ما ارتفع من الأرض، وقوله: ينسلون أي: يسرعون. وقوله: فَحَرِّزْ عبادي أي: اجعل الطور لهم حرزاً.

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [١٠٣]:

{٥٩٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالموعظة فقال: «**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حُفاةً عُراةً غُزلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾» الآية، قال: «**أول من يكسى يوم القيامة إبراهيمُ، وأنه سيُؤتى برجال من أمّتي فيُؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فيقال: هؤلاء لم يزالوا مُرتدين على أعقابهم منذ فارقتَهم».

رواه البخاري في التفسير (٥٣/١٠) وفي الرقاق، ومسلم في الجنّة والنار (١٩٣/١٧، ١٩٤)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٤٣)، وفي التفسير (٢٩٦٣)، والنسائي في الكبرى (٤٠٨/٦).

الآية والحديث يدلاّن على أن العباد سيحشرون من قبورهم على الحالة التي ولدوا عليها، وأنه تعالى وَعَدَ وعداً لا يَتَخَلَّفُ... وما جاء في الحديث في طرد بعض من صاحب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الحوض والأخذ بهم ذات الشمال المراد بهم الأعراب الذين ارتدوا آخر

حياة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأيام الصدّيق رضي الله تعالى عنه، ولا يوجد من الصحابة المخلصين كالمهاجرين والأنصار من ارتدّ منهم أحد أبداً، خلاف ما يفتريه الشيعة الروافض في قولهم بأن الصحابة كلّهم ارتدوا إلا نفراً منهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [١٠٧]:

{٥٩١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: **«إني لم أُبْعَثْ لَعَّاناً، وإنما بُعِثْتُ رحمةً»**.

رواه مسلم في الأدب (١٦/١٥٠).

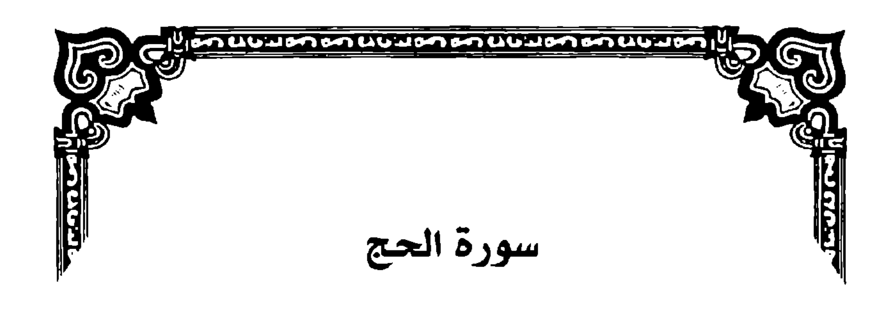
{٥٩٢} ـ وعنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنَّما أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**.

رواه الحاكم (٣٥/١)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات (١٩٢/١)، والدارمي رقم (١٥) عن أبي صالح ذكوان السمان مرسلاً وسنده صحيح، وأورده نور الدين في المجمع (٢٥٧/٨) برواية البزار، والطبراني، وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

كانت حياته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رحمة، وموته رحمة، ورحمته عمّت المؤمن والكافر، فمن آمن به كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي في الدنيا مما أصاب الأُمم من الاستئصال فهو رحمة أهداها الله إلينا، فمن قبلها سعد في الدارين، ومن ردّها خسر وشقي شقاء لا يسعد بعده أبداً.

وبهذا تمّت سورة الأنبياء، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه.





سورة الحج

هي من السور المدنية جاءت بعد ثنتي عشرة سورة مكيات متواليات، وهي ستّ وسبعون آية.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [١ ـ ٢]:

{٥٩٣} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبّيك ربنا وسَعْدَيك، فينادَى بصوتٍ: إن الله يأمُرُكَ أن تُخرِجَ من ذرّيتك بعْثاً إلى النار، قال: يا ربِ وما بعثُ النار؟ قال: مِنْ كل ألفٍ** أُراه، **قال: تِسعمِائة وتسعةً وتسعين، فحينئذٍ تضع الحامل حَمْلها ويَشِيبُ الولد،** ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فاشتدّ ذلك عليهم قالوا: يا رسول الله أيّنا ذلك الرجل؟ فقال: **أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل،** قال: ثم قال: **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنّة**»، فحمدنا الله وكبّرنا ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنّة**»، فحمدنا الله وكبّرنا ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مَثَلَكُمْ في الأُمم كمثل**

الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار»، وفي رواية: **«أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»**...

رواه أحمد (٣٠٢/٣)، والبخاري في أحاديث الأنبياء وفي التفسير (٥٧/١٠)، وفي الرقاق ومسلم آخر الإيمان (٣/٩٧، ٩٨).

{٥٩٤} ـ وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما نزلت عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾، قال: نزلت عليه وهو في سفر، قال: **«أتدري أي يوم ذلك»**؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام: ابعث بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون في النار، وواحد في الجنّة»**، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«قارِبُوا وسَدِّدُوا فإنها لم تكن نبوّةٌ قط إلا كان بين يديها جاهليةٌ»**، قال: **«فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابّة، أو كالشامة في جنب البعير»**، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة»** فكبّروا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّة»** فكبّروا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنّة»** فكبّروا قال: ولا أدري أقال: الثلثين أم لا. وفي رواية: **«فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قطّ إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس»**، قال: فأسري عنهم.

رواه أحمد (٤٣٥/٤)، والترمذي (٢٩٦٤)، والنسائي (٤١٠/٦) في الكبرى، والحاكم (٢٨/١) ج (٢٢٣/٢، ٣٨٥) ج (٥٦٧/٤)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي.

وفي الباب عن أنس رواه ابن حبان (١٧٥٢) بالموارد، والحاكم (٢٩/١) ج (٥٦٦/٤، ٥٦٧) وصححه، وعن ابن عباس رواه الحاكم أيضاً (٥٦٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

الشامة: هي الخال في الجسد تخالف لونه، وقوله: الرقمة أي: التي تكون في ذراع الدابة، وهما رقمتان في ذراعيها.

وفي حديثي الباب وما معهما هول عظيم مما سيكون يوم القيامة حيث لا يدخل الجنّة إلا واحد من الألف، لكن فيهما بشارة لهذه الأمّة حيث إنهم سيحتلون النصف من سكان الجنّة، وأنّ ذلك الواحد من الألف سيكون منهم إن شاء الله تعالى.

والخاسرون الهالكون سيكونون من يأجوج ومأجوج وغيرهم من الكافرين والمنافقين وبني إبليس، جعلنا الله تعالى بمنّه وكرمه من أشرف سكان الجنّة وأكرمهم لديه، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ إلخ [٥]:

{٥٩٥} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق: «**إنّ أحدكم يُجمعُ خَلْقه في بطن أمه أربعين يوماً نُطفة، ثم يكون عَلَقة مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يُرسلُ الله المَلك فيَنْفُخُ فيه الروحَ ويُؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقِه، وأجلِه، وعملِه، وشقيّ أم سعيد، فوالله الذي لا إلـٰه غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها**».

رواه أحمد (١/٣٨٢، ٤٣٠)، والبخاري في بدء الخلق وفي القدر (١٤/٢٧٧، ٢٧٨)، ومسلم (١٦/١٩٠، ١٩٢)، وأبوداود (٤٧٠٨)، والترمذي (١٩٦٩)، وابن ماجه (١٩) كلّهم في القدر.

العلقة: دم جامد مثل علقة الماء، والمضغة ـ بضم الميم ـ: القطعة اليسيرة من اللحم بقدر ما يمضغ. وفي الآية والحديث بيان للأطوار التي

يمرّ عليها الإنسان في نشأته في رحم أُمّه، وأنه يكتب عليه كتابة ثانية أو ثالثة في بطن أمّه: رزقه، وأجله، وعمله، وحالته من سعادة أو شقاوة، وهذه الكتابة كالتأكيد للكتاب الأول وإعلام الملائكة... وباقي أبحاث الحديث تأتي إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ الآية [١١]:

{٥٩٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ الآية، قال: كان الرجل يقدَمُ المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله، قال: هذا دينٌ صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٥٨)، وفي رواية: كان ناس من الأعراب يأتون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب، وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسّكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله تعالى على نبيّه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ الآية.

رواه ابن جرير (١٧/٢٢)، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٦، ٢٤٧٧) في تفسيريهما.

على حرف أي: على شكٍّ، وقوله: فتنة أي: الضيق في العيش... وقوله: انقلب على وجهه أي: ارتدّ ورجع إلى ما كان عليه من الكفر.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْۖ﴾ [١٩]:

{٥٩٧} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: أنا أوّل من يَجْثُو بين يدي الرحمٰن للخصومة يوم القيامة، قال قيس بن عباد: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ

خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: عليّ، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

رواه البخاري في المغازي (٨/٢٩٨)، وفي التفسير (١٠/٥٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٠١)، ومثله عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه رواه البخاري في المصدرين، ومسلم آخر الكتاب (١٨/١٦٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٠١)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٣٥).

المراد بالخصمين: الفريقان فريق أهل الإيمان وهم: عليّ وحمزة وعبيدة، وفريق أهل الكفر وهم شيبة وأخوه وابن أخيه، وخصامهم هو معاداتهم ومحاربتهم، وقول الإمام عليّ: أنا أول من يجثو للخصومة، أي: يقعد على ركبتيه مخاصماً. قال العلماء: والمراد بهذه الأولية تقييدها بالمجاهدين من هذه الأمّة؛ لأن المبارزة المذكورة هي أول مبارزة وقعت في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [١٩ ـ ٢٠]:

{٥٩٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن الحميم لَيُصَبُّ على رؤوسهم فينفذ الجمْجَمَة حتى يَخْلُص إلى جوفه، فيسلُت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهَر ثم يعاد كما كان».**

رواه الترمذي في صفة جهنّم (٢٣٩٩)، وابن جرير (١٧/١٣٣)، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٨١)، وحسنه الترمذي وصححه.

الحميم: هو الماء البالغ النهاية في الحرارة، وقوله: فينفذ أي: يدخل ويخلص ـ بضم اللام ـ أي: يصل، فيسلت أي: يمسح ويقطع، والصهر ـ بفتح الصّاد المشدّدة ثم هاء مفتوحة ـ: هو الإذابة. ومعنى الآية والحديث أن الكفار سيصب من فوق رؤوسهم الماء الحار، فيدخل في جماجم

نصف يوم؟ قال: «أوَ ما تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

في الحديث مع الآية أن يوم الآخرة فيه ألف سنة، وهذا إنما هو تقريب لعقولنا فقط؛ لأن الآخرة ليس فيها أيام كأيامنا، لأن اليوم والليل ينشآن بسبب سير الشمس ولا شمس في الآخرة فالواجب الإيمان بما قال الله على ما أراد سبحانه، لأن ذلك من عالم الغيب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [٧٣]:

{٦٠٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«قال الله عزّ وجلّ: ومن أظلمُ مِمّن ذهب يخلُق كخَلْقي فلْيَخلُقُوا مِثْلَ خَلْقِي ذَرَّةً، أو ذُبابةً، أو حَبَّة»**، وفي رواية: **«فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شَعِيرة»**.

رواه أحمد (٢/٣٩١، ٤٥١، ٥٢٧)، والبخاري في اللباس وفي التوحيد (١٧/٣٢٠)، ومسلم في اللباس (١٤/٩٣، ٩٤) وغيرهم.

ومن أظلم أي: لا أحد أظلم ممن إلخ، فالإنسان وغير الإنسان من أي خلقٍ كان، لا يستطيع خلقَ أصغر شيء مما في هذا الكون لا ذرة ولا حبّة ولا أي شيء، فالكل خلق الله، ومن خلق شيئاً، فإنما خلقه بقدرة الله وإذنه... وقد ضلّ هنا أقوام وأمم. وإذا كان الإنسان لا قدرة له على خلق شيء بذاته، فكيف بالجمادات التي يعبدها الضالون مِن بني آدم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [٧٨]:

{٦٠٦} ـ وعن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«مَنْ دعا بدَعْوى الجاهلية فإنه من جُثَى جهنم»**، قال: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: **«وإنْ صام وصلى،**

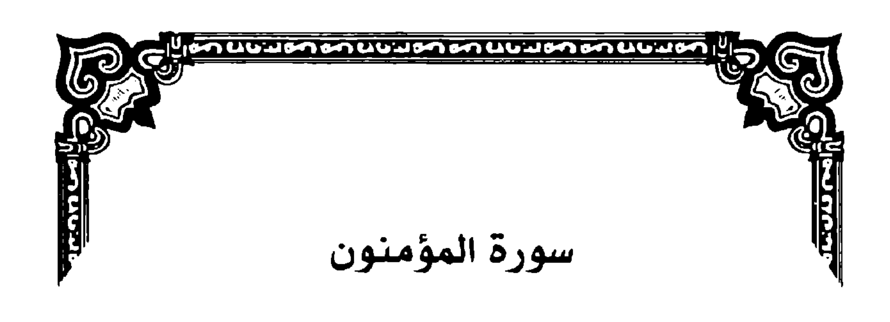
فاذعُوا بِدَعْوى الله التي سَمَّاكم اللهُ بها المسلمين المؤمنين عبادَ الله».

رواه أحمد (٤/١٣٠، ٢٠٢)، والترمذي في الأمثال (٢٦٧٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤١٢)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (١٢٢٢، ١٥٥٠) بالموارد، وأبو يعلى (١٥٧١)، والحاكم (١/١١٧، ١١٨، ٤٢١، ٤٢٢) مطوّلاً ومختصراً، وحسّنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

قوله: من جثى جهنم أي: من جماعات أهل جهنّم.

والحديث مبيّن للآية الكريمة وأن الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾ إلخ يعود على الله عزّ وجلّ، فهو الذي سمّانا مسلمين في الكتب القديمة، وفي هذا القرآن، وهذا القول هو الصحيح الراجح، وبه فسّره ابن عباس وغيره من السلف رضي الله تعالى عنهم وعليه مشى ابن جرير رحمه الله تعالى. وبه تمت سورة الحج، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمدا وعلى آله وصحبه.





سورة المؤمنون

هي من السور المكية جاءت بين سورتين مدنيتين: الحج قبلها، والنور بعدها.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ إلى: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [١ ـ ٩]:

{٦٠٧} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: يا أمّ المؤمنين كيف كان خُلُق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قالت: كان خُلُقُهُ القرآن، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ حتى انتهت إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨﴾.

قالت: هكذا كان خلق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤١٢)، والحاكم (٢/٣٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، وشطره الأول في صحيح مسلم، كما يأتي في سورة القلم وغيرها.

والحديث يدلّ على أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان متخلّقاً بأخلاق القرآن أمراً ونهياً، فكانت أخلاق القرآن متمثّلة فيه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [١٠ ـ ١١]:

{٦٠٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«فإذا سألتُم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسَطُ الجَنّة، وأعْلى الجنة وفوقَه عرشُ الرحمٰن، ومنه تَفَجّرُ أنهارُ الجنّة»**.

رواه البخاري في الجهاد (٣٥٢/٧)، وفي التوحيد (١٨٦/١٧)، ويأتي في الجهاد وغيره.

الحديث يدلّ على أن الفردوس هي أفضل منازل الجنان وأشرفها، وقد أخبر تعالى في هذه الآيات أنه جعلها إرثاً لهؤلاء المؤمنين الذين وصفهم بالصفات المذكورة وهي: الإيمان، والخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللَّغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفرج، ومراعاة الأمانات والعهد، والمحافظة على الصلوات الخمس، فمن أحرز هذه الصفات وتخلّق بها كانت الفردوس إرثاً له.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [١٢]:

{٦٠٩} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن الله خلق آدم من قَبْضَةٍ قَبَضَها من جَميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيضُ، والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيّب وبين ذلك»**.

رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٧٦٣) وغيرهما، وحسّنه الترمذي وصححه، وقد تقدم أول البقرة.

والسلالة: هي الخلاصة والصفوة اسلتّت من الطين، وسُمّي سلالة لأنه سل من كل تربة الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [٢٠]:

{٦١٠} ـ عن عُمَر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كُلُوا الزَّيتَ وادَّهِنُوا به فإنه مِن شجرةٍ مُبارَكَة**».

رواه الترمذي في الأطعمة (١٦٩٦)، وفي الشمائل (١٥٩)، وابن ماجه (٣٣١٩)، والحاكم (١٩٥/٤) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وللحديث شواهد أحسنها حديث أبي أُسيد رواه أحمد، والترمذي في الشمائل (١٥٩)، وفي الجامع (١٦٩٧)، والحاكم (٣٩٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

والحديث مبيّن للشجرة المذكورة وأنها شجرة الزيتون، وكانت مباركة لما فيها من المنافع وأعمّها وأعظمها منفعة الزيتون وزيته، فإنهما من أعظم نعم الله تعالى علينا. وفي الزيت بالإضافة إلى أنه إدامٌ عظيمٌ، منافعُ طبّية وصحية، ولذلك أرشدنا الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى أكله والادّهان به. وقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي: الزيت، وصبغ للآكلين، أي: وإدام للآكلين، وسمّي الزيت صبغاً لأنه يلون الخبز إذا غُمس فيه.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ [٥١]:

{٦١١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله طَيِّبٌ لا يَقبل إلاّ طيِّباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾**، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾»، ثم ذكر «**الرجل يُطيل السفر أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماء: يا ربُ، يا ربُ، ومَطْعَمه حرامٌ، ومَشْرَبُه حرام، ومَلْبَسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك**».

رواه أحمد (٣٢٨/٢)، ومسلم في الزكاة (٧/٥، ١٠٠)، والترمذي في التفسير (٢٧٩٨)، والدارمي في الرقاق وغيرهم.

هذا الحديث يعدّ من قواعد الإسلام، وفيه أن الله عزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا الطيّب الخالص لله تعالى، وأن الرسل وأتباعهم كلّهم في الأحكام سواء، وفيه أن من كان كسبه خبيثاً لا يُستجاب له دعاؤه، بل ولا يقبل منه أي عمل، ولو بلغ ما بلغ في التقشّف وإطالة السفر في تعاطي القُرُبات والتظاهر بالتواضع والتذلّل، فإن الأصل - وهو طيب اللقمة - ضائع، أعاذنا الله تعالى من مواقع سخطه وغضبه، آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [٥٧ - ٦١]:

{٦١٢} - عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قالت: سألت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ إلخ، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: «**لا يا بِنْتَ الصِّدِّيق وَلٰكِنَّهُمْ الذين يَصُومُونَ ويُصَلُّون وَيَتَصَدَّقُونَ، وهم يخافُون أن لا تُقْبَل منهُم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**»، وفي رواية: أهو الذي يَزْني، ويسرِق، ويشربُ الخمر؟

رواه أحمد (١٥٩/٦، ٢٠٥)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وابن جرير (٣٤/١٨)، والحاكم (٢٩٣/٢، ٢٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، والانقطاع وصله ابن جرير.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وأن المنافق جمع إساءةً وأمْناً، قال بعض الأكابر: إن تركيب هذه الصفات في نهاية الحسن، فالصفة الأولى دلّت على حصول الخوف

الشديد، والثانية دلّت على التصديق بوحدانيّة الله تعالى، والثالثة دلّت على ترك الرياء في الطاعات، والرابعة دلّت على أن المُسْتَجْمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقام الصدّيقين، رزقنا الله تعالى التحقّق بها والوصول إليها، آمين.

فالقوم متّصفون بصفات الكمال قائمون بما كلّفهم الله تعالى بإخلاص، وهم مع ذلك خائفون وجلون أن لا تقبل منهم أعمالُهم الصالحةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [٧٦]:

{٦١٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا محمد أنْشُدُكَ اللهَ والرحمَ فقد أكلنا الهِلْعِزَ ـ يعني: الوبر والدَّم ـ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ إلخ.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤١٣)، وابن حبان (١٧٥٣) بالموارد بسند حسن، وله طرق يصحح بها، وأصله في الصحيحين كما يأتي في سورة الدخان إن شاء الله تعالى.

والهلعز ـ بكسر الهاء وسكون اللام ثم عين مكسورة آخره زاي ـ: وهو خلط الدم بوبر الإبل، ثم يشوى فيؤكل.

ومعنى الآية الكريمة: ولقد ابتليناهم بأنواع من المصائب والشدائد من قحط وجوع... ومع ذلك فلم يتّعظوا ولا خضعوا لله ولا تواضعوا لجلاله، وما دعوا ربهم وتضرّعوا إليه لكشف ما نزل بهم من بلاء، بل تمادوا واستمرّوا على عتوّهم وطغيانهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [١٠١]:

{٦١٤} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه سمع عمر رضي الله تعالى عنه يقول للناس حين تزوج ابنَةَ عليّ رضي الله تعالى عنهما: ألاَ تُهنِّئوني

سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**يَنقَطِعُ يومَ القِيامةِ كُلُّ سَببٍ ونَسَبٍ إلا سببي ونسبي**».

رواه الطبراني في الكبير (٢٦٣٣، ٢٦٣٤)، والحاكم (١٤٢/٣)، والبيهقي (١١٤/٧)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٩٩/١)، قال النور في المجمع (٢٧١/٤، ٢٧٢ ج ١٧٣/٩)، رجال الطبراني رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة. وللحديث مع ذلك شواهد عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر والمسور بن مخرمة وغيره، فالحديث صحيح لا شكّ فيه.

ظاهر الآية الكريمة يدلّ على أن كل الأنساب تنقطع يوم القيامة، غير أن الحديث خصّ الآية بأن نسب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينقطع، وأنه موصول في الدنيا والآخرة، وهذا ما دعا سيدنا عمر إلى التزوّج بأمّ كلثوم بنت الإمام عليّ رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

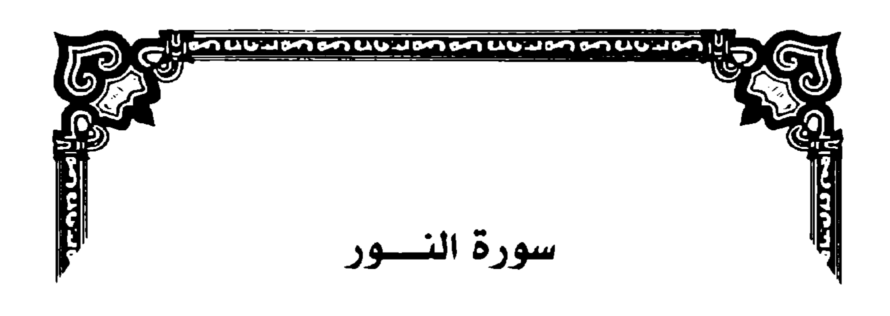
قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [١٠٥]:

{٦١٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾، قال: «**تَشْوِيه النار فتَقلُص شَفتُهُ العُلْيا حتى تَبلُغَ وَسطَ رأسِهِ، وتَستَرخِي شفتُه السُّفلَى حتى تبلُغَ سُرَّته**».

رواه أحمد (٨٨/٣)، والترمذي (٢٩٧٠)، والحاكم (٣٩٥/٢) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا الحاكم ووافقه الذهبي، وذلك لشاهد له عن ابن مسعود أورده النور (٧٣/٧) برواية كبير الطبراني (٩١٢١) وقال: رجاله ثقات. ولا يضرّ انقطاعه. تَقْلُصُ أي: ترتفع وتنزوي.

قوله: كالحون أي: عابسون قد بدت أسنانهم، وتقلّصتْ شفاهُهُم أي: انزوت وارتفعت، وهذا بعض من مشاهد عذاب الكفار وصفاتهم في جهنم، أعاذنا الله تعالى منها، آمين.

وبهذا تمّت سورة المؤمنون والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أبد الآبدين.



سورة النـــور

هي سورة عظيمة من السور المدنية التي اهتمّت بالحديث عن أحكام الأسرة وشؤون النساء وذوات البيوت، وذكرت لهن من الأحكام ما لم يذكر في غيرها، وهي أربع وستون آية.

قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [٢]:

{٦١٦} ـ عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أنشُدك إلاّ قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصْم الآخر، وهو أفْقَهُ منه: نعم، واقضِ بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قل**»، فقال: إنّ ابني كان عَسِيفاً على هذا، فزَنَى بامرأتِه وإنّي أُخْبِرْتُ أن على ابْني الرجم فافتديتُ منه بمائة شاة وبوليدةٍ، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلدَ مائةٍ وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**والذي نفسي بيده لأقضيَنَّ بينكما بكتاب الله، الوليدةُ والغنمُ ردٌّ عليه وعلى ابنك جلدُ مائة وتغريبُ عام، اغدُ يا أُنَيس إلى امرأةِ هذا فإن اعترفت فارْجُمْها فغدا عليها، فاعترفت فأمَرَ بها فرُجِمَتْ**».

رواه أحمد (١١٦/٤)، والبخاري (٦٨٢٧/٦٨٢٨، ٦٨٣١)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨)، وأبو داود (٤٤٤٥)، والترمذي (١٤٣٣)، والنسائي في

الكبرى (٤١٤) وفي المجتبى، وابن ماجه (٢٥٤٩) كلّهم في الحدود، ورواه البخاري في الوكالة وفي الشهادات، وفي الشروط وفي الأحكام وفي أخبار الآحاد.

العسيف: هو الأجير، والوليدة: الأَمَة.

وفي الآية نصّ صريح في جلد الزاني والزانية مائة جلدة، وقيدتها السنة بالبكر وزادت تغريب عام، فمن أنكر هذا الحكم فليس من المسلمين في شيء، ومن اعترف به واسْتَبْدَلَهُ بغيره من قوانين البشر كان كافراً ظالماً فاسقاً، كما نطق به القرآن الكريم.

وفي الحديث العمل بخبر الواحد، وأن الاعتراف والإقرار معمول به، وأن المرأة المحصنة إذا زنت ترجم ولا خلاف في ذلك إلا ما أنكره الخوارج.

قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [٣].

{٦١٧} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: كان رجل يقال له: مِرثَدُ بن أبي مِرثَد وكان رجلاً يحمل الأَسْرَى من مكّة حتى يأتيَ بهم المدينة، قال: وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ بمكة، يقال لها عَناقُ وكانت صديقَةً له، وأنه كان وعد رجلاً من أُسارى مكة يحتمله قال: فجئتُ حتى انتهيت إلى ظلّ حائطٍ فلما انتهت إليّ عرفتْ، فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هلمّ فبِتْ عندنا الليلةَ، قلت: يا عناقُ حرّم الله الزّنا، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحتمل أسرَاءَكُم، قال: فتبعني ثمانيةٌ، وسلكت الخندمة فانتهيت إلى غارٍ أو كهف فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فظلّ بولهم على رأسي، وعمَاهُم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعتُ إلى صاحبي، فحملتُه وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيتُ إلى الإذْخِر، ففككْتُ عنه أكْبُلَه، فجعلت أحمِلُه ويُعيِنُنِي حتى قدمتُ المدينة، فأتيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله أنكِحُ عناقاً

ـ مرتين ـ فأمسك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ الآية، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا مرثد الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فلا تنكحها**».

رواه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي في التفسير (٢٩٧١) بتهذيبي، والنسائي في المجتبى (٣٢٢٨)، وابن أبي حاتم (٢٥٢٦/٨)، والحاكم (١٦٦/٢)، والبيهقي (٥٣/٧)، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وله طريق آخر مختصراً، وسمّيت المرأة أم مهزول رواه أحمد (١٥٩/٢، ٢٢٥)، والنسائي في الكبرى (٤١٥/٦)، وابن أبي حاتم (٢٥٢٥/٨)، والحاكم (١٥٩/٢، ٢٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: أكبله ـ بضم الباء وفتح اللام ـ: جمع كبل وهو القيد.

وفي الآية والحديث دليل على تحريم نكاح الزانية، وأن كل جنس يرغب في جنسه، فالزاني لا يرغب إلا في زانية مثله أو مشركة، وكذا العكس، وتأتي بقية في كتاب النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ إلخ:

{٦١٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هلال بن أُميّة قذف امرأته عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بشَريك بن سَحْماء، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**البَيِّنَةُ وإلا حَدٌّ في ظهرك**»، قال: فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنّي لصادق ولينزلنّ في أمري ما يُبرّىءُ ظهري من الحدّ، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، فقرأ إلى أن بلغ: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾، قال: فانصرف النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأرسل إليهما فجاءا، فقام هلالُ بن أمية فشهد والنبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله يعلمُ أن أحدَهُما كاذبٌ، فهل منكما تائِبٌ**»؟ ثم قامت فشهدتْ، فلما كانت عند الخامسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، قالوا لها: إنها موجبة، فقال ابن عباس: فَتَلَكَّأت ونكَستْ حتى ظننا أن ستترجع، فقالت: لا أَفْضَحُ قومي سائرَ اليوم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أبْصِرُوها فإن جاءَتْ به أكْحَلَ العَيْنَين سابغ الأَلْيَتَيْنِ خدلَّج الساقين فهو لِشَرِيك بن سخماءَ**»، فجاءت به كذلك، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لولاَ ما مَضَى مِنْ كِتَابِ الله لكانَ لَنا ولَها شأنٌ**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٦٥، ٦٦) وفي اللعان، وأبو داود (٢٢٥٤، ٢٢٥٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٣)، وابن ماجه (٢٠٦٧) وغيرهم، وقصة عويمر العجلاني تأتي في النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله: سابغ الاليتين أي: عظيم الفخذين، وقوله: خدلَّج ـ بفتحات مع تشديد اللام ـ أي: عظيم الساقين، وقوله: فتلكّأت ـ بفتحات مع تشديد الكاف ـ أي: وقفت وتباطأتْ أن تُلاعِنَ.

وفي الآية مع الحديث بيان حكم اللعان وهو أن يقذف الرجل زوجته بالزنا ولا يجد من يشهد له، فيرفع أمره إلى الحاكم الإسلامي، فيأمره بأن يقول: أشهد بالله إني لصادق، يقول ذلك أربع مرات ويختم في الخامسة بقوله: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فإن صدقته رجمت بالحجارة، وإن كذبته حلفت هي الأخرى أربع مرات قائلة: أشهد بالله أني لصادقة وتقول في الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم يفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً، ويلحق الولد بأمّه ترثه ويرثها... ويأتي مزيد لهذا في اللعان من النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٦١٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبيّ صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم قالت: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهنّ خرج سهمُها خرج بها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعدما نزل الحجابُ، فأنا أُحْمَل في هَوْدَجي وأنزلُ فيه، فسِرْنا حتى إذا فرغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غزوته تلك وقَفَل ودَنَوْنا من المدينة فأقبلت، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى إذا جاوزت الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي فإذا عقدٌ لي من جَزْعِ أظفارٍ قد انقطع، فالتمستُ عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحّلون لي فاحْتَمَلُوا هودجي فرحَّلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يُثْقِلْهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العَلَقة من الطعام، فلم يستنكر القومُ خفةَ الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثةَ السنّ فبعثوا الجَمَل وساروا، فوجدت عِقدي بعدما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مُجيب، فأمَمْتُ منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المُعَطَّل السُلَمِي ثم الذَّكْوَاني من وراء الجيش، فأدْلَجَ فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي والله ما كلّمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة، غير استرجاعه حين أناخ راحلته، فوطىء على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغِرينَ في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولّى الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشْتَكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيسلّم ثم يقول: «كيف تِيكُمْ»؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت

بعدما نَقَهتُ، فخرجت مع أمّ مِسْطَح قِبَل المناصع وهو مُتَبَرَّزُنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمرُنا أمر العرب الأُول في التبرّز قِبَل الغائط، فكنّا نتأذّى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأمّ مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبدمناف وأمّها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأمّ مسطح قِبَل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطِها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بِئْسَ ما قلت، أتسبّين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هَنتاهُ أوَ لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ تعني سلّم ـ ثم قال: **«كيف تيكم»**؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ، قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلِهما؟ قالت: فأذن لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فجئت أبوي فقلت لأُمّي: يا أُمّتاه ما يتحدّث الناس؟ قالت: يا بنيّة هوّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله أوَ لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم علـيّ بن أبي طالب، وأُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أُسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما عليّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وأن تسأل الجارية تَصْدُقك، قال: فدعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بريرة، فقال: **«أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك»**؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحقّ إن رأيت عليها أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فاستعذر

يومئذ من عبدالله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو على المنبر: **«يا معشر المسلمين مَن يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»**، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعْذرُك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحَمِيَّةُ فقال لسعد: كذبتَ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيْدُ بن حُضَيْر وهو ابن عمّ سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنّان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فسلّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه، في شأننا، قالت: فتشهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين جلس ثم قال: **«أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرّئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»**. قالت: فلما قضى مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقلت لأمّي: أجيبي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله

وسلم، قالت: قلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني منه بريئة لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتُصَدِّقُنِّي والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، قالت: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فِيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم رؤيا يبرّئني الله بها، قالت: فوالله ما راح رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدر مثل الجُمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثِقَل القول الذي ينزل عليه، قالت: لما سُرِّيَ عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سُرِّي عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلّم بها: «**يا عائشة، أمّا الله عزّ وجلّ فقد برّأك**»، فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلاّ الله عزّ وجلّ، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ العشر الآيات كلّها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وكان ينفق على مسطح بن أثالة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾، قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: «**يا زينب ماذا علمتِ أو رأيتِ؟**» فقالت: يا رسول الله، أَحْمِي سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فعصمها الله بالورع وصفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

رواه أحمد (٦/١٩٤، ١٩٨)، والبخاري في التفسير (١٠/٦٨، ٩٥) وفي الشهادات وفي الجهاد رقم (٢٨٧٩)، وفي المغازي (٤١٤١)، وفي التوحيد (٧٥٠٠) وفي مواضع، ومسلم في التوبة (١٧/١٠٢، ١١٤)، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى (٦/٣٦٧، ٤١٥، ٤١٨) وغيرهم.

حادث الإفك من أعظم الأحداث وأخطرها التي حصلت أيام النبوّة والذي أثاره قائد المنافقين اللعين عبدالله بن أُبيّ بن سلول في جانب السيدة الطاهرة العفيفة النزيهة مولاتنا عائشة حبيبة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وزوجه في الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنها، فقذفها بصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه، وأذاع ذلك بين الناس، ووقعت بسبب ذلك فتنة بين صفوف الصحابة حتى كادوا يقتتلون لولا حكمة الرسول الأعظم وسياسته الرشيدة صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتأخر نزول الوحي، ثم جاءت البشارة العظيمة بتبرئة السيدة مما رُمِيَتْ به من عند الله عزّ وجلّ، فأنزل في طهارتها عشر آيات كما في هذه الرواية، وآخرها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، وفي رواية آخرها: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ إلخ، وعددها ثلاث عشرة آية. وجاء في رواية ثالثة آخرها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ وعددها من أول القصة إلى هنا خمس عشرة آية.

ولا اختلاف في ذلك، فكلٌّ حدَّث بما بلغه وظاهر سياق القرآن في القصة أن آخرها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾.

لأن الإشارة جاءت للطيبين والطيبات... وهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجه عائشة، وأبوها الصديق وزوجته وصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنهم، وهم الذين أصابهم الطعن في أعراضهم، فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم مبرّؤون مما قيل فيهم.

{٦٢٠} ـ وعن ابن أبي مُلَيْكَة قال: استأذن ابن عباس على عائشة رضي الله تعالى عنها قبل موتها وهي مَغْلُوبَةٌ قالت: أخشى أن يُثْنِيَ عليَّ، فقيل: ابنُ عم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن وجوهِ المسلمين، قالت: ائذَنُوا له، فقال: كيف تَجِدينَكِ؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنتِ بخير إن شاء الله تعالى زوجةُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرُكِ من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليّ، وودت أني كنت نسياً منسياً. وفي رواية: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سمٰوات، جاء به الروح الأمين، فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار.

رواه أحمد والبخاري في التفسير (١٠/١٠٠)، وفي فضائل عائشة من المناقب.

{٦٢١} ـ وعن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله تعالى عنها، فشَبَّبَ وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بِرَيْبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحومِ الغَوَافِلِ

قالت عائشة: لست كذلك، قلتُ: تدَعِينَ مثلَ هذا يدخل عليكِ وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فقالت: وأي عذاب أشدّ من العَمَى؟ قالت: وكان يردُّ عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم. وفي رواية: إنه كان يُنافح أو يُهَاجِي عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير (١٠/١٠١، ١٠٢، ١٠٣).

قوله في الحديث الأوّل: وهي مغلوبة، يعني: كانت في سياق الموت. وقول مسروق: فتشبب هو بباءين مع فتحهما وتشديد الأولى، يقال: شبب الشاعر بفلانة إذا عرَّضَ بحبها وذكر حسنها وهو التغزّل، والمراد ترقيق الشعر بذكر النساء، وقد يطلق على إنشاد الشعر وإنشائه

(٢٣١١)، والنسائي في الكبرى (٦/٤١٩)، والحاكم (٢/٣٩٧) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

البغاء هو الزنا وكان أهل الجاهلية يكرهون إماءهم على الزّنا طلباً لما يَكْتَسِبْنَه من الأجور، فنهى الله تعالى عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾:

{٦٢٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يَرحمُ الله نساء المهاجرات الأول لمّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَققْنَ مُروطهنّ فاخْتَمَرْنَ به، وفي رواية: أخذن أُزُرهُنّ فشقَقْنَها مِن قِبَل الحواشي فاختمرن بها.

رواه البخاري في تفسير سورة النور (١٠/١٠٦)، وأبو داود (٤١٠٢).

قال الحافظ في الفتح على قولها: فاختمرن أي: غطّين وجوههنّ، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنّع.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [٥٥]:

{٦٢٦} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولِيَهم اثنا عشر رجلاً»**، ثم تكلّم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بكلمة خفيتْ عني، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ فقال: **«كلهم من قريش»**، وفي رواية: **«يكون من بعدي اثنا عشر أميراً»**، وفي رواية ثالثة: **«لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»**، فكبر الناس وضجوا وفي رواية رابعة: **«إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»**، وفي رواية خامسة: **«لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»**.

رواه أحمد (٥٢/٥، ٩٠، ٩٢، ١٠٨)، والبخاري في الأحكام (٣٣٨/١٦، ٣٣٩)، ومسلم في الإمارة (٢٠١/١٢، ٢٠٢، ٢٠٣)، وأبو داود في المهدي (٤٢٧٩، ٤٢٨٠)، والترمذي في الفتن (٢٠٥٣)، وابن حبان (٤٣/١٥، ٤٤، ٤٥)، وأبو يعلى (٢٨٢/٦) وغيرهم من طرق وألفاظ واللفظ الأوّل للبخاري ومسلم وابن حبان، والثاني لأبي داود، والباقي لمسلم.

هذه الروايات تدلّ بمجموعها على أمرين اثنين، الأول: أن دين الإسلام لا يزال قائماً حتى يأتي أمر الله وهو اضمحلال الإسلام بموت المؤمنين ورفع القرآن وسيبقى كذلك متمثلاً في طائفة منصورة لا يضرّهم مَن خالفهم ولا مَن خذلهم...

الثاني: لا بد وأن يكون في هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة يلون أمر الناس ويقومون بشؤونهم العامّة كلّهم من قريش، وبهم وفي أيامهم يكون أمر الدين عزيزاً منيعاً، هذا ظاهر الحديث برواياته، وقد تكلّم الناس في هؤلاء الخلفاء بعد إجماع أهل السنّة والحق على أنهم خلفاء وأمراء في الحكم والسلطة خلافاً لما يزعمه الشيعة الإمامية من أن المراد بهم أئمتهم المعصومون، فإن هذا يخالف ظاهر نص الحديث ويخالف الواقع، فإن أولئك الأئمة لم يكونوا ذوي سلطة وحكم غير الإمام عليّ والسبط الحسن عليهما السلام، ثم اختلف أهل السنّة هل تقدم جميعهم أم هم مفرّقون في الأمّة، وهذا الأخير هو الصحيح، وكان منهم الخلفاء الأربعة والحسن السبط وعمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنهم، وباقيهم مفرّقون في الأُمّة آخرهم المهدي رضي الله تعالى عنه.

{٦٣٧} ـ وعن سَفِينة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**الخلافة في أُمّتي ثلاثون سنةً، ثم تكونُ مُلْكاً عَضُوداً**»، ثم قال سفينة: أمْسِك خلافة أبي بكر، وخلافةَ عمر، وخلافةَ عثمان، ثم قال: أمْسِك خلافة عَلِي، فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد:

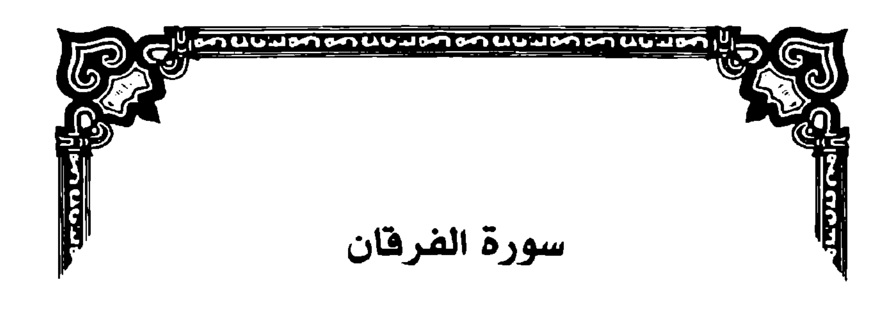
فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنور الزرقاء هم ملوك من شرّ الملوك.

رواه أحمد (٥/٢٢٠)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٠٥٥) في الفتن وسنده حسن.

في الحديث أن الخلافة التي كانت على نهج النبوّة متوالية هي خلافة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، وفي عصر هؤلاء انتشر الإسلام، وفتحت الأقاليم والأمصار، وكسرت شوكة العملاقين كسرى وقيصر، وفي ذلك العصر مكّن الله للمسلمين دينهم الذي ارتضاه لهم وصدقهم وعده كما في الآية الكريمة.

وبهذا انتهت سورة النور. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.





سورة الفرقان

ومنها إلى سورة الأحزاب كلهنّ مكيات وهن ثمان سور متواليات وهي سبع وسبعون آية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [٣٣]:

{٦٢٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أنزل القرآن جملة إلى السماء في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: ولا يأتونك بمثل إلا جئتك بالحق وأحسن تفسيراً، وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٤٢١/٦)، والحاكم (٢٢٢/٢) بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

لا خلاف أن نزول القرآن جملة واحدة كان في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم نزل منجماً إلى الأرض في ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة، وعشر سنة بالمدينة، وقول ابن عباس هنا في عشرين سنة مؤوّل ويأتي مزيد في سورة القدر. وتقدم مثله في المقدمة لهذا التفسير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ إلخ أي: ولا يأتيك هؤلاء المعاندون بحجة أو شبهة للقدح فيك أو في القرآن إلا أتيناك بالحق الواضح، والنور الساطع، لتدفع به باطلهم، وأحسن تفسيراً أي: أحسن بياناً وتفصيلاً.

❊ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [٣٤]:

{٦٢٩} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله كيف يُحشرُ الناس على وجُوههم؟ قال: **«إن الذي أمْشَاهم على أقْدامِهم قادر أن يُمْشِيَهُمْ على وجوههم»**.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٠٩)، وفي الرقاق (١٤/١٧١)، ومسلم في صفة جهنّم رقم (٢٨٠٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٠)، وانظر ما سبق في الإسراء: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ إلخ.

في الآية وفي الحديث أن الله قادر على كل شيء أراده وأنه لا يعجزه شيء مما تستبعده عقولنا الضعيفة ويستحيل في عاداتنا المتعارفة، وأن أمور الآخرة على خلاف حياتنا هذه.

❊ **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾﴾ [٦٧ ـ ٦٨]:

{٦٣٠} ـ عن عبدالله رضي الله عنه قال: سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: أي الذنب أكبر؟ قال: **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**، قلت: ثم أيّ؟ قال: **«أن تقتل ولدَك مخافة أن يَطْعَمَ معك»**، قلت: ثم أيّ؟ قال: **«أن تُزاني حليلَةَ جارِك»**، قال عبدالله: فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ﴾ الآية.

رواه البخاري (١٠/١٠٩، ١١١، ١١٢) في التفسير، ومسلم في الإيمان (٢/٨٠) وغيرهما.

{٦٣١} ـ وعن سلمة بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في حجّة الوداع: «**ألا إنما هي أربع، فما أنا بأشحّ عليهن منذ سمعتهنّ من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا ولا تسرقوا**».

رواه أحمد (٤/٣٣٩، ٣٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢١، ٤٢٢)، والحاكم (٤/٤٥١) بسند صحيح.

النِّدّ ـ بالكسر ـ: هو الشريك والمثيل، والحليلة: الزوجة.

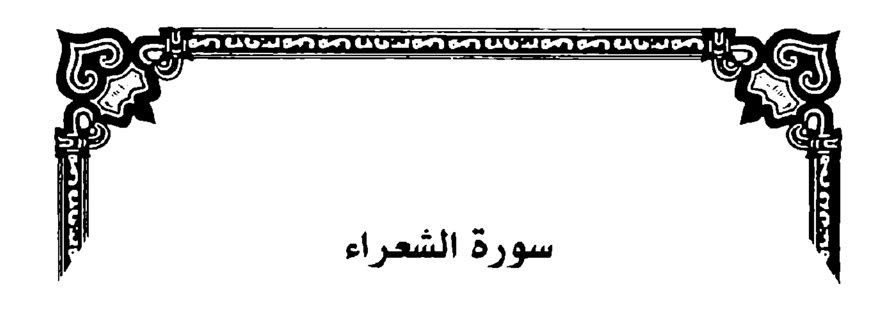
والحديثان مع الآية تدلّ على أن هذه المعاصي هي أكبر الذنوب عند الله تعالى، ولا شكّ في ذلك، وأكبرها وأفحشها الشرك والكفر بالله، ثم الباقي على الترتيب المذكور، غير أنه يجب أن يلاحظ بأن ترك الصلاة ولو صلاة واحدة عن تعمّد حتى يخرج وقتها يلي الشرك بالله تعالى عياذاً به من ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [٧٧]:

{٦٣٢} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: خمسٌ قد مَضَيْنَ: الدخانُ، والقَمَرُ، والرُّوم، والبَطْشَة، واللِّزام، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١١٣)، ومسلم آخر الكتاب رقم (٢٧٩٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٢)، وسيأتي في الدخان وهناك شرحه إن شاء الله تعالى.

وبه تمّت سورة الفرقان. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة الشعراء

وهي سبع وعشرون ومائتا آية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [٨٧]:

{٦٣٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«يلقَى إبراهيم آزرَ يوم القيامة وعلى وجهِ آزر قَترَةٌ وغَبَرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا ربّ إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يُبعثون، فأي خِزيٍ أخزَى من أبي الأبعدِ، فيقول الله تعالى: إني حرَّمت الجنّة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بِذيخٍ مُتلطِّخٍ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»**.

رواه البخاري في الأنبياء رقم (٣٣٥٠) وفي التفسير (١١٦/١٠، ١١٧)، والنسائي في الكبرى (٤٢٢/٦).

قوله: ذيخ ـ بكسر الذال المعجمة ثم ياء بعدها خاء معجمة ـ: هو ذكر الضبع.

واختلف العلماء هل آزر كان أبا إبراهيم أم عمّه؟ لما ورد في لغة العرب من إطلاق الأب على العمّ، وفي الآية إخبار من الله عزّ وجلّ بأنه لا يخزي خليله يوم القيامة، والحديث جاء مقيداً لإطلاق الآية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [٢١٤]:

{٦٣٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي**»؟ قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم أَلِهَذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾.

رواه البخاري في تفسير المسد رقم (٤٩٧١)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨) ويأتي في المسد.

{٦٣٥} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، قال: «**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطّلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمّة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً**»، وفي رواية: «**غير أن لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبلاَلِها**».

رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣) وفي المناقب (٣٥٢٧)، وفي التفسير (١٢٠/١٠)، ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٣، ٢٠٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٨)، والنسائي في الكبرى (٤٢٣/٦) وغيرهم.

وفي الباب عن عائشة في مسلم، والترمذي والنسائي، وعن قبيصة بن مخارق عند مسلم والنسائي، وعن أبي موسى عند الترمذي.

قوله: سأبُلُّها ببلالها ـ بكسر الباء من البلال ـ: وهو الماء، ومعناه: أن لكم رحماً معي سأصلها يعني: شفاعةً خاصة... وهو يخصّص قوله: «لا أغني عنكم من الله شيئاً» لأنه محمول على أنه لا يغني عنهم شيئاً بذاته، بل بإذن الله وقدرته وإرادته مع الإيمان.

غير أن قوله في الحديث: يا فاطمة إلخ هو شاذ بل منكر، لأن فاطمة عليها السلام وقت هذا النداء كانت بنت نحو سنة، فكيف يناديها فالله أعلم كيف وقع هذا.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [٢٢١، ٢٢٢]:

{٦٣٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: **«إن الملائكة تَحدَّثُ في العَنان ـ والعنان: الغمامُ ـ بالأمْرِ في الأرض، فتسمَعُ الشياطين الكلمةَ فتقُرُّها في أُذُنِ الكاهن كما تقرُّ القارورة فيزيدون معها مائة كذبة».**

رواه البخاري في بدء الخلق (١١٦/٧) وفي الطب، وستأتي أحاديث أخرى في سورة سبأ.

قوله: فتقرّها ـ بضم التاء وفتحها ـ أي: فتلقيها في أذنه بصوت يسمعه كما يسمع الصوت في القارورة عند إلقاء شيء فيها، والقر: ترديد الكلام في أذن المخاطب. والآية والحديث يدلاّن على أن الشياطين لا تأتي إلا الأفاكين الكذابين من الكهنة. أما رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فبخلاف ذلك، فإنه الصادق الأمين، وقد كانوا يعلمون صدقه وما جربوا عليه كذباً.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [٢٢٤]:

{٦٣٧} ـ عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن الله عز وجلّ قد أنزل في الشعراء ما

أنزل، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن المؤمن يُجاهِد بسَيْفِهِ ولِسانِهِ، والذي نَفْسِي بيده لَكَأَنَّ ما تَرْمُونَهُمْ به نَضْحَ النَّبْلِ**».

رواه أحمد (٤٥٦/٣) ج (٣٨٧/٦) من طريقين، وكلاهما سنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

{٦٣٨} ـ وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لحِسّان: «**أهْجُهُم أو هَاجِمهم وجبريل معك**».

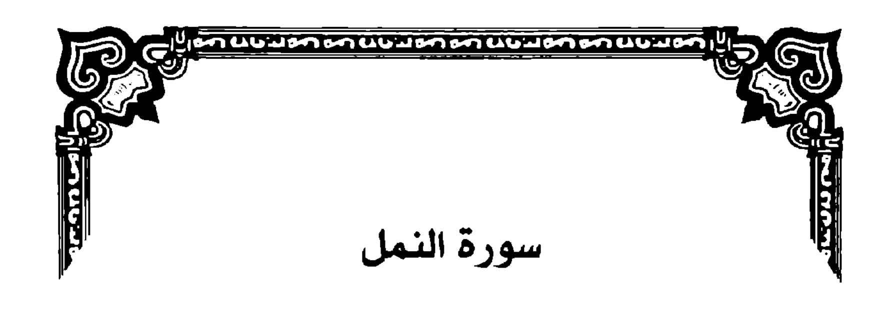
رواه البخاري في بدء الخلق (١١٧/٧) وغيره، ومسلم في الفضائل (٤٦/١٦) وغيرهما.

جاء في الشعر أحاديث كثيرة ذمّاً ومدحاً، وسيأتي الكلام على ذلك في الأدب إن شاء الله تعالى. والحديث الأول يدلّ على أن هجاء الكفار بالشعر يعتبر جهاداً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ يعني: أن الشعراء الذين كانوا يهجون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يتبعهم السفهاء الضالون ويروون هجاءَهم وينشرُونه. وقوله: ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ أي: في كل واد من أودية الشعر يذهبُون على وجوههم حائرين، يقولون ما لا يفعلون، ولما ذمّ الشعراء الأفَاكين الثَّرثارين اسْتَثْنى الصالحين المؤمنين الذين ينتصرون بهجائهم من أولئك الكافرين الظالمين.

وبهذا تمت سورة الشعراء. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة النمل

هي من السور الثلاث اللاتي نزلت بالتوالي، ووضعت في المصحف كذلك، وهي الشعراء، والنمل، والقصص، وآياتها ثلاث وتسعون.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [٦٣]:

{٦٣٩} ـ عن رجل من بلهجيم قال: قلت: يا رسول الله إلامَ تَدْعُو؟ قال: «**أدْعُو إلى الله وحده الذي إذا مَسَّكَ ضُرٌّ فدعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنك**».

رواه أحمد (٥/٦٤، ٣٧٧) ج (٤/٦٥) من طريقين أحدهما سنده صحيح.

وفي الآية مع الحديث بيان فضل الله عزّ وجلّ ولطفه بعباده حيث يستجيب دعوة من التجأ إليه حالةَ الاضطرار ويُغِيثُه بما يستحقّ أن يُغاث به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٨٢]:

{٦٤٠} ـ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: حفظْتُ من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حديثاً لم أنسه بعدُ، سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن أول الآيات خروجاً طلوعُ الشمس مِن مغربِها، وخروجُ الدابّة على الناس ضُحى، وأيّتُهما كانت قَبْلَ صاحبتِها فالأخرى على أثرها قريباً**».

رواه أحمد (٢٠١/٢)، ومسلم في الفتن رقم (٢٩٤١).

الحديث يدلّ على أن خروج دابة الأرض من أشراط الساعة الكبرى الأُولى، وأنه إذا وقع ووجب العذاب أو غضب الله على الناس أخرج لهم هذه الدابة تكلمهم كما نطقت بذلك الآية الكريمة، وأن خروجها مقرون بطلوع الشمس من مغربها.

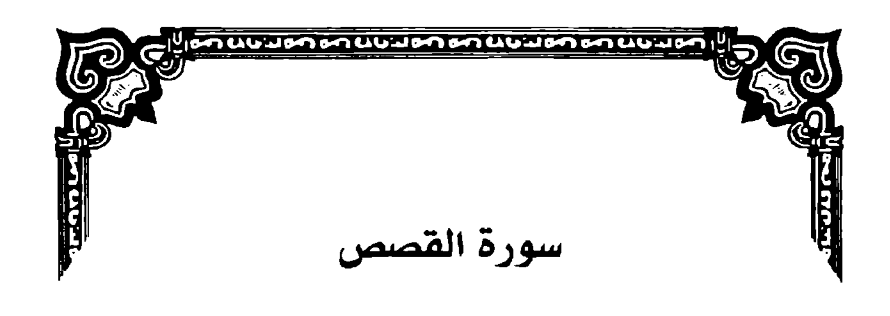
قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [٩١]:

{٦٤١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم فتح مكة: **«إن هذا البلد حرَّمَه الله يوم خلقَ السمٰوات والأرضَ، فهو حرام بحرمةِ الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شَوْكَهُ، ولا يُنفَّر صيدُه، ولا يَلْتقطُ لُقَطتَه، إلا مَنْ عرَّفَها، ولا يُختَلى خَلاَهَا»**.

رواه البخاري ومسلم كلاهما في الحجّ، وقد تقدم فيه.

البلدة: هي مكة المكرمة حرم الله كسائر منطقة الحرم، وهذا من أعظم فضائل هذه البلدة المقدّسة، لكن أكثر الناس لا يراعون حرمتها لا من ساكنيها ولا من زوّارها والطارئين عليها. وبهذا تمّت سورة النمل، والحمد لله على إفضاله وإحسانه، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه.





سورة القصص

هي ثمان وثمانون آية، وقد امتازت بذكر قصة قارون الطاغية.

قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [٢٨]:

{٦٤٢} ـ وعن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهم: أيّ الأجلين قَضَى مُوسى عليه السلام؟ قال: قضى أكثرَهما وأطيبهما.

رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٤)، وابن جرير (٢٠/٦٨)، وروي مرفوعاً من طرق.

المراد بالأجلين: الثمان أو العشر سنين التي اشرطها على موسى الشيخ في رعاية غنمه مقابل تزوّجه بابنته، فأتمّ موسى عشر سنين.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [٥٤]:

{٦٤٣} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ثلاثةٌ يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين: عبدٌ أدّى حقَّ الله وحقَّ مواليه، فذلك يؤتى أجرَه مرتين، ورجلٌ كانت عِنده جاريةٌ وضِيئَةٌ فأدَّبها فأحْسَن أدبَها، ثم أعتقها ثم تزوّجها يَبْتَغِي بذلك وجهَ الله،**

فذلك يُؤتى أجرَه مرتين، ورجلٌ آمن بالكتاب الأول، ثم جاء الكتاب الآخر فآمن به، فذلك يُؤتى أجره مرتين».

رواه البخاري في العلم (٩٧/١) وفي العتق رقم (٢٥٤٤) وفي الجهاد (٣٠١١) وفي أحاديث الأنبياء (٣٤٤٦) وفي النكاح (٥٠٨٣)، ومسلم في الإيمان رقم (١٥٤)، والنسائي في الكبرى (٣١٢/٣) وفي المجتبى، والترمذي (٩٩٧)، وابن ماجه (١٩٥٦) وغيرهم.

في الحديث فضل هؤلاء الأصناف وأنهم يعطون الأجر مرّتين، ومنهم المذكورون في الآية الكريمة من الكتابيين الذين آمنوا بكتابهم ثم بكتابنا. ولا شكّ أن الأُمّة المحمدية ممن لهم السَّبْق في ذلك لإيمانهم بجميع الرسل والكتب بدون تفرقة بين ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [٥٦]:

{٦٤٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعمّه: **«قل: لا إلـه إلاّ الله أشهدُ لك بها يومَ القيامة»**، قال: لولا أن تُعَيِّرَني بها قريشٌ إنما يَحمِلُه عليه الجَزَعُ لأقْرَرْتُ بها عَيْنك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

رواه مسلم في الإيمان (٢١٦/١٥)، والترمذي في التفسير (٢٩٨١).

في الحديث بيان معنى الآية الكريمة التي نزلت بسبب عدم إيمان أبي طالب، وفي ذلك دليل على أنه لم ينطق بشهادة الإسلام، وكم كنا نود أن يشهر إسلامه لكن الله هو العليم الحكيم يفعل ما يشاء لا معقّب لحكمه، وقد تقدم شيء من هذا في سورة التوبة، ويأتي تمام الكلام على هذا في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

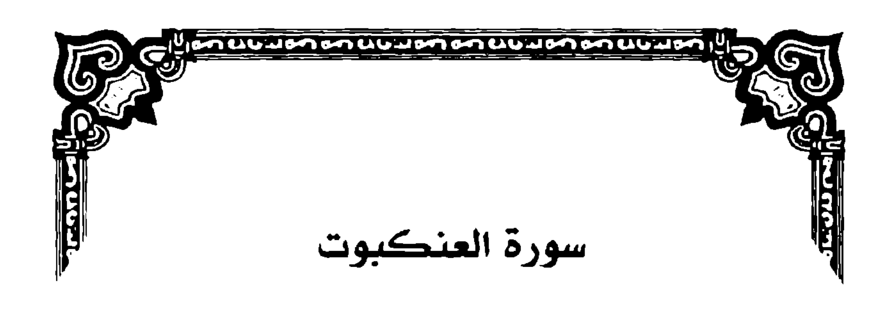
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [٨٥]:

{٦٤٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكّة.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٥)، وابن جرير (٢٠/١٢٥).

هذا أصح ما جاء في تفسير الرد إلى المعاد، وانظر باقي الأقوال عند ابن جرير. وقوله: إن الذي فرض عليك القرآن أي: أنزل عليك القرآن.

وبهذا تمّت سورة القصص. والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم وبارك على حبيبنا محمد وآله الطيّبين وزوجاته الطاهرات وصحابته الأبرار وحزبه الأخيار.



سورة العنكبوت

آياتها تسع وستون، وفيها آية كريمة تبشر المحبّين المشتاقين لله عزّ وجلّ ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ﴾ [٨]:

{٦٤٦} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أُنْزِلتْ فيّ أربعُ آيات، فذكر قصته في ذلك. وقالت أمّ سعد: أليس قد أمر الله بالبرّ، والله لا أطعمُ طعاماً ولا أشربُ شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يُطْعِمُوها شَجَرُوا فاهَا، فنزلت: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية.

رواه أحمد رقم (١٥٦٧، ١٦١٤)، ومسلم (١٥/١٨٥)، والترمذي (٢٩٨٢) كلاهما في الفضائل، وأبو داود وغيرهم.

شجروا أي: فتحوا فمها. وفي الآية الكريمة وجوب الإحسان إلى الوالدين والبرور بهما وإن كانا كافرين غير أنهما لا يطاعان في غير طاعة الله تعالى. وفي الحديث فضل سعد وقوّة إيمانه وثباته رغم ما كان يعانيه من البلاء وقت هذه القصة مع والدته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [٤٥]:

{٦٤٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إن فلاناً يُصَلّي بالليل فإذا أصْبَح سَرَق، فقال: «سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ».

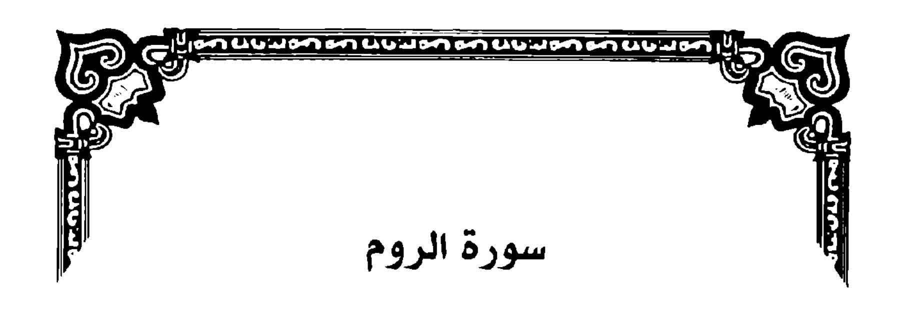
رواه أحمد (٤٤٧/٢)، وابن حبان رقم (٢٥٦٠)، والبزار(٧٢٠) وسنده صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٢): ورجاله رجال الصحيح، وله شاهد عند البزار (٧٢١، ٧٢٢) عن جابر برجال ثقات. الآية مع الحديث يدلاّن على أن الصلاة من شأنها أن تنهى صاحبها عن المعاصي وتهذّب أخلاقه، وهو نصّ القرآن والسنّة النبويّة. وإذا وجد من يصلّي ولا ينتهي عن الفواحش، فإنما ذلك لعدم توفر شروط صحة صلاته، وأنها غير معتبرة ولا مقبولة.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية [٤٦]:

{٦٤٨} ـ فيه حديث أبي هريرة: «**لا تُصَدِّقُوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبُوا ولكن قُولُوا**: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية»، رواه البخاري وغيره، وقد تقدم في سورة البقرة.

وبهذا تمّت سورة العنكبوت ولله الحمد على توفيقه وإنعامه، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.





سورة الروم

وهي مكّية وآياتها ستون، وفيها ذكر تلك المعجزة الخالدة بالإخبار بتغلب الروم على فارس ووقوع ذلك كما أخبرت.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [١ ـ ٥]:

{٦٤٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان المشركون يُحِبُّون أن يَظْهَر أهلُ فارس على الروم لأنهم وإياهم أهلُ الأوثان، وكان المسلمون يحبون أن يَظْهَر الرُّوم على فارس لأنهم أهل الكتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: **«أما إنهم سيغلبون»**، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«ألا جعلته إلى دون»**، **قال**: أراه العشر، قال: قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾، قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر.

رواه أحمد (٢٧٦/١، ٣٠٣)، والترمذي (٢٩٨٥)، والنسائي (٤٢٦/٦) في الكبرى كلاهما في التفسير، والحاكم (٤١٠/٢)، وصححه الترمذي، والحاكم وقال: هذا على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

كان الروم وفارس يتقاتلون دائماً فانتصرت فارس على الروم، ودخلت الشام وغيرها حتى ألجأت قيصر إلى استنبول وحاصروها مدة، فأخبر الله عزّ وجلّ بأن الروم ستغلب فارساً وتهزمها، فبعد بضع سنين نشبت بينهما حرب من جديد، فانتصرت الروم، وانهزمت أمامها فارس وكان ذلك في وقعة بدر عند انتصار المسلمين على كفار قريش، ففرح المسلمون بالنصرين.

وفي الآية معجزة غيبية عظيمة دالّة دلالة قطعية على حقّية القرآن، وأنه كلام الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وأن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نبيّ صادق ليس في ذلك شكّ ولا ريب.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٢٧]:

{٦٥٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقول الله تعالى: كذَّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياه فقوله: لن يُعِيدَني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصمد الذي لم يَلِد ولم يُولَد ولم يَكن له كُفُواً أحد**».

رواه أحمد (٣١٧/٢، ٣٩٣، ٣٩٤)، والبخاري في التفسير رقم (٤٩٧٥، ٤٩٧٤) وفي بدء الخلق (١٠٠/٧)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٤)، وابن حبان (٥٠٠/١) بالإحسان.

الشتم: هو الوصف بالنقائص، والحديث من الأحاديث القدسية، وفيه بيان حلم الله حيث إنه تعالى خلق بني آدم ورزقهم... وهم يكذّبونه ويشتمونه ومع ذلك فلا يعاجلهم بالعذاب ولا يقطع عنهم رفده.

وفي الآية مع الحديث بيان عظمة الله وقدرته على كل شيء، وأنه سيعيد خلقه من جديد بعد موتهم وتلاشيهم كما بدأهم أول مرة وكل ذلك عنده سهل هيّن.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [٣٠]:

{٦٥١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البهيمة بهمة جمعاء لا تُحسون فيها من جَدْعاء، ثم يقول:** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾» إلخ.

رواه البخاري في التفسير (١٣١/١٠)، ومسلم في القدر (١٠٧/١٦، ٢٠٩).

فطرة الله: اختلف العلماء في المراد بالفطرة هنا في الآية والحديث، فقيل: هي ما أخذ الله تعالى عليهم في أصلاب آبائهم، وأن الولادة تقع طبق ذلك حتى يقع التغيير من الأبوين، وقيل معناه: كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، ويؤيّده حديث: «**إني خلقت عبادي حُنَفاء كلَّهم، وأنهم أتَتْهم الشياطينُ فأضَلَّتْهُم عن دينهم**» الحديث يأتي في موضعه، وهو في صحيح مسلم. قال النووي: والأصح أن معناه: أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمرّ على الإسلام إلخ.

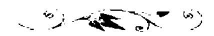
وقوله في الحديث: بهمة جمعاء أي: مجمعة للأعضاء سالمة لا توجد فيها جدعاء أي: مقطوعة الأذن، ومعناه: كما أن البهيمة تولد كاملة لا نقص فيها، وإنما يحدث الجدع والنقص فيها فيما بعد، كذلك الأولاد يولدون سالمين من الكفر ومبادئه حتى يكفرهم مربّوهم من الآباء وغيرهم بواسطة الشياطين.

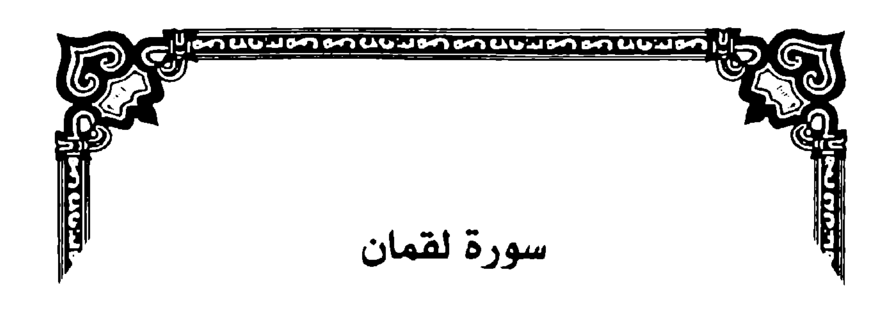
قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [٥٢]:

فيه حديثا أبي طلحة وابن عمرو رضي الله تعالى عنهما في قصة القليب قليب بدر، وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا فلان بن فلان**»... وجعل ينادي الكفار الملقون في البئر ثم قال لهم: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**»، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله ما تكلّم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، وتقدم تخريجهما في سورة الأعراف في آية (٤٤)، ففي الحديث دليل على أن الأموات يسمعون كلام الأحياء، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه، وهذا قول عامّة العلماء، وفي الحديث الصحيح: «**إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولّى عنه أصحابه إنه ليسمعُ قرعَ نِعالهم**»، رواه مسلم (٢٠٣/١٧).

قال ابن كثير: والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم أن الميت يعرف بزيارة الحي ويستبشر، ثم ذكر آثاراً كثيرة عن السلف في ذلك، ثم قال: والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المُسَلِّم الرَّدَّ، إلخ. وراجعه فإن له بقية مهمة. أمّا ما جاء عن مولاتنا عائشة في استدلالها بهذه الآية، فهو فهم لما فهمته رضي الله تعالى عنها؛ لأن المراد بهؤلاء في الآية موتى القلوب من الكفار..

وبهذا تمّ الكلام على تفسير سورة الروم. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة لقمان

آياتها أربع وثلاثون، وامتازت بذكر وصايا لقمان الحكيم لولده، تلك الوصايا الرائقة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [٥]:

{٦٥٢} ـ عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا تَبِيعُوا القَيْناتِ ولا تَشْتَرُوهُنَّ ولا تُعَلِّمُوهُنَّ، ولا خَيرَ في تِجَارَة فِيهِنَّ، وثَمَنُهُنَّ حرامٌ، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾» الآية.

رواه أحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٨)، والحميدي (٩١٠)، والطيالسي (١١٣٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٨٨)، وابن ماجه (٢١٦٨)، والطبراني في الكبير (٨/٢١٢)، والبيهقي (٦/١٤)، وهو حديث حسن لطرقه، ومن شواهده ما أخرجه ابن أبي شيبة (٦/٣٠٩)، وابن جرير (٢١/٦١)، والحاكم (٢/٤١١)، والبيهقي (١٠/٢٢٣) عن ابن مسعود أنه سُئل عن هذه الآية، فقال: هو الغناء والذي لا إلٰه إلاّ هو. يردّدها ثلاث مرات. وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ومنها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٦٥)، وابن جرير (٢١/٦١)، والبيهقي (١٠/٢٢١) عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في الغناء وأشباهه، وسنده صحيح أيضاً ولا يضرّ هنا عطاء بن السائب.

القينات جمع قينة ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ: هي المغنية، والحديث يدلّ على أن الآية الكريمة نزلت في الغناء، وأنه لا يجوز بيع الجواري المغنيات ولا شراؤهنّ إن وجدن، وفي ضمن ذلك تحريم تأجير المغنيات مطلقاً كما يفعله الناس اليوم؛ كما يدلّ على تحريم سماع أغاني النساء لما في ذلك من إثارة الشهوة الجنسية وفساد القلب وفتنته، والغناء رُقيةُ الزنا كما يقال، وقد زاغ وافترى من أباح سماع أغاني النساء على الإطلاق، فإن من أباح ذلك فقد أباح زنى السمع، عافانا الله من ذلك، آمين.

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣]:

{٦٥٣} ـ عن عبيدالله رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقالوا: أيّنا لم يلبِسْ إيمانه بظلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**».

رواه الشيخان: وقد تقدم في سورة الأنعام، فهناك تخريجه وبيان معناه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ الآية [٣٤]:

{٦٥٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمهنّ إلاّ الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾» الآية.

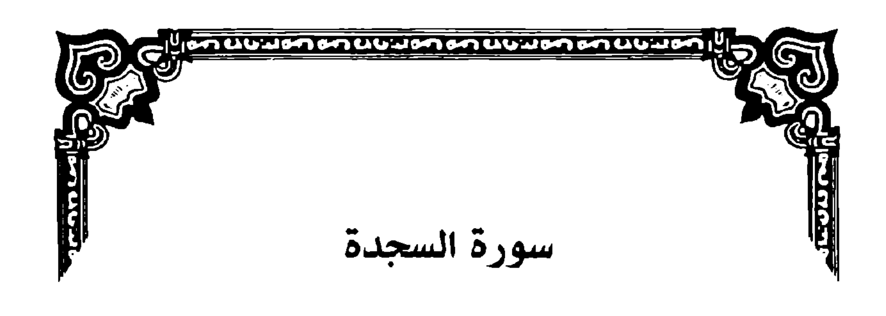
رواه أحمد (٢٤/٢، ٥٢، ٥٨، ١٢٢)، والبخاري في مواضع، وقد تقدم في سورة الأنعام والإحالة إلى هنا، ونحوه عن أبي هريرة في حديث جبريل رواه الشيخان وتقدم في الإيمان، وفي الباب عن جماعة.

مفاتيح: جمع مفتاح وهو آلة الفتح، وهذا على الاستعارة، فالأُمور الغيبية كأنها مخازن خزنت فيها المغيبات، فاستعير المفاتيح لها.

والآية وما في الباب يدلّ على أن خزائن المغيّبات الخفية لا يعلمها إلاّ الله تعالى، فهو المنفرد بعلمها جملةً وتفصيلاً، غير أنه يجب أن يعلم أن العلم المنفي هنا، وفي الأنعام وفي قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، إنما هو العلم بالذات، أما بواسطة تعليم الله عزّ وجلّ، فغير مراد قطعاً لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾، وإذا ثبت أن الرسل قد يطلعهم الله على بعض غيبه وكذا بعض ملائكته، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة، كذلك قد يطلع بعض عباده الصالحين على ذلك بالإلهام والمكاشفة إكراماً لهم، كما تواتر ذلك عن الكثير من الصالحين. وقد ثبت الآن في الطب الحديث الاطّلاع على ما في رحم المرأة من الجنين ذكراً أم أنثى، كما ثبت بواسطة علم الأرصاد الجوية معرفة نزول المطر ومجيء الريح في مستقبل الأيام. وبهذا نعلم قطعاً أن نفي علم الخمس ونحوها إنما هو لمن يدّعيها بنفسه، أمّا ما كان بإعلام الله عزّ وجلّ على أيِّ وجهٍ كان فلا مانع من ذلك، فاعرف هذا ليذهب عنك كثير من الإشكالات.

وما قلناه ليس ببدع منّا، بل قاله العلماء قبلنا، ومنهم الإمام أبو الفداء بن كثير، فقد قال رحمه الله تعالى في تفسير سورة لقمان عند هذه الآية ما نصّه: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلاّ بعد إعلامه تعالى بها... ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه... وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه إلاّ الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون ومن شاء الله من خلقه... وللحافظ في الفتح هنا كلام جيد.

وبهذا تمّت سورة لقمان. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة السجدة

هذه السورة الكريمة هي خاتمة الثمان المكّيات المتواليات، وآياتها ثلاثون.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [١ ـ ٢]:

{٦٥٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان.

رواه البخاري (٢٨/٣)، ومسلم (١٦٨/٦) كلاهما في الجمعة، ورواه البخاري في مواضع، وجاء مثله عن ابن عباس رواه مسلم (١٦٨/٦) وغيره.

{٦٥٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينامُ حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ ـ ٢] و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

رواه أحمد (٣٤٠/٣)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٧٠٠)، وفي الدعوات (٣١٨٤) بتهذيبي، والحاكم (٤١٢/٢) بسند صحيح.

في الحديثين مزية اختصاص لهذه السورة، ففيهما سنية تعاهدها بأن تقرأ مع سورة الملك كل ليلة، وأن يصلّى بها صبح الجمعة مع سورة الإنسان.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [١٦ ـ ١٧]:

{٦٥٧} ـ فيه حديث معاذ الطويل، وفيه: وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

رواه أحمد والترمذي وغيرهما، ويأتي مطوّلاً في موضعه.

وقوله: تتجافى أي: تتباعد عن مواضع النوم قياماً لصلاة الليل والتهجّد، خوفاً من عذاب الله ورجاء في رحمته.

{٦٥٨} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلُغ به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ولا خطَر على قلب بشر، وتصديقُ ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»**، وفي رواية: **«اقرؤوا إن شئتم»**.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٣٤) وغيره، ومسلم في الجنّة رقم (٢٨٢٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٩٠، ٣٠٧٥)، وفي الباب عن المغيرة يأتي في صفة الجنّة إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث كالآية بشارة للمتهجدين بالليل، وأن الله عزّ وجلّ أعدّ لهم في الجنّة ما لا يخطر على بال ولا سمعت به أذن، ولا رأته عين من أنواع النعيم مما هو فوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [٢١]:

{٦٥٩} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى:

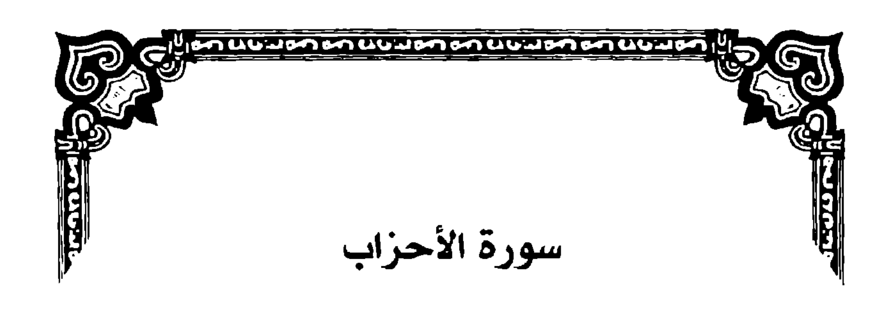
﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ الآية، قال: مصائب الدنيا والروم والبطشة أو الدخان.

رواه مسلم في صفة القيامة رقم **(٢٧٩٩)**.

في الآية والحديث أن للكافرين عذاباً أدنى، هو بلايا الحياة وما يشابهها وعذاباً أكبر هو المعدّ لهم في جهنّم، أعاذنا الله تعالى منه، أمين.

وبه تمّ الكلام على سورة ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.





سورة الأحزاب

السورة الكريمة مدنية، وقد جاءت مفردة خلال العديد من السور المكّية، فقد تقدم قبلها ثمان سور مكّيات على التوالي، كما جاء بعدها ثلاث عشرة سورة على التتابع كلها مكّيات بدءاً من سورة سبأ إلى نهاية سورة الأحقاف.

وآيات هذه السورة ثلاث وسبعون:

قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [٤]:

{٦٦٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾، ما عنى بذلك؟ قال: قام نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً يصلّي فخطر خَطْرةً، فقال المنافقون الذين يُصلُّون معه: ألا تَرَوْن أن له قلْبين قلباً معكم وقلباً معهم، فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ﴾ الآية.

رواه أحمد رقم (٢٤١٠)، والترمذي (٢٩٩٢)، وابن جرير (١١٨/٢١)، وابن أبي حاتم (٣١١٢/٩)، والحاكم (٤١٥/٢)، وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وتبعه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند، وفيه قابوس بن أبي ظبيان مختلف فيه، وباقي رجاله رجال الصحيح.

نفت الآية الكريمة أن يكون للإنسان قلبان في جوفه، كما رمى المنافقون بذلك نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [٥]:

{٦٦١} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيدَ بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾.

رواه البخاري (١٣٦/١٠)، ومسلم في الفضائل رقم (٣٢٠٧)، والترمذي في التفسير (٣٠٠١) بتهذيبي.

في الآية كالحديث إبطال ما كان عند الجاهلية من إلحاق الأولاد بغير آبائهم كما هو حال الناس اليوم، بل زاد أهل العصر إدراجهم معهم في الوثائق الرسمية، فيصبحون كالأولاد الشرعيّين ينسبون إليهم ويتوارثون فيما بينهم، وهذا منكر أيّ منكر لا يجوز الإقدام عليه ولا إقراره.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [٦]:

{٦٦٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما من مؤمن إلا وأنا أوْلَى الناس به في الدُّنيا والآخرة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، فأيّما مؤمِن تركَ مالاً فَلْيَرِثه عَصَبَتُه من كانوا، فإن تركَ دَيناً أو ضَياعاً فَلْيأتِني فأنا مَوْلاهُ»**.

رواه البخاري في التفسير (١٣٥/١٠) وفي الفرائض (١٠/١٥) وفي الكفالة وفي الاستقراض، ومسلم في الفرائض رقم (١٦١٩).

قوله: «النبيّ أولى بالمؤمنين» إلخ، معناه: أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أحقّ بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور دينهم ودنياهم، وأنه أرأف بهم، وأعطف عليهم، ولذلك كان حكمه أنفذ، وطاعته أوجب. والحديث يدلّ على أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يتكفّل بديون المديونين، والقيام بالضائعين الذين لا مال لهم ولا مموّل، والمراد بالعصبة في الحديث: الورثة مطلقاً.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [٩]:

{٦٦٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقول: «**لا إلـه إلاّ الله وحدَه أعزَّ جُنْدَه، ونصَر عبدَه، وغلَبَ الأحزابَ وَحْدَه فلا شيء بعدَه**».

رواه البخاري في المغازي (٤١١٤)، ومسلم في الذكر (٢٧٢٤).

{٦٦٤} ـ وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: دعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على الأحزاب: «**اللّهمّ مُنزِلَ الكِتابَ، سَريعَ الحساب، اهزم الأحزَابَ وزَلْزِلْهُم**».

رواه البخاري في المغازي (٨/٤١٠) وغيره، ومسلم رقم (١٧٤٢)، والترمذي (١٥٣٩) كلاهما في الجهاد، وأبو داود (٢٦٣١)، والنسائي في الكبرى (٥/١٨٨) و(٦/١٥٤)، وابن ماجه (٢٧٩٦).

الأحزاب: هم الكفار الذين تحزّبوا واجتمعوا ضدّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه وهاجموه في المدينة وحاصروه، ويأتي الكلام على غزوة الأحزاب في الغزوات إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [٢٣]:

{٦٦٥} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال عَمّي أنس بن النضر سُمّيتُ به، لم يشهد بدراً مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فكَبُر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم غِبْتُ عنه أنا، والله لئن أراني الله مَشْهَداً مَعَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ليَريَنَّ الله ما أصنع، قال: فهابَ أن يقول غيرَها، فشهد مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم أُحد من العام

القابل، فاستقبله سعدُ بن معاذ فقال: يا أبا عَمْرو أيْنَ؟ قال: وَاهًا لِرِيحُ الجنّة أجدُها دون أُحد، فقاتل حتى قُتل، فوُجد في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربَة وطَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ، قالت عمَّتي الرُّبَيّع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببَنَانِهِ، ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٣٦)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٣)، والترمذي (٢٩٩٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٣٠)، وابن جرير (٢١/١٤٦، ١٤٧) وغيرهم، ويأتي بقيته في مواضع متفرّقة.

وفي الحديث فضل أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه، وأنه ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [٢٨ ـ ٢٩]:

{٦٦٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما أُمِرَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بتَخْيير أزواجِهِ بدَأَ بِي، فقال: **«يا عائشة، إني ذاكِرٌ لكِ أمراً فلا عليك أن لا تَعْجَلي حتى تستأمري أبوَيْكِ»**، قالت: وقد علم أن أبوايَ لم يكونا ليأمُراني بفراقِهِ، قالت: ثم قال: **«إن الله قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾»، قلت: في أي هذا أستأمر أبوَيَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مثلَ ما فعلتُ.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٣٨، ١٣٩، ١٤٠)، ومسلم في النكاح (١٠/٧٨)، والترمذي (٢٩٩٦) بتهذيبي، ويأتي حديث جابر في ذلك أيضاً في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث فضل أُمّهات المؤمنين وخاصة عائشة حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الدنيا ومتاعها. وفي الآية بيان شرف النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وكرمه على الله حيث انتصر له، وأمره أن يأمر نساءه بالتخيير بين الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [٣٢]:

{٦٦٧} ـ عن عُمَر بن أبي سلَمَة رضي الله تعالى عنهما ربيبِ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: لما نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ إلخ، في بيت أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فجلَّلَهُم بكساءٍ، وعليّ عليه السلام خلف ظهره فجلَّله بكِساء، ثم قال: «**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: «**أنتِ على مكانِك وأنتِ على خير**».

رواه الترمذي في التفسير (٢٩٩٧) وفي المناقب، والحديث صحيح لشواهده عن أمّ سلمة رواه الحاكم (٤١٦/٢) وسنده صحيح، وعن واثلة رواه الحاكم (٤١٦/٢) وصححهما معاً ووافقه الذهبي.

«جلّلهم» أي: غطاهم بالكساء، قوله: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»، لا شكّ في هذا وأنهم أخصّ آله وأنهم داخلون في الآية الكريمة وأن الطهارة من الرجس... تشملهم، وانظر «الأنوار الباهرة» لكاتبه، ففيه ذكر فضائل أهل البيت...

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ **الآية [٣٥]**:

{٦٦٨} ـ عن أمّ عِمارة الأنصارية رضي الله تعالى عنها أنها أتتْ النبيّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقالت: ما أرى كُلَّ شَيْءٍ إلا للرِّجَال، وما أرَى النّساء يُذْكَرْنَ بشيء، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية.

رواه الترمذي (٣٠٠٢)، وابن جرير (٨/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣١/٢٥، ٣٢) ورجاله ثقات، وشريك لا يضرّ، فإن للحديث شواهد أقواها حديث أمّ سلمة بنحوه رواه أحمد (٣٠١/٦)، والنسائي في الكبرى (٤٣١/٦)، وابن جرير (٨/٢٢)، والطبراني في الكبير (٢٦٣/٢٣)، وورد أيضاً عن ابن عباس وغيره، فالحديث صحيح.

في الحديث دليل على فضل الرجال على النساء، وأنهم الأصل في كل شيء، والنساء إنما هنّ لهم بالتبعية، ولذلك خصّ الرجال بأُمور كثيرة اجتماعية أعفى منها النساء، وقد شعر بذلك النساء الصحابيّات رضي الله تعالى عنهنّ.

والآية الكريمة تدلّ على الأجر العظيم لمن اتّصف بهذه الصفات المذكورة فيها، وهي عشر.

{٦٦٩} ـ وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من اسْتَيقَظَ مِنَ اللّيل وأيقَظَ امْرَأَته فصَلَّيا ركعتين جميعاً كُتبا لَيلَتَهُما مِن الذَّاكِرين الله كثيراً والذَّاكرات»**.

رواه أبو داود (١٣٠٩، ١٤٥١)، والنسائي وابن ماجه (٣٣٥)، وأبو يعلى (١١١٢)، وابن حبان (٦٤٥) بالموارد، والحاكم (٤١٦/٢)، والبيهقي (٥٠١/٢) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

في الحديث فضل عظيم للمتهجدين، وفيه استحباب حمل الأهل على قيام الليل والتعبّد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [٣٦]:

{٦٧٠} ـ عن قتادة قال: خطب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم زينب وهي بنت عمّته وهو يريدها لزيد، فظنّت أنه يُريدُها لِنَفْسِه، فلما علمتْ أنه يريدها لزيد أبتْ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ الآية.

رواه الطبراني في الكبير (٤٥/٢٤)، وابن جرير (١١/٢٢)، قال النور في المجمع (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح.

الآية كالحديث يدلاّن على أنه لا خِيرَة لأحد مع حكم الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقضائهما، فمن رفض ذلك ولم يستسلم فقد ضلّ وزاغ عن طريق الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧]:

{٦٧١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لو كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآية.

رواه أحمد (١٤١/٦)، والترمذي (٣٠٠٠)، والنسائي (٤٣٢/٦) كلاهما في التفسير، وسنده صحيح، وأصله في التوحيد (١٨٣/١٨) من صحيح البخاري.

ما قالته مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها ظاهر، لأن الإنسان

مجبول على الدفع عن نفسه كل ما يشينه، وكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بخلاف ذلك؛ فالآية وإن كانت نزلت تخبر بما كان يخفيه في نفسه... فقد بلّغ ذلك ولم يكتمه.

{٦٧٣} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ الآية، نزلت في شأن زينب بنت جَحْش وزَيْد بنِ حارثة رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في التفسير (١٤٢/١٠) وفي التوحيد، والترمذي (٣٠٠٥)، والنسائي (٤٣٢/٦) في التفسير، وفي رواية للترمذي: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ في شأن زينب بنت جحش جاء زيد يشكو فَهَمَّ بطلاقها، فاستأذن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾».

رواه أحمد والحاكم (٤١٧/٢) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وانظر ابن جرير (٢٢، ١٣).

قصة زواج زيد بزينب رضي الله تعالى عنهما وهمُّه بطلاقها، وقول النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: أمسك عليك زوجك إلخ، وقع فيها خَبْطٌ وأخطاء فاحشةٌ من بعض من لا يحترم مقام النبوّة، رغم أن الأمر فيها واضح لا خفاء فيه، فهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أمره في الظاهر بإمساك زوجته وأَخْفَى في نفسه ما سيُبْديه الله مما كان قد أوحاه الله من أنها ستكون زوجته إذا طلّقها زيدٌ، وليس في ذلك ما يَخْدِش عصمته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم. أمّا ما زعمه بعض قليلي الدين من أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رآها فأعجبته وأخفى في نفسه التزوّج بها إلى آخر ذلك الهراء، هو كلام باطل ساقط لا يليق بمقام النبوّة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾﴾ الآية [٣٧]:

{٦٧٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا﴾ إلخ، قال: فكانت تَفْتَخِر على نساء النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم تقول: زَوَّجَكُنَّ أهْلُوكُنَّ وزوّجني الله من فوق سبع سمٰوات.

رواه البخاري في التوحيد (١٨/١٨٣، ١٨٤)، والترمذي في التفسير (٣٠٠٣) وحسّنه وصححه.

زينب هذه كانت من أُمّهات المؤمنات الصالحات الوَرِعَات، وهذه مَزية لها ليست لغيرها، حيث إن الله زوّجها له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بغير وليّ...

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ [٤٥]:

{٦٧٤} ـ عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فقلت: أخْبِرْني عن صفة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في التوراة، قال: أجَلْ والله إنّه لمَوْصُوفٌ في التوراة ببعْضِ صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزاً للأُمِّيِّين أنتَ عَبْدي ورسولي سمَّيْتُك المُتوكِّل ليس بفَظٍّ ولا غَلِيظ ولا صَخَّاب في الأسواق، ولا يَدْفعُ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويَصْفَحُ ويغفرُ، ولن يقبِضَهُ الله حتى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجاء بأن يقولوا: لا إلٰه إلاّ الله، فيفتحُ به أعْيُنا عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً.

رواه أحمد (٢/١٧٤)، والبخاري في البيوع (٥/٢٤٦)، وفي تفسير سورة الفتح (١٠/٢٠٧، ٢٠٨)، وفي الأدب المفرد (٢٤٦).

قوله: «حرزاً للأميين» أي: حِصْناً للعَرَب، وقوله: «صَخَّاب» ويقال بالسين: هو الرافع صوته، وقوله: «الملة العوجاء» يعني: دينَ إبراهيم عليه السلام الذي غيَّرهُ العربُ وعَوَّجُوه، فبعث هذا الرسول العظيم ليقيمه ويُرْجِعَه إلى أصله الخالِص.

والحديث يدلّ على موافقة التوراة للقرآن في بعض صفات النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ككونه رسولاً وشاهداً ومبشّراً ونذيراً، فيا خسارة من عرفه وكفر به من اليهود والنصارى وغيرهم، وباقي أبحاث الحديث تأتي في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ﴾ [٥١]:

{٦٧٥} ـ قال عروة رحمه الله تعالى: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهَبْن أنفُسَهُن للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما تَسْتَحيي المرأة أن تَهَب نفسَها للرجل، فلمّا نزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يُسارعُ في هواك.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٤٤، ١٤٥) وفي النكاح، ومسلم في الرضاع رقم (١٤٦٤)، وأبو داود (٢١٣٩)، والنسائي رقم (٣١٩٩) كلاهما في النكاح، ويأتي هناك بألفاظ أُخر.

في هذه الآية الكريمة خصيصة لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، حيث أباح الله له أن يعامل زوجاته كيف يشاء يمسك منهنّ من يشاء، ويطلّق من يشاء، ويجامع من يشاء، ويترك من يشاء، واختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات من النساء اللائي عنده أنه مخيّر فيهنّ إن شاء قسم، وإن شاء لم يقسم. قال ابن كثير: وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي... إلخ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [٥٢]:

{٦٧٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نُهِي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن أصناف النساء إلاّ ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ الآية، وأحلّ الله فتياتكم المؤمنات، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ وحرم كل ذات دين غير الإسلام، ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٠٦) بسند صحيح.

{٦٧٧} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما مات رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى أحلّ الله له النساء.

رواه أحمد (١٨٠/٦، ٢٠١)، والترمذي (٣٠٠٧) بتهذيبي، والنسائي في المجتبى (٣٢٠٥)، وابن حبان (٢١٢٦) بالموارد، والحاكم (٤٣٧/٢) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

خلاصة ما ذكره المفسّرون وشراح الحديث في هذا الموضوع، أن هذه الآية: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ﴾ إلخ نزلت مجازاة لأزواج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث أحْسَنَّ في اختيار الله ورسوله والدار الآخرة بدل الدنيا ومتاعها، فحرم عليه تعالى أن يتزوج بغيرهنّ أو يتبدّل بهنّ أزواجاً سواهنّ إلا ما كان من الإماء، ثم رفع عنه هذا الحرج وأباح له التزوّج كما صرحت به السيدة المبرأة عائشة رضي الله تعالى عنها، ولكنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يقع منه بعد ذلك زواج.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا

طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [٥٣]:

{٦٧٨} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنا أعلم الناس بهذه: الآية الحجاب لما أُهديَتْ زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كانت معه في البيت صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدّثون فجعل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخرجُ ثم يرجع وهُمْ قُعُودٌ يتَحدَّثُون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، فضرب الحجاب وقام القوم.

رواه البخاري في التفسير (١٤٨/١٠) وفي التوحيد، ومسلم في النكاح (١٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٤٣٤/٦، ٤٣٥، ٤٣٦) بألفاظ مطوّلاً ومختصراً.

{٦٧٩} ـ وعنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: قلت: يا رسول الله يدخلُ عليك البَرُّ والفاجرُ، فلو حجبتَ أُمّهاتِ المؤمنين، فأنزل الله عزّ وجلّ آيةَ الحجاب.

رواه البخاري في التفسير (٢٣٥/٩) ج (١٤٦/١٠، ٢٨٦)، والنسائي في الكبرى (٤٣٥/٦)، وراجع ما سبق في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

{٦٨٠} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت آكُلُ مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حِيساً في قَعْبٍ، فمرّ عمرُ رضي الله تعالى عنه فدعاه، فأكل فأصاب أصبعُه أصبُعِي، فقال: حس أو أوه! لو أُطاعُ فيكُنَّ ما رأتكنَّ عينٌ، فنزل الحِجاب.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٣٥)، والطبراني في الأوسط قال النور في المجمع (٧/٩٣): ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

قوله: قعب ـ بفتح القاف وسكون العين ـ: قدح ضخم، وقوله: حس: هي كلمة تقال عند العرب إذا أصيب الإنسان أو أصاب غيره بما تكرهه نفسه، وقوله: أوه: كلمة تقال عند التوجّع والشكاية.

في هذه الأحاديث بيان سبب نزول آية الحجاب، والاختلاف إما يحمل على التعدّد أو نزولها بأحد السببين، ثم صادف الثاني النزول. والآية الكريمة جاءت تؤدّب الصحابة في تعاملهم مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عند دخولهم بيوته، وفيها آداب سامية تتعلّق بالثقلاء الذين يطيلون الجلوس بعد الأكل في الولائم وعند الزيارات ولا يراعون جانب أهل الدار، كما فعل بعض الصحابة مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولذلك كان بعض السلف يقول: إن هذه الآية تسمى آية الثقلاء. وقال بعض المفسّرين: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [٥٦]:

{٦٨١} ـ عن كعب بن عُجرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: **«قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم إنك حميدٌ مَجيدٌ، اللّهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».**

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٥٢)، ومسلم في الصلاة (٤/١٢٦، ١٢٧) وباقي الجماعة، وتقدم في الأذكار والدعوات مع أحاديث أخرى والحمد لله.

الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن العباد دعاء

وصلاة الله تعالى على نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ثناؤه عليه عند ملائكته المقرّبين بما يليق بقدره ومنزلته عنده. ثم الصلاة عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الواجبات الإسلامية على المؤمنين في كل صلواتهم، ومن الرغائب العظيمة في كل الأحيان، وخاصة ليلة الجمعة ويومها، ولها فضائل جمّة لا يستهان بها، فالسعيد من وُفّق للإكثار منها عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [٥٩]:

{٦٨٢} ـ عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغِرْبان من الأكسِيَة، وفي رواية: من أكسية سُودٍ يلبَسْنها.

رواه ابن أبي حاتم (**٣١٥٤/١٠**) من طريق عبدالرزاق، وأبو داود في اللباس (**٤٠٩٨**) بسند صحيح، وانظر الدرّ المنثور (**٦٥٩/٦**).

{٦٨٣} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرجت سودة رضي الله تعالى عنها بعدما ضُرِب الحجاب لحاجتِها، وكانت امرأةً جَسِيمَة لا تَخْفَى على مَن يَعْرِفُها، فرآها عُمر رضي الله تعالى عنه فقال: يا سودة إنك والله ما تَخْفين علينا، فانظري كيف تَخْرجِين، فانكفأتْ راجعةً ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في بيتي، وإنه ليَتَعَشَّى وفي يده عِرْقٌ فدخلتْ، وقالت: يا رسول الله إني خرجتُ لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا، فأوحي إليه ثم رفع عنه، وإن العِرْقَ في يده فقال: **«إنَّهُ قد أُذِنَ لكُنّ أن تَخْرُجن لحاجتِكُنَّ»**.

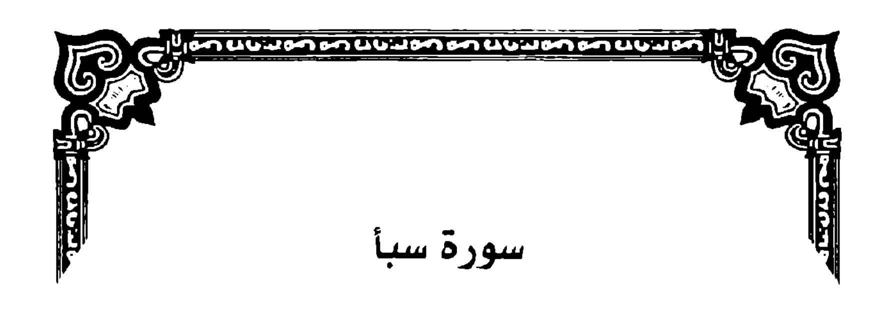
رواه البخاري في التفسير (**١٥٠/١٠**)، ومسلم في السلام (**١٥٠/١٤، ١٥٢**) وغيرهما.

الجلابيب: جمع جلباب، وهي الملاءة التي تلبسها المرأة فوق الثياب وتلتحف بها عند خروجها من منزلها، ولا يكون ذلك إلاّ مع الأجانب غير

ذوي محرم، والجلباب يشبه ما يستعمله نساء الحجاز والعراق وإيران المسلمات.

وحجاب المرأة المسلمة واجب إسلامي فمن أنكره فقد أنكر القرآن وكذب الله عزّ وجلّ فيما قال وأمر به، فالقرآن الكريم يأمر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بإبلاغ نسائه وبناته ونساء المؤمنين بأن يسْتُرْنَ محَاسِنَهُنَّ وزِينَتَهُنَّ بالجلابيب، غير أن أُمّهات المؤمنين اختصن بحجب جميع أجسادهنّ وأشخاصِهن فهو فرض عليهنّ بلا خلاف في الوجه والكفّين، فلا يجوز لهنّ كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا يجوز لهنّ إظهار شخوصهن وإن كنّ مستترات، أمّا غيرهنّ من سائر النساء فلا يجب عليهن إلا تغطية محاسنهنّ وزينتهنّ بما يعدّ ساتراً شرعاً، بأن يكون الثوب واسعاً غير شفّاف ولا رقيق، سابغاً غير قصير، ولا زينة في نفسه، ولا مطيباً معطَراً. وفي حديث عائشة في قصة سودة دلالة على الإذن للنساء في الخروج لحوائجهنّ. وبهذا تمّت سورة الأحزاب، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة سبأ

آيات السورة أربع وخمسون، واختصّت بذكر تلك القصة الغريبة قصة أهل سبإ التي سمّيت السورة بهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ الآية [١٥]:

{٦٨٤} ـ وعن فَرْوَة بن مُسَيْك المرادي رضي الله تعالى عنه قال: وأنزل في سبإ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرضٌ أو امرأة؟ قال: **«ليس بأرضٍ ولا امرأة، ولكنه رجلٌ ولد عشرةً من العرب فتَيَامَنَ منهم ستّةٌ، وتَشَاءَمَ منهم أربعةٌ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة. وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار»**، فقال رجل: يا رسول الله، ما أنمار؟ قال: **«الذين منهم خذعم وبجلة»**.

رواه أبو داود في الحروف (٣٩٧٨)، والترمذي في التفسير (٣٠١١)، والحاكم (٢/٤٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، والحديث حسنه قوم وصححه آخرون لشواهده.

قال المؤرّخون: كانت سبأٌ ملوكَ اليمن، وكان تُبَعٌ وبلْقِيسُ صاحبةُ سليمان عليه السلام من جُمْلَتِهم، وكانوا في نِعمةٍ وغِبْطَة في بلادهم وعيشِهم واتّساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسلَ فآمنوا بهم وأطاعوهم ما شاء الله، ثم أعرضوا عمّا أمِرُوا به فعوقبوا بإرسال السَّيْل العَرِم فتفرّقوا في البلاد.

وقوله: ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، يقال: إن سبأ كان يسمّى عبد شمس وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وتناسل منه عشرة رجال هم أصول القبائل العربية، فلما نزل بهم سيل العرم تفرّقوا في البلاد، فسكن الشام لخم، وجذام، وغسان، وعاملة، فكانوا رؤوس القبائل العربية هنالك، وسكن اليمن الباقي وهم الأزد، والأشعريّون، وحِمْيَر، وكِنْدَة، ومَذْحِج، وأنمار.

ولخم - بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة - وجُذام - بضم الجيم - وغسان - بفتح الغين المعجمة والسين المشددة - وعاملة - بكسر الميم - وحمير كمنبر، وكنده - بكسر الكاف وسكون النون - ومذحج - بفتح الميم وسكون الذال وكسر الحاء - والأزد - بفتح الهمزة وسكون الزاي - واختلف النسّابون هل كان قحطان من العرب العاربة الذين كانوا قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام أم هو من سلالة إبراهيم والعرب المستعربة؟ الصحيح أنه من ولد إبراهيم ويؤيّده حديث البخاري أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مرّ بنفر من أسلم ينتضلون فقال: «**ارمُوا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً**»... وأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار بأوْسِهَا وخَزْرَجِها من غسّان من عرب اليمن السبئيين الذين نزلوا يثرب - المدينة - بعد سيل العرم، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [٢٣]:

{٦٨٥} - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربَتْ الملائكةُ بأجْنِحَتِها خُضعاناً لقوله كأنه سِلْسِلة على صَفْوَان، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: الحقّ وهو العليّ الكبير**».

رواه البخاري (١٠/١٥٧)، والترمذي (٣٠١٢) كلاهما في التفسير.

قوله: «**إذا قضى الله الأمر**» في رواية للنواس بن سمعان عند الطبراني:

«**إذا تكلّم الله تعالى بالوحي**»، وقوله: خضعاناً أي: خاضعين، وقوله: سلسلة إلخ أي: كصوت السلسلة على حجر أملس، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: رُفع عن قلوبهم الفزعُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [٢٨]:

{٦٨٦} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أُعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء: نُصِرت بالرعب... وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى الناس عامّة**».

رواه البخاري في التيمّم (١/٤٥٣، ٤٥٥)، ومسلم في المساجد (٥/٤، ٤) مطوّلاً، وتقدم في التيمّم كاملاً، وانظر ما سبق في سورة الأعراف آية (١٥٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ [٣٩]:

{٦٨٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ما من يوم يَصْبح العبادُ فيه إلا ملكان يَنْزلان فيقولُ أحدهما: اللّهمّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللّهُمّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**».

رواه البخاري (٤/٤٧)، ومسلم (٧/٩٥) كلاهما في الزكاة.

هذه النفقة تشمل النفقة على النفس وعلى الزوجة والأولاد والوالدين والضيوف وغير ذلك، فكلها يخلفها الله بأضعاف أضعافها، وهذا مما لا ينبغي أن يشك فيه. أما تلف الممسك، فالظاهر أنه يكون في الإمساك عن الواجبات، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [٥٠]:

{٦٨٨} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله

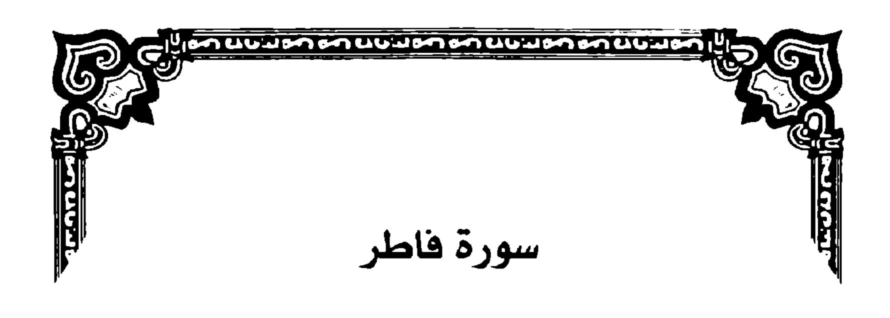
صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في سفر، فأشرف الناس على وادٍ فجهروا بالتكبير والتهليل: الله أكبر، الله أكبر، لا إلٰه إلاّ الله، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يا أيُّها الناسُ ارْبَعُوا على أنفسكم إن الذي تَدعون ليس بأصمَّ إنه سميعٌ قريب إنه معكم»** أعادها ثلاث مرات.

رواه البخاري في الجهاد (٢٩٩٢) وفي المغازي وفي الدعوات (٦٢٨٤) وفي القدر، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤)، وأبو داود في الصلاة والترمذي في الدعوات.

اربعوا ـ بكسر الهمزة وفتح الباء ـ أي: ارفقوا، وفي الآية والحديث بيان أن الله متّصف بالسمع والقرب، وهما صفتان لله عزّ وجلّ يليقان بألوهيّته وجلاله، فليس كمثله شيء، فتفسيرهما إمرارهما كما جاءتا، فهو تعالى حاضر شاهد قريب سميع بصير، وكل هذه الصفات هي خلاف صفاتنا، فاعرف ذلك.

وبهذا تمّت سورة سبأ. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة فاطر

وهي خمس وأربعون آية، وامتازت بذكر العلماء الذين يخشون الله عزّ وجلّ. . .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [٣٢]:

{٦٨٩} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**قال الله عزّ وجلّ:** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، **فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنّة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يُحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ إلى ﴿لُغُوبٌ﴾».

رواه أحمد (١٩٤/٥، ١٩٧ ـ ١٩٨)، وابن جرير (١٣٧/٢٢)، وابن أبي حاتم وهو عند أحمد من طريقين: أحدهما سنده صحيح على شرط مسلم، وللحديث شواهد عن أبي سعيد رواه أحمد (٧٨/٣)، والترمذي (٣٠١٤)، وابن جرير (١٣٧/٢٢)، وابن أبي حاتم (٣٨١/١٠) وفيه: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنّة». وعن ابن عباس رواه ابن أبي حاتم (٣١٨١/١٠) بلفظ: مظالمهم.. مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم في الجنّة بغير حساب. وعن عوف بن مالك رواه ابن أبي

حاتم (١٠/٣١٨١، ٣١٨٣)، وفي الباب آثار كثيرة في هذا المعنى انظرها عند ابن جرير وغيره.

وفي الآية الكريمة مع ما في الباب من الأحاديث فضل عظيم لهذه الأُمّة المحمدية، وفسروا الظالم لنفسه بالمفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، والمقتصد بالمؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات. أما السابق فهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات... جعلنا الله تعالى من هذا القسم بمنّه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧]:

{٦٩٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أعذر الله عزّ وجلّ إلى امرىءٍ أخّرَ عُمُرَه حتى بَلغ سِتين سنة**»، وفي رواية: «**العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم سِتُّون**»، يعني ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ الآية.

وفي رواية: «**لقد أعذر الله إلى عبدٍ أحيَاهُ حتى بلغَ سِتّين أو سبعين سنة لقد أعذر الله إليه**».

رواه أحمد (٢/٢٧٥، ٣٢٠، ٤١٧)، والبخاري في الرقاق (١٤/١٤)، والرواية الثانية رواها البزار. أما الأخيرة فهي عند أحمد (٢/٢٧٥)، والحاكم (٢/٤٢٧، ٤٢٨).

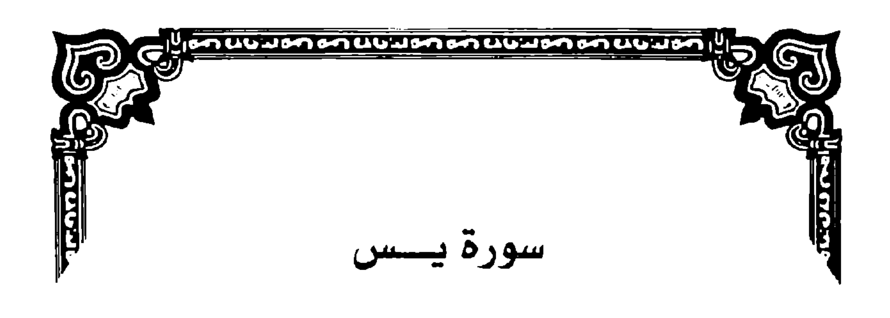
أعذر أي: بالغ في العذر حتى لم يبق له عذر، فإن إطالة العمر إلى الستين هو وقت يتاح للعبد فيه الرجوع إلى الله تعالى والانكفاف عن مواقع سخطه وغضبه، فبعد هذا العقد لم يبق له عذر يعتذر به، فما بقي بعده إلا

ترقب الموت ولقاء الله والاستعداد لذلك، ألهمنا الله رشدنا، وجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائه، آمين.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ﴾، معناه: أوَ لست قد فسحت لكم في الأجل وأطلت أعماركم حتى وصلت بكم إلى سنّ يتذكر فيها من يريد أن يتذكر، فماذا صنعتم في هذه المدة التي عشتموها؟! هذا يقال للكفار وأشباههم يوم القيامة...

وبه تمّت سورة فاطر. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.





سورة يــس

السورة ثلاث وثمانون آية، ولها خصائص مجرّبة، ومن فضائلها الحديث الآتي:

{٦٩١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من قرأ يٰس في ليلةٍ أصبح مَغفُوراً له، ومن قرأ حم التي يُذكرُ فيها الدُخان أصبح مغفوراً له»**.

رواه الطيالسي (١٩٧٠) مع المنحة، والدارمي (٣٤٢٠)، وأبو يعلى (٦١٩٦)، والطبراني في الصغير (٤١٧)، والسياق لأبي يعلى غير أنه قال: في ليلة جمعة، قال ابن كثير في التفسير: إسناده جيد، قلت: بل سنده صحيح رجاله رجال الصحيح عند الدارمي مع اختلاف في سماع الحسن من أبي هريرة، وللشطر الأول شاهد عن جندب بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من قرأ يٰس في ليلة ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ غُفر له»**.

رواه ابن حبان (٢٥٧٤) بسند صحيح، وعنعنة الحسن هنا لا تضر، والله أعلم، أما غير هٰذا فلا يصح شيء منه.

ومن خصائصها كما قال ابن كثير أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسّره الله تعالى قال: وكأنَّ قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]:

{٦٩٢} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النُّقْلة إلى قُرْب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن آثاركم تكتب**» فلم ينتقلوا.

رواه الترمذي (٣٠١٥) في التفسير وحسّنه، والحاكم (٢/٤٢٨، ٤٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، ويشهد له حديث ابن عباس بنحوه رواه ابن جرير (٢٢/١٥٤)، قال الحافظ في الفتح: (٢/٢٨١): أخرجه ابن ماجه وإسناده قوي.

وظاهر الحديثين أن الآية نزلت بسبب بني سلمة غير أن الآية مكّية، وقصة بني سلمة كانت بالمدينة، وقد يُجاب باحتمال نزولها مرتين، وقصة بني سلمة جاءت في الصحيحين دون ذكر الآية، وقد تقدم بعض ذلك في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [٣٨]:

{٦٩٣} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال: «**يا أبا ذرّ أتَدْرِي أين تذهب هذه الشمسُ**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**تذهب تسجدُ تحت العرش فتَسْتَأْذِنُ فيُؤذن لها، ويوشك أن تسجدَ فلا يُقبلُ منها، وتَسْتَأْذِنُ فلا يُؤْذَنُ لها فيقال لها: ارجِعِي مِن حَيثُ جئتِ، فتطْلُع مِنْ مغربها**»، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.

رواه أحمد (٥/١٧٧، ١٥٢)، والبخاري في التفسير (١٠/١٦١) وفي بدء الخلق وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان (٢/١٩٥، ١٩٦)، وأبو داود

في الحروف (٤٠٠٢)، والترمذي في الفتن (٢٠١٦)، وفي التفسير (٣٠١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٣٩).

الكلام على الآية والحديث في مبحثين: أولاً: في سجود الشمس، ثانياً: في مستقرّها. أما سجودها تحت العرش بين يدي الربّ فتضاربت فيه الأقوال، والظاهر أنها دائمة السجود وليس لها وقت خاص لا تسجد إلا فيه، فإنها إذا غربت على قوم طلعت على قوم آخرين، فسجودها مستمر، وهي مع سائر هذا العالم تحت العرش، وهذا وأمثاله يجب الإيمان به على ما أراده الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

أما مستقرّها فلها استقرار مكاني وهو تحت العرش على ما سلف، واستقرار زماني وهو منتهى سيرها وهو يوم القيامة حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها. وفي الآية والحديث دليل قاطع على أن الشمس تجري في فلكها كباقي الكواكب السيارة، كما قال في آية أخرى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

فالفكرة التي كانت تقول بثباتها فكرة خاطئة، معتقدها كافر.

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٦٥]:

{٦٩٤} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فضحك حتى بدتْ نواجذه، ثم قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أتدرون ممّ أضحكُ؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من مُجادلة العبدِ ربَّه يوم القيامة، يقول: ربّ ألم تُجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيزُ عليَّ إلا شاهداً من نَفْسِي، فيقول: كفَى بنفسك اليومَ عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شُهُوداً، فيُختَم على فِيه ويقال لأركانه انطِقي فتنطِقُ بعَملِه، ثم يُخلّى بينَه وبَين الكلام، فيقول: بُعْداً لكنَّ وسُحقاً فعنكنَّ كنتُ أناضِل**».

رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠٨)، وتقدم في سورة النور، ويأتي أيضاً في الانفطار وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [٦٩]:

{٦٩٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: هل كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثّل بشعر ابن رواحة ويقول:

ويأتيك بالأَخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

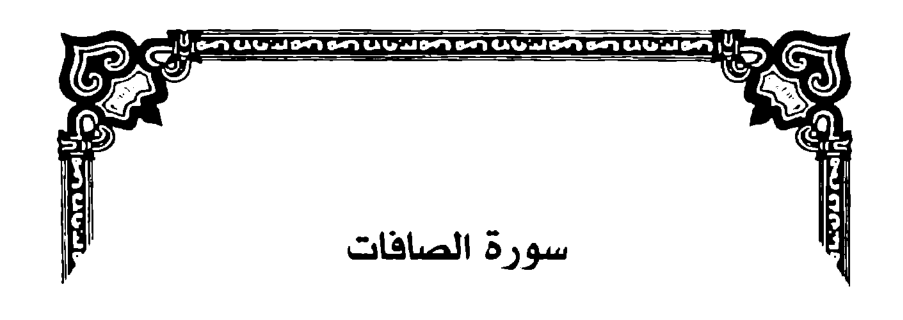
رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٧)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٥٧)، وفي الشمائل (٢٤١) وحسّنه وصححه.

{٦٩٦} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لأنْ يَمْتَلِىءَ جوفُ أحدِكم قَيحاً حتى يَرِيَهِ خيرٌ له من أن يمتلىء شِعْراً»**.

رواه البخاري في الأدب (١٦٧/١٣)، ومسلم في الشعر (١٤/١٥، ١٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٦١)، وابن ماجه (٣٧٥٩) وغيرهم.

قوله: تزوّد ـ بضم التاء وكسر الواو المشدّدة ـ من التزويد، أي: قد يأتيك بالأخبار من لم تعطه زاداً، بل يأتيك بها بالمَجان. وقوله: يريه ـ بضم الياء الأولى وتفتح ـ أي: حتى يفسده أو يهلكه، وقيل: حتى يصيب رئتيه.

والآية دالّةٌ على أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن يعلم قرض الشعر، وأنه منزّه عن ذلك؛ لأن أغلبه كذبٌ، وخيالاتٌ، ولذلك يقولون: أحْلاَه أكْذَبه، كما أن أكثره في وصف الخمر والنساء، وخدودهنّ، وعيونهنّ، ونهودهنّ، وقدودهنّ... وكل ذلك لا يليق بمطلق المؤمنين الملتزمين فكيف بمقام النبوّة، وإنما كان يتمثّل ببعض الأشعار المشهورة المشتملة على الحكم، ولذا قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن من الشعر لَحِكَماً»**، وحديث أبي هريرة يدلّ على ذمّ الشعر وحفظه، وذلك محمول على ما ذكرنا من الشعر البذيء؟



سورة الصافات

آياتها ثنتان وثمانون، ومن أبرز خصائصها قصة الذبيح وفديته بالذبح العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [٧٧]:

{٦٩٧} ـ عن سمرة عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«سامٌ أبو العرب، وحامٌ أبو الحَبَشِ، ويافِثُ أبو الرُّوم».**

رواه أحمد (٥/٩، ١٠، ١١)، والترمذي في التفسير (٣٠٢٠)، والطبراني في الكبير (٦٨٧١)، والحاكم (٢/٥٤٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة مع الحديث الشريف دالآن على أن ما يوجد من البشر هم من ذرية نبيّ الله نوح عليه الصلاة والسلام الذين تناسلوا من أولاده الثلاثة المذكورين، وكان له ولد رابع كنعان غرق كافراً مع من غرق في الطوفان.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [١٦٥، ١٦٦]:

{٦٩٨} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«ألا تَصُفُّون كما تصُفُّ**

الملائكةُ عند ربهم»، قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «**يُتِمُّونَ الصَّفَّ المُقَدَّم، ويتراصُّون في الصف**».

رواه مسلم في الصلاة (٤٣٠)، وأبو داود (٦٦١)، والنسائي في الكبرى (٤٤١/٦) وفي المجتبى، وابن ماجه (٩٩٢).

في الآية والحديث دليل على أن الملائكة يصلون مصطفين، وأنهم يسوّون صفوفهم ويتمّونها، وأنه ينبغي لنا أن نتشبّه بهم ونقتدي بأفعالهم في صلاتنا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ إلخ، قال المفسّرون: في قولهم هذا ردّ على المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله أو شركاء له، فها هم يعترفون على أنفسهم بالعبودية لله تعالى والطاعة له وتنزيهه جلّ علاه عمّا لا يليق به.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [١٧٧]:

{٦٩٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أتى خيبر فصلّى عندها الغداةَ، فركِبَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وركِب أبو طلحة وأنا رَدِيفُ أبي طلحة، فأجْرى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في زُقاقِ بخَيْبر، فانكشفَ فخِذُه حتى إني لأنظر إلى بياضِ فخذِهِ، فأتى خيبر فقال: «**إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

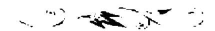
رواه البخاري في الصلاة (٣٧١) وغيرها، ومسلم في غزوة خيبر من الجهاد والسير (١٦٣/١٢، ١٦٤).

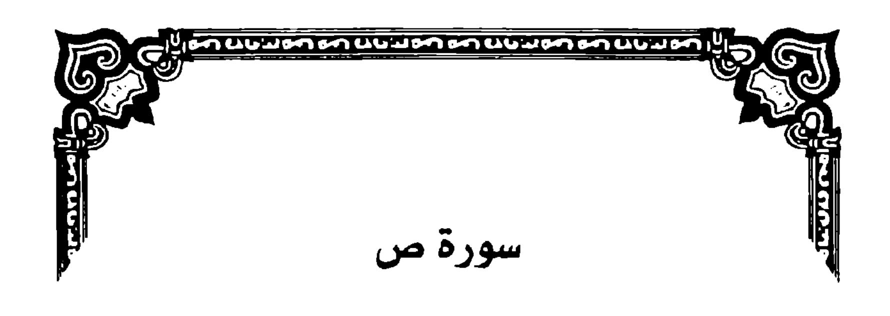
زقاق ـ بضم الزاي ـ: طريق ضيّق. وأشار النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله هذا إلى أنه سينتصر على اليهود، وأن العذاب سيحقّ بهم لا محالة. والساحة: هي فناءٌ أمامَ البيوت.

{٧٠٠} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يأمُرنا بالتخفيف ويؤمّنا بالصّافّات.

رواه أحمد (٢٦/٢، ٤٠)، والنسائي في الكبرى وفي المجتبى (٨٢٦)، وابن خزيمة (١٦٠٦)، وابن حبان (٤٧٠) بالموارد وسنده صحيح.

الحديث يدلّ على أن التخفيف المأمور به في السنة هو تخفيف نسبي، فالسور فيها طوال وأطول ووسط وقصار، فمن قرأ مثلاً بالبقرة فقد أطال، لكن من قرأ بق أو بالصافات فقد خفّف بالنسبة للبقرة، وهكذا من قرأ بوسط القصار كسبح الأعلى والشمس وضحاها، فالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كانت أحوالُه في صلاته تختلفُ تشريعاً لأُمّته التي يختلف أفرادُها قوةً وضَعْفاً. وبهذا تمّت سورة الصافات. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة ص

وهي ثمانون آية، وتمتاز بذكر فتنة سليمان وداود عليهما الصلاة السلام.

قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [١ ـ ٧]:

{٧٠١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرض أبو طالب فجاءته قُريشٌ، وجاءه النبيُّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعند أبي طالب مجلِس رجُلٍ فقام أبو جهل كَيْ يمنعَه، قال: وشكَوْهُ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، ما تُريد من قومك؟ قال: «**أُريد مِنهم كلِمةً تَدِينُ لهم بها العربُ، وتُؤدِّي إليهم العَجَمُ الجِزْيَة**»، قال: كلمة واحدة، قال: «**كلمة واحدة**»، فقال: «**يا عمّ قولوا: لا إلـٰه إلاّ الله**»، فقالوا: أإلـٰهاً واحداً؟ ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾، قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾.

رواه أحمد (**١/٢٢٧**)، والترمذي في التفسير (**٣٠٢١**)، والنسائي في الكبرى (**٦/٤٤٢**)، وأبو يعلى (**٢٥٨٦**)، وابن حبان (**١٧٥٧**)، والحاكم (**٢/٤٣٢**)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

تعجّب الكفار مما قال لهم حبيب الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم

هو من أعجب العجائب، فلو كانت لهم عقولٌ يهتدون بها لما تعجّبوا من وحْدَة الأُلوهيّة، ولما تأخّروا عن إجابته إلى ما دعاهم إليه، ولكنها لا تَعْمَى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [٢٤]:

{٧٠٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: السَّجْدَةُ في صَ لَيْسَتْ مِن عَزَائِمِ السُّجُود، وقد رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَسْجُدُ فيهاَ.

رواه البخاري في الصلاة وفي الأنبياء، والترمذي في سجود القرآن (٥١٥)، والدارمي (١٤٧٥)، وأبو داود (١٤٠٩) والنسائي وغيرهم.

{٧٠٣} ـ وعن مجاهد رحمه الله تعالى أنه سُئِل عن سجدة صَ، فقال: سألت ابن عباس من أينَ سجدتَ؟ فقال: وما تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾... ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيّكم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يَقْتَدِيَ به فسجدَها داود عليه الصلاة والسلام، فسجدها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٦٤).

في الحديثين كالآية الكريمة أن السجود عند هذه السجدة مشروعٌ في ديننا تبعاً لسجود داود عليه السلام الذي سجدها توبةً، وسجدها نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم شُكْراً، كما جاء في حديث لابن عباس رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٤٢)، والبيهقي (٢/٣١٩) برجال ثقات.

وليست من العزائم كباقي السجدات التي شرعها لنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ووردت العزيمة على فعله.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾:

{٧٠٤} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالتْ: قدم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غَزْوة تبُوك أو خيبر وفي سهْوتِها سِتْرٌ

فَهَبَّ ريحٌ فكشفتْ ناحِيَةَ السِّتْرِ عن بناتٍ لعائشة، فقال: **«ما هذا يا عائشة»**؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: **«ما هذا الذي أرى وسطهُنّ»**؟ قالت: فرسٌ، قال: **«وما هذا الذي عليه»**؟ قالت: جناحان، قال: **«فرسٌ له جناحان»**؟ قالت: **«أما سمعت أنّ لِسليمان خَيلاً لها أجنحة»**؟ قالت: فَضَحِكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُه.

رواه أبو داود (٤٨٩٤) في الأدب، والنسائي في الكبرى (٣٠٦/٥، ٣٠٧) في عشرة النساء، وابن حبان (٥٨٦٤)، والبيهقي (٢١٩/١٠) بسندٍ صحيح.

في الحديث جواز اتخاذ البنات من صور الحيوانات للتدريب على التربية، وأن ذلك مرخّص فيه للفتيات الصغار، وأنها مستثناة من تحريم اتخاذ الصور، وفي الحديث فطنة مولاتنا عائشة وفقهها رضي الله تعالى عنها، وفيه موافقة الزوجة على لعبها وعدم الإنكار عليها، وجواز الضحك بالقهقهة لمن لا يتخذ ذلك عادة له.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [٣٥]:

{٧٠٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إنّ عِفريتاً من الجِنّ تَفَلّتَ عليَّ البارحة أو كلمة نحوها ليقطعَ عليَّ الصلاة، فأمكنَنِي الله تعالى منه وأردت أن أربطَه إلى ساريةٍ من سوارِي المسجد حتى تُصْبِحُوا وتنظروا إليه كُلُّكُمْ فذكرتُ قول أخي سليمان:** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ **فردّه خاسئاً»**.

رواه البخاري في أول الصلاة وفي بدء الخلق وفي الأنبياء وفي التفسير (١٦٧/١٠)، ومسلم في المساجد رقم (٥٤١)، والنسائي في الكبرى (٤٤٣/٦)، ونحوه عن أبي الدرداء في مسلم (٥٤٢)، وعن عائشة في كبرى النسائي.

في الحديث بيان عظمة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقوّته الجسمية والروحية حيث ألقى القبض على العفريت من الجنّ، وفيه تأدّبه مع نبيّ الله سليمان عليه الصلاة والسلام، ولولا دعاؤه لتحكم فيه وربطه حتى يصبح فيَرَاهُ الناسُ مُعْتقلاً.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [٥٠]:

{٧٠٦} ـ عن عبدالله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رِداءُ الكِبْرِ على وجهه في جَنَّاتِ عَدْنٍ»**.

رواه البخاري في التفسير (٤٨٧٩) وفي التوحيد (٢٠٦/١٧)، ومسلم في الإيمان رقم (١٨٠)، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٤٥)، والنسائي في الكبرى (٤٤٣/٦)، وابن ماجه (١٨٦).

رؤية المؤمنين لربّهم في الجنّة وغيرها ثابتة بطريق التواتر عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونصّ عليها القرآن الكريم، وأجمع عليها أهل السنة، وأنكرها المعتزلة والجهمية والإمامية الروافض وغيرهم من المبتدعة الضالّين، وقوله: إلا رداء الكبرياء على وجهه، هو من أحاديث الصفات، ومذهب السلف إجراؤه على ظاهره من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ [٥٩]:

{٧٠٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن الميت تحضُره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال: أُخرُجي أيتها النفسُ الطيّبة، كانت في جسد طيب أُخرجي حَميدة، وأَبْشِري برَوْح وريحان، وربٌ غير غضبان، يقولون ذلك حتى تخرج ثم يُصعَدُ بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدةً، وأبْشِري**

بروح وريحان، وربٍّ غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة.

وإذا كان الرجل السوء قيل: أخرُجي أيتُها النفسُ الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمةً، وأبْشِري بحَمِيم وغَساق، وآخر من شَكْله أزواجٌ، فيقال ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة فلن تفتح لك أبواب السماء».

رواه أحمد (٢/٣٦٤، ٣٦٥) ج (٦/١٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٣، ٤٤٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٢) وسنده صحيح، وله شاهد عن البراء مطوّلاً ذكرته في «مشاهد الموت»، وتقدم في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾.

الشاهد من الحديث: «**وآخر من شكله أزواج**»، والحميم: هو الماء الحار الذي بلغ النهاية في الغليان، والغساق: ما يسيل من صديد أهل النار ودمائهم، ثم عذاب آخر من مثل هذا العذاب وشكله أزواج كالسموم، والزمهرير، وأصناف العذاب وأنواعه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [٦٩]:

{٧٠٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أتاني الليلة ربّي تبارك وتعالى في أحسن صورة** ـ قال: أحسبه قال: **في المنام** ـ **فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأُ الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال: فوضع يده بين كَتفيَ حتى وجدتُ بَرْدَها بين ثَدْيَيَ** ـ أو قال: **في نَحْري** ـ **فعلمتُ ما في السمٰوات وما في الأرض، قال: يا محمد، هل تدري فِيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفاراتُ المكثُ في المسجد بعد الصلاة، والمشيُ على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك**

عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدَته أُمُّه، وقال: يا محمد إذا صلّيت فقل: اللّهمَ إني أسألك فعلَ الخَيرات وتركَ المُنكِرات وحُبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادِك فِتنةً فاقبِضني إليكَ غير مفتون، قال: والدَّرجاتُ إفْشاء السلام وإطعام الطعام، والصلاةُ بالليل والناس نِيام».

رواه أحمد رقم (٣٤٨٤)، والترمذي في سورة صَ رقم (٣٠٢٢) وسنده صحيح وله شاهد عن معاذ بن جبل بنحوه رواه أحمد (٥/٢٤٣)، والترمذي (٣٠٢٣)، والحاكم (١/٥٢١)، وحسّنه الترمذي وصححه، وفيه: **«فتجلّى لي كلُّ شيء، وعرفتُ»**، وقال في الدعاء: **«وأن تغفر لي وترحمني»** بعد حبّ المساكين، وله شاهد ثانٍ رواه أحمد (٤/٦٦) ج (٥/٣٧٨)، والحاكم (١/٥٢٠، ٥٢١) من حديث عبدالرحمٰن بن عايِش وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حديثا ابن عباس ومعاذ فيهما فوائد جمّة منها جواز رؤية الله في المنام، وهو قول الجمهور. وفي قوله: «فوضع يده» إلخ هو من أحاديث الصفات، فالله لا يوصف بجارحة. وقوله: «فعلمت ما في السمٰوات وما في الأرض»، وفي الرواية الثانية: «فتجلّى لي كل شيء وعرفت»، فيستدل بذلك على أن الله أطلع نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على كل شيء أراد اطّلاعه عليه مما في السمٰوات وما في الأرض، وأن إسباغ الوضوء والمشي إلى الجماعات وانتظار الصلاة من أفضل القُرُبات، وأن ذلك من مكفّرات الذنوب، وأن إفشاء السلام وما ذكر معه من أفضل القربات، وأنها من الدرجات، وهذه الخصال مما يتحدّث به الملائكة.

وبهذا تمّت السورة الكريمة. والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الزمر

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [٩]:

{٧٠٩} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على رجلٍ يعودُه، فوافقه وهو في الموت فسلّم عليه، وقال: «**كيف تجدُك**»؟ فقال: بخير يا رسول الله أرجو الله عزّ وجلّ وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لن يجتمِعا في قلبِ رجلٍ عند هذا الموطنِ إلا أعطاهُ الله ما رَجاهُ وأمّنَهُ ممّا يخافُ**».

رواه الترمذي في الجنائز (٨٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦١)، وأبو يعلى في المسند (٣٢٩٠، ٣٤٠٤) وحسّنه الترمذي والمنذري، وجوّده النووي.

في الآية فضل القائم الساجد الذي يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربّه وأنه لا يستوي مع من هو منحرف غافل، كما أن الحديث يدلّ على أن من استوى رجاؤه وخوفه عند الموت كان من الفائزين؛ ففي الآية والحديث بيان مقامي الخوف والرجاء، حقّقنا الله تعالى بهما.

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ **الآية** [٢٠]:

{٧١٠} ـ عن أبي سعيدٍ رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم قال: «**إن أهل الجنّة يتراءون أهل الغُرف مِن فوقهم كما تراءون الكوكب الدُّرّي الغابرَ في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المُرسلين**».

رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٥٦)، ومسلم في الجنّة (٢٨٣١)، وفي الباب غير هذا ويأتي في الرقاق. في الآية والحديث تفاضل سكان الجنّة في المنازل والدرجات حسب إيمانهم واستقامتهم وتفاوتهم في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ الآية [٤٢]:

{٧١١} ـ عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن في سفر ذات ليلةٍ، قلنا: يا رسول الله لم عَرَّستَ بنا، فذكر نومهم عن الصلاة، وفيه: «**إن الله قبَضَ أرواحكم حِينَ شاء وردَّها عليكم حِينَ شاء**» الحديث.

رواه البخاري وغيره، وقد تقدم في الصلاة، وهو مع الآية يدلاّن على أن النوم موت وقبض لروح الإنسان، فلا يبقى له شعورٌ، فإذا كان قد حلَّ أجلُه قبضها الله تعالى، وإلا أرسلها حتى تستوفي أجلها المضروبَ لها في هذه الحياة.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦]:

{٧١٢} ـ فيه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللّهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطرَ السمٰوات والأرض عالم الغيب والشهادةِ**» الحديث.

رواه مسلم وغيره، وقد تقدم في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الآية [٥٣]:

{٧١٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من أهل الشرك قد قتلوا فأكثَرُوا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسَنٌ لو تُخْبِرُنا أن لِما عمِلْنا كفارةً، فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ﴾، ونزلت: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٧٠)، ومسلم في الإيمان (٢/١٣٩، ١٤٠) وغيرهما.

هذه الآية الكريمة ذكر العلماء أنها أرجى آية في القرآن للعصاة، فهي تدلّ على عظيم رحمة الله وشمول مغفرته لكل مؤمن، وعلى الأخص التائب.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [٥٧]:

{٧١٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كلّ أهل الجنة يقول: لولا أن الله هداني فيكون له شكراً، وكل أهل النار يقول: لو أن الله هداني ليكون عليه حسرة**».

رواه أحمد (٢/٥١٢)، والنسائي (٦/٤٤٧)، والحاكم (٢/٤٣٥) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. في الحديث بيان أن كل الناس يوم القيامة يتمنّون أن لو كانوا هدوا في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [٦٧]:

{٧١٥} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له: يا محمد إنا نجد أن الله تعالى يجعل السمٰوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملِك، فضحك النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى بدَتْ نواجذه تَصْدِيقاً لقول الحَبر، ثم قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية.

رواه أحمد (٣٥٩٠، ٤٣٦٨)، والبخاري في التفسير (١٧١/١٠)، وفي التوحيد (٢١٤/١٧، ١٦٩، ١٧٠)، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي (٤٤٦/٦، ٤٤٧) كلاهما في التفسير. وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة، وسيأتي ذلك في الرقاق إن شاء الله تعالى.

ما في الآية والحديث من اليمين والقبض هي من صفات الله تعالى الذاتية يجب الإيمان بها وإمرارها كما جاءت من غير اعتقاد الجارحة والجسمية أو التشبيه.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات لا تكيّف ولا تحدّد، وقال الحافظ في الفتح: والأولى في هذه الأشياء الكفّ عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد.

وقد أبعد النجعة بعض الأشاعرة المتأخرين، فزعم أن هذا الحديث وأمثاله شواذ رغم أنها في الصحيح وتلقاها العلماء بالقبول، ولذلك ردّ الحافظ على هذا القائل، وقال: إن في ذلك طعناً على ثقات الرواة، ورداً للأخبار الثابتة. انظر كتاب التوحيد من الفتح (١٧١/١٧)، وكتاب التفسير

(١٧١/١٠)، لهذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عظموه حقّ عظمته، وما أعطوه الصفات اللائقة به مع ما له من العظمة والكبرياء.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [٦٨]:

{٧١٦} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**كيف أنعَمُ وقد التقَمَ صاحب القرنِ القرن، وحَنَى جبهتَه وأصغَى سَمْعه ينتظر أن يُؤمَر أن يَنفخ فينفخ**»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونِعْم الوكيل، توكّلنا على الله**»، وربما قال سفيان: «**على الله توكّلنا**».

رواه أحمد (٧/٣، ٧٣)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٥٢) وفي التفسير (٣٠٢٨)، وعطية العوض لا يضرّ هنا فقد رواه ابن ماجه (٢٥٦٩) من غير طريقة، ثم إن له شاهداً عن أبي هريرة رواه الحاكم (٥٥٩/٤) بسندٍ صحيح على شرط مسلم.

قوله: كيف أنعم ـ بفتح الهمزة والعين ـ أي: كيف تطيب لي الحياة والعيش والملك صاحب الصور قد تهيّأ للنفخ. وفي الحديث فضل حسبنا الله ونعم الوكيل، وأنه ينبغي قولها عند الشدائد والأهوال، فإن من كفاه الله لا يضام أبداً.

وهناك أحاديث تتعلق بالنفخة تأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى. وبهذا تمّت سورة الزمر والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة غافر

وآياتها خمس وثمانون، وهي بداية السور الحَوامِيم السبعة، وهي غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، وكلها مكّيات.

قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [١٤]:

{٧١٧} ـ فيه حديث ابن الزبير: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: **«لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوّة إلا بالله ولا إلـه إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إلـه إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»**.

رواه مسلم وغيره، وتقدم في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [٢٨]:

{٧١٨} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن أشدّ ما صنع المشركون برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: بينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلّي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعيْط، فأخذ بمنكب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولوّى ثوبه في عُنقه فخَنَقَه خَنْقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال: «﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾»...

رواه أحمد (٢٠٤/٢)، والبخاري في أوائل السيرة النبويّة (١٦٨/٨)، وفي التفسير (١٧٥/١٠)، ورواه أحمد (٢١٨/٢) من طريق ابن إسحٰق، والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦) مطوّلاً من حديث عمرو بن العاص، وللحديث شواهد عن عليّ وأنس وأسماء.

والحديث يصوّر لنا أشدّ ما فعله الكفار مع نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من أنواع الإذايات، وفيه فضل الصدّيق وشجاعته في دفاعه عن رسولنا الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، اقتداء في ذلك بمؤمن آل فرعون عندما قال ذلك لقومه في شأن رسالة كليم الله موسى عليه السلام ودعوته.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [٤٦]:

{٧١٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ألا إن أحدكم إذا مَاتَ عُرِض عليه مقعدُه بالغَداةِ والعشي، إنْ كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار حتى يَبْعثَه الله يوم القيامة»**.

رواه أحمد (١١٣/٢)، والبخاري في بدء الخلق رقم (٣٢٤٠)، ومسلم في الجنّة (٢٠٠/١٧، ٢٠١)، والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦)، وفي الجنائز من المجتبى.

الآية الكريمة استدلّ بها أهل السنّة على عذاب البرزخ والقبور وهي نصّ في عذاب الأرواح، وجاءت السنّة بثبوت عذاب الأجسام أيضاً، والأحاديث بثبوت فتنة القبر وعذابه كثيرة متواترة، ومع ذلك فقد أنكرها المعتزلة، ومن لفّ لفهم من المبتدعة الضالين وهوَّنوا من أمر القبور.

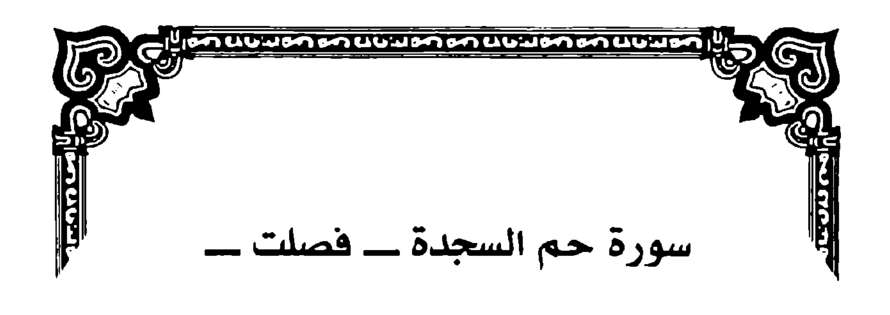
قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [٦٠]:

{٧٢٠} ـ عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

رواه أحمد، وأهل السنن وغيرهم، وحسّنه الترمذي وصححه، وتقدَّم في الدعوات.

والحديث يدلّ على أن الدعاء يُطلق على العبادة، وأنه أعلى وأرفع أنواعها وأشرفها، وبه تمّت السورة والحمد لله الذي بنعمته تتمَ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة حم السجدة ــ فصلت ــ

نزلت بعد ما قبلها، وآياتها أربع وخمسون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [٢٢]:

{٧٢١} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: اجتمع ثَقَفِيَّان وقُرشي عند البيت، فقال بعضُهم: الله يعلم ما نقول، وقال بعضهم: إذا أخفينا لم يعلم، وإذا جهرنا علم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٨٢)، وفي التوحيد رقم (٧٥٢١)، ومسلم في صفات المنافقين (١٧/١٢٢)، والترمذي في التفسير (٣٠٣٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥١) بألفاظ.

{٧٢٢} ـ وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾، قال: إنكم تدعون مُفْدَماً على أفواهكم بالفِدام، فأول شيء يُبِينُ على أحدِكم فخِذُه وكَفُّه.

رواه أحمد (٥/٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥١)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٧٠، ٣٢٧١)، والحاكم (٢/١٨٧، ١٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، وسنده حسن، وهو صحيح لطريقين له.

قوله: مفدماً إلخ ـ بضم الميم وسكون الفاء ثم دال مفتوحة ـ أي: أفواهكم مشدودة لأن الفدام ـ بكسر الفاء ـ هو ما يشدّ به الكوز والإبريق من خرقة ونحوها، ومعناه: أنهم يمنعون من الكلام بأفواههم ويختم عليها لتتكلّم جوارحهم.

والآية والحديث يدلأن على تكلّم الجلود والجوارح يوم القيامة، وهذا ليس بمستحيل في حقّ الله، فالإيمان به واجب، وتصديقه متحتّم والتكذيب به كفر، وها نحن أولاء الآن نشاهد الجمادات تتكلم وليست بجلود ولا بأجسام فيها حياة، فآمنا بالله وما جاء من عنده على ألْسِنة رُسُلِه صلوات الله وسلامه عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [٣٠]:

{٧٢٣} ـ عن سفيان الثقفيّ رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مُرْني بأمْرٍ في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدَكَ، قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«قل: آمنتُ بالله ثم اسْتَقِمْ»**، قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه. وفي رواية: **«قل: ربّي الله ثم استقِم»**.

رواه أحمد (٣/٤١٣) و(٤/٣٨٥)، والترمذي في الزهد (٢٢٣٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٢)، ورواه مسلم في الإيمان (٢/٨، ٩) مختصراً.

الاستقامة: هي الثبات على الإيمان وطاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الأقوال والأفعال والسلوك الحسن مع التخلّي عن الفواحش والذنوب... وهذا هو المطلوب من العبد، ولذا قالوا: كن طالب الاستقامة، لا طالب الكرامة، والحديث موافق للآية الكريمة، وأن من آمن بالله وما يتبع ذلك من كلّيات الإيمان ثم لزم طاعة الله ودام على ذلك فقد حاز كل خير، فلا يحتاج إلى شيء آخر يسأل عنه أهل العلم، وفي الحديث الحذر من سقطات اللسان، فإنه ذو حدّين فهو مصدر كل خير وشرّ، نسأل الله عزّ وجلّ الحفظ من آفاته، وأن يتفضّل علينا بالعفو والغفران.

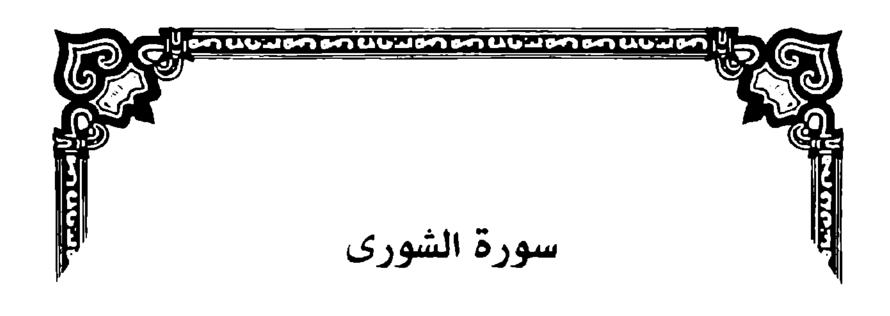
قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [٣٧]:

فيه حديث أبي بكر: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله يخوف بهما عباده**».

رواه البخاري وغيره، وقد تقدمت الإشارة إليه في الكسوف مع أحاديث أخرى، فارجع إليها.

وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الشورى

وهي ثلاث وخمسون آية، وقد امتازت بتلك الآية العظيمة التي هي روح التوحيد في النفي والإثبات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فمن اعترف بوجود الله ووحدانيّته وأثبت له أسماءه وصفاته الواردة في الكتاب والسنّة ونزّهه عما لا يليق بذاته من سمات الحدوث والنقائص كان موحداً بريئاً من التعطيل والتشبيه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [٣]:

{٧٢٤} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أحياناً يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجرسِ، وهو أشدُّه عليَ، فيُفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول»**، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً.

رواه البخاري في بدء الوحي (٢٠/١)، ومسلم في الفضائل (٨٨/١٥) وغيرهما، ويأتي في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

الصلصلة: هي الصوت، والجرس ـ بفتحتين ـ: هو الناقوس، فيفصم

من الثلاثي والرباعي أي: يقلع عني، وعيت أي: حفظت، ليتفصّد أي: ليسيل بالعرق.

للوحي معانٍ يطلق على الإشارة، وعلى الإلهام، وعلى ما ذكر هنا وله مراتب، ستأتي آخر السورة إن شاء الله تعالى، والحديث يدلّ على عظمة الوحي وثقله، وأنه لا يطيقه إلا من جعل الله تعالى فيه قوّة روحانيّة، وليس ذلك إلا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [٧]:

{٧٣٥} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفي يده كتابان، فقال: «**أتدْرُونَ ما هذان الكتابان**»؟ قال: قلنا: لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتابٌ من ربّ العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجْمِل على آخرهم لا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، ثم قال للذي في يساره: «**هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، فقال أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: فلأي شيء إذاً نعمل إنْ كان هذا الأمر قد فرغ منه، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**سَدِّدُوا وقارِبُوا، فإن صاحبَ الجنّة يُختمُ له بعمل الجنّة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل**»، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: «**فرغ ربكم عزّ وجلّ من العباد**»، ثم قال باليمنى فنبذها فقال: «**فريق في الجنّة**»، ونبذ باليسرى فقال: «**فريق في السعير**».

رواه أحمد (١٦٧/٢)، والترمذي في القدر (١٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (٤٥٢/٦، ٤٥٣) وسنده صحيح، ولذا حسّنه الترمذي وصححه.

في هذا الحديث الشريف أمور لا يعقلها البشر ولا تدركها العقول، فحسبنا الإيمان بما قال نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولكونه فوق مستوى العقول البشرية أنكره بعض المحدثين فضلاً عن غيرهم، وهو خطأ،

فإن لهذا الحديث مثلاً: الذاكرة، فهي حاملة لمحفوظات غير محصاة بحيث لو كتبت لجاءت في مجلّدات، ومثلاً آخر: وهو ما ظهر اليوم من أشرطة الحاسوب فيسجل في شريط صغير مئات المجلّدات من الكتب... وفي الحديث دليل على أن من كتب سعيداً أو شقياً لا يتبدّل أبداً. وقوله: سدّدوا أي: اطلبوا بأعمالكم السداد والقصد، وقاربوا أي: اتركوا الغلوّ والتقصير.

قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٧٣٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّتٍ أمّهاتُهم شتّى، ودينهم واحدٌ».**

رواه أحمد (٤٠٦/٢، ٤٣٧، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٤١)، والبخاري في الأنبياء (٢٩٩/٧)، ومسلم في الفضائل (١١٩/١٥)، وأبو داود في السنّة (٤٦٧٥)، وابن حبان (٧٤/١٤، ٧٥، ٣١٧).

إخوة لعلاّت هم الأخوة لأب واحد من أُمّهات شتّى.

ومعناه أن أصل إيمان الأنبياء واحد لا يختلفون فيه وشرائعهم مختلفة. والدين المذكور في الآية هو أصوله من التوحيد ومتعلّقاته اتفاقاً.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٣٣]:

{٧٣٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: عجلت إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن بطنٌ من بطون قريش إلا وله فيهم قرابةٌ، قال: إلا أن تَصِلُوا ما بَيْني وبينكم من القرابة.

رواه البخاري في المناقب وفي التفسير (١٠/١٨٥)، والترمذي في التفسير (٣٠٣٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥٣).

ومعنى الآية الكريمة لا أطلب منكم أجرة على التبليغ، وإنما أطلب منكم أن تودّوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً، وقيل في الآية غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ الآية [٣٠]:

{٧٣٨} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا تصيبُ عبداً نكبةٌ فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر**»، قال: وقرأ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ إلخ.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٣٨)، وهو وإن كان في سنده مجهول فإن له شاهداً عن الحسن مرسلاً رواه ابن أبي حاتم (١٠/٣٢٧٨) بسند صحيح، وله شاهد عن الإمام عليّ، يأتي في الرقاق وفي الباب آثار تؤيّده.

والآية والحديث يدلاّن على أن كل ما يصاب به الإنسان من نكبات وبلايا هو من كسبه وما عملت يداه من السقطات وذلك غالباً، وبهذا جاءت آيات أُخر في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾.

وهذا من لطف الله بعباده ورفقه بهم، فيكفّر عنهم ما يأتونه من ذنوب بما يصابون به وما يعفو عنه أكثر.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [٤١]:

{٧٢٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما علمت حتى دخلت عليَّ زينبُ بغير إذن وهي غضبى، ثم قالت: يا رسول الله أحْسبُكَ إذا قلبتْ لك بنتُ أبي بكر ذُرَيْعَتَيْهَا ثم أقبلتْ عليَّ، فأعرضتُ عنها حتى قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دُونَكِ فانْتَصِري**»، فأقبلتُ عليها حتى رأيتُها وقد يَبِس رِيقُها في فِيها ما تَرُدُّ عليَّ شيئاً، فرأيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يَتَهَلَّلُ وجهُه.

رواه أحمد وابنه في الزوائد (**٩٣/١**)، والبخاري في الأدب المفرد (**٥٥٨**)، والنسائي في الكبرى (**٤٥٣/٦**)، وابن ماجه (**١٩٨١**) بسند صحيح.

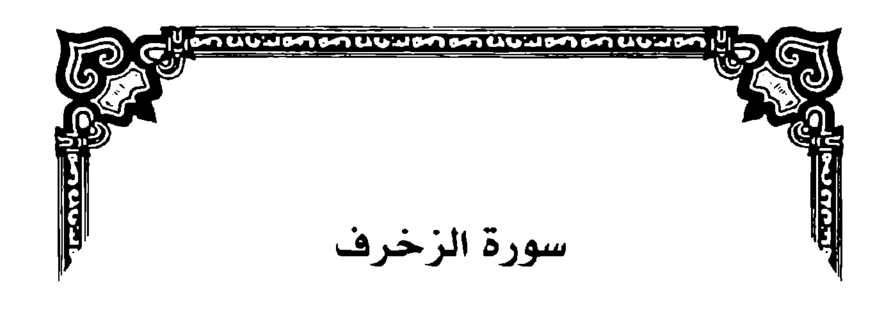
الانتصار عند الظلم لا مانع منه كما في الآية، وكما في الحديث الشريف من الإذن النبويّ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [٥١]:

{٧٣٠} ـ فيه حديث جابر: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب**» إلخ، رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه وغيرهم، ويأتي في الجهاد، وفيه حديث عائشة وغيرها، ويأتي ذلك مستوفى في السيرة النبويّة إن شاء الله تعالى.

للوحي أنواع ثلاثة: وحي ويشمل الرؤيا والإلهام، أو من وراء حجاب كما كلّم موسى ونبيّنا ليلة الإسراء عليهما الصلاة والسلام، أو بواسطة جبريل، وهذا إما أن يلقى في روعه ما يؤمر بإلقائه، أو يأتيه في صفة رجل فيحدثه بما يأتي به من عند الله عزّ وجلّ، والله تعالى أعلم.

وبهذا تمّ الكلام على سورة الشورى، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة الزخرف

آياتها تسع وثمانون.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [١٢ ـ ١٤]:

{٧٣١} ـ عن عليّ بن ربيعة رحمه الله تعالى قال: شهدت علياً رضي الله تعالى عنه أُتِي بدابّة لِيَركبَها فلمّا وضع رِجْلَه في الرِّكاب، قال: «بسم الله»، فلما استوى على ظهرها قال: «الحمد لله»، ثم قال: «﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»، ثم قال: «الحمد لله» **ثلاثاً** «الله أكبر» ثلاثاً «سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم صنع كما صنعتُ، ثم ضحك فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: **«إن ربَّك ليَعْجَبُ من عبدِه إذا قال: ربّ اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: عَلِمَ عَبْدي أنّه لا يغفر الذنوب غيري»**.

رواه أحمد (٩٧/١، ١١٥، ١٢٨)، والطيالسي (١٣٢)، وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي في الدعوات (٣٢٢١)، والنسائي في الكبرى (٤٨/٥)،

وابن حبان (٦/٤١٤، ٤١٥)، والحاكم (٢/٩٨، ٩٩)، وحسّنه الترمذي وصححه، وهو صحيح على شرط الشيخين عند بعضهم.

قوله: وما كنّا له مقرنين أي: ما كنّا لهذا المركوب مطيقين قصره وإذلاله حتى نركبه لولا تسخير الله إيّاه لنا، والمراد بالأزواج في الآية أصناف المخلوقات من الحيوان والنبات وغير ذلك، وفي الحديث مشروعيّة قول هذه الأذكار والأدعية، وتقدم بسط ذلك في الأذكار والأدعية.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٥]:

{٧٣٢} ـ في حديث عمر رضي الله تعالى عنه في قصة اعتزاله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساءه في مَشْرُبَة ـ أي: غرفة ـ ودخول عمر عليه وقوله له: وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنتَ رسول الله وصفوته... فقال: **«يا ابن الخطابِ ألاَ ترضى أن تكونَ لَنا الآخِرةُ ولهُم الدنيا»**.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٨٤) وغيره، ومسلم في الطلاق (١٠/٨٢)، ويأتي مطوّلاً في موضعه إن شاء الله تعالى.

{٧٣٣} ـ وفي حديث حذيفة في نهيه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الشرب في آنية الذهب والفضّة ولبس الحرير والديباج، وقوله: **«هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»**.

رواه البخاري في الأطعمة وفي اللباس (٥٨٣٧)، ومسلم في اللّباس (٢٠٦٧) وغيرهما، ويأتي في اللباس. وفي الحديثين أن متاع الدنيا لا عبرة به لأنه شيء ضئيل، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون همّه دائماً الآخرة، وأن يكون راضياً بها دون هذه الحياة.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [٥٨]:

{٧٣٤} ـ عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أُوتُوا الجدَل»**، ثم تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية.

رواه أحمد (٢٥٢/٥، ٢٥٦)، والترمذي (٣٠٣٩)، وابن ماجه (٤٨)، والحاكم (٤٤٧/٢) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم.

الجَدَل ـ بفتحتين ـ: الخصومة بالباطل، والحديث يدلّ على أن من أراد الله به الضلال صرفه إلى كثرة الجدل، ففيه ذمّ الجدال والخصام مطلقاً. وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما قال لك هؤلاء الكفار هذا القول في حق عيسى إلاّ على وجه الجدل والمكابرة لا لطلب الحق، فهم قوم شديدو الخصومة واللّجاج بالباطل.

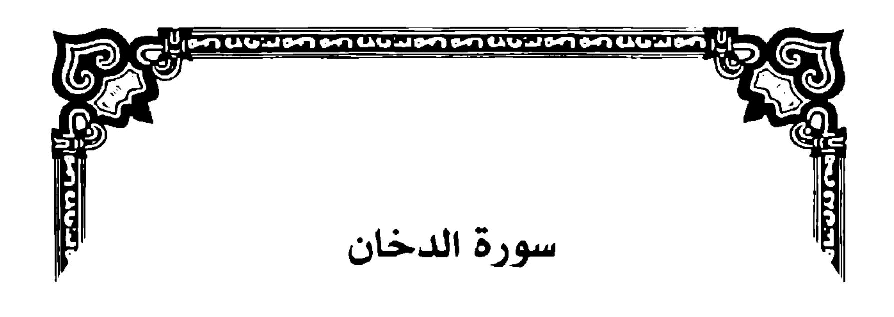
قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [٧٧]:

{٧٣٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء، قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«فحانت الصلاة وأمَمْتُهم فلما فرغتُ من الصلاة، قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار، فسلّم عليه فالتفتَ إليَّ فبَدَأني بالسلام»**.

رواه مسلم في الإيمان رقم (١٧٢).

القرآن يدلّ على أن مالكاً خازن النار، أي: رئيس ملائكة النار وخَزنتها كما يدلّ الحديث على ذلك أيضاً... وبه تمّت سورة الزخرف، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات. وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الدخان

وآياتها تسع وخمسون، وامتازت بذكر الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمرٍ حكيم.

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [١٠]:

{٧٣٦} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: إن قريشاً لما استعصت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الآية.

رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في الفرقان وفي الروم مطوّلاً.

السنة: هي القحط والجدب، والحديث يدلّ على أن الدخان المذكور في القرآن هنا هو ما أصاب كفار قريش، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة. نعم هناك دخان آخر سيكون من أشراط الساعة، وسيأتي ذلك في الفتن والأشراط إن شاء الله تعالى.

{٧٣٧} ـ وعن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كنا نمشي مع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فمرّ بابن صيّادٍ، فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قد خبَّأْتُ لك خبْأً**»، فقال: دُخٌّ، فقال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إخسَأْ فلنَ تَعْدُو قدرك**»، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنُقَه، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**دعْه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله**».

رواه أحمد (١/٣٨٠)، ومسلم في الفتن (١٨/٤٧، ٤٨)، وابن حبان (١٥/١٨٥، ١٨٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/٩٩).

ابن صياد هذا جاءت فيه أحاديث تأتي في الفتن، وحديثه هذا يشير إلى أن الكهنة يتلقون عن الشياطين كلمات غير كاملة ولا مفهومة، وكان هذا الرجل معه رئي من الجنّ، ولمّا لقيه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد كانت نزلت عليه سورة الدخان أضمر له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في نفسه السورة، وقال له: إني قد خبأت لك خبأً فلم يهتد للآية كاملة إلا لهذا اللفظ: دخ الناقص، ولهذا قال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إخسأ فلن تعدو قدرك**» أي: اذهب طريداً فلن تعدو القدر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يصل إلى بيان أُمور الغيب. وانظر شرح مسلم للنووي (١٨/٤٦، ٤٩)، ويأتي مزيد لهذا في الفتن إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [٥٦]:

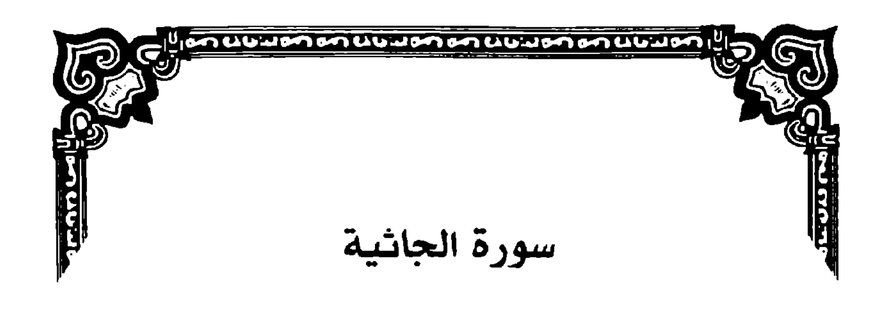
{٧٣٨} ـ عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يقال لأهل الجنة: إنّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تَعِيشوا فلا تَمُوتوا أبداً، وإن لكم أن تَنعَّمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبّوا فلا تَهرمُوا أبداً**».

رواه أحمد (٢/٣١٩) ج (٣/٣٨)، ومسلم في الجنة (١٧/١٧٥)، والترمذي في التفسير (٣٠٣١).

الآية الكريمة نصّ في أن أهل الجنّة لا يموتون، وبذلك جاءت السنّة

أيضاً، كما تقدم في حديث ذبح الموت. وفي حديث الباب أن أهل الجنّة في أمْنٍ من السّقم، والبُؤس، والهَرَم، والموت، فهم شبابٌ مُنْعَمُون مُخَلَّدون.. وبهذا تمّ تفسير سورة الدخان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.





سورة الجاثية

وآياتها سبع وثلاثون.

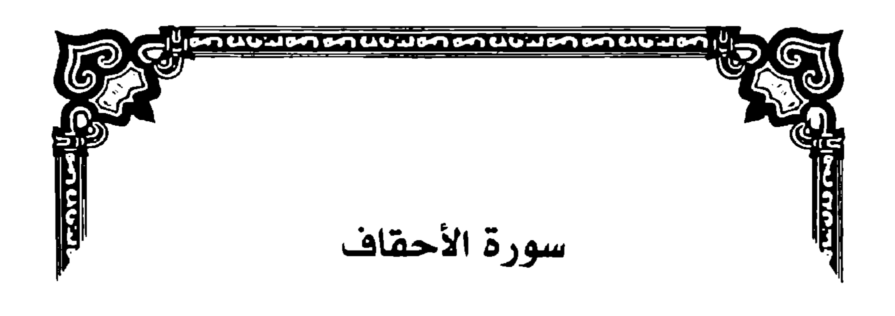
قوله تعالى: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [٢٤]:

{٧٣٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**لا تَسُبّوا الدَّهرَ، فإن الله هو الدهر، قال الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الخير أقلّبُ الليل والنهار**».

رواه البخاري في التفسير (٤٨٢٦) وفي الأدب وفي التوحيد (٧٤٩١)، ومسلم في الأدب (٢٢٤٦)، وأبو داود في الأدب (٥٢٧٤) وغيرهم.

ومعنى الحديث أن الله عزّ وجلّ خالق الدهر، وليس المراد أنه مُسَمّى بالدهر كما ذهب إليه ابن حزم، وعلى ذلك فمن سبّ الدهر فإنما يسبّ الله لأنه الخالق لما يقع في الدهر، ولعلّه يأتي في الأدب إن شاء الله تعالى.

أمّا الآية الكريمة فتشير إلى ما كان يعتقده الكفار الدهريّون من أنه لا حياة بعد الموت، ولا بعث ولا حساب، وأنه ليس هناك قابض للأرواح وإنما يهلكهم ويؤثر فيهم مرور الزمان. وبهذا تمّت سورة الجاثية، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة الأحقاف

هذه السورة الكريمة هي آخر الحواميم وآخر السور المكية المتوالية، وهي نحو من إحدى وعشرين سورة لم يتخلّلها من المدنيات إلا سورة الأحزاب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [٩]:

{٧٤٠} ـ عن أم العلاء وكانت من المبايعات رضي الله تعالى عنها قالت: طارَ لهم في السَّكَنِ حيث اقْتَرَعَتْ الأنصار على سُكْنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه عندنا فمرَّضناه حتى إذا توفي أدْرَجناه في أثْوَابه، فدخلَ علينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السائب شَهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وما يدريك أن الله أكرمه**»؟ قالت: فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أما هو فقد جاءه اليقين من ربّه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعلُ بي**»، قالت: والله لا أزكي أحداً بعده أبداً، فأحزنني ذلك فنمت فأُرِيتُ لعثمان عيناً تجري، فجئت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرته ذلك، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**ذاكَ عمَلُه**»، وفي رواية: «**ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي ولا بكم**».

رواه أحمد (٦/٤٣٦)، والبخاري في الهجرة النبوية (٨/٢٩٦) وفي الجنائز (٣/٣٥٨) وفي التعبير (١٦/٤٩) وفي مواضع وهو من أفراده.

في الحديث فضل عثمان بن مظعون، وكان أوّل ميْتٍ بالمدينة من المهاجرين، ودُفن بالبقيع، وقوله: «والله ما أدري ما يُفعل» إلخ، مع الآية الكريمة كان ذلك قبل أن يخبره الله بأنه أوّل من يدخل الجنّة، وأنه سيد الناس وصاحب المقام المحمود وصاحب الوسيلة... وانظر لهذا الموضوع تفسير ابن كثير لهذه الآية، وفتح الباري، أبواب الهجرة النبوية (٨/٣٥٨).

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [١٠]:

{٧٤١} ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنّة إلا لعبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه، قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾.

رواه البخاري في مناقب عبدالله بن سلام (٨/١١٩).

{٧٤٢} ـ وعن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: انطلق النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً وأنا معه حتى دخلنا كَنِيسَة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكَرِهُوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يا معشر اليهود أَرُوني اثني عشر رجلاً يشهدوا أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه»**، قال: فسكتوا ما جاوبه منهم أحد، ثم ردّ عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: **«أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبيّ المصطفى آمنتم أو كذبتم»**، ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمونني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبيّ الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردّوا عليه

قوله، وقالوا فيه شراً، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«كذبتم لن يُقبل قولُكم أمّا آنفاً فتُثْنُون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن أكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم»**، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنا وعبدالله بن سلام، وأنزل الله عـــزّ وجـــلّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

رواه أحمد (٢٥/٦)، والطبراني في الكبير (٤٦/١٨، ٤٧)، وابن حبان (١١٨/١٦، ١٢٠) مع الإحسان، والحاكم (٤١٥/٣، ٤١٦) وسنده صحيح، وأورده النور في المجمع (١٠٥/٧، ١٠٦) برواية الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

في الحديث بيان الشاهد الإسرائيلي المذكور في الآية، وأنه عبدالله بن سلام وأن الآية نزلت فيه وبسببه، غير أن هذا يعارضه أن السورة مكية وقصة ابن سلام مع اليهود بالمدينة، وقد يُحمل على أن هذه الآية بخصوصها نزلت بالمدينة، والله تعالى أعلم.

وقول سعد: ما سمعت إلخ، هذا لا ينفي المبشرين الآخرين وهم كثير جمعتهم في كتاب «المبشرون بالجنة» طبع مراراً، والحمد لله على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ إلخ [١٧]:

{٧٤٣} ـ عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايَعَ له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمٰن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما شيئاً فقال: خُذُوه، فدخل بيتَ عائشة رضي الله تعالى عنها فلم يَقْدِرُوا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

رواه البخاري في التفسير (١٠/١٩٧، ١٩٨) وهو من أفراده عن مسلم، ورواه النسائي في الكبرى (٦/٤٥٩)، والحاكم (٤/٤٨١) وفيه: لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبدالرحمٰن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب والله ما هو به، ولو شئت أن أُسَمّي الذي أنزلت فيه لسمّيتُه، ولكن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعَنَ أبا مَرْوان، ومروانُ في صُلْبِه، فمَرْوَان فضض من لعنة الله تعالى، وصححه الحاكم على شرطهما مع انقطاع فيه، لكن الحديث صحيح لطريق آخر له رواه البزار، قال النور في المجمع (٥/٢٤١): وإسناده حسن.

عبدالرحمٰن بريء مما رماه به مروان، فقد كان مسلماً صالحاً، لكن أبا مروان الحكم بن العاص كان ملعوناً من قبل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومروان فرع من أثر تلك اللعنة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ الآية [٢٤]:

{٧٤٤} ـ فيها حديث عائشة: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا رأى ريحاً قام وقعد وأقبل وأدبر، قالت: فقلت له، فقال: «**يا عائشة ما يؤمِنُني أن يكون كما قال قوم**: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾» الآية.

الحديث رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في صلاة الكسوف.

وفيه أنه ينبغي للإنسان إذا رأى ريحاً أن يخاف ويفزع ويذكر الله تعالى ويقوم ويقعد حتى تذهب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ

إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [٢٩ ـ ٣٣]:

{٧٤٥} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: هَبَطُوا على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نَخْلَة، فلمّا سمعوه قالوا: أنْصِتُوا، قال: صَهْ، وكانوا تسعة أحدهم زَوْبَعَة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية.

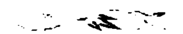
رواه الحاكم (٤٥٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي، ويأتي في الجنّ حديث ابن عباس في ذلك مطوّلاً، وهو في الصحيحين.

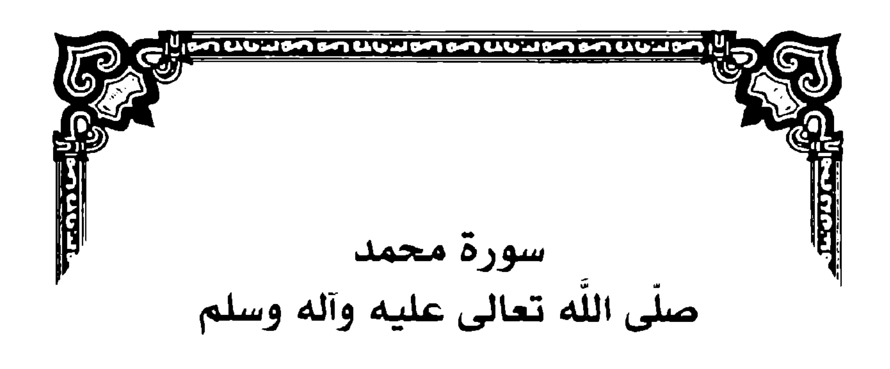
{٧٤٦} ـ وعن مسروق رحمه الله تعالى قال: سألتُ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: من آذن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالجنّ ليلة استمعوا القرآن؟ قال: أَذَنَتْهُ عنهم شجرةٌ.

رواه البخاري في البعثة النبويّة (١٧٢/٨)، ومسلم في الصلاة.

قوله: بطن نخلة: هو موضع بينه وبين مكّة ليلة لجهة الطائف، وقوله: أذنته أي: أعلمته، وما في الآية والحديثين يدلّ على أن الجنّ استمعوا القرآن وآمنوا به ولم يرهم في هذه المرة، وفي ذلك بيان أن الجنّ عالم يعيشون معنا، وأنهم مكلّفون ومخاطبون بالشرائع كالإنس، وقد ألف الناس في حياتهم وشؤونهم، فمن أنكرهم كان جاهلاً وكافراً. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ أي: وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجنّ نحوك...

وبهذا تمّت سورة الأحقاف، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة محمد
صلّى اللّه تعالى عليه وآله وسلم

من هذه السورة بدىء في الكلام على بعض السور المدنية، وقد جاءت هٰهنا ثلاث سور مدنيّات متواليات هذه السورة، والفتح، والحجرات ثم بعدها توالت سور مكّيات. هذه السورة ثمان وثلاثون آية، وأهدافها التحدّث عن الأحكام التشريعية.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [٤]:

{٧٤٧} ـ عن سلمة بن نُفَيْل رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«إني سَئِمْتُ الخيل وألْقَيْتُ السلاحَ ووضعتْ الحربُ أوزارها»**، قلت: لا قتال، فقال له النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوبَ أقوام فيُقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عزّ وجلّ وهم على ذلك، ألا إنّ عُقْر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»**.

رواه أحمد (٤/١٠٤)، والنسائي في كتاب الخيل من المجتبى (٦/١٧٨، ١٧٩)، والطبراني في الكبير (٧/٥٩، ٦٠، ٦١) وسنده صحيح.

الحديث يدلّ على أن وضع الحرب أوزارها لا يزال، وأن القتال مشروع وواقع حتى يأتي أمر الله عزّ وجلّ. وذلك لا يكون إلاّ بعزّة الإسلام

والمسلمين واندثار الكفر والكفّار، وذلك سيكون بإذن الله أيام سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، فالحديث الشريف نصّ في محل النزاع بين المفسّرين. والحديث متواتر بلفظه الأوّل، فهو من أحاديث الطائفة.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٧٤٨} ـ عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه في حديثه عن غزوة أحد، وفيه قول أبي سفيان: ألاَ لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أجيبُوه**»، قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**».

رواه أحمد (٢٩٣/٤)، والبخاري في الجهاد (٣٠٣٩) وفي المغازي (٣٩٨٦، ٤٥٦١)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والنسائي في الكبرى (١٩٠/٥)، وابن حبان (٤٠/١١، ٤١)، وابن سعد (٤٧/٢)، ويأتي في السيرة مطوّلاً إن شاء الله تعالى.

وفي الآية والحديث بيان أن الله عزّ وجلّ مولى المؤمنين، أي: وليّهم وناصرهم وسيّدهم، بينما الكفار لا مولى لهم، بل أولياؤهم الجمادات من الأوثان والأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضرّ ولا تنفع.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٧٤٩} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما خرج من مكّة قال لها: «**ما أطيبك من بلدٍ وأحبّك إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرك**».

رواه الترمذي في المناقب (٣٦٩٠) بتهذيبي، وابن حبان (١٠٢٦) بالموارد، وحسّنه الترمذي وصححه.

{٧٥٠} ـ وعن عبدالله بن عدي بن حمراء رضي الله تعالى عنه قال:

استغفر لكل مؤمن ومؤمنة من أُمّته، وفيه مزية لهذا الصحابي حيث أراه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الخاتم واستغفر له.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [٢٣]:

{**٧٥٤**} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**خلق الله الخَلْق فلما فرغ منه قامت الرَّحِمُ فأخذتْ، فقال لها: مَهْ، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألاَ تَرْضَين أن أصلَ من وصلكِ وأقطعَ من قطعَكِ، قالت: بلى يا ربّ، قال: فذاك**»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٠١، ٢٠٢) وفي الأدب وفي التوحيد، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٥٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٦١)، وابن جرير (٢٦، ٥٦) وغيرهم.

«**قامَتْ الرحم**»: هو على ظاهره، فالله قادر على أن يجعل للمعاني أعراضاً وأجساداً فتتكلم، ولهذا أمثلة كثيرة جاءت في السنّة. وقوله: فأخذت هكذا بحذف المفعول، وجاء في رواية بحقْوِ الرحمٰن فحذَفَها بعضُ الرواة لإشْكَالِهِ عنده ولا إشكال في ذلك، فهي كحديث: «**العظمة إزاري والكبرياء ردائي**»، والله تعالى ليس كمثله شيء.

«والحقو»: **الإزار** ومعقده، وفي الآية والحديث وعيد شديد لقاطع الرحم، ويأتي ذلك في البرّ والصلة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ **الآية** [٣٩]:

{**٧٥٥**} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية يوماً: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ الآية، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله صلّى الله

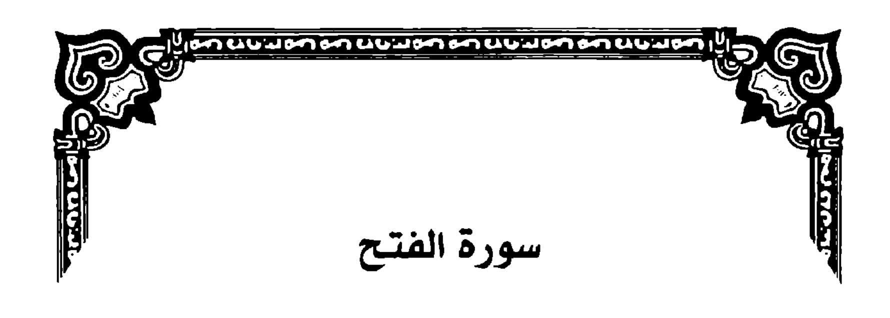
تعالى عليه وآله وسلم على منكب سلمان، ثم قال: «**هذا وقومه**»، زاد في رواية: «**والذي نفسي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإيمانُ منوطاً بالثُريا لتَناوَلَه رجال من فارِس**».

رواه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم (٤٥٨/٢) بسند صحيح على شرط مسلم، وهو في الصحيحين بنحوه، وسيأتي ذلك في سورة الجمعة.

قوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ أي: تدبروا وتعرضوا عن طاعة الله تعالى يأت بقوم غيركم، بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ﴾ في التولّي.

وفي الحديث فضل مُسْلِمي العجم من أبناء فارس، وهو إشارة إلى ما ظهر فيهم من كثرة علماء الحديث وحملة السنة وغير ذلك. وبهذا تمّت سورة محمد، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الفتح

السورة الكريمة من السور العظيمة المدنية نزلت مرجع النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الحديبية في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة حيث صدّه المشركون عن البيت، وعقدوا معه الصلح على أن يرجع ويأتي العام القابل، فنحر هديه وحلق رأسه ورجع، فلما كان بالطريق نزلت السورة الكريمة تتحدث عمّا كان من أمره وأمرهم، وهي تسع وعشرون آية، وهي تمتاز بذكر بيعة الرضوان، والفتح المبين على المسلمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [١]:

{٧٥٦} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يسير في بعض أسفاره، وكان عمر يسير معه ليلاً، فسأله عُمر عن شيء، فلم يُجِبْه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم سأله فلم يُجِبْه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر: ثَكلتْكَ أمُك يا عمر نَزَرْتَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمتُ أمام المسلمين وخَشِيتُ أن ينزل فيّ قرآنٌ، فما نَشِبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرُخ بي قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، وجئتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فسلمتُ، فقال: **«لقد أنزلتْ عليَّ الليلةَ سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ»**، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

رواه أحمد (٣١/١)، والبخاري في المغازي (٤١٧٧)، وفي التفسير

(١٠/٢٠٤، ٢٠٥)، وفي فضائل القرآن، والترمذي (٣٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٦١).

{٧٥٧} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لقد نزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها**»، فتلاها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالوا: هنيئاً مريئاً رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لقد بيّن لك الله ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى الآية بعدها: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾.

رواه أحمد (٣/٢١٥، ١٢٢، ١٣٤، ٢٥٢)، والبخاري في المغازي (٤١٧٢)، وفي التفسير (٤٨٣٤)، ومسلم في الجهاد (١٧٨٦)، والترمذي (٣٠٤٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٦٢)، وابن حبان (٢/٩٢، ٩٣).

قوله: ثكلتك أي: فقدتك أمك، وقوله: نزرت أي: ألححتَ عليه إلحاحاً، وقوله: نشبتُ أي: لبثت، وفي الحديثين فضل سورة الفتح وذلك لما احتوت عليه من البشارات لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ولأصحابه الحاضرين معه، وأن الله تعالى رضي عنهم ووعدهم بدخول الجنّة وتكفير ذنوبهم، ويا لها من بشارة فتلك أمنية كل مؤمن.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [١٨]:

{٧٥٨} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أنتم اليوم خيرُ أهل الأرض**».

رواه البخاري في غزوة الحديبية وفي التفسير (٢٨٤٠ ج ٢٠٩/١٠)، ومسلم في الإمارة (١٨٥٦) وغيرهما.

{٧٥٩} ـ وعنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا يدخلُ النارَ أحدٌ بايعَ تحت الشجرة»**.

رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه الترمذي، ويأتي في الفضائل.

فيها فضل أهل بيعة الرضوان، وأنهم كانوا خير أهل الأرض، وأن أحداً منهم لا يدخل النار، وهذا وعد من نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو وعد لا يتخلف لأنه من عند الله، وكان من جملة هؤلاء: الخلفاء الثلاثة، وباقي العشرة الذين يجعلهم الشيعة الروافض أئمّة النواصب، ويصبون عليهم اللّعنات والشتائم في كل المناسبات.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ الآية [٢٤]:

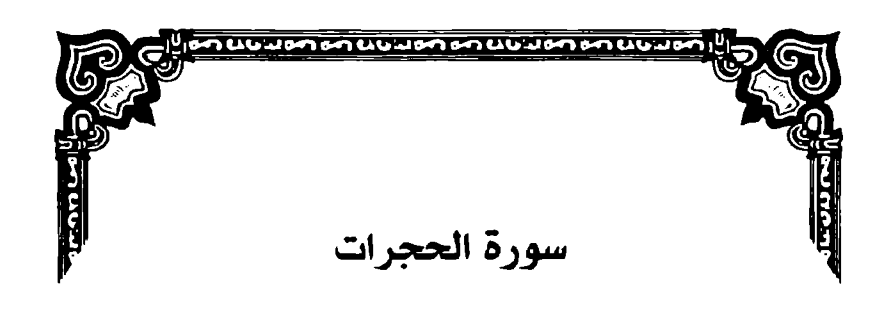
{٧٦٠} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أهل مكّة هبطوا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من جبل التنعيم عند صلاة الفجر، فأخذهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فعَفَى عنهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآية.

رواه مسلم في الجهاد (١٨٠٨)، وأبو داود (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٤٦٤/٦) كلاهما في التفسير.

في الحديث بيان سبب نزول هذه الآية، وفيها امتنان من الله تعالى على الصحابة حيث أنعم عليهم فكفّ أيدي الكفار عنهم، فلم يسلطوا عليهم بل ظفروا بهم وأسروهم. فعفى عنهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويأتي بسط ذلك في السِّيَر.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [٢٧]:

فيه حديث المسور بن مخرمة الطويل في الصلح، ويأتي في السِّيَر والمغازي بحول الله، وبهذا تمّت سورة الفتح، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة الحجرات

هي من السور المدنيات، وهي تعنى بالأخلاق والتربية الإسلامية وتطهير المجتمع المسلم من أدران الفواحش الاجتماعية، وهي مع قصرها جمعت من الفضائل ومكارم الأخلاق ما لم تجمعه سورة سواها، حتى أطلق عليها بعض العلماء سورة الأخلاق، وهي ثمان عشرة آية.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [١ ـ ٥]:

{٧٦١} ـ عن عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قدم ركبٌ من بني تميم على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أمِّر القعقاع بن مَعْبَد، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافِي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعتْ أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى انقضت الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد هذه الآية حتى يَسْتَفْهِمَهُ.

رواه أحمد (٤/٤، ٦)، والبخاري في المغازي وفي التفسير (٢١٢/١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥) وفي الاعتصام، والترمذي في التفسير (٣٠٥١)، والنسائي في الكبرى (٤٦٩/٦)، وفي المجتبى رقم (٥٣٨٦).

كان سبب نزول الآيات هم بنو تميم حين قدموا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأوائل الآيات جاءت بسبب تجادل الشيخين رضي الله تعالى عنهما بين يدَيْ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، والكلام على غَضّ الصوت جاء في شأن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، ولهذا قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه، وذلك لغضّه صوته وتأدبه بعد نزول الآية، وقولة ابن الزبير هذه رواها البخاري في التفسير. أما المناداة من وراء الحجرات، فجاءت في شأن بني تميم، وهم الذين نادوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو قائل وسط النهار، فجعلوا ينادونه: يا محمّد اخرج إلينا أين أنت؟

{٧٦٢} ـ وعن البراء رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية، قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن حَمْدِي زَيْنٌ، وأن ذَمّي شَيْنٌ، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ذاك الله عزّ وجلّ»**.

رواه الترمذي (٣٠٥٧)، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٦)، وابن جرير (١٢١/٢٦) وسنده صحيح، ولا يضرّ السبيعي هنا، فإن للحديث شاهداً عن الأقرع بن حابس، وهو الذي نادى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقال له هذه الكلمات، وحديثه هذا عند أحمد (٤٨٨/٣ ج ٢٩٣/٦، ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (٨٧٨) وسنده صحيح.

الحجرات جمع حجرة: وهي هنا بيوت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجاته الطاهرات. وقوله: حمدي إلخ يعني: أن من مدحته

فهو المحمود ومن ذممته فهو المعيب المشين، والشين ـ بفتح الشين وسكون الياء ـ: هو العيب خلاف الزين، ولما كان مخطئاً في تلك الكلمات عرّفه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن المتّصف بذلك في الحقيقة هو الله عزّ وجلّ.

{٧٦٣} ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى ﴿تَشْعُرُونَ﴾ جلس ثابتُ بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحْتَبَسَ عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فسأل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سعدَ بنَ معاذ فقال: «**يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى**»؟ قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**بل هو من أهل الجنة**»، وفي رواية: قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة وكان ذلك الانكشاف لبس ثوبه وتحنّط وتقدم فقاتل حتى قُتل.

رواه أحمد (٣/١٤٦، ٢٨٧)، والبخاري في المناقب (٣٦١٣) وفي الجهاد، ومسلم في الإيمان رقم (١٨٧) وغيرهم. في الحديث فضل هذا الصحابي وأنه من أهل الجنة قطعاً، وقد جاء في رواية عند الحاكم (٣/٢٣٤) أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له: «**أما ترضى أن تعيش حميداً وتُقتلَ شهيداً وتدخل الجنة**»، وصححه الحاكم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية [٦]:

{٧٦٤} ـ عن الحارث بن ضرار الخزاعي والد جويرية أم المؤمنين

رضي الله تعالى عنهما، قال: قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررتُ به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، قلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظنّ الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عزّ وجلّ ورسوله، فدعا بسروان قومه فقال لهم: إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان وقّت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبضَ ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الخُلْفُ ولا أرى حُبِسَ رسولُ الله إلا من سخطة كانت، فانْطَلِقُوا فنأتي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبعث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الوليدَ بن عقبةَ إلى الحارث ليقبضَ ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ فرجع فأتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث، وفصل من المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بَتّةً ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«منعت الزكاة وأردت قتل رسولي»**، قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسولِ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خَشِيتُ أن تكون كانت سخطةً من الله عزّ وجلّ ورسوله، قال: فنزلت الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

نَدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾.

رواه أحمد (٢٧٩/٤)، وابن أبي حاتم (٢٣٠٣/١٠) قال في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات، وجوّده السيوطي في الدرّ المنثور، وللقصّة طرق. انظر ابن جرير (١٢٣/٢٢، ١٢٤، ١٢٥). لا خلاف بين المفسّرين أن الآية نزلت بسبب الوليد بن عقبة، وهو ابن أبي مُعَيط مات والده كافراً وأسلم الوليد يوم الفتح، وولاّه أخوه لأمّه سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه الكوفة، وكان شرّاباً للخمر، وصلّى بالناس مرة الصبح أربع ركعات، وقال لهم: أزيدكم؟ فرفع أمره إلى سيدنا عثمان فأمر بحدّه وعزله، ثم سكن بعد الرقة. قال ابن عبدالبرّ: خبره في صلاته بالناس الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات. وقصة حدّه وجلده في صحيح البخاري. والآية الكريمة أصل أصيل وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ألا وهو وجوب التثبّت في نقل الأخبار، ورواية الأحاديث النبويّة وأداء الشهادة، وأن الفاسق لا تُقبل روايته ولا شهادته، كما لا يُعمل بخبره مطلقاً، بل لا بدّ من العدالة وهي معروفة.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [٧]:

{٧٦٥} ـ عن أبي نضرة رحمه الله تعالى قال: قرأ أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ إلخ، فكيف بكم اليوم.

رواه الترمذي (٣٠٥٤) وحسّنه وصححه.

العَنَت ـ بفتحتين ـ أصله التعب، والمراد به الحرج أو مطلق المشقّة.

ومعنى الآية: لو أطاع رسول الله الناس في أكثر ما يقترحون عليه أو يحبون لحصل لهم تعب وحرج.

■ قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [٩]:

{٧٦٦} ـ عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب يوماً ومعه على المنبر الحسنُ بن عليّ رضي الله تعالى عنهما، فجعل ينظر إليه مرةً وإلى الناس أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سَيدٌ ولعلّ الله تعالى أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».

رواه أحمد (٣٨/٥، ٤٤، ٤٩)، والبخاري في الصلح (٢٧٠٤) وفي المناقب (٣٦٢٩، ٣٧٤٦) وفي الفتن (٧١٠٩)، وأبو داود في السنة (٤٦٦٢)، والنسائي في الجمعة، والترمذي في المناقب (٣٥٤٥).

السيّد: من فاق أقرانه وأهل زمانه في خصال الخير، وقد يطلق على غيره مجازاً.

وهذا الحديث من أعلام نبوّته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقد حقّق الله تعالى ما أخبر به وذلك بعقد الصلح مع معاوية فحُقِنَتْ بذلك دماءُ المسلمين التي كانت على وشكِ الإراقة فرضي الله تعالى عنه وسلم عليه حيث زهد في الملك لمصلحة المسلمين وسدّ باب الفتنة.

{٧٦٧} ـ وعن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قيل للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: لو أتيتَ عبدالله بن أبي، فانطلق إليه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سَبِخَةٌ، فلما أتاه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: إليك عنّي، والله لقد آذاني نَتْنُ حِمارِك، فقال رجل من الأنصار: والله لحِمَارُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أطيبُ ريحاً منكَ، فغَضِبَ لعبدالله رجلٌ من قومه، قال: فغضِبَ لكل واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهما ضربٌ بالجريد والنّعال والأَيْدي، فبلغنا أنها نزلت: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾.

رواه البخاري في الصلح (٢٦٩١)، ومسلم في السير (١٥٩/١٢)، وقد تقدم في سورة آل عمران حديث أُسامة في ذلك مطوّلاً فارجع إليه، وفي الحديث بيان سبب نزول هذه الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ [١١]:

{٧٦٨} ـ عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجل منّا يكون له الإسمان والثلاثة، فيُدْعَى ببعضها فعسَى أن يَكْرَه قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾، وفي رواية: وليس أحدٌ إلا له لقبٌ أو لقبان، قال: فكان إذا دعي بلقبه، قلنا: يا رسول الله إن هذا يكره هذا.

رواه أحمد (٦٩/٤ ج ٣٨٠/٥)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٠٥٣)، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٦)، وكذا البخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وابن حبان (١٧٦١) بالموارد، والحاكم (٤٦٣/٢) و(٢٨١/٤، ٢٨٢)، وحسّنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

التنابز بالألقاب: التنادي بالأسماء المكروهة للإنسان، وذلك محرم بنصّ الآية الكريمة، وأنه فسوق.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

{٧٦٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خطب الناس يوم فتح مكّة، فقال: «**يا أيها الناس إن الله قد أذهبَ عنكم عُبِّيَة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بَرٌّ تَقِيٌّ كريم على الله، وفاجر شقيٌّ هَيِّنٌ على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب، قال الله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾» الآية.

رواه أحمد (٥٢٤/٢)، والترمذي (٣٠٥٥)، وابن أبي حاتم (٣٣٠٦/١٠)، والحديث صحيح لطرقه وشواهده، يأتي بعضها في الأدب إن شاء الله تعالى.

عُبِّيَّة ـ بضم العين المهملة وكسر الباء الموحدة المشدّدة ثم ياء مفتوحة مشدَّدة ـ: هي النخوة والكِبْر. وما ذكر في الحديث موافقٌ للآية، فإنه لا عبرة بالأشخاص ولا بالأموال... وإنما العبرة بالإيمان والدين والتقوى لا غير.

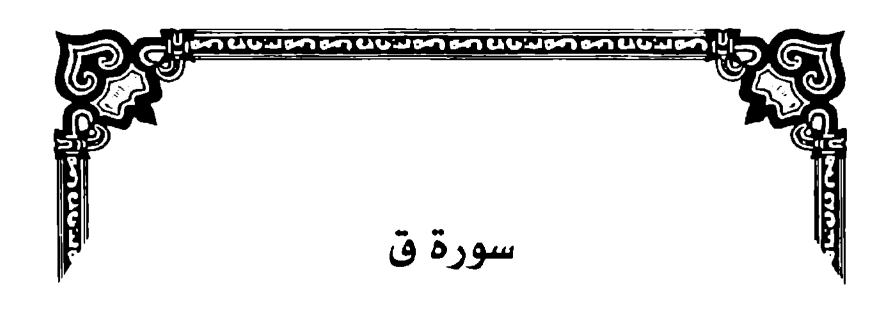
{٧٧٠} ـ وعن سمرة عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«الحَسَبُ المالُ، والكرَمُ التقوى»**.

رواه أحمد (١٠/٥)، والترمذي (٣٠٥٦)، وابن ماجه (٤٢١٩)، والحاكم (١٦٣/٢) و(٢٢٥/٤)، وسنده صحيح، وحسّنه الترمذي وصححه.

الحديث مبيّن للكرم في الآية، وأن المراد به تقوى الله عزّ وجلّ، وأن الحسب عند أهل الدنيا هو المال، فمن لا مال له لا حسب له عندهم.

وبه تمّ الكلام على الحجرات، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة ق

وهي أول سورة من سور المفصل، وآياتها خمس وأربعون.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [٣٠]:

{٧٧١} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلمّ: «**لا تزالُ جهنّم يُلْقَى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يَضَعَ ربُّ العِزّة قدمَه فيها فينزوي بعضُها إلى بعض، وتقول: قط، قط، وعزّتك وكرمك**».

رواه أحمد (١٣٤/٣، ١٤١، ٢٣٠، ٢٣٤)، والبخاري في التفسير (٢١٧/١٠) وغيره، ومسلم في صفة جهنم (١٨٣/١٧، ١٨٤)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٧)، ونحوه في الصحيحين عن أبي هريرة.

قوله: قط قط ـ بفتح القاف وسكون الطاء ـ أي: حسبي، وقوله: ينزوي أي: يجتمع، وينضم.

الحديث من أحاديث الصفات يمرّ كما جاء من غير تشبيه ولا تعطيل. وفي الآية والحديث أن جهنم ستتكلم، وهذا لا استحالة فيه، فإن الآخرة على خلاف الدنيا، فحسبنا الإيمان بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [٣٩]:

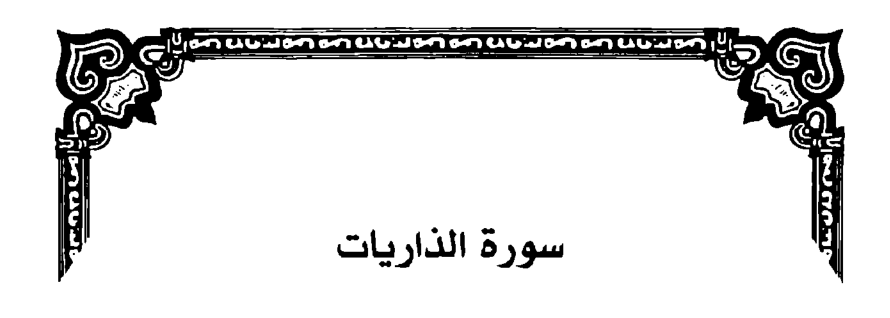
{٧٧٢} ـ وعن جرير رضي الله تعالى عنه قال: كنّا عند رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فجعلنا ننظر إلى القمر ليلة البدر، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«أما إنكم تنظرون إلى ربكم تبارك وتعالى كما تنظرون إلى القمر لا تُضامُون في رؤيته، فإن استطعتُم أن لا تُغلبوا على صلاتين صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها»**، وتلا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٢٠)، ومسلم في المساجد (٥/١٣٤) وغيرهما.

الحديث بيّن أن المراد بالتسبيح في الآية قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما صلاتي الصبح والعصر. وبه تمّت سورة قَ، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الذاريات

وهي مكّية، وآياتها ستون.

▩ **قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [١٨]:**

{٧٧٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أقربُ ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أن تكون مِمّن يذكر الله في تلك الساعة فكن»**.

رواه الترمذي في الأدعية (٣٣٤٨) بتهذيبي وحسّنه وصححه.

هذا الوقت من مظانّ الاستجابة ووقت التجلّيات الإلـٰهيّة، ولذا مدح الله المتّقين باستغفارهم فيه، جعلنا الله تعالى منهم، آمين.

{٧٧٤} ـ عن الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«للسائل حق وإن جاء على فرس»**.

رواه أحمد (٢٠١/١)، وأبو داود (١٦٦٥)، وابن خزيمة (٢٤٦٨)، وأبو يعلى (٣٣/٦) جوّده العراقي والسخاوي، وقال الحافظ: وجزم بصحته غير واحد.

في الآية والحديث دليل على أن للسائل حقاً كيفما كان حاله، ولو جاء راكباً على أو فرس أو سيارة فاخرة مثلاً، فلا يردّ إلا بالإعطاء أو بالكلمة الطيّبة.

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [٤١]:

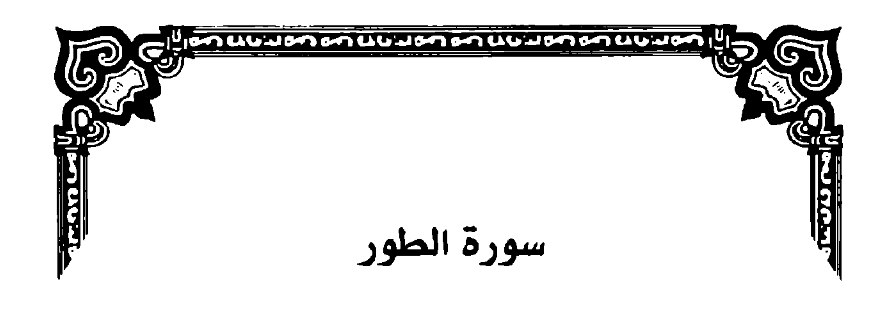
{٧٧٥} ـ عن رجل من ربيعة قال: قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرت عنده وافِد عاد، فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**وما وافد عاد**»؟ قال: فقلت: على الخبير بها سقطت إن عاداً لَمَّا أقحطت بعثت قيلاً فنزل على بكر بن معاوية، فسقاه الخمر وغنته الجرادتان، ثم خرج يريد جبال مهرة، فقال: اللّهمّ إني لم آتك لمريض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه، فاسق عبدك ما كنت مسقيه، واسق معه بكر بن معاوية يشكر له الخمر الذي سقاه، فرفع له سحابات، فقيل له: اختر إحداهنّ، فاختار السوداء منهنّ، فقيل له: خذها رماداً رِمْدِداً لا تَذَرْ من عادٍ أحداً، وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة، يعني: حلقة الخاتم، ثم قرأ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾.

رواه أحمد (٣/٤٨١، ٤٨٢)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨) بسند صحيح.

قوله: على الخبير سقطت أي: على العليم بقصته، وقوله: أقحطت ـ بضم الهمزة ـ أي: تأخر عنهم نزول المطر، وقوله: قيلا ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ: اسم وافد عاد، وقوله: الجرادتان: هما مغنيتان كانتا بمكّة في الجاهلية، وقوله: رماداً ـ بفتح الراء ـ وقوله: رمدداً ـ بكسر الراء والدال الأولى بينهما ميم ساكنة ـ أريد به المبالغة في الاحتراق.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها، بل هي شر محض، وفي الحديث كالآية عبر لا تخفى، وبه تمّت سورة الذاريات، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الطور

السورة الكريمة كسابقتها مكّية، وآياتها تسع وأربعون.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ [٤]:

{٧٧٦} ـ عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذكر «**البيت المعمور في السماء السابعة، وإذا إبراهيم عليه السلام مُسْنِدٌ ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبداً**».

رواه البخاري ومسلم ضمن حديث الإسراء الطويل، وقد تقدم في سورة الإسراء ـ بني إسرائيل ـ ورواه أحمد (١٥٣/٣)، والنسائي في الكبرى (٤٧٠/٦)، والحاكم (٤٦٨/٢) مختصراً كما أوردناه، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

الحديث مبين للبيت المعمور، وأنه في السماء السابعة، وقد تقدم الكلام عليه.

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [٣٥ ـ ٣٧]:

{٧٧٧} ـ عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبيَّ

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الآية، كاد قلبي أن يطير.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٢٦) وفي الصلاة وفي المغازي، ومسلم في الطلاق (٤٦٣)، وأبو داود (٨١١)، والنسائي وابن ماجه (٨٣٢).

قال العلماء على هذه الآية الكريمة: أم خلقوا من غير خالق، وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق أفهم الخالقون لأنفسهم، وذلك في الفساد والبطلان أشدّ لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بطل الوجهان قامت الحجّة عليهم بأن لهم خالقاً، ثم قال: أم خلقوا السمٰوات والأرض، أي: إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السمٰوات والأرض، وذلك لا يمكنهم فقامت الحجّة... ومن هذا انزعج جبير بن مطعم حتى كاد قلبه يطير، ودخل الإسلام قلبه. آمنّا بالله وبكل ما جاء به رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [٤٨ ـ ٤٩]:

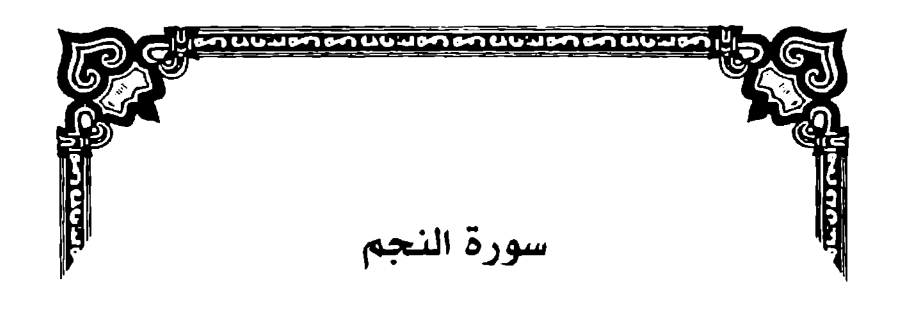
{٧٧٨} ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: **«من تَعارّ من الليل، فقال: لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله»**، ثم قال: **«ربّ اغفر لي»**، أو قال: ثم دعا استجيب له، وفي رواية: **«وإن قام فتوضأ وصلّى قُبلت صلاته»**.

رواه أحمد (٥/٣١٣)، والبخاري في التهجّد (١١٥٤)، والترمذي في الدعوات (٣١٩٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٢١٥)، وابن ماجه (٣٨٧٨)، والبيهقي (٣/٥).

تعارّ معناه: استيقظ من النوم، وأصل التعار السهر والتقلّب على

الفراش. وفي الحديث فضل من استيقظ من الليل، وذكر الله تعالى بما في الحديث، وأن من فعل ذلك غُفر له واستُجيب له وقُبلت صلاته. وبه تمّ الكلام على سورة الطور، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة النجم

وامتازت بذكر معجزة المعراج، وآياتها اثنتان وستّون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [٣ ـ ٤]:

{٧٧٩} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: **«اكتب فوالذي نفسي بيده ما خَرَج مني إلا الحقّ»**.

رواه أحمد (١٦٢/٢، ١٩٢)، وأبو داود (٣٦٤٦)، والدارمي (٤١٠)، والحاكم (١٠٦/١) وسنده صحيح.

الحديث نصّ في أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يقول إلاّ الحق، وهو الوحي الإلـٰهيّ الذي نصّ عليه الله عزّ وجلّ في الآية الكريمة، وهذا بخلاف شؤون الحياة، فإنّه قال: **«أنتم أعلم بدنياكم»**.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [٩ ـ ١٠]:

{٧٨٠} ـ عن زِرّ بن حُبَيْش رحمه الله تعالى أنه سُئِل عن قوله تعالى:

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ الآية، فقال: أخبرني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٣٣، ٢٣٤) وفي بدء الخلق، ومسلم في الإيمان (١٧٤)، والترمذي (٣٠٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٢).

{٧٨١} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾، قال ابن عباس: قد رآه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه الترمذي (٣٠٦٤) بسند صحيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٧٨٢} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ إلخ قال: رأى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم جبرائيل عليه السلام في حُلَّةٍ من رَفْرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض.

رواه أحمد (٣٧٤٠)، والترمذي (٣٠٦٧) بسند صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه.

{٧٨٣} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ قال: رآه بقلبه مرّتين.

رواه أحمد (١٩٥٦)، ومسلم (١٧٦) بنحوه، والترمذي (٣٠٦٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٧٢).

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا

يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [١٢ ـ ١٨]:

{٧٨٤} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ قال: رأى جبريل عليه السلام قد سدّ الأفق لم يره إلاّ في هذين المكانين.

رواه النسائي في الكبرى (٤٧٣/٦)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٣٣، ١٣٤) بسند صحيح، وفي رواية: رأى رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق، رواه البخاري في التفسير (٢٣٤/١٠)، والنسائي في الكبرى (٤٧٣/٦).

{٧٨٥} ـ وعنه قال: لمّا بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سِدرة المنتهى، قال: **«انتهى ما يعرج من الأرض وما ينزل من فوق»**، فأعطاه الله عندها ثلاثاً لم يُعْطَهُنّ نبيٌّ كان قبله: فُرِضت عليه الصلاة خمساً، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لأُمّته المُقْحِمات ما لم يشركوا بالله شيئاً. قال ابن مسعود: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾﴾، قال: السدرة في السماء السادسة، قال سفيان: فراش من ذهب، وفي رواية: إليها ينتهي علم الخلق لا علم لهم بما فوق ذلك. رواه مسلم في الإيمان (١/٣، ٢)، والترمذي (٣٠٦٠) وحسّنه وصححه.

قوله: قاب قوسين أي: قدرهما، أو أدنى أي: أقلّ منهما، وقوله: نزلة أخرى أي: مرة أخرى، وقوله: سدرة المنتهى هي بكسر السين: شجرة في أقصى الجنّة إليها ينتهي علم الخلائق، وقوله: في حلة من رفرف بفتح الراءين بينهما فاء ساكنة أصله ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ولعلّ المراد به هنا صفة ريشه، وقوله: غفر لأُمّته المُقْحِمَات بضم الميم وكسر الحاء: هي الذنوب العظام التي تدخل أصحابها النار.

في هذه الآيات الإحدى والعشرين مع ما ذكرنا معها من الأحاديث أمور:

أولاً: ثبوت عروج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نصاً كتاباً وسنّة، بل وإجماعاً، ولم يخالف في ذلك إلاّ بعض من طمس الله بصيرته من العقلانيين المنحرفين.

ثانياً: وصول النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة وما جاء من أنها في السادسة شاذ، وهي عن يمين العرش، وعندها جنّة المأوى التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء، وهذه السدرة شجرة لها ثمار الواحدة منها مثل قلال هجر، كما جاء في حديث الإسراء.

ثالثاً: إن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يمل بصره في ذلك المقام لا يميناً ولا شمالاً، وما جاوز الحدّ الذي رأى تأدّباً منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في تلك الحضرة.

رابعاً: إن الله تعالى أراه في تلك الليلة أكبر آياته، فرأى عجائب الملكوت، رأى الأنبياء والملائكة والجنّة والنار والبيت المعمور وسدرة المنتهى وجبريل على صورته الأصلية، إلى غير ذلك من الآيات.

خامساً: اختلفت الروايات عن ابن مسعود وابن عباس في رؤية النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ربّه تعالى، فالأول فسّر الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ إلخ برؤية جبريل، بينما الثاني فسّرها برؤية الله عزّ وجلّ، لكنه في الرؤية الأولى أطلق، وفي الثانية قيّدها بقوله: رآه بقلبه مرّتين. وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذه القضية بداية من الصحابة فمن بعدهم، فذهب ابن مسعود وأبو هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهم وتبعهم جماعة من المحدثين والمتكلّمين إلى عدم الرؤية، وذهب آخرون ومن هؤلاء ابن عباس وأبو ذر وكعب وأبو هريرة في رواية إلى ثبوتها، وهو قول الحسن البصري، وكان يحلف على ذلك، وبه قام الإمام أحمد وأبو الحسن الأشعري ورجحه النووي في شرح مسلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [١٩]:

{٧٨٦} ـ عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مكّة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد، وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبره، فقال: «**ارجع فإنك لم تصنع شيئاً**»، فرجع خالد، فلما أبصرت به السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عزى فأتاها خالد، فإذا هي امرأة عريانة ناشرة شعرها تحتفن التراب على رأسها، فعمّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبره، فقال: «**تلك العزّى**».

رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٧٤)، وأبو يعلى في مسنده (٩٢٤١) بسند حسن.

في الحديث أن الشياطين هم المضلّلون لعبدة الأصنام، وأنهم يتظاهرون لهم في أصنامهم ويتراءون لهم عند عبادتهم إياها فيُغْرونَهم على عبادتها والاستغاثة بها، فيزدادون إغراقاً في الكفر والضلال، ولا أدلّ على ذلك من العزّى التي كانت تمثلها امرأة من الشياطين.

ملحوظة: بمناسبة ذكر اللات والعزى نشير إلى أن ما هو شائع بين كثير من المفسّرين وغيرهم من ذكر قصة الغرانيق هو باطل من وضع الزنادقة ولا يصح شيء فيها لا من طريق النقل ولا من جهة المعنى، وقد ذكرت خلاصة الموضوع في حواشي تهذيب الشفا (ص٤١٣، ٤١٤).

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٥]:

{٧٨٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذا تَمَنَّى أحدُكم فلْينظُر ما يَتَمَنَّى فإنه لا يَدري ما يُكتبُ له من أُمْنِيتِهِ**».

رواه أحمد (٢/٣٥٧، ٣٨٧) بسند صحيح.

الأُمور كلّها تابعة لقضاء الله عزّ وجلّ وقدره، فليس كل ما يتمناه الإنسان يدركه، فقد تأتي الرياح بما لا تهوى السفن، ولذلك ينبغي للمسلم أن لا يتمنى إلا ما فيه خير وصلاح ومنفعة له عاجلاً أو آجلاً، مما لا يتنافى وقواعد الدين، فإذا تمنّى شراً فليبادر بالإنابة والرجوع إلى الله تعالى والاستعتاب.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [٣٢]

{٧٨٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيتُ شيئاً أشبه باللّمم مما قال أبو هريرة عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: **«إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطقُ، والنفسُ تتمنى وتَشْتَهِي، والفرجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يُكذبُه»**.

وفي رواية: **«وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، وزنا الفم القُبل...»**.

رواه أحمد (٢٧٦/٣، ٣١٧، ٢٧٢، ٥٣٦)، والبخاري في القدر (٦٦١٢) وفي الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢)، والنسائي في الكبرى (٤٧٣/٦).

{٧٨٩} ـ وعنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ إلخ، قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم:

«إن تَغفِر اللَّهمَّ تَغفِر جَمّاً وأيُّ عَبدٍ لكَ ما أَلمَّا»

رواه الترمذي (٣٠٦٨)، والحاكم (٤٦٩/٢)، وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

قوله: وأي عبد لك ما ألمّا، اللّمم: صغار الذنوب، وهي المفسّرة في حديث أبي هريرة من النظر والنطق والتقبيل والمشي والبطش والتمني، وسمّيت هذه المعاصي زنا مجازاً لأن كل ذلك يدعو إلى الزنا الحقيقي مع ما في ذلك من الالتذاذ والتمتّع ويصدق كل ذلك الفرج، فإن لم يفعل غفرت له تلك المقدمات بالوضوء والصلاة والصدقة والصيام والتلاوة والذكر والتوبة فضلاً من الله تعالى ولطفاً به، ولذلك عقب الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، فيا واسع المغفرة اغفر لنا واعف عنا وتجاوز عن سيئاتنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [٣٢]:

{٧٩٠} ـ عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله تعالى عنها أنها سُمّيت بَرّة، فنَهَى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ذلك وقال: «**لا تُزَكُّوا أنفُسَكُم إن الله أعلم بأهل البرّ منكم**»، فقالوا: بِمَ نسمّيها؟ قال: «**سمّوها زينب**».

رواه مسلم في الأدب (١٢٠/١٤) من طرق.

في الآية كالحديث ذم تزكية النفس، نعم جاء المدح للمصلحة وتحدّثاً بنعمة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [٣٩، ٤٠]:

{٧٩١} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إذا مات الإنسان انقطَعَ عملُه إلاّ من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدْعُو له**».

رواه أحمد (٣١٦/٢، ٣٧٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٨٨٠)، والترمذي في الأحكام (١٢٤٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٩/٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨).

رواه البخاري وغيره، وتقدم في سورة الأنفال، ويأتي أيضاً في المغازي إن شاء الله تعالى. وفي الآية معجزة حيث أخبر تعالى بانهزام الكفار قبل الوقعة، فوقعت كما أخبر.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦]:

{٧٩٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد أنزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكّة، وإنّي لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾.

رواه البخاري في التفسير (٢٤٣/١٠) وفي فضائل القرآن، والنسائي في الكبرى (٤٧٧/٦).

ومعنى الآية: أن عذاب الساعة والآخرة أشدّ وأعظم وأمر وأقبح من يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [٤٩]:

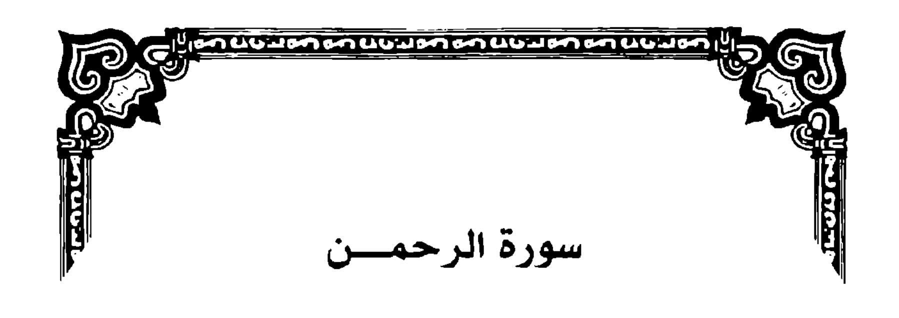
{٧٩٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في القدر، فنزلت: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

رواه مسلم (٢٦٥٦ ج٢٠٤/١٦، ٢٠٥)، والترمذي (١٩٨٨) كلاهما في القدر، ورواه الثاني في التفسير أيضاً (٣٠٧٣)، وابن ماجه في المقدمة (٨٣).

الحديث مع الآية يدلاّن على ثبوت القدر ـ بفتحتين ـ ومعناه: أسبقية علم الله بما سيكون ويقع من الكائنات خيرها وشرّها، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ، وانظر ما سبق في القدر.

وبه تمّت سورة القمر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الرحمـــن

وآياتها ثمان وسبعون، ومن أبرز أهدافها تعداد نعمه تعالى على الإنسان. . .

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾:

{٧٩٧} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمٰن من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «**لقد قرأتُها على الجنّ ليلةَ الجن فكانوا أحسنَ مَرْدوداً مِنكُم، كنتُ كلما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ قالوا: لا بشيء من نِعَمِكَ ربنا نُكَذِّبُ فلك الحمدُ**».

رواه الترمذي (**٣٠٧٤**)، والحاكم (**٢/٤٧٣**) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد عن ابن عمر رواه البزار (**٢٢٦٩**) بسند حسن في الشواهد.

في الحديث فضل صحابة الجنّ وحسن تأدّبهم مع القرآن الكريم، وفيه ما ينبغي أن يقال عند قراءة أو سماع هذه الآية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾ [١٤ ـ ١٥]:

{٧٩٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«خُلِقَتْ الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلِق آدمُ مما وُصِف لكم»**.

رواه أحمد (١٥٢/٦، ١٦٨)، ومسلم (١٢٣/١٨). المارج: اللهب المختلط بسواد النار.

في الحديث بيان أصل خلقة الأصناف الثلاثة المكلّفين، وهم الملائكة وأصلهم من النور، والجنّ وأنهم خلقوا من لهب النار، وآدم عليه السلام وأنه مخلوق من أصناف الأرض، كما وصف لنا ذلك القرآن الكريم: من تراب، من حمإ مسنون، من طين لازب، من صلصال كالفخار... فسبحان القادر الفعّال لما يشاء، لا إلـه إلاّ هو العزيز الحكيم.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [٢٩]:

{٧٩٩} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، قال: **«من شأنه أن يَغفِرَ ذنباً، ويُفرّج كرباً، ويَرْفعَ قوماً، ويَخفِضَ آخرين»**.

رواه ابن ماجه (٢٠٢)، والبزار (٢٢٦٧). قال البوصيري: إسناده حسن، وللحديث شاهدان عن عبدالله الأزدي، رواه ابن جرير (١٣٥/٢٧)، والبزار (٢٢٦٦)، وعن ابن عمر عند البزار أيضاً، وبما في الحديث قال كل المفسّرين: فهو تعالى كل يوم في شأن عباده يحيي ويُميت، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقر، ويعزّ ويذلّ، ويبتلي ويفرج، ويبسط ويضيق، ويرفع ويخفض، ومع ذلك فلا يشغله شأن عن شأن.

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٦]:

{٨٠٠} ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يقصّ على المنبر، يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الثانية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الثالثة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، فقلت الثالثة: وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن رَغِمَ أنف أبي الدَّرداء**».

رواه أحمد (٣٥٧/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٧٨/٦)، والبغوي في شرح السنّة (٤١٨٩) بسند صحيح، وقال النور: رجال أحمد رجال الصحيح، وفي الصحيح نحوه عن أبي ذرّ لكن بدون ذكر الآية.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بشارة لمن يخاف الله تعالى بأنه من أهل الجنّة، غير أن ذلك لا يدلّ على أنه يدخلها بدون سابقة عذاب، بل لا بدّ من التفصيل، فإن من مات وله كبائر وفواحش، فهذا في مشيئة الله تعالى قد يعذّبه أو يعفو عنه، ولكن مآله الجنّة على كل حال لإيمانه وخوفه من الله تعالى ولو مرة من عمره، أما من مات تائباً لا ذنوب له، فهذا لا يعذّب بل هو من السابقين إلى الجنّة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [٤٨]:

{٨٠١} ـ عن أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال: «**يَسِيرُ الراكبُ في ظل الفنَنَ منها مائة سنة**» أو قال: «**يَسْتَظِلُّ بِظِلِّها مائةُ راكب فيها فراشُ الذَّهب كأن ثَمَرَها القِلال**».

رواه الترمذي في صفة الجنّة (٢٣٥٨) وحسّنه وصححه، ويأتي في الرقاق نحوه إن شاء الله تعالى.

قوله: أفنان أي: أغصان، وفي ذلك إكرام للمؤمن داخل الجنّة، وكم له من متع هنالك.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [٥٨]:

{٨٠٢} ـ عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: إمّا تَفاخَروا أو تذاكَرُوا:

الرِّجَالُ أَكْثَرُ في الجنة، أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: أوَ لم يقل أبو القاسم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن أول زمرةٍ تدخلُ الجنّة على صورة القمر ليلة البدر... ولكل واحدٍ منهم زوجتان يرى سُوقَها من وراء اللَّحمِ من الحُسْنِ**».

رواه البخاري في بدء الخلق وغيره، ومسلم في الجنّة، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٥٤)، وروواه الترمذي (٢٣٥١) عن ابن مسعود بلفظ: «**إن المرأة من نساء أهل الجنّة ليُرى بياضُ ساقِها من وراءِ سبعين حُلَّة حتى لَيُرى مُخُّها، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾، فأمّا الياقوت فإنه حَجَرٌ لو أدخلتَ فيه سلكاً ثم استَصْفَيْتَه لأُورِيتَه من ورائه**»، وهو عند الطبراني في الأوسط بسند صحيح، وروواه ابن جرير (١٥٢/٢٧)، وابن حبان (٢٦٣٢) بالموارد، والطبراني في الكبير (٨٨٦٤)، والبزار (٣٥٣٦) من حديث أبي سعيد.

في الآية والحديث بعض صفات نساء أهل الجنّة، وأنهنّ في الصفاء كالياقوت، وفي البياض كالمرجان، ولذلك كان سوق إحداهنّ ليرى من وراء سبعين حلّة لصفاء أجسامهنّ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [٦٢]:

{٨٠٣} ـ عن عبدالله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**جَنَّتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من ذهب آنِيَتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رداءُ الكِبْرِ على وجْهِهِ في جنّة عدْنٍ**».

رواه أحمد (٤١١/٤)، والبخاري في التفسير (٢٤٨/١٠) وفي التوحيد في الرؤية، ومسلم في الجنّة، والترمذي كذلك (٢٣٤٥)، وابن ماجه (١٨٦)، وقد تقدم، ويأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ يعني: في المنزلة والفضل، فالأوليتان للمقرّبين السابقين والأُخريتان لأهل اليمين، كما قال بعض السلف

من المفسّرين: وعلى كل فبينهما بون وفضل، وكلّها من النّعم العظيمة التي سيُمَتَّعُ بها المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ (٧٢):

{٨٠٤} ـ عن عبدالله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن في الجنّة خيمةً من لؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ عَرْضُها سِتُّون ميلاً، في كل زاويةٍ منها أهلٌ ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون»** الحديث.

رواه البخاري في التفسير (٢٤٨/١٠)، ومسلم في الجنّة، والترمذي (٢٣٤٦)، والدارمي (٢٨٣٦)، والنسائي في الكبرى (٤٧٩/٦) مطوّلاً ومختصراً، ويأتي في الرقاق.

الزاوية: الناحية من البيت، والخيمة عند العرب: بيت من الوبر، وعبّر بها هنا عن البيت أو القصر، وقوله: عرضها ستّون ميلاً إذا كان هذا عرضها، فكيف يكون طولها، وهذه خيمة واحدة، وكم لوليّ الله تعالى من خيام وقصور، والحديث يدلّ على أن المؤمن سيعطى من الحور العين والنساء ما لا عدّ له.

وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ أي: محبوسات فيها لا ينظرن إلى غير أزواجهنّ، فهنّ في بيوتهن قد قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ، فلا يتشوّقن إلى غيرهم فضلاً عن النظر إليهم. وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ إلخ أي: لم يقربهنّ أحد قبل أزواجهنّ فهن أبكار.

قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [٧٨]:

{٨٠٥} ـ عن ربيعة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«أَلِظُّوا بذِي الجلال والإكرام»**.

رواه أحمد (١٧٧/٤)، والنسائي في الكبرى (٤٧٩/٦)، والحاكم

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**خلق الله آدم عليه السلام حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحُمَم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنّة ولا أُبالي، وقال للذي في كفّه اليسرى: إلى النار ولا أبالي**»، رواه أحمد (٤٤١/٥) وسنده صحيح.

{٨١٣} ـ الثاني: عن عبدالرحمٰن بن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله عزّ وجلّ خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**»، قال: فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: «**على مواقع القدر**». رواه أحمد (١٨٦/٤)، وابن حبان (٥٠/٢)، والحاكم (٣١/١) وصححه ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع (١٧٦/٧): ورجاله ثقات.

{٨١٤} ـ الثالث: عن أبي نَضرة قال: مرض رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فبكى فقيل له: ما يبكيك يا عبدالله؟ ألم يقل لك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**خذ من شاربك ثم أقرره حتى تلقاني**»، قال: بلى ولكني سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه، فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى ـ يعني: بيده الأخرى ـ فقال: هذه لهذه ولا أبالي، فلا أدري في أيّ القبضتين أنا**»، رواه أحمد (١٨٨/٥) بسند صحيح.

{٨١٥} ـ الرابع: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه، فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر**».

رواه الطبراني في الصغير (١٣٠/١) بسند صحيح.

فهذه الأحاديث كلّها شواهد صحيحة لحديث الباب في الجملة، وهي تدلّ على أُمور، أولاً: أن الله تعالى أخرج من كتفي أبينا آدم عليه السلام

جميع ذرّيته، وهم في الصغر والظآلة كالذرّ. ثانياً: فيها ثبوت أسبقية قدر الله عزّ وجلّ للخلق، وأن جميع الأمور سبق بها علم الله تعالى، وكتبت في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ، وليست مُسْتَأْنَفَةً كما يقوله القدرية المبتدعة. ثالثاً: أن الله عزّ وجلّ مايز بين أهل السعادة، فجعلهم بيضاً، وبين أهل الشقاوة فجعلهم سوداً كالفحم عياذاً بالله تعالى منهم.

رابعاً: جعل لكل من الصنفين علامة يعرف بها، وهي الإيمان والعمل بمقتضاه، أو ترك ذلك ولذلك قال لمن قال له: فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر، يعني: كلاًّ سييسر لما سبق له، كما جاء في الحديث الوارد عن جماعة من الصحابة: «**اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلِق له**»، وسيأتي إيراده في سورة الليل إن شاء الله تعالى.

خامساً: أن الله عزّ وجلّ قضى وحكم وحكمه عدل بالجنّة لأقوام، وبالنار لآخرين بدون مبالاته بأحد ولا اكتراث، لأن الملك ملكه، والخَلْق خلقه، فلا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه، ولا يسأل عمّا يفعل، فنسأله تعالى أن يمنّ علينا ويتفضّل بالموت على السعادة.

سادساً: ما ذكر في هذه الأحاديث من القبضتين واليمين هي من أحاديث الصفات نؤمن بها ونمرها كما جاءت بلا تعطيل ولا تشبيه.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [٣٠]:

{٨١٦} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يَقْطَعُها، واقرؤوا إن شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾».

رواه البخاري في التفسير (٢٥١/١٠)، ومسلم في الجنّة (٢٨٢٦)، والترمذي في التفسير (٣٠٧٥)، وفي صفة الجنّة (٢٢٤١)، والنسائي في الكبرى (٤٧٩/٦)، ومثله عن أنس رواه الشيخان، والترمذي (٣٠٧٦).

في الحديث بيان الظل الممدود في الآية، وأن الراكب المُجِدّ لا يقطعه في مدة مائة عام، والظل هنا لا نعرفه لأنه ليس هنالك شمس ولا

قمر ينشؤ عن ضوئهما ظلّ الأشجار، وإنما هو ظلّ ينشئه الله عزّ وجلّ من أنوار لا ندركها، وقوله: ممدود، أي: لا زوال له بل هو دائم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [٣٥ ـ ٣٨]:

{٨١٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله هل نصِلُ إلى نسائِنا في الجنة؟ قال: **«إنّ الرجل لَيَصِلُ في اليوم إلى مائة عَذْرَاء»**.

رواه الطبراني في الأوسط (٧٢٢)، والصغير (٧٩٥)، والبزار (٣٥٢٥)، قال النور في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة.

{٨١٨} ـ وعنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قيل له: أَنَطَأُ في الجنّة؟ قال: **«نعم والذي نفسي بيده دَحْماً دَحْماً، فإذا قامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَة بِكْراً»**.

رواه ابن حبان في صحيحه (١٦/٤١٥)، والبزار (٣٥٢٤) وغيرهما بسند حسن صحيح، وفي الباب أحاديث.

قوله: عذراء أي: بكراً، وقوله: دحماً دحماً في النهاية: هو النكاح، والوطىء بدفع وإزعاج.

والحديثان يدلاّن كالآية على أن نساء الجنّة ليست فيهنّ ثيّبة، بل كلهن أبكار، وحتى من جومعت عادت بكراً مطهّرة، وسيعطى المؤمن قوة مائة في الجماع ليتمّ له التمتّع، كما جاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: **«يعطى المؤمن في الجنّة قوة كذا وكذا من الجماع»**، قيل: يا رسول الله أوَ يطيق ذلك؟ قال: **«يعطى قوة مائة»**، رواه الترمذي (٢٣٥٣)، وابن حبان (٦٣٥) بالموارد، وصححه الترمذي. وعن زيد بن أرقم نحوه رواه الدارمي (٢٨٢٨) بسند صحيح، وسيأتي مزيد لهذا في الرقاق. وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب أي:

متحبّبات إلى أزواجهنّ، وقوله: أتراباً جمع تِرْب أي: مستويات في السنّ.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [٧١ ـ ٧٣]:

{٨١٩} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إنّ ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضُرِبَتْ بالبحر مرَّتَين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعةً لأحدٍ**»، وفي رواية: «**نار بني آدم التي يوقِدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم**»، فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «**إنها قد فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً**».

رواه أحمد (٣١٣/٢، ٤٦٧، ٢٤٤)، والبخاري في بدء الخلق (٣٢٦٥)، ومسلم في صفة الجنّة (١٧٩/١٧)، والترمذي (٢٤٠٨) وغيرهم.

في الحديث بيان عظمة نار جهنّم، وأنها تعادل نارنا بتسع وستين مرة، ولذا قال الصحابة: إن كانت ـ يعنون نار الدنيا ـ لكافية للتعذيب، ولكن الله عزّ وجلّ جعلها كذلك ليعذّب بها من كفر به وعبد معه غيره أو طغى في هذه الحياة وعتا وتجبّر وأسرف في المخالفات فهم فيها، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، وكما قال عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ الآية.

فلأمثال هؤلاء أعدّت تلك النار عياذاً بالله منها ومن أهلها.

والآية جيء بها كأخواتها: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ إلخ لإقامة الحجة على الكفار، وعلى وحدانيّته تعالى وعظمة قدرته، وأنه تعالى الذي يخلق الإنسان من المني الذي يمنونه، وأنه الذي ينبت الزروع من البذر الذي يلقونه في مزارعهم، وأنه الذي ينزل الماء العذب من السحاب، ولو شاء لجعله مالحاً شديد الملوحة لا يستساغ، وأنه الذي أنشأ شجرة النار وجعلها تذكرة لهم ونسخة من النار الكبرى إذا رأوها تذكروا بها جهنّم، فيخافون عقابه ويؤمنون به ويطيعونه.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٧٥ ـ ٨٢]:

{٨٢٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مطر الناس على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**»، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ الآية، حتى بلغ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾.

رواه مسلم في الإيمان (٦١/٢، ٦٢) ونحوه في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني. . .

مواقع النجوم: منازلها وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها، وقيل: مساقط غروبها ونزولها، وقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ الصحيح أنه اللوح المحفوظ، وباقي أبحاث الحديث تأتي في الطبّ. . . إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٩]:

{٨٢١} ـ عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رحمهم الله تعالى قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لعمرو بن حزم: «**أن لا يمس القرآن إلاّ طاهر**»، رواه مالك في الموطأ باب الأمر بالوضوء لمن مسّ القرآن، وهو مرسل صحيح.

ورواه ابن حبان (٧٩٣) بالموارد، والحاكم (٣٩٥/١) متصلاً، وصححه الحاكم وغير واحد من الحفاظ، ورواه أبو داود في المراسيل من حديث الزهري، قال: قرأت في صحيفة عبدالله بن أبي بكر إلخ، قال ابن

كثير رحمه الله تعالى: وهذه وجادة جيدة قرأها الزهري وغيره، قال: ومثل هذا ينبغي الأخذ به.

وفي الآية إخبار بأن القرآن في اللوح المحفوظ وأنه لا يمسّه إلا المطهّرون من الملائكة، والحديث يدلّ على عدم مسّ المصحف لغير الطاهر، وتقدم هذا في كتاب الطهارة.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٨٢]:

{٨٢٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما مُطر قومٌ قط إلا أصبح بعضُهم كافراً يقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، وقال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

رواه ابن جرير (٢٠٨/٢٧) بسند صحيح، وجاء مثله عن الإمام عليّ عليه السلام رواه الترمذي (٣٠٧٨)، وابن جرير (٢٠٨/٢٧)، وابن أبي حاتم (٣٣٣٤/١٠).

ومعنى الآية: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، فبدل أن يشكروه على ما أنعم عليهم من أسباب الرّزق ونزول الرحمة قابلوا ذلك بالكفران والتكذيب ونسبة الإمطار إلى الأنواء والنجوم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [٩٦]:

{٨٢٣} ـ عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾، قال: «**اجعلوها في ركوعكم**»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ قال: «**اجعلوها في سجودكم**».

رواه أحمد (١٥٥/٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٧١)، وابن خزيمة (٦٠٠، ٦٧٠)، والحاكم (٢٥٥/١) و(٤٧٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي في الموضع الثاني.

وصح ذلك من فعله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أيضاً، ففيه

رحمه الله تعالى في صحيحه عن يحيىٰ بن زياد الفراء، حيث قال: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً، فهو وإن كان محتملاً فما فسّره به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مقدم عليه، وإذا ظهرت شمس الله بطلت شمس معقل، أو كما يقولون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [١٠]:

{٨٢٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمٰن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لا تَسُبُّوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدْرَكَ مُدّ أحَدِهم ولا نَصِيفَهُ»**.

رواه مسلم (٩٢/١٦، ٩٣) في فضائل الصحابة، وفي رواية قال خالد لعبدالرحمٰن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها... فقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحد أو مثل الجِبَالِ ذهباً ما بلغتُم أعمالَهُمْ»**، رواه أحمد (٢٦٦/٣) بسند صحيح على شرط مسلم.

الآية والحديث يدلاّن على أنه لا يستوي السابقون من الصحابة مع اللاحقين منهم، وإن كانوا جميعاً تشملُهم البشارة بدخول الجنّة، ويأتي مزيد لهذا في الفضائل.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [٢٢]:

{٨٣٦} ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«إن الله قدَّرَ المقادير قبل أن يَخْلُقَ السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة»**، وفي رواية: **«كتب الله مقادير الخلائق»** إلخ، قال: **«وكان عرشه على الماء»**.

رواه أحمد (١٦٩/٢)، ومسلم (٢٠٣/١٦)، والترمذي (١٩٨٧) كلاهما في القدر، وتقدم في القدر. قال العلماء رحمهم الله تعالى: المراد بكتابة مقادير الخلائق تحديد وقت الكتابة في اللّوح المحفوظ لا أصل التقدير، فإن ذلك أزليّ لا أوّل له.

وفي الحديث والآية دليل على أن الله تعالى فرغ من كل شيء، وأن كل ما يقع في هذا العالم من خير أو شرّ طاعة أو معصية هو مكتوب ومقدّر في اللوح المحفوظ، وهذا من كلّيات الإيمان الستّ. ومن تحقّق بهذا المقام هانت عليه البلايا والمصائب واستراح من تعب طلب الدنيا والسعي وراءها بتلهف، وقوله تعالى: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: نخلقها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [٢٧]:

{٨٣٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت ملوكٌ بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل، قيل لملكهم: ما نجد شتماً أشدّ من شتم يَشْتُمُونَنَا هؤلاء إنهم يقرأون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدَّلوا منها، فقالوا: ما تُريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطواناً ثم ارفعونا إليها ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ

عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قَدَرْتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول، ولا نَرِدُ عليكم ولا نَمُرُّ بكم، وليس أحد من القبائل إلاّ وله حَمِيمٌ فيهم، قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبّد فلان، ونسيح كما ساح فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يبق منهم إلا قليل انحطّ رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدَّيْر من دَيْره، فأمنوا به وصدّقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى عليه السلام وبالتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتصديقهم وقال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ القرآن واتّباعهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الذين يتشبّهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أخرجه النسائي في الكبرى (٦/٤٨٠، ٤٨١) وفي أدب القضاة من المجتبى رقم (٥٤٠٠) وسنده صحيح، وعطاء بن السائب ثقة، وسفيان الثوري الراوي عنه هنا سمع منه قبل الاختلاط.

هذا الحديث يصوّر لنا ذلك المجتمع المسيحي الجاهلي وما فعله ملوكهم المنحرفون من تبديل الإنجيل وتحريفه حسب أهوائهم، وما صار إليه أمر المؤمنين منهم من مضايقات والهَمُّ بقتلهم، فكان ذلك سبباً في مهاجرتهم ذلك المجتمع الكافر وسياحتهم في الأرض، واتّخاذهم الصوامع والدِّيْرَات وابتداعهم الرهبانية والانقطاع للعبادة والزهد في التزوّج، وكان قصدهم في ذلك طلب مرضاة الله عزّ وجلّ، لكنهم لم يقوموا بما التزموه ولم يراعوه حقّ رعايته، كما نَطَقَتْ بذلك الآية الكريمة، فلما جاء الإسلام أبطل الرهبانية، وجاء بالقصد والاعتدال فأمرنا بالتزوّج وحذّر من الرغبة عنه، وجعل رهبانية هذه الأمّة الجهاد في سبيل الله، كما قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**لكل نبيّ رهبانيةٌ، ورهبانية هذه الأمّة الجهاد في**

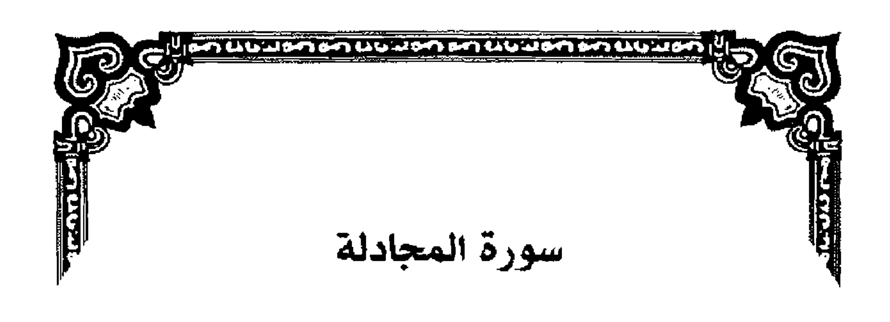
سبيل الله عزّ وجلّ»، رواه أحمد (٢٦٦/٣) من حديث أنس بن مالك، وهو وإن كان في سنده زيد العمي وهو ضعيف، فإن له شاهداً عن أبي سعيد الخدري رواه أحمد (٨٢/٣) عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام»**، وسنده لا بأس به. وجاء في حديث آخر عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لا صَرُورة في الإسلام»** رواه أحمد رقم (٢٨٤٥)، وأبو داود (١٧١٣)، والحاكم (٤٤٨/١) وصححه وأقرّه الذهبي، وهو من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

والصرورة: هو التبتّل والرغبة عن التزوّج لأن ذلك من فعل الرهبان وليس من أخلاق أهل الإسلام، وهذا بلا شكّ ممنوع إذا حرم الإنسان على نفسه النساء وترك ذلك رغبةً عن السنّة. أما من لم تكن له رغبة فيهنّ وخاف على نفسه من فتن الحياة وانقطع للعبادة، فلا لوم عليه في ذلك، وقد كان على هذا كثير من سلف هذه الأمّة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨]:

{٨٢٨} ـ فيه حديث أبي موسى: **«ثلاثة يؤتون أجرهم مرّتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي فله أجران»** الحديث، تقدم في القصص رقم آية (٥٤) وهو في الصحيحين، وبه تمّت سورة الحديد، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة المجادلة

وآياتها ثنتان وعشرون وموضوعها بيان أحكام الظهار، والمناجاة الأثيمة وأدب المجالس، وذكر بعض صفات اليهود السافلة مع بيان عوار المنافقين وصفاتهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾:

{٨٣٩} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة خولةُ إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وكلّمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ الآية.

رواه أحمد (٦/٤١)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٢) وفي الظهار من المجتبى (٣٤٦٠)، والحاكم (٢/٤٨١) وصححه وأقره الذهبي، وذكره البخاري في التوحيد معلّقاً رقم (٧٣٨)، ورواه ابن ماجه (٢١٦٣) بلفظ: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، وهو عند الحاكم أيضاً (٢/٤٨٢) وصححه وأقرّه الذهبي، ورواه أحمد (٦/٤١٠) عن خولة نفسها.

الظِّهار: هو أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أُمّي، يقصد بذلك تحريمها عليه، وكان هذا سائداً في الجاهلية، فكان أوس بن الصامت

أوّل من ظاهر من امرأته خولة بنت عمّه ثعلبة، فأنزل الله فيهما قرآناً وسمّى الظهار كذباً وزوراً لأن امرأته ليست أمّاً له ثم أمره بالكفارة.

وفي الآية الكريمة بيان عظمة الله تعالى وكبريائه، فالسيدة عائشة لم تسمع كلام خولة وهي معها في البيت بينما سمعها الله تعالى، فجلّ ربنا وعظم فلا إلٰه إلاّ هو عالم الغيب والشهادة.

{**٨٣٠**} ـ وعن خولة بنت ثَعْلَبَة رضي الله تعالى عنها قالت: والله فيَّ وفي أوس بن صامت أنزل الله عزّ وجلّ صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خُلُقُه وضَجِر، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعتُه بشيء فغضب، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ، فإذا هو يُريدُني على نَفْسِي، قالت: فقلت: كلا والذي نفسُ خُوَيْلَة بيده لا تَخْلُصُ إليّ وقد قلتَ ما قلت حتى يحكمَ الله ورسولُه فينا بحكمه، قالت: فواثبني وامتنعتُ منه، فغلبتُه بما تغلِب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيْتُه عنّي، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرتُ منها ثيابها ثم خرجتُ حتى جئتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فجلستُ بين يديه، فذكرت له ما لقيتُ منه، فجعلتُ أشكو إليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما ألقى من سُوء خُلُقِه، قالت: فجعل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**يا خُوَيْلَةُ ابنُ عمِّك شيخٌ كبيرٌ فاتّقي الله فيه**»، قالت: فوالله ما برِحْتُ حتى نزل فيَّ القرآن، فتغشّى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما كان يتغشّاه، ثم سرّي عنه فقال لي: «**يا خُوَيْلَةُ قد أنزل الله فيك وفي صاحبك**»، ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فقال لي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**مُريه فليُعْتِقْ رقبة**»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتقه، قال: «**فليصم شهرين متتابعين**»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «**فليُطْعِم ستين مسكيناً وسقاً من تمر**»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فإنا نستعينُه بعَرَقٍ من تمْرٍ**»، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأُعِينُه بعَرَق آخر، قال:

«قد أصبتِ وأحسنتِ فاذهَبِي فتصدّقي عنه، ثم استوصِ بابن عمّك خيراً»، قالت: ففعلت.

رواه أحمد (٦/٤١٠، ٤١١)، وأبو داود (٢٢١٤، ٢٢١٥)، وابن حبان (١٠/١٠٧، ١٠٨)، وابن الجارود (٧٤٦)، والبيهقي (٧/٢٩١، ٢٩٢)، وابن إسحٰق صرّح بالتحديث، وفي الباب غير هذا، تأتي في الظهار إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث بيان كالحديث السابق أن الآية نزلت بسبب خولة وأوس زوجها، وفي ذلك دليل على أن الظهار يُحرّمُ الزوجة، وأنها لا تحلّ حتى يُكفّر المُظاهرُ بِعِتْقِ رقبة أو إطعام ستّين مسكيناً أو صيام شهرين متتابعين، ويأتي مزيد لهذا في كتاب النكاح.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [٨]:

{٨٣١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل يهوديّ على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: السام عليك، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«وعليك»**، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: وعليك السامُ وغضبُ الله، قالت: فخرج اليهودي فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يا عائشة إنّ الله تبارك وتعالى لا يحبُّ الفاحِشَ المُتَفَحّش»**، قالت: يا رسول الله أما تَدْري ما قال؟ قال: **«وما قال»**؟ قالت: قال: السام عليك فهو قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، قال: فخرج اليهودي وهو يقول بينه وبين نفسه فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، وفي رواية: فقلت: بل عليكم السام واللعنة، قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يا عائشة إن الله يحبّ الرِّفْق في الأمر**

كلّه»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال: **«قلت: عليكم»**.

رواه البخاري (٦٩٢٧) في استتابة المرتدين، ومسلم في السلام (١٤٦/١٤، ١٤٧، ١٤٨)، والنسائي في الكبرى (٤٨٢/٦)، وابن ماجه (٣٦٩٨)، ورواه الشيخان أيضاً عن أنس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان ما كان عليه اليهود الملاعن من المكر والنّفاق، فها هم يحيّون سيد الخلق صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، والمسلمين بما ظاهره تحية وسلام، وباطنه سبّ وشتم، فيفضحهم الله عزّ وجلّ ويكشف عوارهم وبوارهم عليهم لعائن الله المتوالية... وفي الحديث مشروعية الرّفق والمعاملة بالتي هي أحسن حتى مع الكفار، وخاصة بالنسبة إلى الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن الله عزّ وجلّ يعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [١١]:

{٨٣٢} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لا يُقِيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسِهِ فيجلسُ فيه، ولكن تَفَسَّحُوا وتوسّعوا»**.

رواه أحمد (٨٩/٢، ١٢٦)، والبخاري في الجمعة وفي الاستئذان (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧)، وأبو داود (٤٨٢٨)، والترمذي (٢٥٦٣) في الاستئذان.

الآية والحديث يدلاّن على أن الجالس لا يقام من مجلس ليجلس فيه غيره، لأن ذلك ينافي الأدب، ويمس بحرمة المؤمن ويُخرِجُه، والواجب في الأدب الإسلامي أن يتوسّعوا، وهو التفسّح المذكور في الآية، وفيه إشارة إلى فضل التوسّع، وأن ذلك يوجب التفسح في رحمة الله وجنّته.

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [١١]:

{٨٣٣} ـ فيه حديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إن الله لَيرفَعُ بهذا القرآن أقواماً ويضعُ به آخرين**».

رواه أحمد ومسلم والدارمي وابن ماجه، وتقدم في فضائل القرآن. ففي الآية والحديث فضل أهل العلم بالله وبأحكامه... وأن الله عزّ وجلّ يرفعهم درجات فوق غيرهم من سائر طبقات المؤمنين.

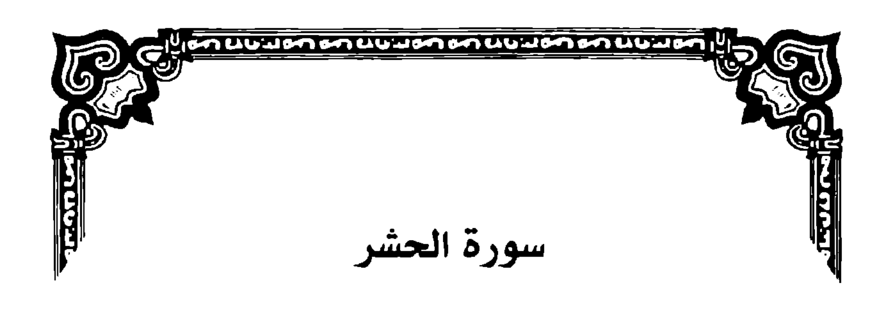
قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [١٨]:

{٨٣٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان في ظل حُجْرَةٍ من حُجَرِه وعنده نفرٌ من المسلمين قد كاد يَقْلص عنهم الظلُّ، قال: فقال: «**إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بِعَيْنَي شَيطان، فإذا أتاكم فلا تكلِّموه**»، قال: فجاء رجل أزرقُ فدعاه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فكلَّمه فقال: «**علام تَشْتُمُني أنت وفلانٌ وفلانٌ**» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

رواه أحمد (١/٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠)، والحاكم (٢/٤٨٢) وصححه، وقد جاء من طرق صحيحة.

في الآية الكريمة بيان بعض صفات المنافقين وهو حلفهم على الكذب والبهتان، حتى أنهم سينافقون الله في الآخرة ويحلفون له أنهم كانوا مسلمين كما كانوا يحلفون للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في غير ما مشهد كما في هذا الحديث.

وبهذا تمّت سورة المجادلة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.



سورة الحشر

هي أربع وعشرون آية، وأهدافها بيان أحكام الجهاد والغنائم، وبالأخص ما يتعلق بغزوة بني النضير وما وقع فيها ونزل باليهود وما أخذه المسلمون من فيء، وما إلى ذلك من أحكام.

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [٥]:

{٨٣٥} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حَرَّق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نخلَ بني النَّضِير وقطعَ، وهي البُوَيْرَة، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الآية.

رواه أحمد (٦٠٥٤، ٦٢٥١)، والبخاري في المغازي وفي التفسير (٢٥٤/١٠)، ومسلم في الجهاد (١٧٤٦)، والترمذي في السير (١٤١٩) وفي التفسير (٣٠٨٥)، وأبو داود (٢٦١٥)، والنسائي في الكبرى (٤٨٣/٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٤)، وتأتي بقية في المغازي إن شاء الله تعالى.

{٨٣٦} ـ وعنه في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ إلخ، قال: اللينة: النخلة ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هل لنا فيما

قطعنا من أجْر؟ وهل علينا فيما تركنا من وِزْرٍ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٣) بسند صحيح على شرط البخاري في طريق للترمذي.

البويرة بالتصغير: أرض ليهود بني النضير.

وفي الآية والحديث جواز تحريق أشجار الكفار... وقطعها عند محاربتهم ولا يعدّ ذلك من الإفساد، بل في ذلك أجر وثواب، فإن كل ما يغيظ الكفار ويحزنهم يكتب به للمسلمين أجر وثواب.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [٦ ـ ٧]:

{٨٣٧} ـ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كانت أموالُ بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُنفق منها على أهلِه نفقةَ سنةٍ، وما بقي جعلَه في السلاح والكراع عُدةً في سبيل الله.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٥٤) وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٧)، وأبو داود في الخراج (٢٩٦٥)، والترمذي في الجهاد (١٥٧٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٤) وفي المجتبى.

{٨٣٨} ـ وعنه قال: سأخبركم بهذا الفيء إن الله تعالى خصّ نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بشيء لم يعطه غيره، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا﴾، فكانت هذه لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خاصة، فوالله ما اختارها دونكم ولا استأثر بها عليكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منه على أهله سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله عزّ وجلّ.

رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٤)، وفي المغازي (٤٠٣٣)، وفي الاعتصام (٧٣٠٥) وفي مواضع، ومسلم في الجهاد (١٧٥٧)، وأبو داود في الخراج (٢٩٦٣)، والترمذي في السير (١١٧٦)، والنسائي في المجتبى (٤١٤٨)، وفي الكبرى (٦/٤٨٣، ٤٨٤) مطوّلاً ومختصراً، ويأتي في المغازي وغيره.

الإيجاف: سرعة السير، والفَيْء: ما أخذ من الكفار بدون حرب ولا قتال، وكانت أموال بني النضير من هذا القبيل، ففرقها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كما أمره الله عزّ وجلّ وخمسها على خمسة أسهم: سهم لله ولرسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم ذوي القربى، ثم اليتامى، ثم المساكين، ثم ابن السبيل... وهي مصاريف الغنائم والأنفال، وكان الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قد قاما بذلك أحسن قيام بعد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، لكن الروافض أخزاهم الله أبوا إلا أن يجعلوا الخليفتين... ظالمين ظلما مولاتنا فاطمة والإمام عليّاً وسيدنا العباس رضي الله تعالى عنهم جميعاً. وحاشا الخليفتين أن يظلما قرابة رسول الله فهما أعرف بقدر آل البيت من الذين يرتزق بهم الرافضة اليوم قبحهم الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [٧]:

{٨٣٩} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: لعن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم «**الواشماتِ والمستوشمات، والمتفلِّجاتِ للحُسْن، المُغَيِّرَاتِ خلقَ الله**»، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ يقال لها: أم يعقوب كانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنت

الواشمات والمستوشمات والمُتَنَمِّصَات والمُتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله، فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في كتاب الله، قالت المرأة: لقد قرأت القرآن ما بين لوحي المصحف فما وجدته، قال: والله إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، قال: قالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك، قال: فاذهبي فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبدالله فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها. وفي رواية: لو رأيت شيئاً من ذلك ما صحبتْني.

رواه أحمد (٤٣٣/١، ٤٣٤، ٤٤٣)، والبخاري في التفسير (٢٥٤/١٠، ٢٥٥) وفي اللباس (٥٩٤٣، ٥٩٤٨)، ومسلم في اللباس (٢١٢٥)، والترمذي في الأدب (٢٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (٤٨٥/٦) وفي الزينة من المجتبى.

{٨٤٠} ـ وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهما شهدا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه نهى عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفّت، ثم تلا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

رواه مسلم في الأشربة (١٩٩٧)، وأبو داود (٢٦٩٠)، والنسائي في الكبرى (٤٨٤/٦) وفي المجتبى.

{٨٤١} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ذَرُوني ما تَرَكْتُكُمْ، فإنَّما هلكَ مَن كانَ قَبْلَكم بكثْرة سؤالهم واختلافِهم على أنبيائهم، ما نَهيْتُكم عنه فانْتَهُوا، وما أَمَرْتُكم به فأتوا منه ما استطعتم»**.

رواه أحمد (٢٤٧/٢، ٢٥٨، ٤٢٨، ٥١٧)، والبخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، وفي الفضائل (١٠٩/١٥، ١١٠)، والترمذي في العلم (٢٤٩٣)، وابن ماجه (٢/١).

في الآية الكريمة وما ذكر من الأحاديث دليل على وجوب اتباع ما جاء به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من أقواله أمراً ونهياً وخبراً، ومن أفعاله ابتداء أو بياناً للقول، وفي تقريراته فإنه لا يقرّ على منكر أبداً، وكل هذا لا خلاف فيه بين علماء الإسلام إن صح ذلك عنه. واختلفوا فيما تركه وسكت عنه، والصحيح أنه من المعفوات لحديث: «**وسكت عن أشياء رحمةً بكم فلا تسألوا عنها**». ومن الجهل الفاضح قصر بعض المحاضرين والكتّاب الآية الكريمة على سببها من قضيَّة الفيء، وهذا جهل سافر وقول في الدين بالرأي والهوى، فإننا لو قصرنا القرآن على خصوص الأسباب لما بقي معنا من الدين إلا النزر، فالعبرة بالعموم، وباقي أبحاث الأحاديث تأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [٨ ـ ٩]:

{٨٤٢} ـ عن عمرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: أوصى عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: أوصِي الخليفةَ من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين الأولين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ الآية، أن يعرف لهم هجرتهم ويعرف لهم فضلهم، وأوصيه بالأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، أن يعرف لهم فضلهم وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل ذمة محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يوفي لهم بعهدهم، وأن لا يحمل عليهم فوق طاقتهم، وأن يقاتل عدوّهم من ورائهم.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٥٥) وفي مواضع، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٥).

في الآية الكريمة إشادة بفضل المهاجرين والأنصار، ولذا جاءت الوصية بهم في السنّة، وعلى لسان أمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [٩]:

{٨٤٣} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دعا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الأنصار أن يَقْطعَ لهم البَحْرَيْنِ، قالوا: لا، إلا أن تَقطعَ لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: **«أما لاَ فاصْبِرُوا حتى تَلْقَوْني فإنه سيُصِيبُكم أثَرَةٌ»**، وفي رواية لأبي هريرة: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قالوا: لا، فقالوا: أتكفونا المؤونة ونشرككم في التمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

رواه أحمد (١١١/٣، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤)، والبخاري في المساقاة (٢٣٧٦) وفي المناقب (٣٧٩٤)، والحميدي (١١٩٥)، والطيالسي (١٩٦٩)، والبيهقي (١٤٣/٦، ١٤٤).

ورواه البخاري في المزارعة (٤٠٥/٥)، وفي المناقب (١١٤/٨) من حديث أبي هريرة. هكذا كان المسلمون أيام النبوّة يحب أحدُهم ما يُحِبُّ لأخيه، ويأتي الكلام على الحديث في المناقب إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [٩]:

{٨٤٤} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأنصار بات عنده ضَيْفٌ فلم يكن عنده إلا قوتُ صِبْيانِه، فقال لامرأته: نَوّمي الصِّبْيَة وأَطْفِئي السِّراجَ وقَرّبي للضيف ما عندك، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٥٦، ٢٥٧) وفي المناقب، ومسلم في الأشربة (٢٠٥٤)، والترمذي في التفسير (٢٠٨٧)، والنسائي في الكبرى (٤٨٦/٦) هكذا مختصراً، وهو مطوّل عند البخاري وغيره، ويأتي إن شاء الله في فضائل الأنصار.

الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وتفضيله، والخصاصة: الفقر والحاجة، وما فعله هذا الصحابي لضيفه هو غاية في الإيثار، ونهاية في كرم النفس وحسن الضيافة إذ بات طاوياً هو وزوجه وأطفاله ليُشبع ضَيْفَه. وتأتي قصة ما وقع لجماعة من الصحابة في غزوة اليرموك في المناقب إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآية [١٨]:

{٨٤٥} ـ عن جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: كُنّا عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النِّمار أو العباء، متقلّدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعّر وجه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما رأى ما بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلّى ثم خطب، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، تصدّق رجلٌ من دِينارِهِ، من دِرْهمِهِ، من ثَوْبِهِ، من صاعِ بُرِّه، من صاع تَمْره، حتى قال: «**ولو بشِقِّ تمرةٍ**»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّه تَعْجزُ عنها، بل قد عجزَتْ، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كَوْمَيْنِ من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتهلّلُ كأنّه مُذْهَبة، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**من سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجْرُها وأجْرُ من عَمِل بها بعدَه من غير أن يَنْقُص من أجورهم شيءٌ، ومن سنّ في الإسلام سُنّةً سيئة كان عليه وزرُها ووِزْرُ من عمل من بعده من غير أن يَنْقُصَ من أوْزَارِهِم شيءٌ**».

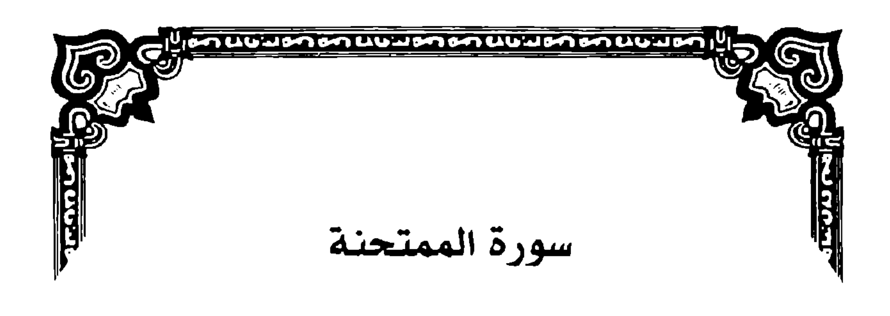
رواه الطيالسي (٦٧٠)، وأحمد (٣٥٧/٤، ٣٥٨، ٣٥٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٢/٧، ١٠٣، ١٠٤)، والترمذي في العلم (٢٤٨٩)، وابن ماجه في المقدمة (٢٠٣).

مجتابي أي: لابسي النمار جمع نمرة وهي العباءة، فتمعّر - بتشديد العين المفتوحة - أي: تغيّر، كومين: تثنية كوم بالضم والفتح وهو الصبرة العظيمة، يتهلّل أي: يستنير كالهلال فرحاً وسروراً، مذهبة - بضمّ الميم ثم ذال معجمة ساكنة ثم هاء مفتوحة - ومعناه: كأنه فضّة مذهبة في حس الوجه وإشراقه.

والآية الكريمة جاءت تنبّه المسلم على التيقّظ ومحاسبة النفس والاستعداد للآخرة. وأبحاث الحديث تقدمت في كتاب العلم.

وبه تمّت سورة الحشر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الممتحنة

وهي ثلاث عشرة آية، وهدفها الرئيسي النهي عن اتّخاذ الأعداء أولياء وأصحاباً تلقى إليهم المودة ويحتفىٰ بهم، ثم ذكر امتحان النساء المهاجرات ثم مبايعتهن.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ **الآية** [١]:

{٨٤٦} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: بعَثَنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنا والزُّبير والمقدادُ وقال: **«انطلقوا حتى تأتُوا روضةَ خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»**، فذهبنا تُهَادي بنا خَيْلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخْرِجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتُخْرِجنَّ الكتابَ أو لنُلقينَ الثياب فأخرجَتْه من عقاصِها، فأتينا به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكّة يخبرهم ببعض أمر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ما هذا يا حاطب»**؟ قال: لا تَعْجَل عليّ يا رسول الله إني كنتُ امرأً من قريش ولم أكن من أنفسُهِم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يَحْمُون بها أهلَهم وأموالهم بمكة، فأحببتُ إذْ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يَحْمُون قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً عن دِيني، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إنه قد صَدَقكم»**، فقال عمر رضي الله

تعالى عنه: دَعْني يا رسول الله فأضرِب عنقَه، فقال: **«إنه شَهِد بَدْراً، وما يُدرِيك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعْمَلوا ما شِئْتُمْ فقد غفرتُ لكم»**.

رواه البخاري في التفسير (٢٥٨/١٠، ٢٥٩) وفي الجهاد (٣٠٠٧) وفي المغازي (٤٢٧٤)، ومسلم في الفضائل (٢٤٩٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٨٨)، والنسائي في الكبرى (٤٨٧/٦).

الظغينة: تطلق على المرأة في الهودج، وتقال للمرأة نفسها أو للهودج، وقوله: عقاصها أي: ضفيرتها.

وفي الحديث فضل أهل بدر وأنهم مغفور لهم مَرْضِيٌّ عنهم لا تَضُرُّهم أيُّ جِناية.

وفي الآية الكريمة النهي عن اتخاذ الكفار أولياء والتحذير من إطلاعهم على أسرار المسلمين، وفي قول الإمام علي لتلك المرأة: لتخرجنّ أو لنلقينّ الثياب جواز تفتيش المرأة إذا شكّ فيها. . . ولو بتجريدها من ثيابها.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [٨]:

{٨٤٧} ـ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قدمتْ أمّي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبيَ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمّي قد قدمت وهي راغبة أفأصِلُها؟ قال: **«نعم صِلِي أمّك»**.

رواه أحمد (٣٤٤/٦، ٣٤٧)، والبخاري في الأدب (١٧/١٣)، ومسلم في الزكاة (٨٩/٧)، وعند البخاري: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

في الآية والحديث مشروعية الإحسان إلى المشركين الموادعين للمسلمين والبرور بهم والعدل بينهم. وقيل ذلك هو خاص بالنساء والأطفال

كما في الحديث البرور بالوالدين، وإن كانوا مشركين وأنه لا بأس بدخولهم لبيت المسلم، كما فيه جواز قبول هداياهم المباحة لنا.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [١٠]:

سيأتي حديث المسور أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات بعد أن رجع إلى المدينة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

كان في المعاهدة بين النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين قريش أن من جاءهم من المؤمنين ردّوهم إليهم فجاءه نساء، فأنزل الله الآية واستثنى النساء ونهاهم أن يردّوهم إلى الكفار؛ لأنهنّ لم يكن في العهد، وأمر الله تعالى نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يمتحن كل امرأة جاءته مهاجرة أنها ما خرجت إلا رغبة في الله وفي رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]:

{٨٤٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قد بايَعْتك**» كلاماً لا والله ما مست يدُه يد امرأةٍ قط في المبايعة ما بايعهنّ إلا بقوله: «**قد بايعتكن على ذلك**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٦١)، ومسلم في الإمارة (١٣/١٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٧٥).

{٨٤٩} ـ وعن أمّ عطية رضي الله تعالى عنها قالت: بايَعْنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، ونهانا عن النياحة، فقبضتْ امرأةٌ يدَها فقالت: أسْعَدَتْني فلانةٌ أريد أن أجْزِيَها، فما قال لها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم شيئاً فانطلقتْ ورجعتْ فبايَعَها، وفي رواية: فقلت: إلا آل فلان، فإنهم قد كانوا أسْعَدُوني في الجاهلية، فلا بدّ لي من أن أسعدهم، قال: «**إلا آل فلان**».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٦٢) وغيره، ومسلم في الجنائز (٩٣٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٨٨)، ونحوه عن أم سلمة رواه الترمذي (٣٠٩٠)، وفيه ما هو المعروف الذي لا ينبغي أن نعصيك فيه، قال: «**لا تَنُحْنَ**...» وسنده صحيح.

{٨٥٠} ـ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: شهِدتُ الصلاةَ يومَ الفطر مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلّهم يصلّيها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فكأنّي أنظر إليه حين يُجْلِس الرجال بِيَدِهِ ثم أقبل يَشُقّهم حتى أتى النساء مع بلال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «**أنْتُنّ على ذلك؟**»، وقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٦٥)، ومسلم في العيدين (٦/١٧١، ١٧٢، ١٧٣)، وتقدم في كتاب الإيمان حديث عبادة بن الصامت، وحديث أُمَيْمة بنت رقيقة كما تقدم في العيدين حديث ابن عباس بسياق آخر.

وفي هذه الأحاديث بيانٌ للمبايعة التي بايع فيها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم النساء، وهي التي نزلت فيها الآية، وعلى هذه الخصال بايع صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الرجال كما تقدم في حديث عبادة، وفي حديث عائشة دليل على أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن يصافح النساء في المبايعة كما كان يفعلُ مع الرجال؛ لأن مسّ المرأة الأجنبية ممنوع، بل يعتبر زنى باليد كما تقدم في حديث أبي هريرة: «**واليدان تزنيان**»، ولذلك قالت مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: لا والله ما مسَّت يدُه يدَ امرأة قط... إلخ.

وبهذا تمّت سورة الممتحنة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الصف

هي أربع عشرة آية، وموضوعها ذكر الجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الله ونصر دينه، وبيان التجارة الرابحة.

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ إلى آخر السورة:

{٨٥١} ـ عن عبدالله بن سَلاَم رضي الله تعالى عنه قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فتذاكرنا، فقلنا: لو نَعلمُ أيَّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله تعالى عزّ وجلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ إلى آخرها.

رواه أحمد (٥/٤٥٢)، والترمذي (٣٠٩١)، والحاكم (٢/٢٢٨، ٢٢٩، ٤٨٧) وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الإتحاف بعد أن عزاه لأبي يعلى: رواته ثقات، وكذا صححه الحافظ، وهذا الحديث من المسلسلات الصحيحة التي قلّ نظيرها. وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من تمني الخير والعمل بالأفضل، لكن الله تعالى أنكر عليهم ما تمنّوه لتقصيرهم في القيام بما يجب القيام به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ④﴾ [٤]:

{٨٥٢} ـ عن كعب الأحبار رحمه الله قال: نجد مكتوباً: محمد

رسول الله لا فظّ، ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وأمته الحمّادون، ويكبّرون الله عزّ وجلّ على كل نجْدٍ، ويَحْمَدُونه في كل منزلة، ويأتَزِرون على أنصافهم، ويَتَوَضَّؤُونَ على أطرافهم، مُنادِيهم يُنادي في جوّ السماء، صفُّهم في القتال وصفُّهم في الصلاة سواء، لهم بالليل دَوِيٌّ كدَوِيّ النحل، ومولِدُه بمكّة، ومُهاجَرُه بِطيبة، ومُلْكه بالشام.

رواه الدارمي في أول سننه رقم (٥) بسند صحيح، ورواه من طريقين آخرين (٨/٧) بنحوه وأحدهما سنده حسن. كلام كعب هذا منقول من التوراة، وهو ثقة مصدق خلافاً لمن طعن فيه ظلماً، وفيه صفات النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصفات أُمّته التي منها أنهم يصفون في الصلاة والقتال وهو موافق لمضمون الآية الكريمة. والآية تدلّ على أن الله عزّ وجلّ يرضى من عباده اصطفافهم أمام الْعَدُوّ عند القتال ملتصقين إلى بعضهم، كأنهم البنيان الثابت، فلا يَفرّون ولا يجبنون ولا يضعفون وأن فاعلي ذلك محبوبون عنده تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [٥]:

{٨٥٣} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قسم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قِسْمةً، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرته فتَمَعَّرَ وجهُه، وقال: **«رحم الله مُوسى لقد أُوذي أكثر من هذا فصبَر»**.

رواه البخاري في الأدب (٨٦/١٣، ١٢٦) وفي المغازي وفي الاستئذان، والحميدي (١١٠)، وكذا أحمد (٣٨٠/١، ٤٣٥، ٤٥٣).

في الآية الكريمة لفت أنظار المؤمنين من هذه الأُمّة، وتحذيرهم من أن ينالوا من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أو يؤذوه بأيّ نوع من

أنواع الإذايات، وقد آذاه المنافقون فصبر وصفح عنهم، ولا أدلّ على ذلك من حديث الباب، فإن نسبته إلى الظلم في القسمة أذى أي أذى، ولكنه ذكر أخاه موسى وما لاقى من اليهود فاقتدى به في صبره وإعراضه عن الجاهلين وضعفاء الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [٦]:

فيه حديث العرباض بن سارية: «**إني عند الله خاتم النبيين...**»، وفيه: «**وبشارة عيسى**»، رواه أحمد والبخاري في التاريخ وابن حبان والحاكم وغيرهم وصححه غير واحد، وقد تقدم في سورة البقرة، ويأتي في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى. في الآية والحديث إخبار ببشارة روح الله عيسى عليه السلام بنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ **إلخ** [١٤]:

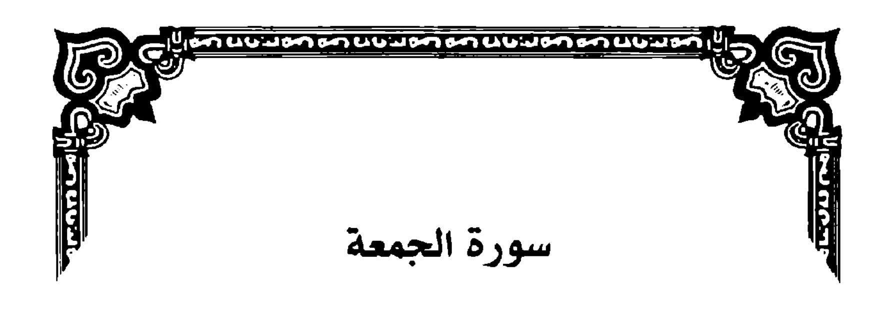
{٨٥٤} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج على أصحابه وهم في بيتٍ اثنا عشرَ رجلاً ورأسُه يقْطُرُ ماء، فقال: أيُّكم يُلْقَى شَبَهي عليه فيُقتلُ مكانِي فيكون مَعِي في درجتي، فقام شابٌ من أحدَثهم سِنّاً، فقال: أنا، فقال: اجْلِسْ ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم أنت، فألقي عليه شبه عيسى، ثم رُفع عيسى من رَوْزَنَةٍ كانت في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشابّ للشَّبه فقَتَلُوه ثم صلبوه، فتفرقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان فينا الله عزّ وجلّ ما شاء الله ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت طائفة: كان فينا عبدُ الله ورسولُه ما شاء الله ثم رفعه، فهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعثَ الله محمداً صلّى الله تعالى عليه

وآله وسلم فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي كفرت في زمان عيسى عليه السلام والطائفة التي آمنت في زمان عيسى عليه السلام: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٤٨٩/٦، ٤٩٠)، وابن جرير (٩٢/٢٨) وسنده صحيح، والمنهال بن عمرو لا يضرّهُ من تكلم فيه، فإنه من رجال البخاري.

قوله: ثم رفع من روزنة، على وزن رونقة: هي خرق في سقف البيت، ورفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء مقطوعٌ به صرح به القرآن، وتواترت الأخبار بنزوله آخر الزمان وكونه شبّه على اليهود الذين أرادوا قتله هو نص القرآن أيضاً، وهذا الأثر يرفع النزاع الذي طالما حصل بين المفسّرين في الذي أُلقِيَ عليه الشبه وصلب، وأنه الشاب أحد أصحابه من الحواريين، وفيه أن أمهات فرق النصارى هي ثلاثة، إحداها: مسلمة والباقيتان كافرتان، ثم كثرت فرقهم بعد ذلك وتشعبت. وبهذا تمّت سورة الصف، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصحبه وحزبه.





سورة الجمعة

هي إحدى عشرة آية، وأهم أهدافها النعمة العظمى ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الآميين وآخرين لما يلحق قوم بهم وهم العجم وغيرهم ثم ذكر الجمعة والسعي إليها.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [٣]:

{٨٥٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنّا جلوساً عند النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ نزلت سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يده على سلمان، ثم قال: **«لو كان الإيمانُ عِند الثُّريا لناله رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء»**، وفي رواية: **«والذي نفسي بيده لو كان الإيمان عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يَتَنَاوَلُوهُ»**.

رواه أحمد (٤١٧/٢)، والبخاري في التفسير (٢٦٧/١٠، ٢١٨)، ومسلم في الفضائل (٢٥٤٦)، والترمذي في التفسير (٣٠٩٧) وفي الفضائل (٣٦٩٧)، والنسائي في الكبرى (٧٦/٥)، وابن حبان (٢٥٨/١٦).

أما حديث: «لو كان العلم بالثريا»، رواه ابن حبان وغيره فضعيف.

في الآية والحديث معجزة غيبية ظاهرة حيث أخبر تعالى بقوم يأتون بعد الصحابة يؤمنون بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد عيّنهم الحديث الشريف، وأنهم ناس من أبناء فارس ورجال العجم، أوْكد من صدق النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من غير العرب الأميين.

وفي الحديث فضل مؤمني العجم، وحرصهم على الإيمان والعمل بمقتضاه، والحديث صدقه الواقع فإن للعجم أيادي في خدمة دين الإسلام وعلومه، ويكفي في ذلك أن يكون أكثر حفّاظ الحديث وأصحاب الأمّهات المشهورة من العجم؛ فالبخاري عجمي، ومسلم عجمي، وأبو داود عجمي، والترمذي عجمي، وابن ماجه عجمي، والنسائي عجمي... وغيرهم كثير، وهكذا شأنهم في التفسير والعلوم العربية واللغة والأدب، والتصوّف، فالعجم لهم شأن عظيم في خدمة الإسلام والتمسّك به، وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ أي: لم يأتوا بعد أو لم يلحقوهم في الفضل والسابقة، وذلك كلّه فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [٧]:

تقدم حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ولو أن اليهود تمنّوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار»**.

رواه أحمد وغيره بسند صحيح انظر ما سبق في سورة البقرة آية (٩٥)، فقد ذكر هنالك مطوّلاً:

كان اليهود الملاعين يدّعون أن الآخرة خاصة بهم دون سائر الأمم، فأكذبهم الله تعالى بما ذكر هنا وفي سورة البقرة...

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [٩]:

تقدم حديث السائب بن يزيد في أذان الجمعة، وأنه كان واحداً، مع حديث أبي هريرة في فضل روّاد الجمعة، انظر ذلك في كتاب الجمعة مع أحاديث أخرى.

■ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [١١]:

{٨٥٦} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجمعة فمرّت عير تحمل الطعام، فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية. وفي رواية: بينما النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر.

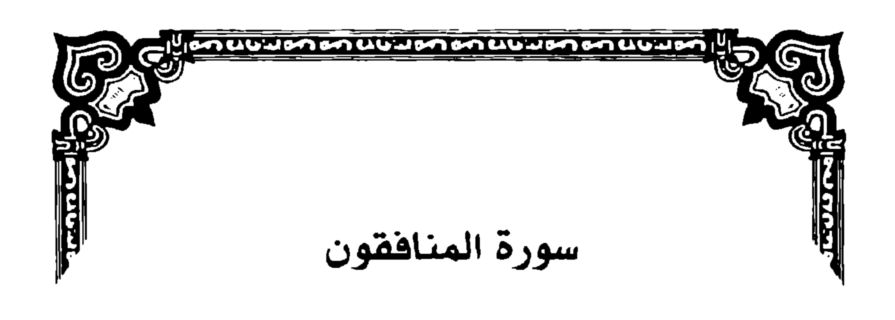
رواه البخاري في الجمعة (٩٣٦) وفي البيوع وفي التفسير (٢٦٨/١٠)، ومسلم في الجمعة (٨٦٣)، والترمذي في التفسير (٣٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٤٩٠/٦)، وفي الجمعة من المجتبى.

العِير ـ بكسر العين ـ: هي الإبل التي تحمل التجارة والميرة، واللهو في الآية: هو الضرب في الطبل الذي كانوا يضربون فيه عند قدوم تجارة إعلاماً للناس بذلك.

وهذه الحادثة كانت خطيرة على من انفضّ عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يخطب، لولا أن الله عزّ وجلّ عفا عنهم وغفر لهم لكونهم لم يكونوا يعلمون أن ذلك محرم.

وبهذا تمّت سورة الجمعة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة المنافقون

وهي إحدى عشرة آية، وهي تعنى بذكر المنافقين وصفاتهم والكشف عن كذبهم وبيان مقالاتهم حول الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **إلخ:**

{٨٥٧} ـ عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن أبيّ بن سلول يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ و﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، فذكرتُ ذلك لعمي فذكر ذلك عمر للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فدعاني النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فحدّثته، فأرسل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى عبدالله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذّبني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وصدّقه، فأصابني شيء لم يصبني شيء قط مثله، فجلستُ في البيت، فقال لي عمي: ما أردتَ إلا أن كذّبك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ فبعث إليّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأها ثم قال: «**إن الله قد صدّقك**».

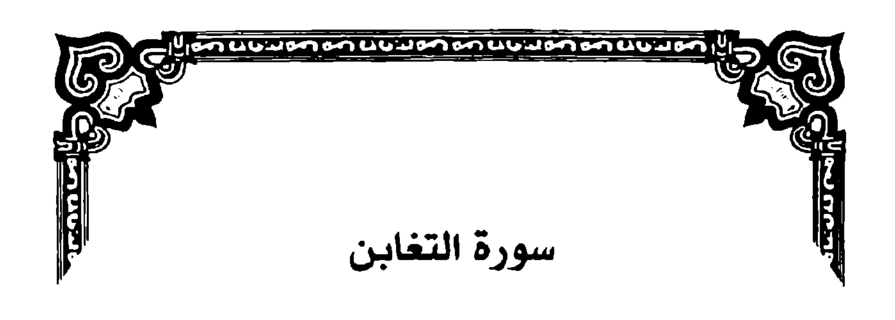
رواه البخاري في التفسير (١٠ .٢٦٩، ٢٧٣) من طرق، ومسلم في

كتاب صفات المنافقين (١٢٠/١٧) وغيرهما، ويأتي مع حديث جابر في المغازي إن شاء الله تعالى.

في الحديث بيان سبب نزول هذه السورة التي جاءت تكشف عن بواطن المنافقين وتفضحهم وتسجل عليهم الكذب والمكر والخيانة والطعن في الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وبه تم الكلام على سورة المنافقون، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة التغابن

آياتها ثمان عشرة، وهي وإن كانت مدنية، فروحها روح السور المكّية كما يظهر متجلّياً فيها.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن﴾ إلخ [١٤]:

{٨٥٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ إلخ، قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فلما أتوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا يعاقبونهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ إلخ.

رواه الترمذي (٣٠٩٩)، وابن جرير (١٢٤/٢٨، ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٣٣٥٨/١٠)، والحاكم (٤٩٠/٢) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي صحيح على شرط مسلم.

الأزواج والأولاد كثيراً ما يكونون سبباً في خسارة الإنسان وشقاوته عياذاً بالله تعالى إذا هو أطاعهم فيما يَهوون، فإنهم بالطبع لا يحبون الجهاد في سبيل الله، ولا يرضون منه أن يتصدّق ويواسي المحتاجين، ولا يتركونه يخرج

للدعوة إلى الله تعالى أو الهجرة إلى بلد يقيم فيه دينه، وبذلك يكونون له أعداء وقد يعادونه لأسباب تافهة دنيوية محضة، فيجب عليه أن يكون على حذرٍ منهم، ألهمنا الله وإياهم رشدنا وحفظنا وإياهم من شرور أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [١٥]:

{٨٥٩} ـ عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطبُ فجاء الحَسَنُ والحُسَيْنُ عليهما السلام عليهما قميصان أحْمَرانِ يمشيان ويعْثُران، فنزل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، قال: «**صدق الله ورسوله**: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعتُ حديثي فرفعتهما.

رواه أحمد (٥/٣٥٤)، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي في المناقب (٣٥٤٦)، والنسائي في الجمعة (٣/١٠٨) وفي الكبرى (١/٥٣٥، ٥٥١)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وابن خزيمة (١٠٨٢)، وابن حبان (٢٢٣٠) بالموارد، والحاكم (١/٢٨٧)، وهو حسن صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الآية والحديث يدلاّن على ما ابتلي به الإنسان في هذه الحياة من الفتنة العظيمة والمحنة الشديدة بالأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [١٦]:

فيه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**إذا أمرتكم بأمر فأْتوا منه ما استطعتم**»، رواه الشيخان، وانظر ما سبق في سورة الحشر آية (٧)، فهناك تخريجه ولفظه ومعناه.

الآية والحديث فيهما تقييد ما أطلق في القرآن والسنّة من التقوى بالاستطاعة، فالحمد لله على رحمته ولطفه بنا وإحسانه إلينا.

وبهذا تمّت سورة التغابن، والحمد لله التي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه.



سورة الطلاق

هي اثنتا عشرة آية، وأهدافها بيان أحكام الزوجين من الطلاق والرجعة والعدة والنفقة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [١]:

{٨٦٠} - عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه طلّق امرأة له وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فتَغَيَّظ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم قال: **«ليُراجعها ثم يُمسِكُها حتى تَطهُر ثم تحيضَ فتطهرَ، فإن بدا له أن يُطلّقها فلْيطلقها طاهراً قبل أن يمَسَّها فتلك العدة التي أمر الله عزّ وجلّ أن يُطلّق لها النساء»**، وفي رواية: قال ابن عمر: وقرأ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، وفي رواية: **«مُرْه فلْيُراجِعْها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً»**.

رواه أحمد (٢/٢٦، ٤٣، ٥٤)، والبخاري (١١/٢٦١، ٢٦٦)، ومسلم (١٠/٥٩، ٦٩)، وأهل السنن وغيرهم مختصراً، ويأتي مبسوطاً في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

والآية مع الحديث يدلاّن على أن الطلاق المشروع لا يكون إلاّ عند حصول حمل أو مع طهر لم يقربها فيه، وهذا هو الطلاق السني، وسيأتي مبسوطاً في النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [٢]:

{٨٦١} ـ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: جعل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ الآية، ثم قال: **«يا أبا ذرّ لو أن الناس كلّهم أخذوا بها لكفتهم»**.

رواه أحمد (١٧٨/٥)، والنسائي في الكبرى (٤٩٤/٦)، وابن ماجه (٤٢٢)، وابن حبان (٥٣/١٥) بالإحسان، وسنده صحيح لولا انقطاعه لكن له طريقاً آخر رواه أحمد (١٤٤/٥ و٤٥٧/٦) مطوّلاً، وشهر بن حوشب تكلّم فيه بلا حجّة كما قال النووي، فالحديث قوي بطريقيه.

الآية مع الحديث يدلاّن على أن من تحقّق بهذه الآية وعمل بمقتضاها فاتّقى الله عزّ وجلّ وتوكل عليه كفاه الله ما أهمّه وأتاه برزقه من حيث لا يدري، وذلك يدلّ على أن التقوى من أسباب الرزق، لأن الأسباب لا تنحصر في الأسباب الظاهرة العادية، فالإقبال على العبادة أو الانقطاع للاشتغال بالعلم الديني بإخلاص، كل ذلك من أسباب الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [٤]:

{٨٦٢} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إنّ سُورة النساء القُصْرَى نزلت بعد البقرة: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾.

رواه أبو داود (٢٣٠٧)، والنسائي في الطلاق من المجتبى، وفي التفسير من الكبرى (٤٩٤/٦)، وابن ماجه (٢٠٣٠)، والبيهقي (٤٣٠/٧) وسنده صحيح.

{٨٦٣} ـ وعن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه أن سُبَيْعة الأسلميّة نُفِسَت بعد وفاة زوجها بليال، فجاءت النبيّ صلّى الله تعالى

عليه وآله وسلم فاستأذنته أن تنكح فأذن لها، فنكحت.

رواه البخاري في الطلاق (٥٣٢٠)، وفي الباب غير هذا، تأتي في النكاح إن شاء الله تعالى.

سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق، لأنها ذكرت أحكام النساء وجاءت بعد سورة البقرة التي فيها عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر، وعدة الطلاق ثلاثة قروء... فجاءت هذه السورة تخبر بأن عدة الحامل هي وضعها ونفاسها مطلقاً.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [١٢]:

{٨٦٤} ـ عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن رحمه الله تعالى أنه كان بينه وبين أناس خصومة، فذكر لعائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت له: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«من ظَلَم قِيدَ شِبْرٍ من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرَضين»**.

رواه أحمد (٦٤/٦، ٧٩، ٢٥٢، ٢٥٩)، والبخاري في المظالم (٣٠/٦) وفي بدء الخلق (١٠٣/٧)، ومسلم في تحريم الظلم من البيوع (٥٠/١١).

{٨٦٥} ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقّه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**.

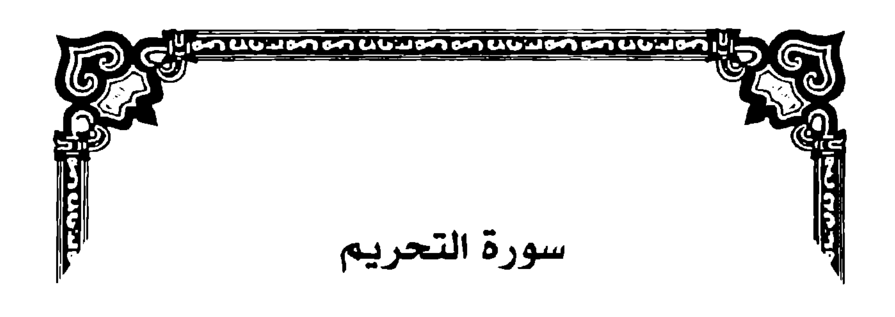
رواه أحمد (٩١/٢)، والبخاري في المظالم (٣٠/٦) وفي بدء الخلق (١٠٣/٧) وغيره، وفي الباب أحاديث سيأتي بعضها في المظالم وغيره إن شاء الله تعالى.

قوله: قيد شبر ـ بكسر القاف ـ أي: قدر شبر، يقال: قيد وقاد وقيس وقاس بمعنى واحد، وقوله: طوّقه ـ بضم الطاء وكسر الواو المشدّدة ـ أي: جعل ذلك في عنقه كالطوق.

والآية الكريمة صريحة كالحديثين في أن الأرضين سبع كالسمٰوات، وجاء صريح القرآن بأن السمٰوات طباق، وهكذا جاء في السنّة الصحيحة في أحاديث الإسراء والمعراج، يبقى الأمر بعد هذا في الأرضين، فصريح القرآن أنها مثل السمٰوات مطلقاً في العدد والطّباق، وبهذا قال أكثر العلماء. قال النووي في شرح مسلم (٤٨/١١): هذا تصريح بأن الأرضين سبع طبقات، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. وأما تأويل المماثلة على الهيئة والشكل فخلاف الظاهر، وكذا قول من قال: المراد بالحديث سبع أرضين من سبع أقاليم، لأن الأرضين سبع طباق وهذا تأويل باطل أبطله العلماء بأنه لو كان كذلك لم يطوّق الظالم بشبر من هذه الأقاليم شيئاً من إقليم آخر بخلاف طباق الأرض، فإنها تابعة لهذا الشبر في الملك، فمن ملك شيئاً من هذه الأرض ملكه وما تحته من الطباق. وذكر الحافظ نحوه مختصراً في الفتح في بدء الخلق (١٠٢/٧) كما نقل عن بعضهم أن الأرض واحدة، قال: وهو مردود بالكتاب والسنّة.

نعم، بيد أن الظاهر أن الأرضين مرتوقات متلاصقات لما اكتشف الآن من أن هذه الأرض التي نعيش عليها هي كوكب في الفضاء كجملة الكواكب، والله تعالى أعلم بكتابه وكونه. وبهذا تمّت سورة الطلاق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة التحريم

هذه السورة الكريمة هي خاتمة السور العشر المدنيات المتواليات، وهي اثنتا عشرة آية، وهدفها البارز هو الكلام على بيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وزوجاته الطاهرات وما صدر منهنّ نحوه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من التنافس والغيرة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ **إلخ**:

{٨٦٦} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب ويشربُ عندها عسلاً، فتواصيتُ وحفصةُ أيتنا ما دخل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عليها فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، فدخل على إحداهما فقالت ذلك له، فقال: «**بل شربتُ عسلاً عند زينب**»، وقال لي: «**لن أعود له**»، فنزلت: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ لقوله: «**بل شربت عسلاً**»... وفي رواية: «**فلن أعود له وقد حلفتُ لا تُخبري بذلك أحداً**».

رواه البخاري في التفسير (٢٨٢/١٠) وفي الطلاق وفي الأيمان والنذر، ومسلم في الطلاق (٧٣/١٠)، وأبو داود (٣٧١٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩٥/٦) وفي عشرة النساء وفي النذور من المجتبى.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ إلخ [٤]:

{٨٦٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سأل عمر رضي الله تعالى عنه عن اللتين تظاهرتا على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٨٣)، ومسلم في الطلاق (١٠/٨٥)، والترمذي في التفسير (٣١٠٠) كلّهم رووه مطولاً، ورواه النسائي في الكبرى (٦/٤٩٥) مختصراً كما ذكرناه، ويأتي مطوّلاً في النكاح.

اختلفت الأحاديث في سبب نزول هذه الآيات، وماذا حرم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عليه هل الأمة أم العسل؟ وعلى الثاني من الساقية؟ هل زينب أم حفصة؟ ومن المتظاهرتان عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هل عائشة وحفصة؟ أم عائشة وسودة وصفية؟ فالصحيح أن التحريم كان العسل، وهو سبب نزول الآيات، والمتظاهرتان عائشة وحفصة، والساقية زينب رضي الله تعالى عنهنّ جميعاً. وما جاء في صحيح البخاري من كتاب الطلاق ومسلم فيه أيضاً أن المتظاهرات هنّ عائشة وسودة وصفيّة، وأن الساقية كانت حفصة هو غلط، وانقلاب الأسماء على بعض الرواة وهو مخالف لصريح القرآن: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ إلخ، فهما في الآية ثنتان لا ثلاث رضي الله تعالى عنهن.

قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾:

{٨٦٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا حرّم الرجلُ عليه امرأته فهي يمينٌ يُكفّرها، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وفي رواية: قال في الحرام يكفّر، ثم قرأ الآية... وفي رواية ثالثة: إذا حرم امرأته ليس بشيء.

رواه مسلم في الصلاة (١٠/٧٢، ٧٣) بالرواية الأولى، ورواه البخاري في التفسير (١٠/٢٨٢) بالرواية الثانية، وفي الطلاق (١١/٢٩١) بالرواية الثالثة.

مراد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ من حرم عليه زوجته أن يكفّر كفارة اليمين ولا يلزمه طلاق، واستدلّ بالآية إشارة منه إلى أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حرم عليه مارية كما جاء من حديث أنس عند النسائي والحاكم وغيرهما بسند صحيح.

وهذا قولٌ للعلماء وجمعوا بين هذا وبين ما قبله بتعدّد القصة، والله تعالى أعلم. ولكن الصحيح أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إنما حرّم شرب العسل، وقال: لن أعود وقد حلَفْتُ، فجاءت الآية الكريمة تبيّن أنه تعالى قد شرع للمؤمنين ما يتحلّلون به من أيمانهم وذلك بالكفارة، ويأتي مزيد لهذا في النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [٥]:

{٨٦٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: اجتمع على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم نساؤه في الغَيْرة عليه، فقلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾ إلخ، فنزلت مثل ذلك.

رواه أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم، وتقدم في البقرة آية (١٢٥) وفي الأحزاب آية (٥٣)، وذكرت في كل موضع قطعة منه مما يناسب الموضوع.

هذه إحدى موافقات سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وقد ذكرت موافقاته لنزول القرآن الكريم في «فضائل الصحابة»، وهي ست موافقات جاءت بأسانيد صحيحة.

أما الآية الكريمة، فقال القرطبي: هذا وعد من الله تعالى لرسوله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لو طلقهنّ في الدنيا أن يزوّجه نساء خيراً منهنّ، والله عالم بأنه لا يطلقهنّ، ولكن أخبر عن قدرته على أن رسوله لو طلقهنّ لأبْدَلَهُ خيراً منهن تخويفاً لهنّ، إلخ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية [٨]:

{٨٧٠} ـ عن الأغرّ المزني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوبُ في اليوم إليه مائة مرة**».

وفي رواية: «**إنه ليُغَانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**».

رواه أحمد (٢١١/٤، ٢٦٠)، ومسلم في الدعوات (٢٣/١٧، ٢٤)، وأبو داود (١٥١٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٢١)، والنسائي في الكبرى (١١٦/٦)، والروايتان لمسلم. وفي رواية من حديث أنس: «**إني لأستغفر الله في اليوم وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة**»، رواه النسائي (١١٤/٦).

لَيُغَانُ: الغين يكون للمقربين وهو بمنزلة الغيم للأبرار، والغفلة للعامة، والرَّيْن لقلوب الكفار وأشباههم. واستغفار النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتوبته إنما هو تعبّد منه لله عزّ وجلّ وتشريع لأُمّته، أو كان يستغفر من فعل خلاف الأولى أو من فعل بعض المباحات. والتوبة النصوح: هي الخالصة الصادقة، وهي التي تتوفر فيها ثلاثة شروط: الندم وتألم القلب على فعل المعصية، ثم الإقلاع عن الذنب، ثم نيّة عدم الرجوع إليه، ثم سؤال المغفرة، فإذا كان حق لمخلوق استرضى صاحبه، ومن كمال التوبة صلاة ركعتين، فإذا حصلت بهذه الشروط قبلت قطعاً خلافاً لمن قال غير ذلك، وكان جزاء التائب ما وعد الله به في تتمّة الآية، وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

▣ **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ إلخ:**

{٨٧١} ـ عن رجل من بني كنانة قال: صلّيت خلف رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عام الفتح، فسمعته يقول: «**اللّهمّ لا تُخْزِني يوم القيامة**».

رواه أحمد (١٣٤/٤) بسند صحيح وأورده في المجمع (١١٢/١٠) وقال: رجاله ثقات.

في الآية وعد من الله عزّ وجلّ في أنه لا يخزي النبيّ ومن معه من المؤمنين ودعاؤه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذا كان تعبّداً منه وقياماً بالأسباب.

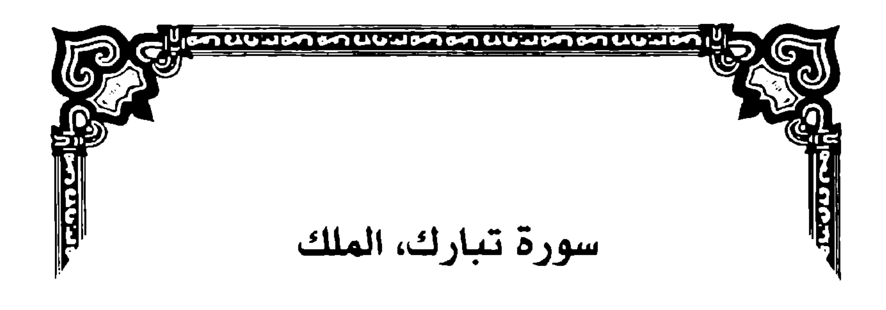
▣ **قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ إلخ [١٢]:**

{٨٧٢} ـ عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**كمُل من الرجال كثير ولم يكمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وخديجةُ بنت خُوَيلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**».

رواه أحمد والشيخان وغيرهم، ويأتي في الفضائل والمناقب إن شاء الله تعالى.

وبهذا تمّت سورة التحريم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

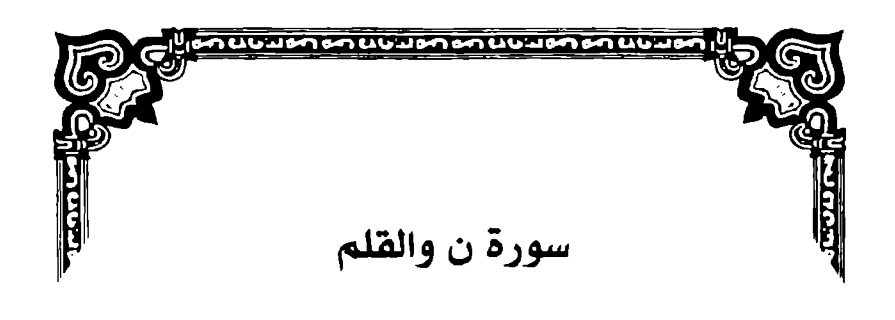




سورة تبارك، الملك

من هنا استؤنف ذكر السور المكيات إلى آخر القرآن، وهي نحو من خمس وأربعين سورة، وليس يتخلّلها من المدنيات إلا ثلاث سور: البيّنة، والزلزلة، والنصر... وهي ثلاثون آية وأهدافها بيان أصول الدين ودلائل التوحيد... وحديث فضلها تقدم في فضائل القرآن.





سورة ن والقلم

وهي ثنتان وخمسون آية.

قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [١]:

{٨٧٣} ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**إنّ أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد**».

رواه أحمد (٥/٣١٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي في القدر (١٩٨٦) وفي التفسير (٣٠٩٨)، والطيالسي (٥٣) وغيرهم، وسنده صحيح عند أحمد وهو مطوّل عندهم.

لفظة (ن) من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، والقلم يشمل كل الأقلام بدءاً من قلم الله عزّ وجلّ الذي أمره بكتابة المقدورات والمكوّنات، وهو نعمة من نِعم الله العظيمة على الإنسانية، فهو من أعظم أسباب المعارف والعلوم، فلولاه لما حفظ علينا القرآن الكريم، ولما حفظت علينا السنّة المحمدية، ولما دوّنت العلوم ووصلت إلينا عسلاً مصفّى، فالقلم وما يكتب ويسطر به لهما شأن عظيم، ولهذا أقسم الله عزّ وجلّ بهما هنا لما لهما من منافع ومصالح دينية ودنيوية، وسيأتي امتنان الله تعالى علينا به في سورة العلق.

والحديث يدلّ على أن القلم من أول ما خلق، وأنه كتب كل ما هو كائن مما شاء الله تعالى أن يكون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [٤]:

{٨٧٤} ـ عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى أنه سأل مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها عن خُلُق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: كان خلقه القرآن.

رواه أحمد (٩١/٦، ١٦٣)، ومسلم في صلاة الليل (٢٥/٦، ٢٦).

قولها: كان خلقه القرآن هو بضم الخاء واللام، تعني: أنه صار امتثال القرآن له، أمراً ونهياً، سجيّة وصفة له تطبعه، فكان نسخة من القرآن حية، فعامة أخلاق القرآن متجلّية ومتمثّلة فيه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [٤٢]:

{٨٧٥} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«يَكْشِف ربُّنا عن ساقِه فيَسْجُدُ كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويَبْقى مَن كان يَسْجُد في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهبُ يسجد فيعود ظهره طبَقاً واحداً».**

رواه أحمد (١٦/٣، ١٧)، والبخاري في التفسير (٢٩٠/١٠) وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان رقم (١٨٣)، هذا قطعة من حديث طويل يأتي في الرقاق إن شاء الله تعالى.

واختلف في المراد بالساق هنا، والأسلم أننا نؤمن به كما جاء بلا تعطيل مع تنزيه الله عزّ وجلّ عن الجارحة وتشبيهه بخلقه. والحديث مطابق للآية في عدم استطاعة الكفار والمنافقين للسجود يوم القيامة عندما يدعون إلى ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [٥١]:

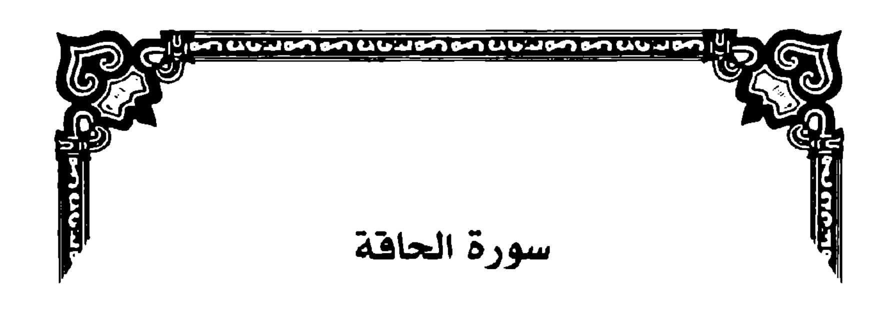
{٨٧٦} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**العينُ حقٌّ ولو كان شيء سابق القدر لسبقَتْه العينُ، وإذا استُغسِلْتُم فاغسِلُوا**».

رواه مسلم في السلام (١٧١/١٤) وستأتي أحاديث في الموضوع في الطب والمرضى.

قوله: ليزلقونك أي: يصرعونك ويهلكونك بأعينهم، والآية تدلّ كالحديث على إصابة العين وتأثيرها بإذن الله تعالى وأنّها حق، وهذا شيء محسوس مشاهد لا ينكر. وإنما اختلفوا في صفة وطبيعة تأثير العين. وخلاصة ما قاله العلماء رحمهم الله تعالى: هو أن هذه خاصية جعلها الله عزّ وجلّ في عين العائن الحاسد، أو المعجب، إما بسهم يصل من عينه في الهواء إلى بدن المعيون، أو بذبذبات كذلك... وهذا كبعض الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك من حينه أو عمي، وكالصحيح يخالط المريض فيصاب بمرضه، وقد يتثاءب شخص بحضرة آخر فيتثاءب الآخر، وهذا شيء كثير، فالأجسام والأرواح والمعادن والأشجار والنبات وأنواع الحيوان والطير الكلّ له خواص يختصّ بها. وقد ذكر الأطباء وعلماء الحيوان والروحانيُّون والطبائعيون... خواص الأشياء، وقد اكتشف بواسطة العلوم التجريبية اليوم العجائب من هذا القبيل، فلا معنى لإنكار العين، وقد أخبر بها الصادق المصدوق صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عن الله عزّ وجلّ الذي خلق الأشياء وخواصها، والذي يعلم النافع والضارّ منها على الإجمال والتفصيل، ويأتي مزيد لهذا في الطبّ.

وبه تمّت سورة القلم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الحاقة

هي ثنتان وخمسون آية، وأبرز أهدافها الكلام على القيامة وأهوالها...

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ إلخ:

{٨٧٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلِكتْ عاد بالدَّبُور»**.

رواه البخاري (١١٠/٧)، ومسلم (١٩٧/٦) وغيرهما.

الصَّبا ـ بفتح الصاد ـ: الريح الشرقية، وبها كان هلاك الأحزاب في غزوة الخندق، والدَّبور ـ بفتح الدال المشدّدة المفتوحة ـ: الريح الغربية، وهي التي أهلك الله بها قوم عاد. والريح الصرصر هي التي لها صرير وصوت شديد وعصف عظيم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩)﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥)﴾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)﴾ إلخ:

{٨٧٨} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**من نوقش الحساب هلك**»، قلت: يا رسول الله فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْف

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾، قال: **«ذلك العرض»**. وفي رواية: **«ليس أحد يحاسب إلا هلك»**، قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إلخ، قال: **«ذاك العرض يُعرضون، ومن نوقش الحساب هلك»**.

رواه البخاري في التفسير رقم (٤٩٣٩) وفي الرقاق (٦٣٤٦) وفي العلم (١٠٣)، ومسلم في الجنّة (٢٨٧٦)، والترمذي في صفة القيامة وفي التفسير في الانشقاق.

الحديث الشريف يبين أن من نُوقش الحساب يوم القيامة كان من الهالكين... والمناقشة أن يقال له: عملت وعملت ولِمَ فعلت؟ ألم يأتك كتابي... وهذا سيأخذ كتابه بشماله فيكون ذلك علامة على شقاوته، فيتمنى أن لم يحاسب ولم يؤت كتابه ويودّ الموت وينادي: ما أغنى عني ما كنت أملك من المال وما كان لي من سلطة شيئاً في هذا اليوم.

أما الصنف الثاني من أهل الحساب فيحاسب حساباً يسيراً بأن يعرض عليه عمله، ثم يقال له: اذهب فقد غفرت لك فيعطى كتابه بيميه، فينادي من شدّة الفرح: خذوا واقرؤوا كتابي، فقد أخذته بيميني وكنت أظن أني سألقى حسابي، فهو في عيش رغد وحياة مرضية في الجنان العالية قطوفها وثمارها قريبة المأخذ، ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً لكم بما أمضيتم في أيام الدنيا من الإيمان وطاعة الرحمٰن، وهنالك صنف ثالث لم يذكر هنا وهم الذين يدخلون الجنّة بدون حساب، لا بمناقشة ولا بعرض، جعلنا الله تعالى بفضله وكرمه منهم، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [١٧]:

{٨٧٩} ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أذن لي أن أحدّث عن ملكٍ من ملائكة الله من حَمَلَةِ العرش أن ما بين شَحمةِ أُذُنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام»**.

رواه أبو داود في السنة (٤٧٢٧) بسند صحيح، والطبراني في الأوسط

(١٧٣٠، ٤٤١٨)، قال الهيثمي في المجمع (٨٠/١): ورجاله رجال الصحيح.

العرش أعظم خلق الله عزّ وجلّ وهو سقف هذا العالم وله حملة مكلّفون به من قبل الله تعالى يحملونه، لهم من الخلقة والعظمة ما لا يعلمه إلا الله، فإذا كان الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وهو شيء مدهش لا تتحمله عقولنا، فكيف يا ترى تكون جثته، وكل ذلك يدلّ على عظمة ربنا وإلٰهنا سبحانه لا إلٰه إلاّ هو العليّ العظيم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{٨٨٠} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لو أنّ رصاصةً مثلَ هذه ـ وأشار إلى مثل جُمْجُمةٍ ـ أُرسلتْ من السماء إلى الأرض وهي مسيرةُ خمسمائة سنة لبلغتْ الأرض قبل الليل، ولو أنها أُرسلتْ من رأس السِّلْسِلة لسارتْ أربعين خريفاً الليلَ والنهار قبل أن تبلغ أصلَها وقعرَها».**

رواه أحمد (١٩٧/٢)، والترمذي في صفة جهنّم (٢٤٠٧) وحسّنه وصححه.

الحديث الشريف يدلّ على أمرين اثنين، أولاً: أن المسافة بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يرد على من أنكر ذلك. ثانياً: عظم السلسلة التي يشد بها الكافر ويسلك فيها، وأن طولها مسيرة سبعين سنة، والظاهر أن هذا العدد لا مفهوم له، والله تعالى أعلم بمراده ومراد رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وبه تمّت سورة الحاقة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة سأل سائل

وآياتها أربع وأربعون، وأهم أهدافها ذكر القيامة وأهوالها والآخرة وشدائدها.

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ إلخ:

{٨٨١} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾، قال: النضر بن الحارث بن كِلدة.

رواه النسائي في الكبرى (٤٩٨/٦)، والحاكم (٥٠٢/٢) وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي، وسنده عند النسائي صحيح على شرط البخاري، يريد ابن عباس أن السائل بنزول العذاب والداعي به هو الشقي النضر وهو القائل أيضاً: اللّهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطِر علينا حجارة من السماء إلخ، وقد أهلكه الله عزّ وجلّ يوم بدر، فصار إلى أمّه الهاوية.

ومعنى الآية الكريمة: دعا داعٍ من كفار مكّة لنفسه ولقومه بنزول عذاب واقع لا محالة، للكافرين ليس له دافع، أي: لا رادّ له إذا أراد الله وقوعه...

قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [٤]:

{٨٨٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«ما من صاحب كنز لا يُؤَدّي زكاته إلا أخمِي عليه في نار جهنّم فيجعلُ صفائح فيكوَى بها جَنْباه وجَبِينُه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»** الحديث.

رواه مسلم في الزكاة (٦٤/٧، ٦٨)، والبخاري مطوّلاً وغيرهما، وتقدم في سورة التوبة رقم آية (٣٥).

اليوم المذكور هو يوم القيامة كما قال عامّة المفسرين، وهو ظاهر هذا الحديث. وجمع العلماء بين هذه الآية وبين الآية الأخرى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بأن القيامة فيها مواقف ومشاهد فيكون اليوم على البعض خمسين ألف سنة، وعلى البعض الآخر ألف سنة وعلى آخرين وهم المؤمنون مقدار صلاة مكتوبة. لطف الله بنا وسامحنا وعاملنا بفضله وإحسانه، آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ **[١٩ ـ ٢١]**:

{٨٨٣} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«شرُّ ما في الرجل شُحٌّ هَالِعٌ، وجُبْنٌ خَالِعٌ»**.

رواه أحمد (٣٠٢/٢، ٣٢٠)، وأبو داود في الجهاد (٢٥١١)، وابن حبان (٨٠٨) بالموارد، والبخاري في التاريخ (٨/٦، ٩)، والبيهقي (١٧٠/٩) بسند صحيح.

الشحّ الهالع: هو الذي يحمل صاحبه على الحرص على المال والجزع على ذهابه، فالهلع أفحش الجزع. أما الجبن الخالع، فهو الخوف الذي ينشؤ عنه ضعف القلب وأنواع الأفكار، فكان الجبن يخلع القوة والنجدة من القلب، فهاتان الصفتان شرّ ما في الإنسان من حيث هو، وجاءت الآية الكريمة تصور ما في بني آدم الغير مستقيم من أنه هَلوعٌ جزوعٌ إذا مسّه الشر، شحيح منوع إذا مسّه الخير، إلا المؤمنين الصالحين الذين ذكر صفاتهم الطيّبة، فليسوا كذلك جعلنا الله تعالى منهم، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧]:

{٨٨٤} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج عليهم وهم حِلَقٌ، فقال: **«ما لي أراكم عِزِين، ألا تَصُفُّون كما تَصُف الملائكة عند ربّها»**.

رواه أحمد (٩٢/٥، ٩٣، ١٠١، ١٠٧)، ومسلم في الصلاة (٤٣٠)، وأبو داود في الأدب (٤٨٢٣، ٤٨٢٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩٨/٦).

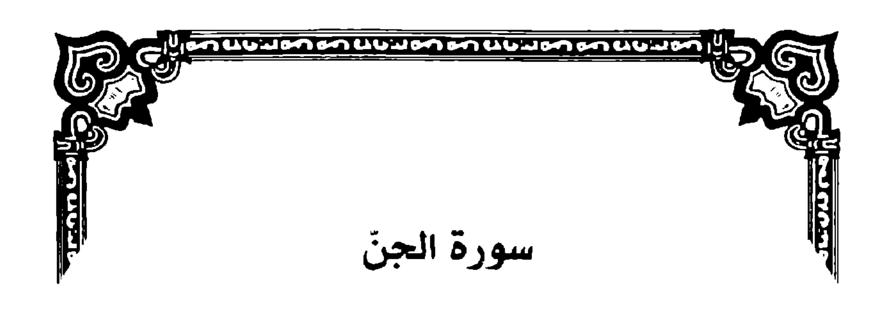
عزين جمع عزة: وهي الحلقة المجتمعة من الناس.

ومعناه: متفرّقين، فالآية الكريمة جاءت تنكر على المشركين الذين كانوا يشاهدون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وما أتى به من الآيات، ومع ذلك كانوا مهطعين، أي: مسرعين فارّين متفرّقين يجتمعون حوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم حلقاً حلقاً عن يمينه وعن شماله يسمعون كلامه ويتحدثون ويتعجّبون ويستهزئون به وبأصحابه.

وفي الحديث الشريف الإنكار على تفرّق الصحابة حلقاً حلقاً، وفي ذلك ذمّ التفرّق والإرشاد إلى الاجتماع، وفيه استحباب التشبّه بالملائكة الكرام في أفعالهم.

وبه تمّت سورة المعارج، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الجنّ

آياتها ثمان وعشرون، وهي تتحدّث عن الجنّ الذين استمعوا لقراءة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وآمنوا به وذهبوا إلى قومهم منذرين وإخبارهم بما كانوا عليه من قبل وما نزل بهم وانقسامهم إلى راشدين وقاسطين ظالمين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلخ [١]:

{٨٨٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على الجنّ ولا رآهم، انطلق رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسِلَتْ عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيلَ بيننا وبين خبر السماء، وأرسلتْ علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حَدَث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حَدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجّهوا نحو تِهامةَ إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بنَخْلَة وهوعامدٌ إلى سوق عكاظ وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له فقالوا: هذا هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾، وأنـزل الله عـزّ وجلّ على نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجنّ.

رواه البخاري في التفسير (٢٩٦/١٠) وفي الصلاة رقم (٧٧٣)، ومسلم فيها (٤٤٩)، والترمذي (٣١٠٥)، والنسائي (٤٩٩/٦)، والحاكم (٥٠٣/٢) ثلاثتهم في التفسير، وله حديث آخر سيأتي في الطبّ إن شاء الله تعالى.

{٨٨٦} ـ وعن علقمة رحمه الله تعالى قال: قلنا لعبدالله: هل صحب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم منكم أحدٌ ليلة الجنّ؟ قال: لم يصحبه منّا أحد ولكنّا كنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: اسْتُطِيرَ واغْتِيل، قال: فبتنا بشرٍّ ليلةٍ بات بها قوم، فلمّا أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حِراء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرٍّ ليلةٍ بات بها قوم، فقال: **«أتاني داعي الجنّ فذهبت معه فقرآت عليهم القرآن»**، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: **«لكم كلُّ عظم ذُكِر اسمُ الله عليه يقعُ في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرَةٍ عِلْفٌ لدوابكم»**، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»**.

رواه أحمد والطيالسي (١٤٣)، ومسلم في الجهر بالقراءة في الصبح (١٦٩/٤، ١٧٠)، وأبو داود والترمذي في التفسير (٣٠٤٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩٩/٦) وغيرهم.

في حديث ابن عباس بيان أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يرَ الجنّ يومئذ، وإنما أخبرتْهُ بهم شجرة كما تقدم في الأحقاف. أما حديث ابن مسعود، فهي قصة أخرى كانت الدعوة فيها من الجنّ فأجابهم وقرأ عليهم القرآن وعلّمهم بعض شؤون دينهم، وكل ذلك كان بمكّة المكرمة، وأخذ العلماء من حديث ابن عباس كالقرآن أن العبرة بما قضى الله للعبد من

حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشرّ، فإن هؤلاء الجنّ الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجّه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك غلب عليهم ما قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة. ونحو هذا قصة سحرة فرعون أصبحوا على ذروة الكفر، وأمسَوْا مؤمنين شهداء، وهكذا يقال في كبار أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الذين كانوا عبدة الأصنام والأوثان، وبين عشية وضحاها صاروا أكابر هذه الأمّة من المقرّبين السعداء ولهذا يقولون: من سبقت له السعادة لا تضره الجناية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [١٩]:

{٨٨٧} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قول الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟﴾ إلخ، قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته، ويسجدون بسجوده، قال: تعجّبوا من طوعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ إلخ.

رواه أحمد (١/٢٧٠)، والترمذي (٣١٠٦)، والحاكم (٢/٥٠٤) كلاهما في التفسير وصححاه ووافقهما الذهبي، وكذا رواه ابن جرير (٣٠/١١٨).

عبد الله في الآية هو رسولنا الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقوله تعالى: ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ﴾ إلخ، معناه: كاد الجنّ يركب بعضهم بعضاً من شدّة الازدحام حرصاً على سماع القرآن.

وبهذا تمّت سورة الجّن، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة المزمل

هي عشرون آية، ومحورها يدور حول جانب من جوانب الرسول الكريم وحياته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وعبادته وتبتّله ونزول الوحي الثقيل عليه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [١ ـ ٢]:

{٨٨٨} ـ عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى قال: انطلقنا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها، فاستأذنا عليها فدخلنا، قلت: أنبئيني عن قيام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قالت: ألستَ تقرأ هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾، قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفختْ أقدامُهم، وأمْسك الله خاتِمَتَها اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله عزّ وجلّ التخفيفَ في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوّعاً بعد فريضة.

رواه أحمد (٦/٥٣، ٥٤)، ومسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢) وغيرهم مطوّلاً، ورواه النسائي في الكبرى (٦/٥٠٠)، وفي المجتبى، وابن ماجه (١١٩) مختصراً كما أوردناه وسنده صحيح.

{٨٨٩} ـ وعنها، قالت: قلما كان ينام رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الليل، لما قال الله عز وجلّ له: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٥٠٠)، وأبو يعلى (٤٩٣٩)، والبيهقي (٣١٢/١) بسند صحيح.

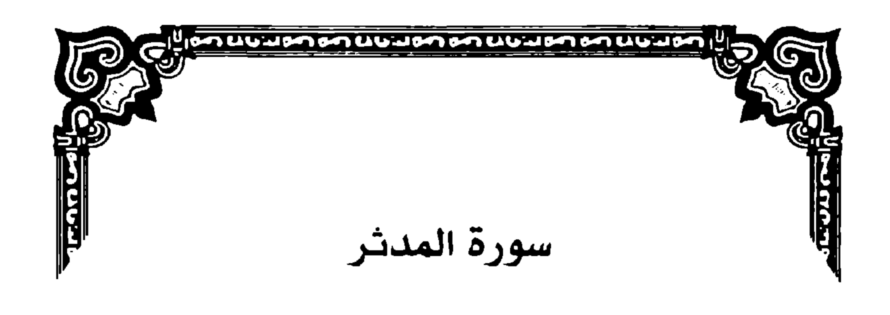
كان قيام الليل أوّل الأمر واجباً على العموم وبقي ذلك سنة كاملة، ثم خفّف الله تعالى فنسخ ذلك وبقي فرضاً على الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، كما هو قول جمهور العلماء، وفضيلة مرغباً فيها بالنسبة لسائر الأمّة، والحكمة في نسخ ذلك هي ما ذكره تعالى في قوله آخر السورة: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فأسباب التخفيف إذاً: المرض، والتجارة، والجهاد في سبيل الله؛ لأن هؤلاء لا يتيسّر لهم قيام الليل في الغالب، والله رؤوف رحيم لطيف بعباده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [٥]:

{٨٩٠} ـ عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: أنزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وفَخِذُه على فخذي، فكادت تُرَضُّ فخِذي.

رواه البخاري مطولاً في التفسير (٩/٣٢٩) وفي الصلاة وفي الجهاد، ومسلم (١٣/٤٣) في الجهاد، والترمذي (٢٨٣٧)، والنسائي في المجتبى (٦/٩)، وتقدمت أحاديث في هذا المعنى.

قوله: تُرَضّ أي: تدقّ وتكسر، وفي الحديث بيان ثقل الوحي وشدّته، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ محتملاً الثقل المذكور، ومحتملاً ثقل التكاليف الشرعية... وبه تمّت سورة المزمل، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة المدثر

هي ستّ وخمسون آية، وأبرز أهدافها الكلام على بعض أحوال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأمر الله إياه بإنذار الناس والدعوة إلى الله تعالى.

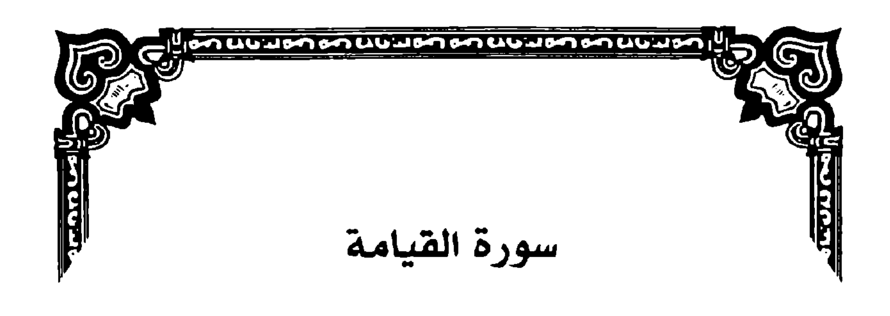
قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [١ ـ ٢]:

{٨٩١} ـ في حديث جابر رضي الله تعالى عنه في تحديثه عن فترة الوحي عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرُعِبْتُ فرجعتُ فقلت**: زمّلوني زمّلوني، **فأنزل الله عزّ وجلّ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ فحمى الوحي».

رواه البخاري في بدء الوحي (٣١/١) وفي بدء الخلق وفي الأدب وفي التفسير (٣٠٥/١٠، ٣٠٦)، ومسلم في الإيمان (١٦١، ٢٥٥، ٢٥٦)، والترمذي في التفسير (٣١٠٨)، والنسائي في الكبرى (٥٠٢/٦، ٥٠٣)، ويأتي بلفظ آخر في العلق إن شاء الله تعالى.

الحديث يدلّ على أن هذه السورة نزلت بعد فترة الوحي وهو الحقّ، ويأتي له مزيد في سورة العلق، وبه تمت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة القيامة

وهي أربعون آية، وتعنى بالكلام على البعث والجزاء والقيامة وأهوالها وبيان مشهد من مشاهد الاحتضار.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ **[١٦ ـ ١٩]**:

{٨٩٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾، قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُعالجُ من التنزيل بشدَّة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحرّكهما لكم كما كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يحركهما... فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾، قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ ثم إن علينا أن نقرأه، فكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كما قرأه.

رواه البخاري في بدء الوحي (٣٢/١) وفي التفسير (٣٠٩/١٠، ٣١٠) وفي فضائل القرآن، ومسلم في الصلاة (٤٤٨)، والترمذي (٣١١٢)، والنسائي في الكبرى (٥٠٣/٦) كلاهما في التفسير.

كان يعالج، أي: يحاول حفظه بمشقّة، ولذلك أرشده الله تعالى إلى الإنصات واستماعه لقراءة جبريل عليه السلام، فإذا فرغ وجد ذلك في حافظته مبيناً مفسّراً، وهذا من لطف الله ورفقه بنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [٢٢ - ٢٣]:

{٨٩٣} - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«هل تُضارُّون في رؤية الشمس ليس دونَها سحابٌ؟ وهل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟»**، قالوا: لا، قال: **«فكذلك ترونه عزّ وجلّ»**، وفي رواية: **«فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»**.

رواه أحمد (٢/٢٧٥، ٢٩٣، ٥٣٤)، والبخاري في الرقاق (١٤/٢٤١، ٢٤٢) وفي التوحيد (٢٤٣٧)، في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ومسلم في الإيمان (١٨٢، ١٩٩)، والترمذي في صفة الجنّة (٢٣٧١)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥٦، ٥٠٤)، وتقدم حديث صهيب في سورة يونس كما تقدم حديث جرير البجلي في سورة قَ، والأحاديث بالرؤية يوم القيامة متواترة.

وقوله: هل تضارون، أي: هل يضرّ بعضكم بعضاً.

ورؤية المؤمنين لربّهم يوم القيامة متفق عليها بين أهل السنة من السلف والخلف، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة والروافض.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ بالضاد المعجمة المراد بها المبتهجة المضيئة البهيّة المسرورة، والنضرة: النعمة وجمال البشرة والإشراقة الجميلة. وفي سورة التطفيف ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾، جعلنا الله تعالى منهم بفضله وكرمه، آمين. وسيأتي مزيد لهذا في الرقاق إن شاء الله تعالى.

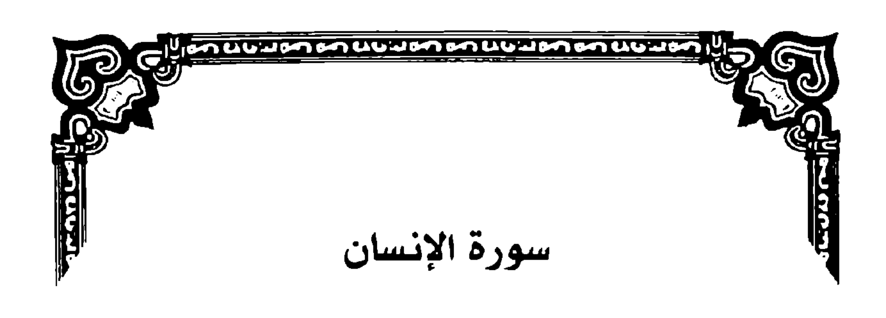
قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [٤٠]:

{٨٩٤} - عن موسى بن أبي عائشة رحمه الله تعالى قال: كان رجل يصلّي فوق بيته، فكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، قال: سبحانك اللّهمّ فَبَلَى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعتُه من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

رواه أبو داود (٨٨٤)، وابن أبي حاتم (٣٣٨٩/١٠)، والبيهقي (٣١٠/٢) بسند صحيح، وما قيل من انقطاعه يشهد له حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ المرسلات فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل: آمنا بالله**» رواه أحمد (١٤٦/٢)، وأبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣١٢٩)، والبيهقي (٣١٠/٢)، وهو وإن كان فيه رجل مجهول فإنه يتأيّد بحديث قتادة رواه ابن جرير (٢٠١/٢٩ و٢٥٠/٣٠) وهو مرسل صحيح، وله شاهد آخر عن ابن عباس رواه ابن جرير (٢٥٠/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٣٨٩/١٠) موقوفاً عليه، وبالجملة فالحديث يصلح للعمل به.

والاستفهام في الآية للتقرير، وفي الحديث مشروعيّة الجواب عند ذكر تلك الآيات بما ذكر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الإنسان

هي إحدى وثلاثون آية، وتتحدّث بإسهاب عن شؤون الآخرة ونعيم المتّقين الأبرار وما حباهم الله وأعطاهم من متعة، مع ذكر أوصافهم ونعيمهم بما لم يتقدم له ذكر في غيرها.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [١٣]:

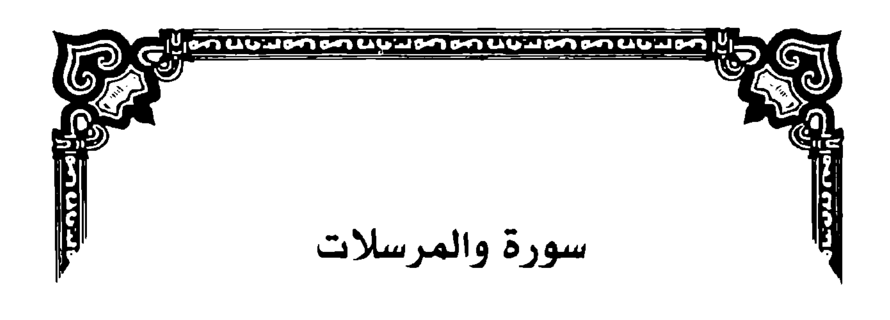
{٨٩٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربّ أكل بَعْضِي بعضاً فنَفِّسْني، فأذن لها كل عام بنَفَسين، قال: أشدّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم، وأشدّ ما تجدون من الحرّ من حرّ جهنم**».

رواه البخاري في الصلاة (٥٣٧) وفي بدء الخلق (٣٢٦٠)، ومسلم في الصلاة (٦١٧)، والترمذي في صفة جهنم (٢٤١١)، وابن ماجه في الزهد (٤٣١١)، وكذا أحمد (٥٠٣/٢) وغيرهم، ويأتي في الرقاق.

الزمهرير: شدّة البرد ونهايته المفرطة. وفي الآية الكريمة بشارة لأهل الجنّة، وأنهم إذا دخلوها لا يذوقون ولا يرون فيها حرارة شمس، ولا شدّة برد، وهذا بخلاف أهل النار. وفي الحديث دليل على أن الجنّة والنار مخلوقتان الآن خلافاً للمعتزلة...

وفيه تكلم الجمادات والله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء، وهو القادر على ما يريد لا يعجزه شيء، وبه تمّت سورة الإنسان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة والمرسلات

وهي خمسون آية، وحديثها يدور حول الآخرة مع ذكر آثار القدرة في هذه الكائنات.

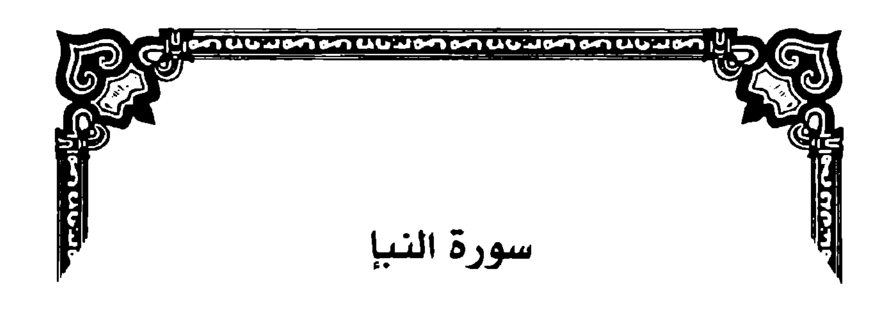
قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ إلخ:

{٨٩٦} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في غار وأنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فإنا لنتلقّاها من فيه إذ خرجت علينا حيّة فابتدرناها فدخلت جُحْرها، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«وُقيتْ شرَّكم ووُقيتُم شرَّها»**.

وفي رواية: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في سفح جبل وهو قائم يصلّي وهم نيام، قال: إذ مرّت حية فاستيقظنا وهو يقول: **«منعها منكم الذي منعكم منها»**، وأنزلت عليه المرسلات.

رواه البخاري في التفسير (٣١٣/١٠، ٣١٤) وفي بدء الخلق (٣٣١٧)، ومسلم في السلام (٢٢٣٤)، والنسائي في الكبرى (٥٠٥/٦) وفي المناسك من المجتبى، والرواية الثانية رواها أحمد (٤٥٣/١) بسند حسن.

في الحديث بيان سبب نزول السورة، وفيه الإذن في قتل الحيّات، وقد جاء الأمر بقتلها في رواية عند البخاري، ويأتي ذلك في موضعه، وفيه أن الحيات شرّ لنا، وأنها إذا اختفت وجب تركها. وبهذا تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.



سورة النبإ

وهي أربعون آية، والمحور التي تدور عليه: الكلام على القيامة والبعث والنشور ودلائل التوحيد وآثار القدرة في هذا الكون الفسيح، مع بيان مصير أهل النار ومصير أهل الجنّة.

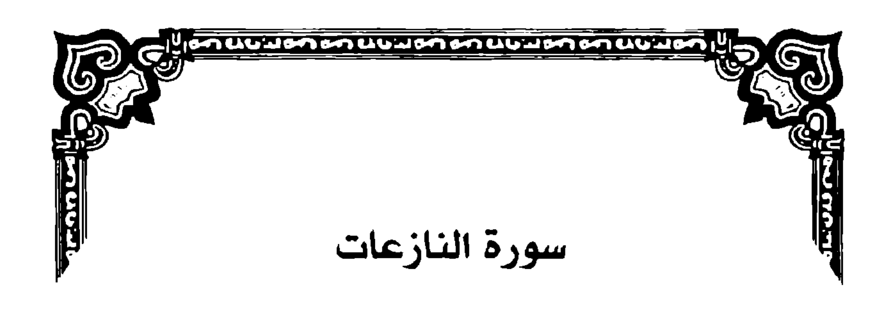
قوله تعالى: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾﴾ [٣٢]:

{٨٩٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لاَ يَقُلْ أحدُكم الكَرْم، فإنما الكَرم الرجل المسلم، ولكن قولوا: حدائق الأعناب»**.

رواه أبو داود (٤٩٧٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠٦) بسند صحيح، وأصله في البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٢٤٧)، ويأتي في الأدب إن شاء الله تعالى.

وفي الآية الكريمة بشارة للمتّقين وأن لهم ظفراً وفوزاً بجنّات النعيم وبساتين ناضرة فيها كروم الأعناب الطيّبة المتنوّعة، ونساء عذارى أبكاراً قد ظهرت ثديهن. وبه تمّت السورة، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة النازعات

هي ستّ وأربعون آية، وهي تتحدّث عن القيامة وأهوالها ومآل المتقين والفاجرين.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [٦ ـ ٧]:

{٨٩٨} ـ عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكُروا الله جاءتْ الراجفةُ تَتْبعها الرادفة، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه**»، قال أُبيّ: فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئت**»، قلت: الربع؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: النصف؟ قال: «**ما شئت وإن زدت فهو خير لك**»، قال: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت فإن زدت فهو خير لك**»، قلت: أجعل لك صلاتي كلّها، قال: «**إذاً تُكْفَى همّك ويغفر لك ذنبك**».

رواه أحمد (١٣٦/٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٧٨)، والحاكم (٤٢١/٢) وصححه، والحديث حسن صحيح لطريق له.

الراجفة: هي النفخة الأُولى التي ترجف فيها الأرض والجبال، وأما الرادفة: فهي نفخة القيامة التي تدكّ فيها الأرض والجبال دكّاً.

وفي الحديث تنبيه من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتحذير وتذكير.

وفيه أن من جعل صلاته على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كلّها له كفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه وأُخراه وغفر له ذنبه، جعلنا الله عزّ وجلّ منهم بمنّه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾:

{٨٩٩} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«لما خلق الله الأرضَ جعلت تَمِيدُ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرَّت، فعَجِبتْ الملائكةُ من شدّة الجبال، فقالوا: يا ربِّ هل من خلقك شيء أشدّ من الجبال؟ قال: نعم، الحديدُ، فقالوا: يا ربِّ فهل من خلقك شيء أشدّ من الحديد؟ قال: نعم، النارُ، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من النار؟ قال: نعم الماءُ، قالوا: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشدّ من الماء؟ قال: نعم الريحُ، قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم تصدَّق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله».**

رواه أحمد (١٢٤/٣)، والترمذي في التفسير (٣١٤٩) ورجاله ثقات، وسليمان بن أبي سليمان الهاشمي تابعي مستور، روى عنه ثقة من رجال الصحيحين، وهو العوام بن حوشب، فالحديث حسن على مذهب جماعة من أهل الحديث.

جعل الجبال راسيات للأرض من لطف الله عزّ وجلّ بعباده، فهي آية باهرة ونعمة شاملة، ولولاها لتحركت الأرض بأصلها وغرقت في المحيطات التي هي أكثر بكثير من اليابسة.

والحديث يدلّ على تفاضل الخلق في العظمة والشدّة، وأن أشدّها وأعظمها قهر النفس وحملها على التصدّق سرّاً من دون أن يطّلع عليه أحد.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [٤٢]:

{٩٠٠} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما زال رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُسْأَلُ عن الساعة حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾، فكفّ عنها.

رواه ابن جرير (٣٠/٤٩)، والبزار مع الكشف (٢٢٧٩)، والحاكم (٢/٥١٣) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٣): رجاله رجال الصحيح.

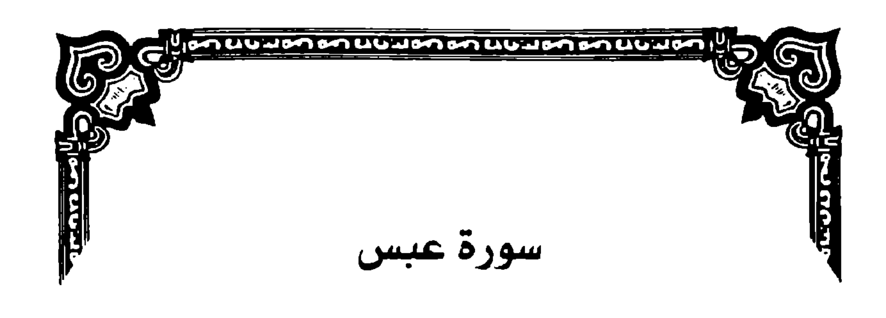
وله شاهد عن طارق بن شهاب عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾ إلخ.

رواه النسائي (٦/٥٠٦)، وابن جرير (٣٠/٤٩)، والطبراني في الكبير (١٢١٠)، وسنده صحيح إلى طارق.

كانوا يسألون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كثيراً عن وقت قيام الساعة، فقال الله تعالى له: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣﴾ أي: ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾ أي: مردّها ومرجع علم وقتها إلى الله عزّ وجلّ، فالواجب عليك إنذار من يخافها.

وبه تمت «النازعات»، والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة عبس

وهي ثنتان وأربعون آية، وهي تتحدّث عن ترسيخ العقيدة وبيان دلائل التوحيد والقدرة في الإنسان والنبات والطعام ولفت الأنظار إلى ما في ذلك من نعم سوابغ، ثم الكلام على القيامة وأهوالها.

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [١]:

{٩٠١} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾ في ابن أُمّ مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يُعْرِضُ عنه ويُقْبِلُ على الآخر، ويقول: **«أترى بما أقول بأساً»**؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل.

رواه الترمذي (٤١١٤)، وابن جرير (٣٠/٥٠)، وابن حبان (١٧٦٩)، والحاكم (٢/٥١٤) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

عبس معناه: كلح، وتولى أي: أعرض، ولم يكن ذلك منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم احتقاراً له، وإنما كان ذلك حرصاً منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على إسلام ذلك الكافر، فجاءت الآيات الكريمات ترشده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى ما كان ينبغي له أن يفعله، وهو تذكير الأعمى رضي الله تعالى عنه وإرشاده لعله يزكى... وقد ضلّ هنا أقوام وأساؤوا الأدب مع حضرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾:

{٩٠٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**تحشرون حُفاةً عراة غرلاً**»، فقالت امرأة: أيُبْصِر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة «**لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه**».

رواه الترمذي في التفسير (٣١١٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٠٠)، وحسّنه الترمذي وصححه، وهو عنده صحيح على شرط الشيخين، وسيأتي ما يشهد له في الرقاق إن شاء الله تعالى.

الحشر: هو الجمع، والغُرل ـ بضم الغين وسكون الراء ـ: جمع أغرل، والغرلة: الجلدة التي تكون على حشفة الذكر فتقطع في الختان... وفي الآية والحديث إخبار عن مشاهد يوم القيامة، وأن الناس سيخرجون من قبورهم كما خلقهم الله، وأن كل امرىء منهم له ما يشغله ويغنيه عن النظر إلى غيره، فهم عراة نساءً ورجالاً، ورغم ذلك لا يبالي أحدهم بغيره لما دهمهم من الأهوال والشدائد والدواهي التي يشيب له الولدان عياذاً بالله من ذلك.

وبه تمّت سورة عبس، والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه وبركاته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.





سورة التكوير

هي تسع وعشرون آية، وحديثها جاء عن القيامة وفناء هذا الكون واضمحلاله..

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [١]:

{٩٠٣} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»**.

رواه أحمد رقم (٤٨٠٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١)، والترمذي (٣١١٦)، والحاكم (٢/٥١٥) وسنده صحيح، إنما كانت القيامة متجلية في هذه السور الثلاث لأنها وصفتها بأوصاف دقيقة مخيفة، نسأل الله تعالى العفو والعافية، آمين.

{٩٠٤} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«الشمس والقمر مكوّران يوم القيامة»**.

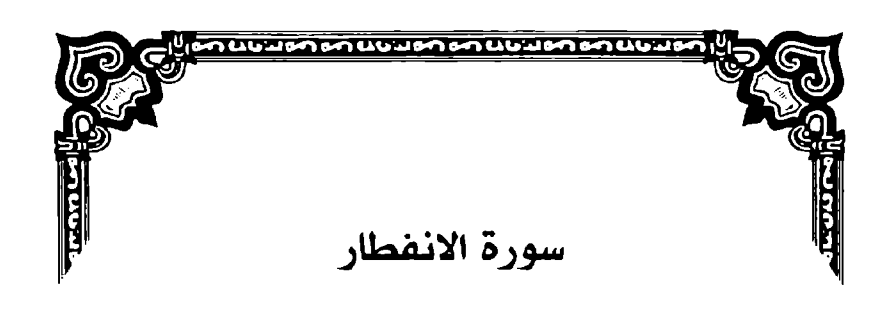
رواه البخاري في بدء الخلق (١٠٨/٧)، والإسماعيلي في مستخرجه كما في الفتح.

قوله: مكوّران أي: مجموعان مع طمس نورهما، ثم يلقيان في النار زيادة في تعذيب أهلها، وليس معناه كما قد يفهم أنهما يعذّبان. كلا إنهما

خلق الله تعالى جعلا في النار تبكيتاً لمن كان يعبدهما، وليعلموا أن عبادتهم كانت باطلة.

وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه.





سورة الانفطار

هي تسع عشرة آية، وهي كسابقتها في الكلام على الانقلاب الكوني وقيام الساعة...

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [٨]:

{٩٠٥} ـ عن بُسْر بن جحاش أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بصق يوماً في كفّه ووضع عليها أصبعه، ثم قال: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدمَ أنّى تُعجِزُني، وقد خلقتُك من مثل هذه حتى إذا سوّيتك وعدّلتك مشيتَ بين بُرْدَيْن وللأرض منك وَئيدٌ فجمعتَ ومنعتَ حتى إذا بلغت نفسُك هذه**» وأشار إلى حلقه. وفي رواية: «**حتى إذا بلغتْ التراقي قلت: أتصدَّق وأنّى أوان التصدّق**».

رواه أحمد (٢١٠/٤)، وابن ماجه (٢٧٠٧)، وابن سعد في الطبقات (٤٢٧/٧). قال البوصيري في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

قوله: أنّى تعجزني ـ بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة ـ أي: كيف يتسنّى لك أن تجعلني أو تعتقدني عاجزاً عن إعادتك وإحيائك من جديد، وأنا الذي أوجدتك من مثل هذه النطفة... وقوله: وللأرض منك وئيد أي: ثقل.

وفي الآية امتنان من الله تعالى على عباده وتعداد نعمه عليهم في

خلقتهم وتسويتهم وتعديلهم. أما الحديث، فجاء يوبخ الكافر الظلوم الأثيم المنكر للبعث والجزاء.

قوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [١١ ـ ١٢]:

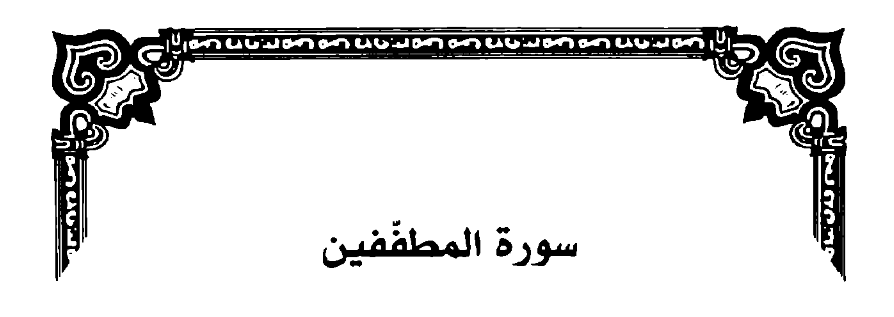
{٩٠٦} ـ فيه حديث أنس عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**هل تدرُون مِمّ ضَحِكت... من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم...** وفيه: **كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه**» الحديث، وتقدم في سورة يٰس وغيرها، وهو عند مسلم وغيره.

والكرام... هم الحفظة الذين يكتبون حسناتنا وسيئاتنا ولا يفارقوننا ليل نهار طوال حياتنا، وكل منّا معه اثنان أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [١٩]:

{٩٠٧} ـ فيه حديث أبي هريرة عندما نزل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**يا مَعْشَر قريش اشْتَرُوا أنفسَكم لا أُغْني عنكم من الله شيئاً**، وهكذا نادى بني عبد مناف وعمّه العباس وعمّته صفية، كلٍّ يقول لهم: **لا أغني عنكم من الله شيئاً**»، رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في الشعراء آية (٢١٤).

وفي الآية والحديث التأكيد على أنه لا يملك أحد لأحد شيئاً يوم القيامة بإذنه، لأن المُلْك يومئذ لله وحده. نعم من أذن الله تعالى له من أصفيائه أن يشفع لمن أراد تعالى رحمته فعل ونفعه بإذنه عزّ وجلّ. أما أن يملك أحد لآخر بإذنه شيئاً فهذا ليس لأحد سوى الله عزّ وجلّ، وبهذا تمّت الانفطار، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة المطفّفين

هي ستّ وثلاثون آية، وجاءت حرباً سافراً عنيفاً على المطفّفين الذين يبخسون الناس أشياءهم ويخدعون الآخرين في الكيل والميزان.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [١ ـ ٣]:

{٩٠٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة كانوا أخبث الناس كَيْلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فحَسَّنُوا الكيل بعد ذلك.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٥٠٨)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٢٣)، وابن حبان (١٧٧٠) بالموارد، والحاكم (٢/٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، وهو أيضاً عند ابن جرير (٣٠/٩١).

التطفيف: البخس والنقص في الكيل والميزان ونحوهما إما بالزيادة إن اكتال من الغير لنفسه، وإما بالنقص إن كال لهم من عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: من الناس يستوفون أي: يأخذون حقّهم بالوافي والزائد، وإذا كالوا لهم أو وزنوهم يخسرون أي: ينقصون ويبخسون. وحسب المطففين أن الله افتتح الكلام معهم بالويل والهلاك. والحديث يدلّ على أن السورة مدنية، ولذلك اختلف فيها المفسّرون، فمن قائل إنها مكية ومن قائل إنها مدنية، ومن قائل إنها نزلت بين مكة

والمدينة، ومن قائل إنها مدنية إلا ثمان آيات فمكّية، وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ ألخ، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [٦]:

{٩٠٩} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ **يقوم أحدُهم في رَشْحِه إلى أنصافِ أُذُنيهِ**»، وفي رواية: «**يَغيبُ أحدُهم في رَشْحِ عَرقه**».

رواه أحمد (٤٦١٣، ٤٦٩٧)، والبخاري في التفسير (٣٢٤/١٠) وفي الرقاق (٦٥٣١)، ومسلم في الجنّة (٢٨٦٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٤٢) وفي التفسير (٣١١٨)، والنسائي في الكبرى (٥٠٩/٦)، وابن ماجه (٤٤٧٨).

الرشح: هو العرق، وما في الآية والحديث موقف خطير هائل، وسيكون ذلك عقب خروج الناس من القبور وقبل الشفاعة العظمى التي سيحظى بها نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وسيأتي الكلام على هذا الموضوع بإسهاب في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [١٤]:

{٩١٠} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**إن العبدَ إذا أذنب ذنباً نكتتْ في قلبه نكتة سوداء، فإنْ هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبُه، وإن عاد زِيد فيها حتى تعلوَ قلبه، فهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾**».

رواه أحمد (٢٩٧/٢)، والترمذي (٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٥٠٩/٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤) وحسّنه الترمذي وصححه، وابن حبان (١٧٧١)، والحاكم (٥١٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

نكتت، النكت: هو الأثر القليل كالنقطة مثل أثر الوسخ في المرآة،

والران ويقال: الرين، من ران هو التغطية والصدأ على القلب يعتري الكفار والمسرفين في الإجرام والفواحش، فالذنوب إذا تتابعت على القلب ولم يتب صاحبها أغلقته وأصبح أسود مظلماً، فإن تاب ورجع إلى الله تعالى صقل وانجلى ورجع إلى حاله الأصلي.

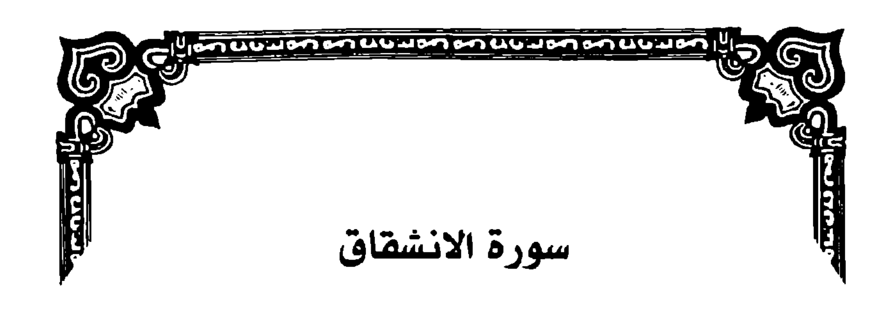
قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٥]:

{٩١١} ـ عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أراه قد رفعه إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«أيّما مؤمن سَقَى مؤمناً شُربة ماءٍ على ظمإٍ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيُّما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمارِ الجنّة، وأيُّما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عُرْيٍ كساه الله من خُضر الجنّة».**

رواه أحمد (٣/١٣، ١٤)، وأبو داود في الزكاة (١٦٨٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٧٠) من طريقين هو بهما حسن، وقد حسّنه المنذري والسيوطي والمناوي.

في الآية والحديث بشارة للأبرار والمحسنين الذين يطعمون الجائعين، ويسقون العطشى ويكسون العراة والعرايا، وأن الله عزّ وجلّ سيجازيهم يوم القيامة من جنس أعمالهم، حقّقنا الله تعالى بذلك بمنّه وكرمه، آمين. وبه تمت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الانشقاق

هي خمس وعشرون آية، وموضوعها كسوابقها: الكلام على الانقلاب الكوني وأهوال يوم القيامة.

{٩١٢} ـ تقدم حديث: **«من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقّت»**، رواه أحمد والثلاثة وغيرهما؛ لأن هذه السور الثلاث قد جمعت مشاهد يوم القيامة، بكل أهواله ومخاويفه وتقلّباته بأهله.

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾:

{٩١٣} ـ عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: إذا السماء انشقّت والسماء والطارق ونحوهما.

رواه أحمد (١٠٣/٥، ١٠٦، ١٠٨)، وأبو داود (٨٠٥)، والترمذي (٢٧٥)، والنسائي (١٢٩/٢)، وابن حبان (٤٦٥) وغيرهم، وحسّنه الترمذي وصححه.

{٩١٤} ـ وعن أبي رافع قال: صلّيتُ مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنه العتمة فقرأ إذا السماء انشقّت فسجد، فقلت له، فقال: سجدت خلف أبي القاسم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

رواه البخاري (٢/٢١٤)، ومسلم (٥٧٨)، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى (٦/٥١٠) وغيرهم.

في الحديث الأول مشروعيّة قراءة الانشقاق والطارق في الظهرين، ولا خلاف في ذلك. بينما الحديث الثاني يدلّ على جواز سجود التلاوة في الفريضة، وبه قال جمهور الأئمّة والعلماء.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [٤]:

{٩١٥} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**تُلْقِي الأرضُ أفلاذ كبدها أمثال الأسْطُوانَة من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قُتِلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعتْ يدي، ثم يَدَعُونَه فلا يأخذون منه شيئاً**».

رواه مسلم في الزكاة (٧/٩٧، ٩٨)، والترمذي في الفتن (٢٠٣٩)، وابن حبان (١٥/٩٠).

أفلاذ: جمع فلذ ـ بكسر الفاء وسكون اللام ـ: وهي القطعة من اللحم، والأسطوانة: هي السارية. ومعنى الحديث أن الأرض ستلقي ما في بطنها من المعادن كالذهب والفضّة... وهو مبيّن لبعض ما في الآية الكريمة، فإن الآية أعمّ منه، فإنها تشمل ما في جوفها من الأموات والمعادن وغيرها، فستلقي الجميع وتتخلى عنهم. قال القرطبي: أخرجت أمواتها وتخلّت عنهم، وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن، كما تلقي الحامل ما في بطنها من الحمل، وذلك يؤذن بعظم الهول.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [٨]:

تقدم حديث: «**من نُوقش الحساب هلك**» في الحاقة آية (١٩)، وهو في الصحيحين.

{٩١٦} ـ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول في بعض صلاته: **«اللّهمّ حاسِبْني حساباً يسيراً»**، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: **«أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»**. وفي رواية: **«وكل ما يصيب المؤمن يُكفَّر عنه من سيئاته حتى الشَّوكة تَشُوكُه»**.

رواه أحمد (٤٨/٦، ١٨٥)، وابن جرير (١١٥/٣٠)، وابن حبان (٣٧٢/١٦)، والحاكم (٥٧/١، ٢٥٥) و(٢٤٩/٤، ٥٧٩) وصححه ووافقه الذهبي، وابن إسحٰق صرّح بالتحديث عند أحمد.

في الحديث بيان ما في الآية من الحساب اليسير والعرض، وهو أن ينظر في كتاب العبد ويرى ما فيه من سيئات، فيتجاوز الله عنه ولا يناقشه، وللحساب اليسير أسباب كثيرة وموجبات عدّة، والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مع غفران ما تقدم له وما تأخر يسأل الله عزّ وجلّ الحساب اليسير، وذلك يدلّ على شدّة خوفه من الله تعالى وعدم أمنه من عذابه تعالى.

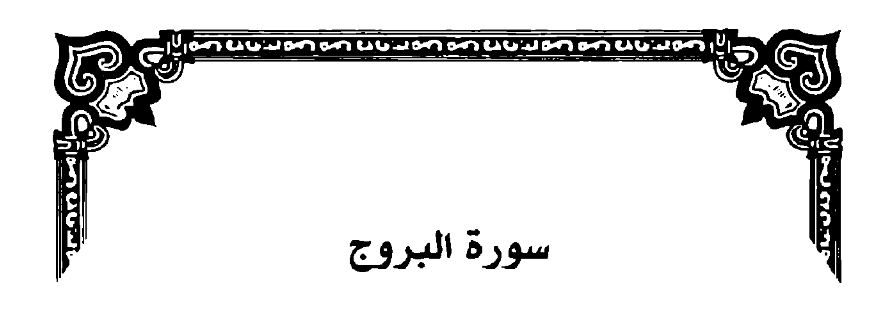
قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ [١٦]:

{٩١٧} ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنّه قال: **«وقت المغرب ما لم يَغِب الشَّفَق»**.

رواه مسلم في المواقيت (١١٢/٥، ١١٣) مطوّلاً.

الشَّفَق ـ بفتحتين ـ: هو الحمرة التي تبقى على الأفق الغربي بعد غيبوبة الشمس، هكذا فسّره جمهور أهل اللغة، وهو الظاهر من الحديث وعمل النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فوقت المغرب يمتدّ إلى ذهابه، فإذا غاب دخل وقت العشاء. وهذا طبعاً في الأقاليم المعتدلة التي يغيب فيها الشفق، وهي وسط الكرة الأرضية التي علم الله أن الإسلام سيكون فيها.

وبه تَمّت الانشقاق، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



سورة البروج

هي ثنتان وعشرون آية، وهدفها البارز الكلام على أصحاب الأُخدود.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [٢ ـ ٣]:

{٩١٨} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**اليومُ الموعودُ يوم القيامة، واليومُ المشهودُ يومُ عرفة، والشاهدُ يومُ الجمعة**»، قال: «**وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه**».

رواه أحمد (٢/٢٩٨)، والترمذي (٣١٢١)، والحاكم (٢/٥١٩) بسند حسن أو صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وله شاهد عن أبي مالك رواه الطبراني، وهو في المجمع (١/٢٣٥).

في الحديث بيان ما أبهم في الآيتين من اليوم الموعود والشاهد والمشهود.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ **إلخ** [٤]:

{٩١٩} ـ عن صُهَيب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إني كبِرتُ فابعث إليَّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه**

فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللّهمّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابّة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي: بُنَيَّ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك سَتُبْتَلَى، فإن ابْتُلِيتَ فلا تدلّ عليّ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع به جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي: بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعي بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقّاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبَى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه به حتى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبَى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاّ فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُور فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال

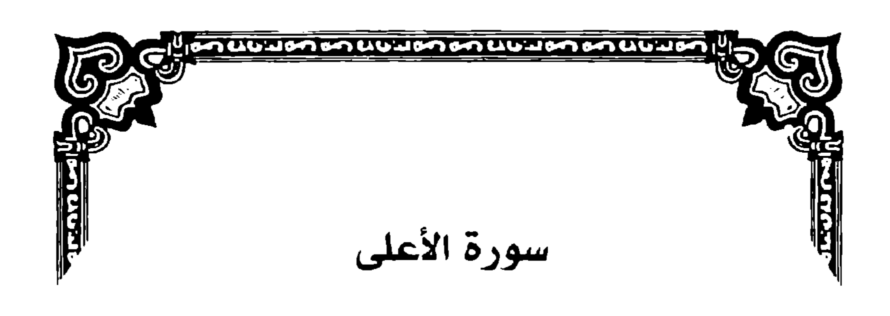
للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كَبِدِ القوس، ثم قل: بسم رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم ربَ الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام، آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، فأُتِيَ الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر الأخدود في أفواه السكك فخُدَّتْ وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيه، فقال لها الغلام: يا أمّه اصبري فإنك على الحق».

رواه أحمد (٦/١٦، ١٨)، ومسلم آخر صحيحه (١٨/١٣٠، ١٣٣)، والترمذي (٣١٢٢) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٦/٥١٠، ٥١١، ٥١٢) زاد الترمذي قال: يقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ حتى بلغ: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، قال: فأمّا الغلام فإنه دُفن قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

قوله: مفرق رأسه أي: وسطه، وذروة الجبل ـ بكسر الذال وضمّها ـ أعلاه، فرجف أي: اضطرب، قرقور ـ بضم القافين ـ: السفينة الصغيرة، الأخدود: شقّ مستطيل في الأرض، تقاعست أي: تأخّرت.

هذا حديث عظيم فيه فوائد وعبر وهو مبيّن للآية الكريمة، وقد ذكرت فوائده وعبره في «عجائب الأقدمين». وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



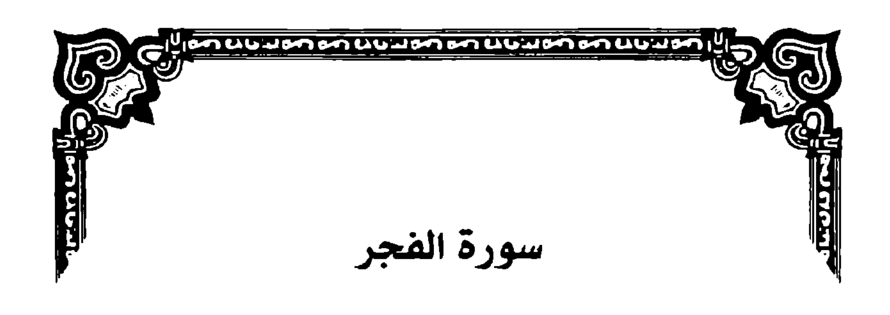


سورة الأعلى

هي تسع عشرة آية.

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [١]:

تقدمت أحاديث تتعلق بالسورة في العيدين وفي الجمعة، وفي سورة الحديد وغير ذلك.



سورة الفجر

هي ثلاثون آية، وأبرز ما تحدّثت عنه قصص الأقدمين كعاد وثمود وفرعون الطاغية: العتاة المفسدين وما نزل بهم من العذاب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②﴾:

{٩٢٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما من أيام العمل فيهنّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر»**، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **«ولا الجهاد في سبيل الله، إلاّ رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يَرجع من ذلك بشيء»**.

رواه أحمد (٢/٢٢٤، ٣٣٨)، والبخاري في العيدين (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٦٦٩)، وابن ماجه (١٧٢٧) كلّهم في الصوم.

في الحديث بيان أن العشر المذكورة في القرآن هي عشر ذي الحجّة، وأن العمل فيها أحب إلى الله تعالى من العمل في غيرها، حتى أن العمل فيهنّ أفضل من مطلق الجهاد في سبيل الله.

{٩٢١} ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«إن العشر عَشْرُ الأضحى والوتر يومْ عرفة، والشفع يوم النحر»**.

رواه أحمد (٣/٣٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٥١٤)، والحاكم (٤/٢٢٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. . والحديث مفسّر

للآية، ومع ذلك فقد اختلفت في ذلك أقوال المفسّرين كما يعلم من تفسيري ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [١٧]:

{٩٢٢} ـ فيه حديث أبي هريرة مرفوعاً: **«كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتّقى الله تعالى»**.

رواه مسلم وغيره، وفي الباب أحاديث ستأتي في البرّ والصلة إن شاء الله تعالى.

وكافل اليتيم: هو القائم بنفقته وتربيته والإحسان إليه وإكرامه.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [٢٢]:

في حديث الشفاعة الطويل: **«فيجيء الله لفصل الخطاب»**، ويأتي في محله في الرقاق.

{٩٢٣} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الصراط والرؤية: «... **فيأتيهم الله تعالى في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا**» الحديث.

رواه البخاري في الرقاق **(٢٤٦/١٤)** مطوّلاً، ويأتي إن شاء الله تعالى في الرقاق.

هذا المجيء مما يجب الإيمان به على ما أراد الله عزّ وجلّ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: وجاء ربك يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق ـ سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ـ بعد ما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلّهم يقول: لست بصاحب ذاكم حتى ينتهي السؤال إلى سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقول: **«أنا لها أنا لها»**، فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يذهب الناس لفصل القضاء، فيشفعه الله تعالى في ذلك، وهي أولى الشفاعات وهي المقام المحمود كما

تقدم بيانه في سورة سبحان، فيجيء الربّ تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً...

فيجب علينا أن نؤمن بهذا المجيء كما أخبر القرآن ونطقت به السنّة الصحيحة، مع اعتقادنا أن الله عزّ وجلّ ليس كمثله شيء، وما يقع في الآخرة هو من علم الغيب وفوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [٢٣]:

{٩٢٤} ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«يُؤتَى بجهنّم يومئذ لها سَبعُون ألف زِمام مع كلِّ زمامٍ سبعون ألف ملك يجُرُّونها»**.

رواه مسلم في كتاب الجنة (١٧/١٧٩)، والترمذي في صفة جهنم (٢٣٩٠).

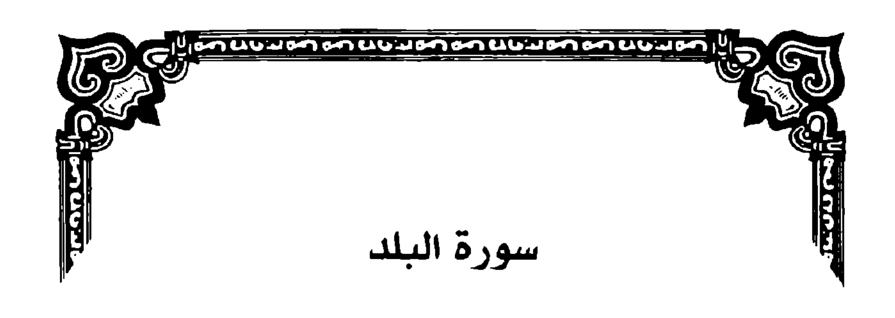
الآية والحديث متفقان في أنه يؤتى يوم القيامة بجهنم، وذلك لموقف الناس لِيُرْعِبَ الكفار بها ويزعجهم، وهذا أيضاً من علم الغيب مما لا ندري كيفيّته، فيجب الإيمان به وكفى.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [٢٤]:

{٩٢٥} ـ عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: لو أنّ عبداً خرَّ على وجهه من يوم وُلِد إلى أن يموتَ في طاعة الله لحَقَره يومَ القيامة، ولودَّ أنه رُدَّ إلى الدنيا كَيْمَا يَزْدَاد من الأجر والثواب.

رواه أحمد (٤/١٨٥) بسند صحيح وهو من قبيل المرفوع لأنه لا مجال فيه للنظر.

ويتجلّى في الآية والحديث ما سيحصل للإنسان يوم القيامة وما يتمنّاه، ولكنه هيهات هيهات، وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.



سورة البلد

وهي عشرون آية، وأبرز ما فيها القسم بالبلد الأمين وبكل والد وما ولد على أن الإنسان في كبد وشدّة يقاسي المتاعب والشدائد طوال حياته، مع ذكر نِعم الله تعالى على عباده من العينين واللّسان والشفتين. . . وبيان العقبة الكئود التي ينبغي اقتحامها.

قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ⑬﴾ [١٣]:

{٩٣٦} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنّة، قال: **«لَئِن كنت أقْصَرْتَ الخُطبة لقد أعْرَضْتَ المسألة أعتق النسمة، وفُكَّ الرقبة»**، فقال: يا رسول الله أوَ ليستا بواحدة؟ قال: **«لا، إن عتقَ النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف، والفيءُ على ذي الرحم الظالم، فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائع، واسقِ الظمآن، وأمر بالمعروف وانْه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكفّ لسانك إلا من الخير»**.

رواه أحمد (٤/٢٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩)، والطيالسي (٧٣٩)، وابن حبان (٢/٩٧، ٩٨)، والحاكم (٢/٢١٧)، والبيهقي (١٠/٢٧٢، ٢٧٣)، والبغوي في شرح السنّة (٩/٣٥٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع برواية أحمد: رجاله ثقات (٤/٢٣٤).

أقصرت الخطبة أي: جئت بها قصيرة، لقد أعرضت أي: جئت بها عريضة واسعة، والنسمة: ذات الروح والمنحة الوكوف أي: غزيرة اللبن.

وفي الحديث فضل فكّ الرقاب وعتقها، وذلك بعض اقتحام العقبة المذكورة في الآية.

وفي الحديث مع ذلك مكارم ينبغي للمسلم الاتّصاف بها، وهي من موجبات الجنّة بإذن الله تعالى وفضله، وهي منحة الماشية لشرب لبنها، والصدقة على القريب المعتدي، وإطعام الجائع، وسقي العطشان، والأمر بالخير والنهي عن الشر، فمن لم يطق ذلك فلا أقل أن يكون سلبياً لا له ولا عليه بأن يكفّ لسانه عن الآخرين إلا من خير، فالحديث من جوامع الأخلاق.

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [١٤ ـ ١٦]:

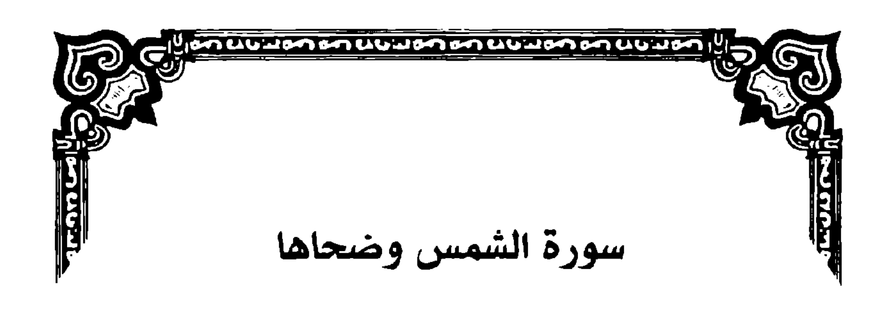
{٩٣٧} ـ عن سلمان بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «**الصدقة على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة**».

رواه أحمد (٤/١٧، ١٨، ٢١٤)، والحميدي (٨٢٣)، والترمذي (٥٨٢)، والنسائي (٥/٦٩) كلاهما في الزكاة، ورواه الأخير في الكبرى (٢/٦، ٤٩)، وابن ماجه (٨٤٤)، وابن خزيمة (٢٣٨) وغيرهم، والحديث صحيح لشواهده.

وفي الحديث بيان فضل الصدقة على القريب، وهي من اقتحام العقبة.

وقوله: في يوم ذي مسغبة أي: ذي مجاعة. وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الشمس وضحاها

هي خمس عشرة آية، وأبرز ما فيها الكلام على تزكية النفس أو إيرادها موارد الهلاك.

فيه حديث أنس في قصة معاذ في صلاته العشاء، وقوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها»** ونحوهما، رواه أحمد وغيره، ونحوه عن جابر في مسلم، وانظر كتاب الصلاة.

قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [٧ ـ ١٠]:

{٩٢٨} ـ فيه حديث زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: **«اللّهمّ آتِ نفْسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها»**، رواه أحمد ومسلم، وتقدم في الأدعية.

زكّاها أي: طهّرها، وقوله: دسّاها أي: حقّرها بالكفر والذنوب، وأوردها الموارد...

قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ [١٢]:

{٩٢٩} ـ عن عبدالله بن زمعة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يخطب وذكر الناقة والذي

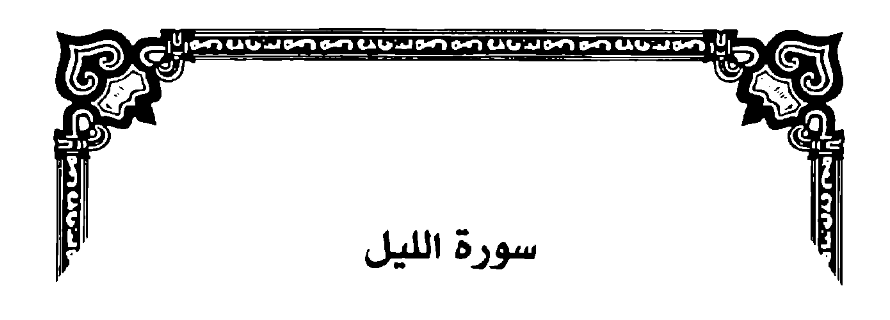
عقرها، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارِم مَنيعٌ في رهطِهِ مثل أبي زَمْعَة**».

رواه أحمد (١٧/٤)، والبخاري في التفسير (٣٣٣/١٠، ٣٣٤) وفي أحاديث الأنبياء، ومسلم في الجنّة (٢٨٥٥)، والنسائي في الكبرى (٥١٥/٦).

قوله: إذ انبعث أي: انطلق أشقى القوم بسرعة ونشاط، وعاقر الناقة اسمه قُدار على وزن غراب لعنه الله وأخزاه.

وقوله: عارم أي: صعب كثير الشهامة والشر، وقوله: منيع أي: قوي ذو منعة، له رهط يمنعونه من كل ضَيْم. وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.





سورة الليل

هي إحدى وعشرون آية، وأهم ما فيا القسم ببعض الكائنات على أن الناس مختلفون في سعيهم وأعمالهم منهم المؤمن، ومنهم الكافر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [١ ـ ٣]:

{٩٣٠} ـ عن علقمة رحمه الله تعالى قال: قدمنا الشام، فدخلنا مسجد دمشق على أبي الدرداء، فقال: كيف يقرأ عبدالله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ فقرأت عليه: **﴿والَّيل إذا يغشى والنَّهار إذا تجلَّى والذَّكر والأُنثى﴾** قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من فيه إلى فيّ.

رواه البخاري في مواضع في الفضائل (٣٧٦١، ٢٧٤٢) وفي الاستئذان (٦٢٧٨)، ومسلم في الصلاة (٨٢٤)، والترمذي في القراءات (٢٧٤٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٥١٦).

قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء هذه ليست بمتواترة، وهي مخالفة للمصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة والموجود بين أيدي المسلمين، ولعلّها من القراءات المنسوخة التي لم يبلغ نسخها ابن مسعود وأبا الدرداء رضي الله تعالى عنهما، وهذا مما لا ينبغي التشكّك فيه، وقد تقدم هذا أوّل التفسير.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [٥ ـ ٧]:

{٩٣١} ـ عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: كنّا في جنازة ببقيع الغَرْقَد، فأتانا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مِخْصَرة، فجعل ينكت بها الأرض، ثم قال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنّة»**، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتّكل على كتابنا؟ فقال: **«اعملوا فكل ميسّر لما خُلِق له، أمّا من كان من أهل السعادة فسييسر إلى عمل السعادة، وأمّا من كان من أهل الشقاء فسييسر إلى عمل الشقاء»**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

رواه الطيالسي (٦١)، وأحمد رقم (١٢١، ١٦٧، ١٦٨، ١١٠)، والبخاري في القدر وفي التوحيد (٣٠٥/١٧)، ومسلم في القدر (١٩٥/١٦، ١٩٦)، وأبو داود (٤٦٩٤) في القدر، والترمذي فيه (١٩٦٨) وفي التفسير (٣٢١٦)، والنسائي في الكبرى (٥١٧/٦)، وابن ماجه (٧٨)، وفي الباب أحاديث عن أنس وعمران بن حصين في الصحيحين، وعند ابن عمر عند أحمد والترمذي، وقد تقدم بعضها في القدر.

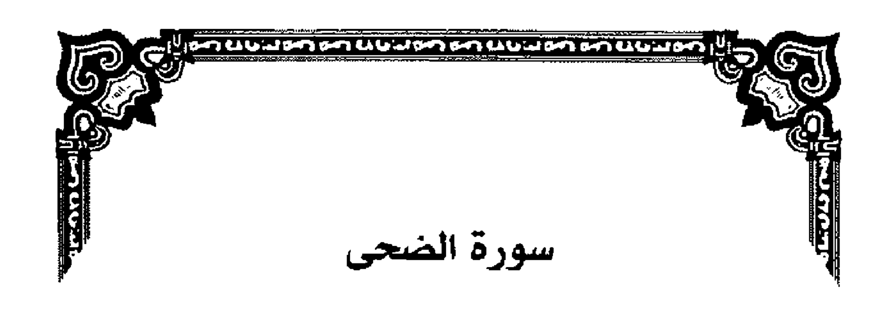
قوله: مخصرة ـ بكسر الميم ـ كالسوط والعصا، ينكت أي: يضرب أفلا نتكل ـ أي: نعتمد على القدر وما كتب علينا وندع العمل، اعملوا: أي: لا بدّ من العمل، فإنه الذي يصدق ما كتب في الأزل، فالسعيد سيهيؤ للإيمان والعمل الصالح وييسره الله لما خلق لأجله، والشقي بعكس ذلك فمن اعتمد على ما كتب عليه وترك العمل كان ذلك علامة على شقاوته.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ إلخ، أي: أنفق ماله ابتغاء وجه الله واتّقى ربّه فآمن وكفّ عن محارمه، وصدق بالجنّة فسنهيّئه لعمل الخير ونسهل عليه فعل الطاعات، وترك المحرمات، والعكس بالعكس، فمن بخل

بإنفاق ماله واستغنى عن ربّه وعن عبادته وكذب بالجنّة فسنهيّئه للخصلة المؤدية للعسرى، وهي طريق الشرّ المؤدي إلى النار

ويه انتهت سورة الليل، والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على نبيّه وعلى آله وصحبه وحزبه، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكر الغافلون.





سورة الضحى

آياتها إحدى عشرة، وهي تتحدث عن شخصية الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [١ ـ ٣]:

{٩٣٢} ـ عن جندب البجلي رضي الله تعالى عنه قال: اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، وفي رواية: ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

رواه البخاري في التهجد (١١٢٤، ١١٢٥) وفي التفسير (٣٣٩/١٠، ٣٤٠) وفي فضائل القرآن ج (٣٨٢/١٠)، ومسلم في الجهاد (١٥٦/١٢)، والترمذي (٣١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٥١٧/٦، ٥١٨).

قوله: ما ودّعك أي: ما تركك، وما قلا أي: أبغضك، وفي الآيات ردّ على تلك المرأة وهي امرأة أبي لهب.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [٥]:

{٩٣٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عُرِض على

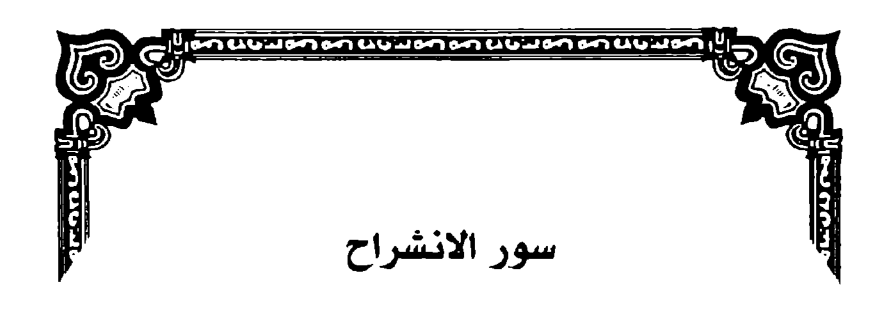
رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما هو مفتوح على أُمّته كُفْراً كُفْراً، فسرّ بذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾، فأعطاه في الجنّة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم.

رواه ابن جرير (٣٠/٢٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٤٣) وزاد في الدر المنثور: عبد بن حميد والطبراني والحاكم والبيهقي وابن مردويه وأبا نعيم، وسنده صحيح.

ما ذكره ابن عباس جميعه مرفوع لأنه لا مجال فيه للرأي، وفي الحديث كالآية ما شرف الله تعالى به نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من العطايا والخصائص مما لا يلحقه فيه لاحق أبداً.

وبه تمّت الضحى، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سور الانشراح

هي ثمان آيات، وموضوعها الكلام على شخصية الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وامتنانه عليه بما أولاه من نعم وخصائص.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ [١]:

{٩٣٤} ـ عن أنس بن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد بين الثلاثة فأُتيتُ بطَسْت من ذهب فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا»**، قال قتادة: قلت لأنس: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، قال: **«فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم أُعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة»**.

رواه البخاري ومسلم مطوّلاً في قصة الإسراء، وقد تقدم.

وقع له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذا الحادث ـ شقّ الصدر ـ مراراً أوّله كان وهو رضيع في بني سعد، وظاهر قوله: وشرح صدري إلى كذا وكذا أنه كان محسوساً وهو مما لا ينبغي الخلاف فيه، لما ثبت في الصحيح عن أنس أن أثر ذلك كان يرى ببطنه الشريف.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④﴾ [٤]:

{٩٣٥} ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: **«أتاني جبريل عليه السلام فقال:**

إن ربي وربك يقول لك: تَدْرِي كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي».

رواه ابن جرير (٣٠/٢٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٤٥)، وأبو يعلى (١/٥٧٦) وصححه ابن حبان (٨/١٧٥)، وحسّنه نور الدين في المجمع (٨/٣٥٤)، ومعناه صحيح.

إن هذا النبيّ العظيم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مرفوع الذكر في الدنيا والآخرة بأبي هو وأمّي، فلا يؤذن مؤذّن ولا يصلّي مصلٍّ، ولا يذكر ذاكر إلا ذكر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكيف لا وذكره مقرون بالله في عدة سور من القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [٥ ـ ٦]:

{٩٣٦} ـ عن الحسن رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ إلخ، قال: خرج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم مسروراً فرحاً وهو يضحك، وهو يقول: **«لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لن يغلب عسرٌ يسرين، إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً».**

رواه عبدالرزاق (٢/٣٨٠)، وابن جرير (٣٠/٢٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٤٦) ثلاثتهم في التفسير، والحاكم (٢/٥٢٨) وهو مرسل صحيح ونحوه عن قتادة أيضاً مرفوعاً رواه ابن جرير (٣٠/٢٣٦) بسند صحيح أيضاً، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ذكر لنا أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بشّر أصحابه الآية: **«لن يغلب عسر يسرين»** عزاه الحافظ في الفتح لعبد بن حميد، وقال: سنده جيّد، وذكره البخاري ترجمة في التفسير (١٠/٣٤١) فقال: ولن يغلب عسر يسرين. وقال الحاكم (٢/٥٢٨): صحّ ذلك عن عمر وعليّ رضي الله تعالى عنهما.

وبالجملة فالحديث ثابت بما أوردنا.

وفي الآية مع الحديث بشارة للمكروبين بحصول الفرج بعد الشدّة،

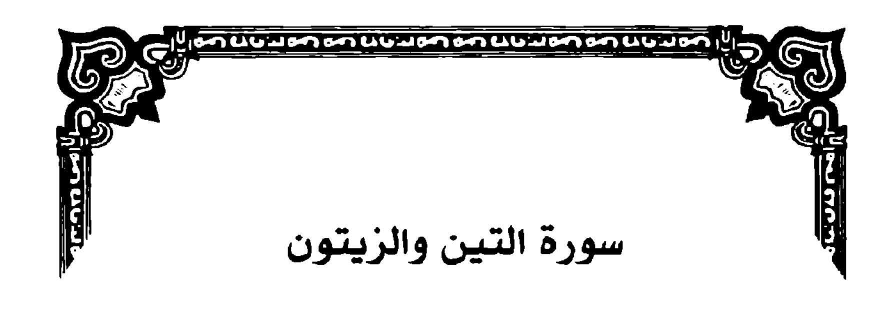
وقد كتب الناس في الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر.

ومعنى قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لن يغلب عسر يسرين»** أن العرب جرت عادتها في كلامها أن المعرفة إذا تكرّرت كانت الثانية هي الأُولى، فالعسر الثاني في الآية هو الأول فهو عسر واحد، بينما النكرة إذا تكرّرت كانت الثانية غير الأُولى، وعليه فاليسر الثاني غير الأول، فيكون يسران في مقابلة عسر واحد.

وهذا من دقيق فهم النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وعظيم استنباطه.

وبه تمّت الانشراح، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة التين والزيتون

هي كسابقتها ثمان آيات، وأبرز ما فيها بيان أن الإنسان خُلق في أحسن تقويم.

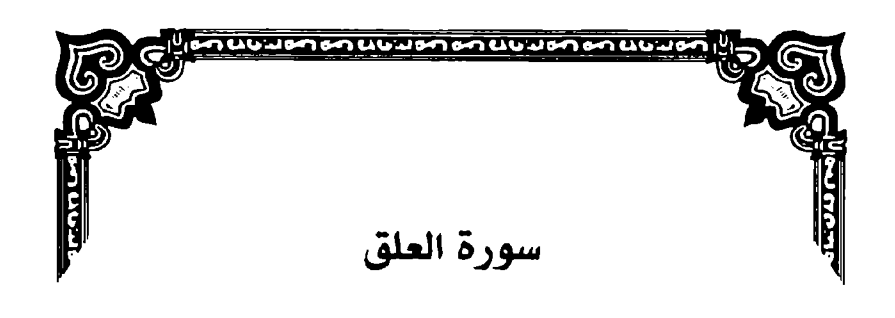
{٩٣٧} ـ عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: صلّيت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم العشاء فقرأ بالتين والزيتون.

رواه البخاري (٧٦٧/٧٦٩)، ومسلم (٤٦٤) وغيرهما في الصلاة، ورواه البخاري في التفسير أيضاً (٣٤٢/١٠)، وقد تقدم في الصلاة والحمد لله.

{٩٣٨} ـ وتقدم حديث أبي هريرة: **«من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى أخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»**، رواه أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم، وقد قدمنا في سورة القيامة أنه حديث حسن، يصح العمل به.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وحزبه.





سورة العلق

هي تسع عشرة آية، وهي تتحدّث عن أعظم نعمة، وأشمل رحمة، وأعمّ خير حظيت به هذه الأُمّة تبعاً لنبيّها العظيم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ألا وهو الوحي الإلـٰهيّ ونزول القرآن الكريم، وأوّل خطاب من الحضرة الإلـٰهيّة إلى الحضرة النبوية: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [١ ـ ٥]:

{٩٣٩} ـ عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: أوّل ما بدىء به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكا يخلو بغار حِراء، فيتحنث فيه وهو التعبّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءهُ الحق وهو في غار حِراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارىء**»، قال: «**فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**»، فقال: اقرأ، قلت: «**ما أنا بقارىء**»، قال: «**فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**»، فقال: اقرأ، فقلت: «**ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني**»، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾، فرجع بها رسول الله صلّى الله

تعالى عليه وآله وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، فقال: «**زمّلوني، زمّلوني**» حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقالت خديجة: كلاّ والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابنْ عمّ خديجة، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**أوَ مخرجي هم**»؟ قال: نعم، لم يأتِ رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يُدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي.

رواه أحمد (**٢٣٢/٦، ٢٣٣**)، والبخاري في بدء الوحي (**٢٥/١، ٣٠**) وفي التفسير (**٣٤٤/١٠، ٣٥٠**) وفي التعبير وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان (**١٩٧/٢، ٢٠٥**) وغيرهم.

قولها: الرؤيا الصالحة، في رواية: الصادقة، وقولها: كفلق الصبح أي: يظهر صدقها في اليقظة كضياء الصبح، وقوله: ما أنا بقارىء أي: لا أحسن القراءة، فلما قال ذلك ثلاثاً قال له في الأخير: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ إلخ، وقيل: هي استفهامية أي: ماذا أقرأ أو كيف أقرأ والله أعلم، وقوله: فغطني أي: ضمّني وعصرني، وقوله: الجهد ـ بضم الجيم وفتحها ـ: وهو المشقّة والغاية، وقولها: يرجف أي: يرتعد ويضطرب، وقوله: الروع ـ بفتح الراء ـ الفزع، وقولها: لا يخزيك الله أي: لا يهينك ولا يفضحك، والكل ـ بفتح الكاف ـ ومعناه: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، وقولها: وتكسب المعدوم أي: تكسب غيرك المال المعدوم

وتعطيه إياه، وقوله: جذعاً ـ بفتحتين ـ أي: شاباً قوياً، وقوله: نصراً مؤزراً أي: قوياً بالغاً.

وفي هذا الحديث الشريف فوائد كثيرة هامّة، فهو يدلّ على أن أوّل ما بدىء به من الوحي الرؤيا، ومكث على ذلك ستّة أشهر على الصحيح، وفيه أن أوّل ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وهو قول الجمهور، وفيه فضل مولاتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وقوّة يقينها وتأييدها للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويؤخذ منه أنها أوّل من آمن إطلاقاً، وفيه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم كان متّصفاً بالأخلاق الكريمة قبل النبوة، وقد عرفت ذلك خديجة منه، فلذلك طمأنته بقولها ما قالت. . .، وفيه الفزع إلى أهل العلم عند نزول المدلهمات، وفيه فضل ورقة بن نوفل وأنه آمن بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وتمنّى نصره عندما يدعو قومه ويخرجونه من بلدته، وقد جاء في رؤيا له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ما يدلّ على أنه من أهل الجنّة، وفي الحديث غير ذلك من الفوائد.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [١٧ ـ ١٩]:

{٩٤٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلّي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾، قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

رواه أحمد (٢٥٦/١، ٣٢٩، ٣٦٨)، والترمذي في التفسير (٣١٣١)، والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦) بسند صحيح على شرط مسلم.

{٩٤١} ـ وعنه في رواية، قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً

يصلي لأطأنّ على عنقه، فقال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لو فعل لأخذته الملائكة عياناً»**.

رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/٣٨٤)، وأحمد (٣٤٨٣)، والبخاري (١٠/٣٥٣، ٣٥٤)، والترمذي (٣١٣٠)، والنسائي (٦/٥١٨)، وابن جرير (٣٠/٢٥٦، ٢٥٧) كلّهم في التفسير.

{٩٤٢} ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، قال: فقال: واللات والعزّى لَئِن رأيته يصلّي كذلك لأطأنّ على رقبته ولأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يصلّي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، قال: فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»**، قال: وأنزل الله ـ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ ـ يعني: أبا جهل ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ ـ يدعو قومه ـ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ ـ الملائكة ـ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

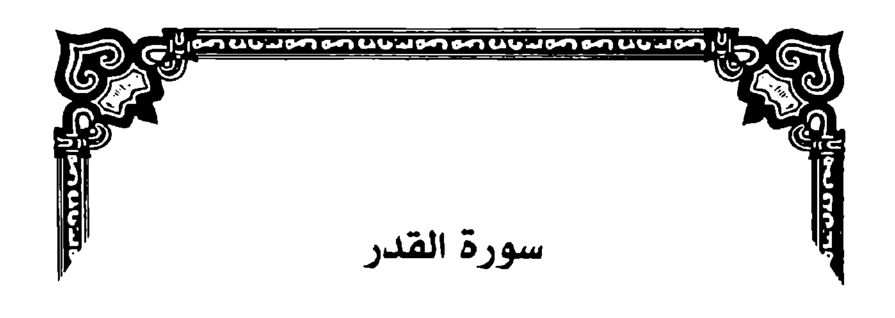
رواه مسلم في صفة المنافقين (١٨/١٣٩، ١٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٥١٨)، وابن جرير (٣٠/٢٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٥٠) من طريقه.

قوله: فزبره أي: نهره وأغلظ عليه، والزبانية: هم ملائكة النار المكلّفون بها وبأهلها، وقوله: لأعفرنّ أي: لألصقنّ وجهه بالتراب وأمرغه، وقوله: ينكص أي: يرجع إلى الوراء... وفي هذه الأحاديث حماية الله عزّ وجلّ نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وحفظه من أعدائه، وأنه لو شاء

لبعث عليهم بعض ملائكته الشداد الغلاظ العظام فأخذوهم بدون كبير تعب منهم، ولكنه تعالى كان يسلك به كغيره من الأنبياء والمقرّبين سبيل سنّته في خلقه وهو طريق الأسباب.

وبه تمّ الكلام على سورة العلق، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة القدر

هي خمس آيات، وتمتاز بالكلام على بيان الليلة المباركة ليلة القدر التي ذكرت مبهمة في سورة الدخان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [١]:

{٩٤٣} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر وكان الله عزّ وجلّ ينزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بعضه في إثر بعض، قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾. وفي رواية: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا.

رواه النسائي في الكبرى (٦/٥١٩)، وابن جرير (٣٠/٢٥٩)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٥٢)، والحاكم (٢/٢٢٢، ٥٣٠) وصححه ووافقه الذهبي، وعزاه النور في المجمع (٧/١٤٠) لكبير الطبراني (٢٣٨٢)، والبزار (٢٢٩٠) وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

الحديث يبين أن نزول القرآن في رمضان، ومعناه: نزوله من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم جعل ينزله الله منجماً حسب الأسباب حتى تمّ في ثلاث وعشرين سنة، وهذا معلوم لا شكّ فيه، وقد تقدم شيء من هذا في سورة البقرة، وفي سورة الفرقان، وفي أول هذا التفسير.

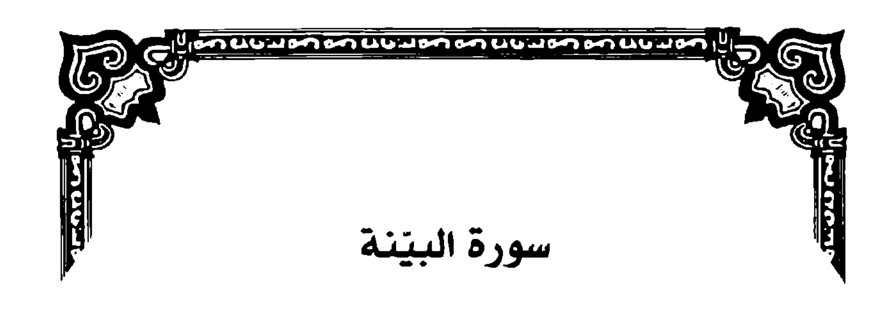
قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾:

{٩٤٤} ـ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عن ليلة القدر، فقال: **«تَحَرَّوْها في السبع الأواخر من شهر رمضان»**.

رواه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (٨/٥٨، ٥٩) كلاهما في الصيام.

فضل ليلة القدر والكلام على وقتها يطول، وقد تقدم الكلام على فضلها وما جاء فيها آخر الصيام فارجع إليه. وبهذا تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة البيّنة

هي أول سورة مدنية تتخلّل خمساً وأربعين سورة مكية كما تقدم أول (تبارك) الملك، وهي ثمان آيات، وامتازت بذكر خير البرية وشرها.

{٩٤٥} ـ فيها حديث أنس مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لأُبيّ بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾»، رواه الشيخان، وتقدم، ويأتي أيضاً في الفضائل.

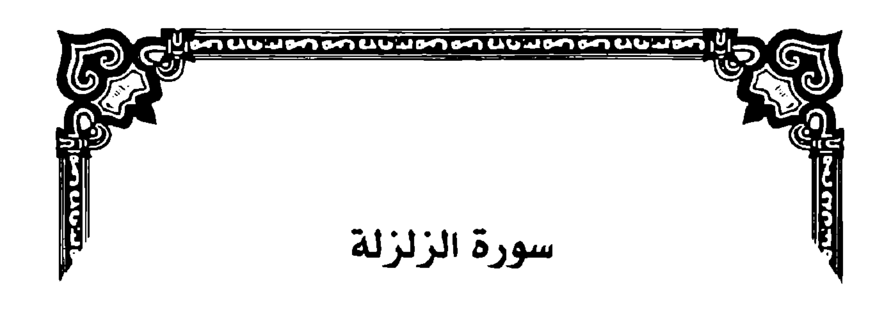
قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [٦]:

{٩٤٦} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا خير البرية، قال: «**ذاك إبراهيم**».

رواه مسلم في الفضائل (١٥/١٢١)، وأبو داود (٤٦٧٢)، والترمذي (٣١٣٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٠).

قوله: خير البرية أي: أفضل المخلوقات، وما قاله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هو من تواضعه مع جدّه إبراهيم عليه السلام، والآية تدلّ على أن المؤمنين الصالحين خير المخلوقات الكافرة والمنحرفة، وبه تمّت السورة، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.





سورة الزلزلة

هذه السورة من المدنيات، وهي ثمان آيات، وموضوعها يخالف موضوعات السور المدنية، إذ هي تتحدّث عن القيامة وأهوالها وإخراج ما في بطن الأرض من الأموات والكنوز. . . وتحدث الأرض بما وقع عليها ثم انصراف الناس وصدورهم فرقاً فرقاً ليروا أعمالهم، وامتازت بتلك الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾:

{٩٤٧} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾، قال: «**أتدرون ما أخبارها**»؟ قال: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها**».

رواه أحمد (٢/٢٧٤)، والترمذي (٢٢٤٩، ٣١٣٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٠)، وابن حبان (٢٥٨٦) بالموارد، والحاكم (٢/٢٥١، ٥٣٢)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وللحديث شاهد عند الطبراني. انظر المجمع (٧/٢٤١) وبه صححه الترمذي. في الحديث بيان أخبار الأرض يوم القيامة، وأنها ستشهد على كل من عمل فوقها شيئاً من الأعمال. . .

■ قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [٧ ـ ٨]:

{٩٤٨} ـ عن صَعْصَعَة عم الفرزدق قال: قدمت على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فسمعته يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ الآية، قال: حَسْبِي لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

رواه أحمد (٥٩/٥)، والنسائي في الكبرى (٥٢٠/٦، ٥٢١)، والحاكم (٦١٣/٣)، والطبراني في الكبير (٧٤١١)، قال النور في المجمع (١٤١/٧)، مرسلاً ومتّصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح، وكذا صححه البوصيري في الإتحاف (٤٤٥/٨).

المثقال: هو الوزن والذرة: أقلّ شيء، والآية الكريمة كافية لمن اعتبر كهذا الرجل الذي لم يتطلع إلى غيرها لما علم منها أن العبرة بالخير والشر، فمن أكثر من الخير كان سعيداً، ومن ازداد من الشر كان خاسراً، والله تعالى حكم عدل لا يظلم أحداً.

{٩٤٩} ـ وتقدم حديث أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم سُئِل عن الحُمُر فيها زكاة؟ فقال: «ما جاءني فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾».

رواه البخاري ومسلم، وانظر ما سبق في الزكاة.

الفاذّة: هي قليلة النظير، وبه تمّت السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.





سورة التكاثر

هي ثمان آيات كسابقتيها، وامتازت بالتهديد الشديد والزجر الأكيد للإنسان بأنه سيعلم ما أنذر به علم اليقين، وسيرى الجحيم ويشاهدها عين اليقين...

قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [١]:

{٩٥٠} ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كنّا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، يعني: لو كان لابن آدمَ وادٍ من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يَملأَ فاهُ إلا الترابُ ويتوبُ الله على من تاب.

رواه البخاري في الرقاق (١٤/٣٢، ٣٣)، ويأتي مع أحاديث أخرى إن شاء الله تعالى. وفي الآية والحديث بيان ما جبل عليه ابن آدم من حبّ المال وتفاخره بالكثرة حتى الموت.

{٩٥١} ـ وعن عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: **«يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس»**.

رواه أحمد (٤/٢٤، ٢٦)، ومسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢١٦١)

كلاهما في الزهد، ورواه أيضاً في التفسير (٣١٣٦)، والنسائي في الكبرى (٥٢١/٦).

الحديث يفيد أن مال الإنسان الذي يجول ويصول به في حياته ليس له منه إلا ما قدمه بين يديه من صدقة ومعروف وما عدا ذلك فسيتركه وراءه ليقتسمه ورثته.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾:

{٩٥٢} ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث: **«هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة: الظلّ البارد والرطب الطيب عليه الماء البارد».**

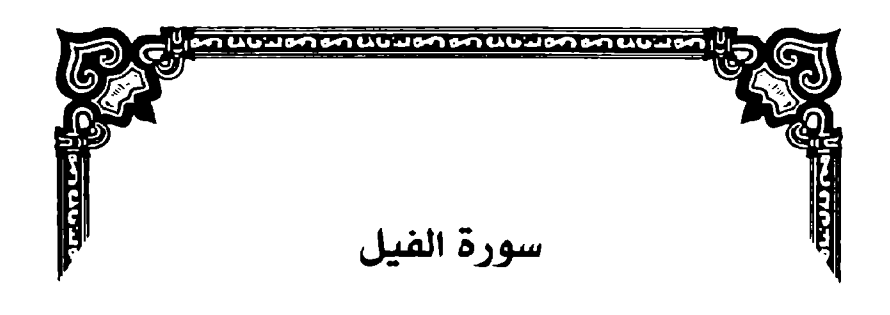
رواه مسلم (٢٠٣٨) مطوّلاً، وأبو داود في الأدب (٥١٢٨)، والترمذي في الاستئذان وفي الزهد (٢١٨٨)، والنسائي في الكبرى (٥٢١/٦)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، ويأتي في الرقاق والزهد.

{٩٥٣} ـ وعنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة** ـ يعني: العبد ـ **من النعيم أن يقال: ألم نُصِحَ لك جِسمَك، ونُرْوِك من الماء البارد».**

رواه الترمذي في التفسير (٣١٤٠)، وابن حبان (٢٥٨٥) بالموارد، والحاكم (١٣٨/٤) بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الآية والحديثين بيان أن الإنسان سيُسأل يوم القيامة عن كل ما يتمتّع به من نعيم في هذه الحياة بداية من الظلّ والماء البارد والتمر الطيّب وصحة الجسم فضلاً عمّا هنالك من نِعَم سوابغ ظاهرة وباطنة، يتنعّم ويتمتّع بها الإنسان طوال حياته. وبه تمت التكاثر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الفيل

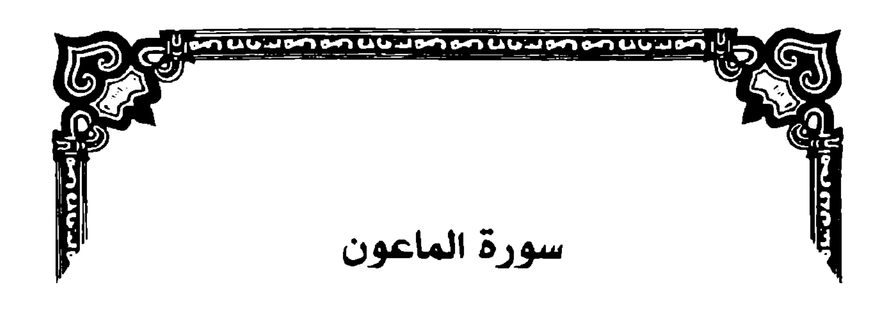
هي خمس آيات، وامتازت بقصة أصحاب الفيل الذين أهلكهم الله حماية لبيته.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾:

{٩٥٤} ـ تقدم حديث: **«إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل وسلّط عليها رسوله والمؤمنين»** إلخ، وهو في الصحيحين. ومعنى ذلك أن الله منع الفيل عن استباحة الحرم الشريف وأباح ذلك لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ساعة من نهار يقاتل فيها من قاتله...

وسيأتي حديث: **«ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»**، وهو في البخاري مطوّلاً في حديث صلح الحديبية، ويأتي في المغازي. وقوله: حبسها حابس الفيل أي: حبسها الله عزّ وجلّ عن دخول مكّة كما حبس الفيل... والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الماعون

هي سبع آيات، وامتازت بذكر الويل للساهين عن الصلاة والمرائين بأعمالهم والمانعين الماعون.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [٦]:

{٩٥٥} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: **«من سَمَّع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به»**.

رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٦) وغيره، وهو في البخاري عن جندب، وفي الباب غير ذلك.

سمّع ـ بتشديد الميم ـ: أي: ذكر أعماله الصالحة ليسمعه الناس ويثنوا عليه، وقوله: راءى أي: عمل عملاً أراه للناس ليحترموه ويعتقدوا فضله. وهذا كلّه شرك في العمل إذا كان قصده ذلك، فإن كانت نيّته الاقتداء به أو التحدّث بنعمة الله عليه فليس بمذموم.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾:

{٩٥٦} ـ عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: كل معروف صدقة، كنا نعدّ الماعون على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عارية الدلو، والقدر، وفي رواية: والفاس، والميزان، وما تتعاطون بينكم.

رواه أبو داود (١٦٥٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٢)، وابن جرير

(٣١٧/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٦٩/١٠)، والطبراني في الكبير (٩٠١٣)، والأوسط (١٤٩٥)، والبزار (٢٢٩٢)، والبيهقي (١٨٣/٤) وسنده حسن وهو صحيح لطرقه وشواهده، بل قال النور في المجمع (١٤٣/٧): رجال الطبراني رجال الصحيح.

في هذا الحديث بيان الماعون الذي يعاقب مانعه وهو ما ذكر من القدر والفاس ونحو ذلك كالإبرة والملح... والحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه.





سورة الكوثر

هي ثلاث آيات، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم، وامتازت بذكر كوثر نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي أعطاه الله إيّاه في الجنّة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾:

{٩٥٧} ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: **«لقد أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمـٰن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ③﴾»**.

قال: **«أتدرون ما الكوثر؟»** فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«فإنه نهر وعدنيه ربّي عزّ وجلّ، عليه خير كثير ترد عليه أُمّتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول ربّ: إنه من أُمّتي، فيقول: ما تدري ما أحدثوا بعدك»**.

رواه أحمد (١٠٢/٣، ١٦٤، ٢٣٦)، ومسلم (١١٢/٤)، وأبو داود (٧٨٤) كلاهما في الصلاة، والنسائي في الكبرى (٥٢٣/٦)، وتأتي أحاديث الكوثر والحوض في الرقاق إن شاء الله تعالى.

قوله: أغفى أي: نام، وقوله: فيختلج أي: ينتزع ويقتطع. الكوثر: هو نهر في الجنّة وهو أصلٌ لِلْحوض الذي هو قبل الصراط وهو الذي

سيختلج العباد دونه، وجاءت الأحاديث متّحدة في الكوثر والحوض، وسيأتي بيان ذلك في الرقاق بحول الله عزّ وجلّ وإذنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾:

{٩٥٨} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيّدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا المنتبر من قومه زعم أنه خير منّا ونحن! يعني: أهل الحجيج، وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٥٢٤/٦)، وابن جرير (٣٣٥/٣٠)، والبزار (٢٢٩٣)، وابن حبان (١٧٣١) بالموارد، والطبراني في الكبير (١٦٤٥) وسنده صحيح.

الشانيء: هو المبغض، والأبتر: هو الذي إذا مات انقطع نسله وذكره. وكان المشركون يلمزون النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بذلك، لكونه لم يكن له ذكر، فدافع الله عنه وأخبره بأن شانئه ومبغضه هو الأبتر الأذلّ الأخزى الأقل، أما هو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقد أعلى الله ذكره على رغم أنوفهم وأعزّه وأظهر دينه وأوجب شرعه على جميع العباد عبر الأجيال، وآمن به واتّبعه ملايين من الإنس والجنّ، ولا يزال الناس يدخلون في دينه من سائر الأديان في كل عصر من العصور، وكل ذلك يعتبر عزّاً له وتشريفاً، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه إلى الأبد.





سورة الكافرون

هي ستّ آيات، وامتازت بالبراءة من الكفر والشرك وقطع أطماع الكافرين فيما طلبوه من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم والمسلمين في التسامح بينهم وتبادل العبادة بين الله وبين الأصنام...

وتقدمت مواضع كان النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ هذه السورة فيها، كصلاة الفجر، وصلاة ما بين العشائين، وصلاة الطواف.

{٩٥٩} ـ وعن قرة بن نوفل عن أبيه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **«ما جاء بك؟»** قلت: جئت يا رسول الله لِتُعَلِّمَنِي شيئاً أقوله عند منامي، قال: **«إذا أخذتَ مَضْجَعك فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك»**.

رواه أبو داود في الأدب (٥٠٥٥)، والترمذي في الدعوات (٣١٨٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٤)، وابن حبان (٢٣٦٣، ٢٣٦٤) بالموارد، والحاكم (١/٥٦٥) وصححه ووافقه الذهبي.

فيه أن قراءة هذه السورة عند النوم تبرىء صاحبها من الشرك... والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.





سورة النصر

هي مدنية، وهي الثالثة تتخلل نيفاً وأربعين سورة مكّية وآياتها ثلاث كالكوثر، لكن هذه أطول من تلك بكلماتها وهي تتحدّث عن مجيء نصر الله للإسلام وأهله وفتح مكّة المكرمة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وإعلام نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بدنوّ أجله.

{٩٦٠} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عمر رضي الله تعالى عنه يسألني مع أصحاب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له عبدالرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه: أتسأله ولنا بنون مثله، قال: فقال له عمر: إنه من حيث يعلم فسأله عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إلخ، فقلت: إنما هو أجل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم أعلمه إيّاه، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال له عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٣٦٥، ٣٦٧) وفي مواضع، والترمذي (٣١٤٣)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٥)، ويأتي في الفضائل مطوّلاً إن شاء الله تعالى.

فيه بيان ما امتاز به ابن عباس من التفسير، ولذلك كان سيدنا عمر يقدمه، وفيه أن السورة كانت نعياً لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم وقُرب أجله.

{٩٦١} ـ وعنه أنه قال لعبيدالله بن عتبة: يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة

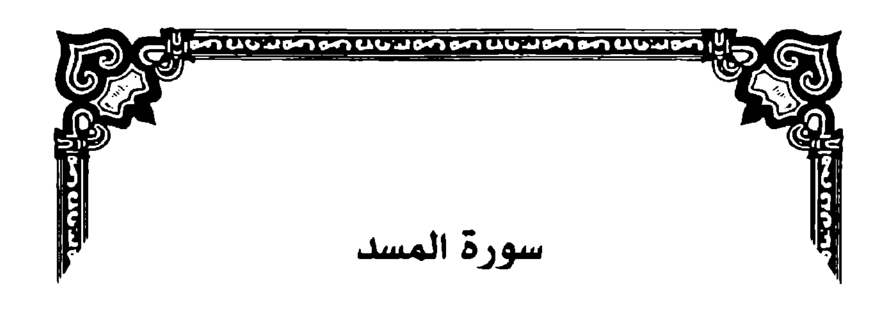
من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، قال: صدقت.

رواه مسلم آخر الكتاب (١٨/١٦٠، ١٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٥).

هذا بالنسبة للسور القصار وقد قيل إن آخر سورة نزلت المائدة أو التوبة، أما آخر ما نزل إطلاقاً فقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه إلى الأبد.





سورة المسد

هي خمس آيات، وحديثها يدور بالخصوص حول ذلك الخائن الخاسر الشقي أبي لهب وزوجته القذرة أم جميل، وقد سجل الله تعالى عليهما الخيبة والتباب في قرآن يتلى مدى الدهر.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾:

{٩٦٢} ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صعِد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم على الصفا فنادى: «**يا صَباحَاه**»، فاجتمعتْ إليه قريش، فقال أبو لهب: أَلِهَذا جمعتنا تَبّاً لك؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

رواه البخاري في التفسير (١٠/٣٦٨)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨)، والترمذي (٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢٦)، وقد تقدم مطوّلاً في سورة الشعراء عند آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أي: خسرت، والتباب: الهلاك والخسران وعبّر تعالى باليدين عن الذات وهو شائع في الأساليب العربية، وقوله: ذات لهب أي: صاحبة اشتعال وتلهّب، والجيد: العنق، والمسد: الليف.

{٩٦٣} ـ وعن ربيعة بن عباد الديلمي قال: رأيت النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: «**يا أيها**

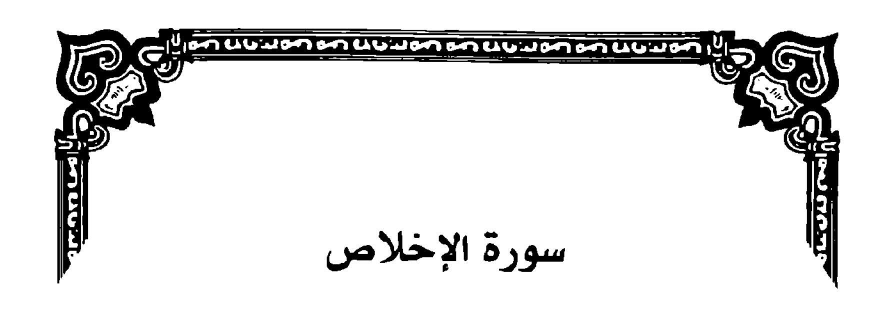
الناس قولوا: **لا إلـه إلاّ الله تُفلِحُوا**»، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت يقول: «**أيّها الناس قولوا: لا إلـه إلاّ الله تفلحوا**» إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب، فقلت: من هذا؟ قال: محمد بن عبدالله وهو يذكر النبوّة، قلت: من هذا الذي يكذّبه؟ قالوا: عمّه أبو لهب.

رواه أحمد وابنه عبدالله (٤٩٢/٣، ٤٩٣) من طرق و(٣٤١/٤)، والطبراني في الكبير (٦١/٥)، وأورده الهيثمي (٢٢/٦) وقال: بأسانيد، وأحد أسانيد عبدالله بن أحمد ثقات الرجال... وله شاهد عن طارق بن عبدالله وعن رجل من بني مالك بن كنانة، وعن منيب الأزدي، وعن مدرك أوردها كلّها الهيثمي في المجمع (٢١/٦، ٢٢)، وفيها ما رجالها رجال الصحيح أو رجالها ثقات غير أن في بعضها بدل أبي لهب أبو جهل.

وفي هذا الحديث بيان ما كان عليه نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم من تحمّل المشاق والشدائد في تبليغ رسالة ربّه مع تغرّبه وهو صابر صامد لا يتضجّر ولا يتأخر حتى أظهره الله تعالى ونصره، وفيه ما كان عليه ذلك الخاسر الخائب أبو لهب من خذلانه ابن أخيه الكريم، وما كان يعامله به من سفاهة وخبث...

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.





سورة الإخلاص

هي أربع آيات، وتتحدّث عن التوحيد وصفات الأُلوهية إثباتاً ونفياً، فأثبتت لله عزّ وجلّ الوحدانية والصمدية، ونفت عنه الولادة والولد والكفؤ والمماثل، وفي ذلك ردّ على المشركين القائلين بالذرية والبنين له، وعلى النصارى القائلين بالتثليث، وبذلك كانت جامعة لتوحيد الله عزّ وجلّ؛ لأن التوحيد مركب من الإثبات والنفي: إثبات ذات لا تشبه الذوات غير معطلة عن الصفات، منزّهة عن الشَّبَه والمماثلة للمحدثات، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾:

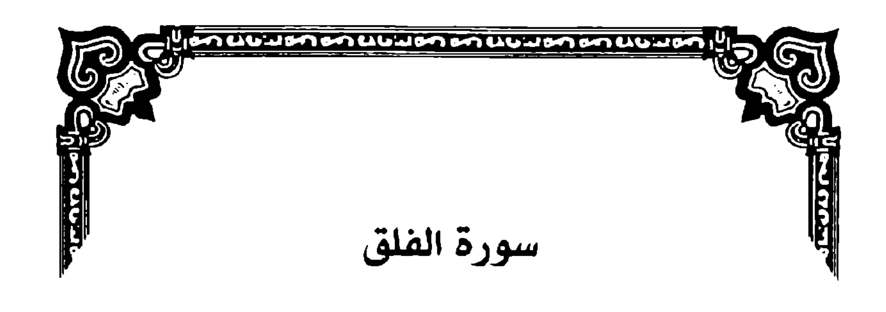
{٩٦٤} ـ عن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن المشركين قالوا لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

والصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس بشيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفواً أحد، قال: لم يكن له شبيه ولا عدل ولا كمثله شيء.

رواه الترمذي في التفسير (٣١٤٥)، وابن جرير (٣٤٢/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٧٤/١٠)، والحاكم (٥٤٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وللحديث طرق يحسن أو يصحح بها.

في الحديث بيان سبب نزول هذه السورة العظيمة، وأحاديث فضائلها تقدّمت في فضائل القرآن، وحديث بريدة في كونها فيها الاسم الأعظم تقدّم في الدعوات، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه إلى الأبد.





سورة الفلق

هي خمس آيات، وأهدافها طلب التحصّن برب الفلق من الشرور العارضة من المخلوقات، ومن شرّ الليل إذا أظلم، ومن شرّ الساحرات والحاسدين.

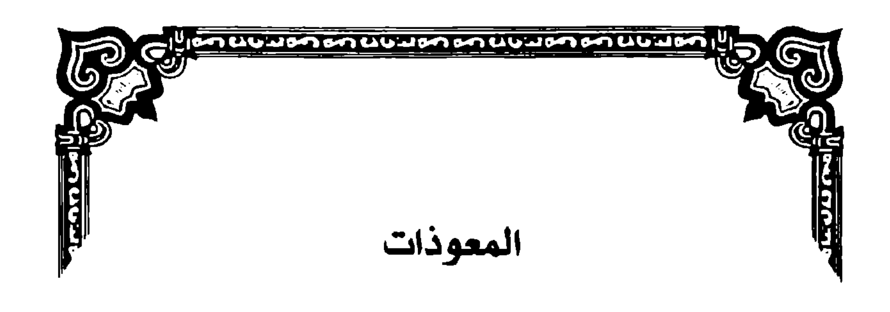
قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾:

{٩٦٥} ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أخذ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم بيدي، وإذا القمر حين يطلع فقال: **«يا عائشة، استَعِيذِي بالله مِن شرّ هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وَقَب»**.

رواه أحمد (٦١/٦، ٢٣٧، ٥٠٦، ٦١٥)، والترمذي في التفسير (٣١٤٦)، والنسائي والحاكم (٥٤٠/٢، ٥٤١)، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي، وحسّنه الحافظ.

ظاهر الحديث أن الغاسق هو القمر إذا طلع، ويقال أيضاً للّيل إذا أظلم، والأمر متقارب، وقوله: وَقَب أي: دخل بظلامه.

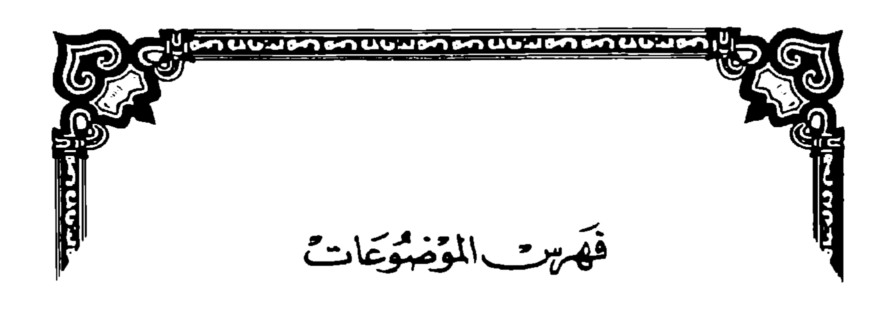




المعوذات

تقدّمت أحاديث مشتركة في فضل المعوّذات: الإخلاص والفلق والناس في فضائل القرآن، وسيأتي لها مزيد في الطبّ إن شاء الله تعالى. وبه تم التفسير، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا وحبيبنا ومرشدنا أبي القاسم مولانا محمد النبيّ الأمين وعلى آله وذرّيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله تعالى عن صحابته البررة الأكرمين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وكان الفراغ منه صبيحة يوم الثلاثاء خامس محرم الحرام مفتتح عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة وألف.





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

